الشريف الرضي

دراسة في عصره وأدبه

إعداد
حسن محمود أبو عليوي

مؤسسة الوفاء
بيروت - لبنان

الشريف الرضي

دراسة في عصره وأدبه



الشريف الرضي

دراسة في عصره وأدبه

أطروحة دكتوراه في الأدب العربي

إعداد

حسن محمود أبو عليوي

إشراف

الأب الدكتور لويس بوزيه

مؤسسة الوفاء

بيروت - لبنان

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م





مؤسسة الوفاء : بيروت - لبنان - ص.ب: ١١٤٥٧ - ت: ٣٩٢٦٨٣

هـذه الدراسـة قدمت اطـروحة دكتـوراه اختصـاص في اللغـة العربية وآدابهـا في معهد الآداب الشـرقية جـامعة القـديس يوسف ـ بيروت وقد أشرف عليها الأب الدكتور لويس بوزيه .

الجزء الاول



مقدّمة الناشر

وجل يعتريك . . . ورهبة تتقمصك . . وحذر فوق ذاك يزيد في اضطرابك وانت تحاولُ أن تكتب عن رجالات علم وفكرٍ في ازمنة سوالف . . وليس ذاك لجهل فيك عنهم . . او منقصة فيهم لديك . . بل وأنت الحَكَمُ اليوم عليك ان تنصف . . عليك ان تقول الكلمة الحق بلا مواربة او زيف . . ولكي تنصف وتقول الكلمة الحق عليك تقَحُّم صفحات التاريخ منقبا فيها عن سير اولئك الرجال . . ثم تقحُّم آثارهم وعلومهم وسلوكهم دارساً وباحثاً ومقارناً . . هذا إذا أردت ان تعطي كلاً من اولئك حقه .

ونحن إذ نحاول تقدمة هذه الدراسة عن رجل من رجالات الأزمنة السوالف . . عن الشريف الرضي . . يحق لنا ان نتساءل . . هل اعطينا لهذا الرجل حقه . . أو هل اعطى البحاثة والدارسون والنقاد لهذا الرجل حقه . . والحقيقة المحزنة ان هذا العالم الشاعر المُجيدُ المُتقن . . بما يحمله من صفات الروعة والجلال . . والأنفة والعفة والفتوة . . والعقلية الكبيرة النافذة . . والأحساس النابض . . والخيال الوارف . . لم يعطه التاريخ حقه . . وتجاهله وسكت عنه الكثير ممن كتبوا عن عصره وشعراء عصره ورجالاته . . وإذ لا مجال للبحث في اسباب ذلك نقول :

لَعَلّ هذه الدراسة في الشريف الرضي . . في سيرته واطوار حياتـه . . ثم في شعـره ونثـره بعض التعـويض للرجـل عـما لقيـه من التجـاهـل والتناسي . . وحُكماً عادلاً إلى جانبه والله نسأل ان تكـون كذلـك . . ومنه عز وجل نستمد العون والتوفيق انه سميع مجيب .

١٤٠٦/٣/١٦ مؤسسة الوفاء

١٩٨٥/١١/٢٩ بيروت ـ لبنان

الاهداء . . .

الى الطفولة المعذّبة ، التائهة
في ظلام الليل الحالك . . .

الى رمز الطّهارة والبراءة ، براعم
المستقبل وأزهاره . . .

الى أطفالي الصغار الأربعة :
غادة ومحمود وريما وريّان .

اقدّم هذه الرسالة

* مقدمة *

بسم الله الرحمن الرحيم

عاش الشريف الرضي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وقد لقي هذا القرن من الباحثين في العصر الحديث عناية فائقة ، واهتماما كبيرا ، ففيه بلغت الحضارة الاسلامية ذروتها ، واستوت فيه على سوقها ، وقد أنجبت عددا كبيرا من الاعلام ، كان من بينهم أديبنا .

والشريف الرضي أديب بليغ ، جمع بين الترّسل والفقه والشعر ، فأكثر وأجاد في مختلف الأغراض الشعرية ، وقد طغت شهرته بالشعر على سائر ملكاته ، فعرف بشعره واشتهر به .

وقد حاولت في هذه الرسالة أن أدرس الناحيتين ، فتناولت الرضي ناثرا وشاعرا ، وحصرت دراستي بأغراضه الشعرية ، دون الخوض في نواحيها الشكلية ، نظرا الى تشعّب هذه النواحي ، والى أهميّتها ، ممّا يؤهّلها لتشكّل موضوع دراسة مستقلّة .

وكانت المكانة التي تمتّع بها ، والدّور الذي مثّله في عصره في مختلف الميادين ، من الأسباب التي دفعتني الى أختيار أدب الشريف الرضي نثرا وشعرا موضوعا لأطروحتي ، فضلا عن أسباب أخرى أبرزها : بلاغة نثره ، ورقّة شعره وجزالته ، فشعر الرضي ـ وان يكن قديم الأسلوب ـ

ظاهر البلاغة ، قويّ النسج ، واضح التعابير ، فيه متانة وسهولة ورصانة تظهر في شخصيّة صاحبه نبيلة ، عزيزة ، أبيّة ، طموحا .

وكان الرضي مثالا في السّماحة ، وأنموذجا يحتذى به في عصر يزخر بالصراعات السياسيّة والمذهبيّة ، ومع ذلك لم يحفل الأدباء والنقّاد بدراسة نثره وشعره كاهتمامهم بغيره من الأدباء والشعراء ، فحرم أسباب الشهرة والنّباهة لأنه لم يزاحم الشعراء على أبواب السلاطين ، فآثر العفّة والاباء على الكسب الرخيص . وقد لقي الرضي في دنيا الأدب أعنف ضروب العقوق ، فقد كان من فحول الشعراء ، ومن كبار الفقهاء والبلغاء ، ومع ذلك سكت عنه النقد الأدبي . وممّا يسترعي الانتباه أنّ عددا من المؤلّفين والنقّاد الذين اهتمّوا بدراسة الشعر والشعراء في الأعصر العباسيّة ، لم يأتوا على ذكر الشريف الرضي في مؤلفاتهم . فقد تجاهل أنيس المقدسي ـ في كتابه : (**أمراء الشعر في العصر العباسي**) ـ ذكر الشريف الرضي ، وتغافل عنه بطرس البستاني في كتابه : (**أدباء العرب في الأعصر العبّاسية**) ، وسها عن ذكره مصطفى الشكعة في كتابه : (**الشعر والشعراء في العصر العبّاسي**) . ولعلّ ضياع معظم مؤلفات الشريف الرضي دليل ساطع على اهماله ، وعدم الاهتمام بكتبه ، فضلا عن أنّ مؤلفاته المطبوعة نادرة الوجود ، لأنها طبعت منذ أمد بعيد .

لقد كانت مواقف الشريف الرضي المبدئية ونظرته للمذهب والتقيّة وعقيدته المتسامحة ، وجرأته النادرة من الأسباب التي جعلت بعض العلماء ورجال الدين يتحاملون عليه ، ويحطّون من قدره ، لأنّ العالم الفقيه لا يجوز أن يكون شاعرا أو طامحا لمناصب سياسيّة ، أو مطالبا بالخلافة .

هذا السكوت والاغفال لشاعر من كبار الشعراء في عصره ، زاد في

اندفاعي الى الاهتمام بدراسة نثر الرضي وأغراضه الشعرية ، وسيرته . وقد حاولت هذه الدراسة انصافه واعطاءه حقّه من خلال الكشف عن شخصيته وابداعه .

لقد درست الشريف الرضي في عصره وأدبه ناثرا وشاعرا ، وتوقفت عند أغراضه الشعرية ، ولم أعالج النواحي الشكليّة والفنيّة وبناء القصيدة ومقوّماتها ، لأنّ الصياغة الفنيّة والشكلية تحتاج الى دراسة مستقلّة ، لا يتيح حجم الرسالة القيام بها . وبذلت جهدي لابراز مكانة الرضي في عصره من النواحي : الاجتماعية والدينيّة والفكرية والأدبيّة . كما سعيت الى القاء الضوء على نثره ومؤلفاته وثقافته . وحاولت في ميدان الشعر أن أبرز المعاني الانسانية والشخصية في قصائده ، وخاصة بعد أن تكرّرت الاشارة الى اسمه عند القدماء من المؤلّفين والنّقاد ، وعند المحدثين من المستشرقين الذين نوّهوا به وبمقامه .

واشتملت دراستي على ثلاثة أبواب رئيسيّة ، فكان الباب الأول بمثابة اطار خارجي لفهم سيرة الرضي وأطوار حياته ، ومكانته في عصره ، الى جانب ابراز : دوره في سياسة عصره ، وعلاقته بسياسيّي عصره ، ودوره في مجتمعه من خلال وظائفه وعلاقاته الاجتماعية مع تلامذته في « مجمعه » العلمي والأدبي ، ومع أقاربه وأصدقائه ، ومع أدباء عصره ومثقّفيه ، وقد تثقّف على أيدي نخبة من أئمة الفقه والنحو والأدب واللغة ، فكان من شيوخه الشيعي ، والمعتزلي ، والحنبلي ، والشافعي ، فلم يتعصّب لرجال مذهب دون آخر . فكان واسع الثقافة ، غزير الانتاج ، انصرف الى التأليف بهمّة ونشاط ، فشملت مؤلفاته مختلف ميادين المعرفة ، واحتلت مكانة بارزة بين مؤلفات عصره .

ودرست في الباب الثاني الشريف الرضي النّاثر ، فتناولت أربعة كتب تعتبر من خيرة مؤلفاته النثرية في الأدب والبلاغة والتفسير ، وهي : **نهج البلاغة** ، **وتلخيص البيان في مجازات القرآن** ، **ومجازات الآثار النبوية** ، **وحقائق التأويل في متشابه التنزيل** . فضلا عن معالجتي بعض رسائل الرضي التي وصلتنا ، وكشفت لنا عن أسلوبه الانشائي .

وفي الباب الثالث درست الرضي كشاعر ، فاكتفيت بأغراضه الشعرية ، وعكفت على ديوانه أتعمّق في تحليله ، وأتحقّق من حوادثه ، وأتعرّف على ظروف قصائده ، ومناسبات انشادها ، لكي أتعرف بدقّة على شخصيّة الرضي وما رافقها من أحداث ، وما أحاط بها من ظروف ، فشعره يعطي صورة واضحة عن أطوار حياته ونوازع شخصيته ودخيلة نفسه .

وسأقدّم صورة موجزة للفنون الشعرية التي نظم فيها الشريف الرضي واشتمل عليها هذا الباب ، وقد رتّبتها حسب الحيّز الذي تشغله في الديوان .

وقد تعاظم قدر المدح في شعره ، ثم جاء بعده الرثاء ، فالفخر والنسيب ، ثم سائر الأغراض : من وصف وبكاء للشباب وذمّ للمشيب ، الى الشكوى وذمّ الزمان ، ثم الهجاء ، والحكمة والمثل والزهد .

وضمّت دراستي ثلاثة عشر فصلا ، فضلا عن فصل تمهيدي تناولت فيه نقد المصادر والمراجع .

أما مصادر رسالتي ومراجعها ، فقد خصّصت لها فصلا تمهيديا مستقلاّ ، نظرا الى أهميّتها وتشعّبها ، فعرّفت بكل مصدر ومرجع ، وأشرت الى تاريخ طباعته ، وكشفت عن أصول معلوماته ، وأظهرت

قيمته بالنسبة الى دراستي وقد بذلت جهودا مضنية في سبيل الحصول على ديوان الشريف الرضي وبعض مؤلفاته ، ومصادر ترجمته ، علما أنّ مصادر دراستي ومراجعها اشتملت على معلومات عامة ، مغلوطة في بعض الأحيان ، يردّدها الخلف عن السلف ، فلا يجد الباحث فيها مبتغاه ، وقد اشتملت على روايات متضاربة ، وهي قليلة نسبيا ، فضلا عن أنّ مؤلّفات الشريف الرضي المطبوعة تكاد تكون نادرة ، فقد طبعت منذ أمد بعيد ، ولم تهتمّ دور النشر باعادة طبعها ، فنفذت نسخها من الأسواق ، فكان من العسير الحصول عليها .

انّني أغتنم هذه المناسبة لأقدّم خالص شكري وامتناني للدكتور « أهيف سنّو » والأب الدكتور « لويس بوزيه » وأخصّ الأول بالتقدير وعرفان الجميل لجهوده المتواصلة في رسم معالم الطريق أمامي ، وتسديد خطاي بتوجيهاته القيّمة وملاحظاته الدقيقة .

كما أشكر بعض علمائنا الأجلّاء الذي أوضحوا لي بعض المسائل حول مكان ضريح الشريف الرضي ، وكل من ساعدني في الحصول على المصادر والمراجع في المكتبات العامة والخاصة ، ولا سيّما سماحة العلامة الشيخ ابراهيم سليمان البيّاضي ، الذي فتح أمامي أبواب مكتبته العامرة وسهّل لي الحصول على بعض المصادر الهامّة في دراستي .

كما أشكر الأهل والأقارب وكلّ من ساعدني في تأمين الأجواء الهادئة والملائمة لكتابة أطروحتي .

وبعد ، فهذه رسالتي حول : (**الشريف الرضي ، دراسة في عصره وأدبه**) حاولت فيها انصاف الشريف الرضي بعد أن ظُلم في حياته ونال ضروب العقوق والعنت من التاريخ .

فان توصّلت الى هذه الغاية عبر رسالتي فذلك توفيق من الله ، وان أخفقت فحسبي أنني حاولت ، والحمد لله على ما أعان ويسّر .

حسن محمود أبو عليوى

١٩٨٤ م

* * *

* دراسة المصادر والمراجع *

(نقد وتقويم)

تمهيد :

تناولت في هذا التمهيد أهم المصادر والمراجع التي اهتمّت بدراسة أدب الشريف الرضي (نثرا وشعرا) ، وترجمتْ لأدوار حياته ، وذكرتْ مؤلفاته ، فأحاول أنّ أعرّف بكل مصدر أو مرجع وتاريخ طباعته ومضمونه ، ومصدر معلوماته وقيمته بالنسبة لدراستي ، مع الاشارة في نهاية المطاف الى أهم المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها .

وسأبدأ بمؤلفات الرضي التي تيّسر لي الاطّلاع عليها ، ثم أتناول سائر المصادر ، فالمراجع المختلفة .

أ ـ مؤلّفات الرضي

لمّا كان يصعب تأريخ تأليفها تأريخا دقيقا ، رتّبتها حسب الحروف الهجائية على النحو التالي :

١ ـ (تلخيص البيان في مجازات القرآن)

بقي هذا الكتاب ضائعا مدة عشرة قرون تقريبا ، حتى تمكّن الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، من تحقيق الكتاب وضبطه وفهرسته[١] .

والكتاب يبحث في المجاز القرآني ، والاستعارات القرآنية ، متناولا القرآن الكريم ، سورة سورة حسب ترتيب المصحف الشريف ، مستخرجا من كل سورة الآيات التي يوجد فيها مجاز بيانيّ ، وكاشفا عمّا تحتويه من وجوه المجاز والاستعارة والبيان . ويعرض لنا الرضي ذلك كلّه بأسلوب شعري بليغ .

وتعود قيمة الكتاب ، الى انفراد الشريف بهذا الضرب من التأليف

---

(١) طبعته دار احياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٥ م .

عن سائر المؤلّفين . فقد طرق بابا لم يطرق قبله . ولم يظهر كتاب قائم بذاته في مجازات القرآن ، بالمعنى المجازي المقابل للحقيقة ، قبل هذا الكتاب . وقد سلك الرضي فيه منهجا متكاملا ، لا اشارات متفرّقة ، كما فعل غيره من المؤلّفين[1] .

٢ ـ (حقائق التأويل في متشابه التنزيل)[2] :

هذا الكتاب خاص بمتشابه التنزيل ، وطريقة الرضي في تأليفه تكاد تكون نادرة ، فهو يعقد لكل آية من المتشابه مسألة قائمة بذاتها ، حتى تكوّنت لديه مجموعة من المسائل المتنوّعة ، ولكل مسألة استقلالها عن أخواتها . وهو يختلف عن سائر كتب التّفسير ، ويقترب من كتاب شقيقه المرتضى (الأمالي) .

ويجمع الكتاب بين العلم والأدب على حدّ سواء ، وهو يدل على مكانة الرضي العلمية ، وعلى نضجه وبالتالي على انفراده بهذا النوع من التأليف وقد مدح الكتاب الكثير من المؤلّفين[3] .

---

(١) كأبي عبيدة (معمر بن المثنّى) ٢٠٩ هـ/٨٢٨ م في **مجازات القرآن** ، والجاحظ . (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب) ٢٥٥ هـ/٨٦٩ م في : **البيان والتبيّين والحيوان** ،وابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ٣٧٦ هـ/٨٩٠ م . في **تأويل مُشْكل اقرآن** .

(٢) طبع هذا الكتاب لأول مرّة في بغداد سنة ١٩٣٦ م . وقد شرحه محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، ودقّقته لجنة علمية من أعضاء منتدى النشر ، كما قدّم له الشيخ عبد الحسين الحلّي النجفي . بمقدمة جامعة شاملة ، تناولت مختلف جوانب حياة الرضي ، ولم يعثر من الكتاب الاّ على الجزء الخامس .

(٣) الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** ، ٢٤٦/٢ ، نقل وصف ابن جنّي للكتاب : « ألّف الرضي كتابا في معاني القرآن يتعذّر وجود مثله » . ابن خلّكان . **وفيات الأعيان** ، ٤١٦/٤ . ساق ما أورده الخطيب وزاد عليه قوله : « دلّ على توسّعه في =

٣ ـ (ديوان الشريف الرضي)[١] :

بدأ الشيخ محي الدين عبد الحميد ـ شارح الديوان ومحقّقه ـ كتابه بمقدمة صغيرة (ص ٣ ـ ٤) ذكر فيها الباعث على تأليف هذا الكتاب ، فاندفع للاهتمام بشعر الشريف واستخراج معانيه ، لأنه رآه يمثل أصدق تمثيل الروح العربية وما اشتملت عليه من اعتداد واباء وترفّع ، وصاحبه من القوم الذين درجوا من البيوتات العريقة بمجدها . وشيء آخر دفعه للعناية بشعر الرضي ، ما لقيه الشريف من عنت الدهر وظلم الناس ، وانصراف رجالات الأدب عنه ، فلم يحظ شعره ، بما حظي به شعر أبي تمّام (٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) ، والبحتري (٢٨٤ هـ / ٨٩٨ م) ، والمتنبي (٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) ويبقى شعر الرضي دون عناية واهتمام ، فلا تجد له شارحا أو ضابطا لألفاظه ومعانيه في مدى عشرة قرون[٢] .

لقد حداه الى هذا العمل ما رآه من اهمال الشّراح لديوان الرضي

= علم النحو واللغة » . ابن عنبة ، **عمدة الطالب** ، ٢٠٧ . نقل عن أبي الحسن العمري قوله : « شاهدت مجلدا من :تفسير القرآن منسوبا اليه مليحا حسنا ، يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطوسي أو أكثر » ، ووردت نفس العبارة في مقدمة **تحقيق ديوان الرضي** للدكتور عبد الفتاح الحلو ٩٧/١ على هذا النحو : « يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطبري أو أكثر » .

(١) دار احياء الكتب العربية . عيسى البابي ، الحلبي ، بالقاهرة ، الطبعة الأولى الجزء الأول ، ١٩٤٩ م . وهو مرتّب على القوافي (حسب حروف المعجم) وينتهي الجزء الأول عند قافية الباء ويقع في ٤٧٩ص ، وقد وعد باصدار الجزء الثاني الذي يبدأ بقافية التاء ، ولكنه لم يصدر حتى اليوم .

(٢) محمد محي الدين عبد الحميد . **شرح ديوان الرضي** ، المقدمة ، ٤/١ ، ١٩٤٩ م .

مع علّو قدمه وروعة شعره ، فأراد بهذا الصنيع أن يقضي بعض حق الشاعر على أمته .

ولذا توسّع في شرحه للأبيات ، وأورد خلال الشروح تعليقات نحوية ولغوية ، واستشهد أحيانا ببعض أشعار القدامى ، كما ترجم بايجاز لبعض الأعلام الذين كانوا على صلة بشعر الرضي[1] . حتى غدا شرحه وافرا ومعلوماته واسعة ، فسهّل بعمله هذا فهم قصائد الرضي ، بعد أن رقّم الأبيات وذكر مناسبات القصائد وتاريخها .

ولكنّ صنيعه هذا جرّه الى الاستطراد والابتعاد عن هدفه في بعض الأحيان وأوقعه في أخطاء كثيرة[2] . وكان اعتماد الشيخ عبد الحميد على طبعة الهند[3] ، وعلى طبعة بيروت الأولى[4] . وفي مقدمة الديوان

---

(١) ترجم للخلفاء العباسيين الذين اتصل بهم الرضي وعاصرهم (المطيع ـ الطائع القادر) ، وللأمراء البويهيين الذين عاصرهم وهم : (شرف الدولة ، وبهاء الدولة ، وسلطان الدولة) ، كما ترجم لبعض الوزراء الذين كانوا على صلة بشعر الرضي .

(٢) أثبت هذه الأخطاء الدكتور عبد الفتاح الحلو . في مقدمة تحقيق **ديوان الرضي** ، على حاشية نسخته ١٦٢/١ .

(٣) مطبعة نخبة الأخبار في الهند سنة ١٣٠٦ هـ ، في جزء واحد يضم ٥٤٩ص ﴿-و مرتّب على القوافي وقد أشار الشيخ عبد الحميد الى هذه النسخة بالحرف (هـ) .

(٤) المطبعة الأدبية في بيروت من سنة (٣٠٧ هـ ـ ١٣١٠ هـ) في جزئين يشتملان على ٩٨٦ ص ، وقد التزم طبع الجزء الأول أحمد عبّاس الأزهري ، وشرح الفاظ الجزء الثاني محمد سليم اللّبابيدي .
وقد أشار الشيخ عبد الحميد الى هذه النسخة بالحرف (ب) وربما أوْهم هذا أنه يرجع الى مخطوطيتن والحق أنه لم يرجع الى المخطوطات في عمله هذا ، ولم يصرح بأنه اعتمد على هاتين الطبعتين ، ولكن المراجعة الدقيقة للجزء الثاني الذي نشره ومقارنته بهاتين النسختين تثبت صحة ما نعتقد . وقد أكّد هذه الحقيقة الدكتور عبد الفتاح الحلّو . في تحقيق **ديوان الرضي** ، ١٦٢/١ .

أورد تعريفا للرضي منقولا عن أمهات كتب القدامى من الأدباء ، في الصفحات (٥ ـ ١٩) وقد نقل معلوماته عن : الثّعالبي وابن الجوزي ، وابن الأثير ، وابن أبي الحديد ، وابن خلّكان[١] .

وهناك طبقة أخرى من ديوان الرضي[٢] تحقيق عبد الفتاح الحلو . وقد بلغ شعر الرضي من الشهرة حدّا جعل الصاحب بن عباد[٣] يرسل الى بغداد من ينسخ له ديوان الرضي . وكذلك أنفذت تقيّة بنت سيف الدولة الحمداني ، المتوفاة سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م من مصر الى العراق من ينسخ لها ديوان الرضي[٤] .

يؤكّد لنا ذلك أنّ شعر الرضي كان يجمع في حياته ، فضلا عن أنّ

---

(١) الثعالبي (٤٢٩ هـ/١٠٣٨ م) . **يتيمة الدهر** ، ابن الجوزي . (٥٩٧ هـ/١٢٠٠ م) . **المنتظم** . ابن الأثير . (٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) **الكامل في التاريخ** . ابن أبي الحديد . (٦٥٥ هـ/١٢٥٧ م) **شرح نهج البلاغة** . ابن خلّكان (٦٨١ هـ/١٢٨٢ م) . **وفيات الأعيان** .

(٢) صُنْعة أبي حكيم الخَبْري . تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو . دار الطليعة ، باريس ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦ م ، الجزء الأول ، وقد ساعدت وزارة الاعلام العراقية في نشره ، وينتهي الجزء الأول من باب المديح ، عند قافية الدال ، ووعد المحقق بنشر الجزء الثاني وأوله بقيّة باب المديح قافية الراء ، ولكنه لم يصدر حتى الآن .

(٣) أبو القاسم كافي الكفاة اسماعيل بن عبّاد الملقّب بالصاحب من كبار الأدباء والوزراء في أصبهان وجرجان توفي سنة ٣٨٥ هـ/٩٩٥ م ، مدحه الرضي ، وعند وفاته رثاه بقصيدة تعدّ من روائع الشعر ومطلعها :

أكذا المنونُ تُقَنْطرُ الأبْطالا ، أكذا الزمانُ يضعْضِعُ الأجْبالا

القصيدة في **ديوان الرضي** ، دار بيروت ، ٢٠١/٢ . وانظر في ترجمة الصاحب الثعالبي . في **يتيمة الدهر** ، ١٨٨/٣ . طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٤) وهي لا ترى هديّة أنفس منه يوم حمل اليها . أنظر قصيدة رثاء تقيّة بنت سيف الدولة في **ديوانه** ، ٢١٢/٢ ، طبع دار بيروت ، وفي **الغدير** ، للأميني ، ٢٠٠/٤ .

معظم قصائد الديوان مقدّم لها بذكر التاريخ الذي قيلت فيه القصيدة ، والمناسبة التي دعت الى انشادها .

لذلك كان الديوان من أهم مصادري في دراسة حياة الرضي وشعره . فقد استعرضت طبعاته المختلفة . وتفحّصت مضمون قصائده بدقّة متناهية لاكتشاف بعض الحقائق ، أو المواقف التي تنير سبيلي في دراستي .

وكان الديوان وثيقة تاريخية وأدبية مهمّة جدّا ، لأنه جُمع في حياة صاحبه ، بل كان الرضي يضيف اليه بخطّه في الحاشية ما يراه مناسبا .

وكانت آخر قصيدة مؤرّخة سجّلها في ديوانه هي : مرثية لصديقه أحمد بن علي البتّي الذي توفي في شعبان سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٥ م ، وبعده بشهور توفي الرضي في المحرّم سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٦ م .

وقد طُبع الديوان عدة طبعات ، أحسنها طبعة دار الطليعة في باريس ، التي حققها الدكتور عبد الفتاح الحلّو وقد اعتمد المحقّق على نسخة أبي حكيم الخبري . وهو مرتّب على الأغراض الشعرية ، وقد اطّلعت على هذه النسخة واستعنت بها خصوصا في المقارنة مع نسخ الديوان الأخرى . وللأسف لم يصدر منه الاّ الجزء الأوّل حتى قافية الراء . وتعود أهمية هذا الجزء الى تلك المقدمة الغنيّة التي أورد المحقّق فيها ترجمة شاملة لحياة الرضي وثقافته اشتملت على ١٢٣ ص ، تناول فيها (سيرة الرضي ، عقيدته ، مناصبه ، مؤلّفاته ، وأدبه نثرا وشعرا) .

وهناك طبعة من ديوان الرضي[1] تقع في جزأين ، يشتمل الأول

---

(١) دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨١ م ، مجلّدان ، وهي الطبعة الثانية . أما الطبعة =

على ٦٨٥ ص ، وهو مرتّب على القوافي بحسب حروف المعجم ، يبدأ بقافية الهمزة والألف الليّنة ، وينتهي بقافية الغين . أما الجزء الثاني ، فيحتوي على ٦٠١ ص ، ويبدأ من قافية الفاء . وتعتمد هذه النسخة على الطبعة البيروتية السابقة[١] . وتمتاز عنها بقلّة الأخطاء ، وضبط الكلمات ، وشرح بعض المفردات في كل قصيدة ، ووضع عناوين للقصائد مع ذكر مناسباتها ، وتاريخ انشادها ، كما وضع فهرس للقصائد في آخر كل جزء ، يعتمد صدر البيت .

وفي أول الديوان ترجمة وجيزة للرضي تشغل الصفحات (٥ ـ ٨) ، وتعتمد على ما ذكره الثعالبي ، والخطيب البغدادي ، وابن خلّكان[٢] .

٤ ـ (الرسائل المتبادلة بين الصابئي والشريف الرضي)[٣] :

جرى تبادل هذه الرسائل بالشعر والنثر بين عامي : ٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م و ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م . وقد زيد عليها ما نظمه الرضيّ في رثاء صديقه نثرا وشعرا .

تعتبر هذه الرسائل سلسلة من المدائح والتّهاني ، والتّعازي

= الأولى فقد صدرت في دار صادر ودار بيروت سنة ١٩٦١ م في جزأين . وطبعة دار بيروت هي التي اعتمدتها في دراستي ، وقارنتها بسائر الطبعات .

(١) طُبعت في المطبعة الأدبية في بيروت (١٣٠٧ ـ ١٣١٠ هـ) جزءان بشرح أحمد عبّاس الأزهرّي ومحمد سليم اللّبابيدي .

(٢) الثعالبي . في **يتيمة الدهر** ، والخطيب البغدادي . في **تاريخ بغداد** . وابن خلّكان . في **وفيات الأعيان** .

(٣) حقّق هذه الرسائل الدكتور محمد يوسف نجم . وقد طبعت لأول مرة في الكويت سنة ١٩٦١ م ، في سلسلة التراث العربي ، التي تصدرها دائرة المطبوعات والنشر في الكويت .

والمراثي ، وقد دلّت على عمق الصداقة والمودّة بين الرجلين ، وهي خير دليل ، وأوثق شاهد على أسلوب الرضي في رسائله .

٥ ـ (المجازات النبويّة)[١] :

هذا الكتاب كمعظم مؤلّفات الرضي ، علميّ فقهيّ بثوب أدبي . وقد جمع الرضيّ فيه ثلاثماية وستين حديثا ونيّفا . فضلا عن اشتماله على اشارات لغوية ، وعلى شرح وتوضيح لجوامع الكلم النبويّة ، مع ذكر الشّواهد من شعر الفحول القدامى ، وذكر لبعض آراء المعتزلة والشيعة ، واشارات تاريخية الى بعض غزوات الرسول ، مع كشف المجازات بأنواعها المختلفة من الحديث النبويّ الشريف .

٦ ـ (نهج البلاغة)[٢] :

جمعه الرضي من خطب الامام علي بن أبي طالب وكتبه ومواعظه . وهو من أشهر مؤلّفات الرضي ، لما أثير حوله من ضجّة في الأوساط العلمية والأدبية ، من حيث هويّته وصحة اسناده ، وما قامت حوله من شروح ودراسات وتعليقات مختلفة ، وقد انتهى الرضي من جمعه سنة

---

(١) طُبع الكتاب منذ سنة ١٣٢٨ هـ/١٩١٠ م ، بمطبعة الآداب ببغداد . ولكنّ هذه الطبعة تفتقر الى الشرح والتحقيق والضّبط والتّوضيح ، وتكثر فيها الأخطاء .
ثم طُبع الكتاب في مصر سنة ١٣٥٦ هـ/١٩٣٨ م ، بمطبعة مصطفى البابي الحلبي ، وبتقديم الأستاذ محمود مصطفى . فجاءت واضحة مفهرسة ، مضبوطة بالحركات ، مما سهّل الاستفادة من هذا الكتاب القيّم . وهذه النسخة هي المعتمدة في هذه الأطروحة .

(٢) شرح الشيخ محمد عبده . دار احياء التراث العربي ، نشر المكتبة الأهلية ، بيروت ، مجلد واحد في أربعة أجزاء ، بدون تاريخ .

٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م . وهو فصل من كتابه (**خصائص الأئمة**) ، استقلّ به في الحديث عن خصائص علي بن أبي طالب .

وأهمّ شروح نهج البلاغة وأوفاها شرح ابن أبي الحديد ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ وقد سبقه من أصحاب الشروح أبو الحسين الرّواندي ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م ، وقد اطّلع ابن أبي الحديد على شرحه ، فوافقه في بعض المسائل ، وخالفه في بعضها الآخر ، وأبو الحسن البيهقي ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م . وقد جمع كتاب نهج البلاغة أبلغ ما أثر عن علي بن أبي طالب من خطب ورسائل ، وكتب ومواعظ وحكم . جمعها أبو الحسن الرضي . وقد رتّب الكتاب على ثلاثة أبواب كما جاء في مقدمته [١] .

ولم يذكر الرضي من مصادره الاّ النزر اليسير مثل : كتاب **المغازي** ليحي بن سعيد الأموي ١٩١ هـ / ٨٠٧ م ، وكتاب **الجمل** للواقدي ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م ، وكتاب **المقامات** لأبي جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي ٢٤٠ / ٨٩٩ م وكتاب **البيان والتّبيين** للجاحظ ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م ، وكتاب **المقتضب** للمبرّد ٢٨٥ هـ / ٨٩٩ م ، و **تاريخ الطبري** ٣١٠ هـ / ٩٢٥ م .

وقد يشير الرضيّ الى الأعلام دون ذكر مؤلفاتهم [٢] . ولم يكن همّ

---

(١) جاء في ديباجة الرضي : « ورأيت كلامه ـ عليه السلام ـ يدور على أقطاب ثلاثة ، أولها : الخطب والأوامر ، وثانيها : الكتب والرسائل ، وثالثها : الحكم والمواعظ . . . » .
نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبد ، ١٢/١ .

(٢) فقد ذكر أنه نقل من خطّ هشام بن الكلبي ٢٠٤ هـ/٨١٩ م ، كما ذكر أبا عبيد القاسم بن سلاّم ٢٢٢ هـ/٨٣٧ م . انظر **معجم المؤلفين** ، عمر رضا كحالة ، مطبعة الترقّي ، دمشق ، ١٩٦٠ م .

الرضي ذكر المصادر ، ولو فعل لأزال الشكّ حول صحّة نصوص الكتاب ، ولنفى الانتحال عنه .

ب ـ سائر المصادر

رتّبتها تاريخيا من الأقدم الى الأحدث ، حسب سنة الوفاة .

١ ـ أبو منصور الثعالبي (٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م)
(يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر)[١] :

الثّعالبي معاصر للرضي ، ولكنّه لم يكن على صلة به على ما يبدو لأنه لم يرث الرضي عند وفاته ، وكان الثعالبي من الشعراء والكتّاب المعروفين في ذلك العصر .

ويعتبر كتابه من المصادر المهمّة والشاملة لدراسة الشعر والشعراء في القرن الرابع ، وقد قدّم لنا ترجمة موجزة للرضي ، وأكثر من ذكر مختارات شعرية له في مختلف الأغراض ، حتى بات كتابه مصدرا مساعدا في التعرف على فنون الرضي الشعرية ، ممّا سهّل عملية المقارنة بالديوان .

---

(١) وردت ترجمة الرضي في اليتيمة ، في الجزء الثالث ، الباب العاشر ، ص ١٣١ وما بعدها من طبعة دار الكتب العلمية في بيروت ، بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد . الطبعة الأولى ١٩٧٩ م .

وقد أثنى على الرضي ثناء حسنا ، وبالغ في اطرائه ، حتى جعله أشعر الطالبيّين ، بل أشعر قريش على الاطلاق . وتعود أهمية هذا المصدر وقيمته الى قرب عهده من الرضي ، والى مكانة صاحبه الأدبية والتأليفية .

٢ ـ الشريف المرتضى (٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ م) :

من مؤلّفات المرتضى التي استعنت بها في دراستي الكتب التالية :

١ ـ (الأمالي) أو (غرر الفوائد ودرر القلائد) .

٢ ـ (ديوانه) .

٣ ـ (طيف الخيال) .

(أمالي) المرتضى[1] :

تلقى المرتضى معظم ما رواه في هذا الكتاب من الشعر واللغة والأخبار ، على استاذه أبي عبد الله المَرْزُباني ، الذي كان اماما من أئمة الأدب ، وشيخا من شيوخ المعتزلة ، وعَلَماً من أعلام الرواية . وقد تتلمذ الرضي عليه أيضا .

وقد حوى الكتاب مختلف ألوان المعرفة من سير وتاريخ وأخبار ، وشعر وشعراء ، ولغة وأدب ، وتفسير للكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ومسائل كلامية ، ونقد ورواية ، حتى غدا شاملا لمختلف الموضوعات ، وعدّ من الكتب العلمية والأدبيّة النفيسة ، واعتبر مصدرا أدبيا وعلميّا جامعا .

---

(١) تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٦٧ م ، مجلّدان .

ويمكننا الافادة من الكتاب للمقارنة بين أسلوب المرتضى المؤلف ، وأسلوب الرضي الناثر . لنأخذ كتاب **حقائق التأويل في متشابه التنزيل** ، للرضي ، ونقارنه **بأمالي** المرتضى ، فاننا نلاحظ أنّ الرضي تتبّع خطى شقيقه في كثير من المسائل . فهو يعرض لتفسير كل آية مسألة على غرار مسائل الأمالي . وهناك تشابه في الأسلوب والموضوعات وطريقة عرضها ومناقشتها ، والاكثار من الشواهد الشعرية واللّغوية ، ومن اللّفتات النقدية في بعض الأحيان . ذلك كله يؤكد مدى تأثير المرتضى على شقيقه الرضي .

٢ ـ (ديوان المرتضى)[١] :

يرى المؤرّخون أنّ المرتضى الشاعر دون مستوى الرضي الشاعر الاّ أن المرتضى العالم الفقيه أرفع شأنا ، ومكانته العلمية والفقهيّة تفوق مكانة شقيقه بلا جدال .

وبعبارة أخرى كان جمهور المرتضى من أهل الفقه والعلم ، بينما كان جمهور الرضي من أهل الأدب والشعر .

لقد استعنت بديوان المرتضى للمقارنة[٢] وللاطّلاع على بعض

---

(١) تحقيق رشيد الصّفار ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨ م . وقد جُمع **ديوان المرتضى** في حياته ، وأرّختْ قصائده حسب سنيّ نظمها كما جرت الحال مع أخيه الرضي .

(٢) قال جامع ديوان المرتضى : « سمعت بعض شيوخنا يقول : ليس لشعر المرتضى عيب الاّ كون الرضي أخاه » . ومع هذا فقد ذكر المرتضى : انّ شقيقه الرضي كان يطلعه على قصائده قبل انشادها . أنظر مقدمة الدكتور عبد الفتاح الحلو ، محقق **ديوان الرضي** ، ١٢٨/١ .

القصائد التي لها صلة بالرضي ، كقصائد العتاب التي جرت بين الشقيقين وقصيدة رثاء المرتضى لشقيقه الرضي .

٣ ـ (طيف الخيال)[١] :

اهتمّ هذا الكتاب بالشعر الذي نظم في الطّيف ، وقد ذكر المرتضى عددا من الشعراء الذين ذكروا هذا الموضوع في قصائدهم ،ومن هؤلاء شقيقه الرضي ، فقد عدّ له واحدا وخمسين بيتا في الطّيف ، وردت في كتاب **طيف الخيال**[٢] .

٣ ـ النّجاشي (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) :

(الرّجال)[٣] :

وتعود أهميّة هذا المصدر الى معاصرة النجاشي للشريف الرضي ، ومعرفته بأخباره وبمؤلّفاته وتقديره لمكانته في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وقد عرّف النجاشي في كتابه تعريفا موجزا بالرضي ، وعدّد بعض مؤلفاته . وقد اعتمدت عليه في تحقيق مؤلفات الرضي . وقد نقل عنه الكثير من المؤرخين وأصحاب كتب الرجال المحدثين .

---

(١) تحقيق حسن كامل الصّيرفي ومراجعة ابراهيم الأبياري . دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٩٦٢ م .

(٢) يقول محقق الكتاب الاستاذ الصيرفي : « ويبدو أثر البحتري في الأخوين واضحا جليّا ، ولعل اهتمامهما بالطيف يرجع الى أثر البحتري فيهما حتى اقتفيا أثره في هذا الباب ، وعرف عنهما الاجادة فيه . . » وقال ابن خلّكان . في ترجمة المرتضى « . . واذا وصف الطيف أجاد فيه ، وقد استعمله في كثير من المواضع . . . » ابن خلكان . **وفيات الأعيان** ، ٣/٣ . وذُكر في تقسيم **ديوان أخيه الرضي** أن من بين أبوابه : باب « النّسيب والمشيب ووصف طيف الحبيب » .

(٣) ويسمّى أيضا فهرست النجاشي . طبع طهران ، منشورات مركز نشر كتاب ، بدون تاريخ .

٤ ـ الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م)

(تاريخ بغداد)[١] :

يذكر ترجمة موجزة للرضي في الجزء الثاني من كتابه . وقد أورد قول ابن محفوظ حول شعر الرضي وشاعريته : « . . . الرضي أشعر قريش ، لأن المجيد منهم ليس بمكثر ، والمكثر ليس بمجيد ، والرضي جمع بين الاكثار والاجادة » .

٥ ـ الباخرْزي (٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م)

(دُمْية القصر وعُصْرة أهل العصر)[٢] :

ينقل عن (اليتيمة) للثعالبي ، وقد ذكر ترجمة للرضي في الجزء الأول من كتابه ، بعد أن بالغ في الثناء عليه بسلسلة من الأسجاع في أحكام عامة ، وقد قارن بينه وبين شقيقه المرتضى ، وذكر غررا من أشعاره في مختلف الأغراض .

٦ ـ ابن الجوزي (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)[٣]

(المنتظم في تاريخ الملوك والأمم)[٤] :

يذكر ترجمة للرضي في الجزء السابع من كتابه في وفيات سنة

---

(١) طبع في مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٣١ م .

(٢) تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو . دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .

(٣) ذكر بلاشير في كتابه المتنبي بالفرنسية أنّ وفاته كانت سنة ٦٥٥ هـ ، واعتقد الشيخ عبد الله نعمة في كتابه مصادر نهج البلاغة ، أنّ وفاته كانتة سنة ٥٦٧ هـ ، وهو خطأ مطبعي ، والصواب هو ما أثبتّه أعلاه .

(٤) طُبع في مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٤ م .

٤٠٦ هـ ، وينقل معلوماته عن الخطيب البغدادي . وقد اعتمدت عليه في معرفة تاريخ بعض الحوادث التي مرّت في حياة الرضي ، وتاريخ حكم البويهيّين ، وتاريخ بعض ملوكهم ، وما رافقهم من أحداث .

٧ ـ ابن الاثير (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

(الكامل في التاريخ)[١] :

لقد ذكر الرضيّ في المجلّدين الثامن والتاسع ، وهو على غرار **المنتظم** لابن الجوزي ، يؤرّخ للحوادث الحاصلة في كل سنة ، وتتبّعنا فيه أخبار الرضي عبر سنيّ عمره ، وقد توقّف عند الحوادث والأخبار البارزة التي اتصلت بحياة الشريف مثل : اعتقال أبيه ، والمناصب التي تولّاها ، والألقاب التي حظي بها وتاريخها ، وسنة وفاته . . .

٨ ـ ابن أبي الحديد (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م)[٢]

(شرح نهج البلاغة)[٣] :

ألّفه للوزير محمد بن أحمد بن محمد العلقمي ، أورد في مقدمة الجزء الأول نسب علي بن أبي طالب ، ولمعا يسيرة من فضائله ، ثم ذكر نسب

---

(١) دار صادر ودار بيروت ، ١٩٦٦ ، المجلّدات السابع والثامن والتاسع .

(٢) ذكر الشيخ عبد الله نعمة في كتابه **مصادر نهج البلاغة** ، ص ٤٢ ، أنّ وفاته كانت سنة ٦٥٦ هـ ، والصواب ما أثبته نقلا عن يوسف سركيس صاحب معجم **المطبوعات العربية والمعرّبة** ، ص ٢٩ ، حيث أورد ترجمة لابن أبي الحديد نقلا عن **روضات الجنات** ، جاء فيها : عبد الحميد بن هبة الله ، بن محمد بن محمد بن أبي الحديد عز الدين ، المدائني ، الحكيم الأصولي المعتزلي ، هو من أكابر الفضلاء المتشيّعين ، وأعاظم النبلاء المتبحّرين ، مواليا لأهل بيت العصمة ، والطّهارة وان كان في زيّ أهل السّمة والجماعة .

(٣) دار احياء التراث العربي ، بيرت ، ٤ مجلّدات ، بدون تاريخ .

الرضي وبعض خصائصه ومناقبه ، وترجم بايجاز لوالد الرضي ، النقيب أبي أحمد الموسوي ، وأثنى على دوره الاصلاحي والتّوفيقيّ . وأشار الى والدته . فاطمة بنت الناصر ودورها ومكانة أسرتها .

ونقل عن ابن الجوزي قصة الدار التي قدّمها للرضي أستاذه أبو أسحاق ابراهيم بن أحمد بن محمد الطبري الفقيه المالكي ، وقد قرأ الرضي القرآن عليه . ثم أورد مقتطفات من قصائده متنوعة الأغراض ، وأخيرا أورد قصة تعظيم الوزير فخر المُلك للرضي وتكريمه زيادة عن شقيقه المرتضى ، وتاريخ وفاته[1] ، ومرثية المرتضى له .

بعد ذلك شرح خطبة الرضي التي أوردها ديباجة للكتاب ، ثم أخذ بشرح كلام علي بن أبي طالب . ويعدّ شرح ابن أبي الحديد أحفل الشروح وأفضلها ، ويرجع ذلك الى طاقة الشارح الفكرية والأدبيّة ، وما يتمتّع به من حسّ أدبيّ وعلمي فريد . الأمر الذي جعل هذا الشرح أكثر فائدة وأعمّ نفعاً ، وامتاز عن سائر الشروح كموسوعة ثقافية عامة تستفيد منها كل الطبقات .

٩ ـ ابن خلكان (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)

(وفيات الأعيان)[2] :

يعتبر كتابه من أشهر المصادر في الوفيات ، وقد أورد ترجمة موجزة للرضي ، واعتمد في بعض معلوماته على أبي الفتح عثمان بن جنّي

---

(١) ذكر في ١٣/١ أنّ وفاة الرضي كانت سنة ٤٠٤ هـ ، والصواب أنها كانت سنة ٤٠٦ كما جاء عند ابن خلكان .

(٢) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٤٨ م ، الجزء الرابع .

أستاذ الرضي في النحو . وهو أول من شكّك في صحة كتاب (**نهج البلاغة**) ونقل عنه بعض المؤرخين[1] .

ومن أطرف ما ذكر أنّ بعض الأدباء اجتاز بدار الرضي (بسرّ من رأى) سامرّاء اليوم ، وهو لا يعرفها « وقد أخْنى عليها الزمان ، وذهبَتْ بهجتها ، وأخْلَفَتْ ديباجتها ، وبقايا رسومها تشهد لها بالنَّضارة ، وحُسْن الشَّارة ، فوقف عليها متعجّباً من صروف الزمان ، وطوارق الحدثان وتمثّل بقول الرضي[2] ، فمرّ به شخص وسمعه وهو ينشد الأبيات فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هي ؟ فقال : لا فقال : هذه الدار لصاحب هذه الأبيات : الشريف الرضي ، فعجبا من حسن الاتفاق » .

---

(١) عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٣٩ . اعتبر ابن خلكان أول المشككين وذكر الدكتور عبد الفتاح الحلو في مقدمة تحقيق **ديوان الرضي** ، ص/١٠٦ : أن ابن خلكان ذكر كتاب **نهج البلاغة** في ترجمة المرتضى ، وفيات الأعيان ، ٣١٣/٣ وعنه نقل اليافعي (٧٦٨ هـ/١٣٦٧ م) في **مرآة الجنان** وابن العماد الحنبلي . (١٠٨٩ هـ/١٦٧٧ م) في **شذرات الذهب** .

(٢) أنشد الرضي من (الكامل) :

ولقد وَقَفْتُ على رُبوعِهِمُ ... وطُلولُها بيدِ البِلَى نَهْبُ
فَبَكَيْتُ حَتّى ضَجَّ من لَغَبٍ ... نضْوي ولَجَّ بعَذْلِي الرَّكْبُ
وتلَفْتُ عَيْني فمُذْ خَفَيْتُمُ ... عَنّي الطلولُ تلفّتَ القَلْبُ

ورد صدر البيت الأول في الديوان ، ولقد مرَرْتُ على ديارهُمُ . شرح **ديوان الشريف الرضي** ، ٤٢٩/١ . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

١٠ ـ أبو الفداء[١] (٧٣١ هـ / ١٣٣١ م)

(المختصر في أخبار البشر)[٢] :

جاء في مقدمة كتابه : « أوردتُ في كتابي هذا شيئا من التواريخ القديمة والاسلامية يكون تذكرة يُغْنيني عن مراجعة الكتب المطوّلة فاخترته واختصرته من **الكامل** لابن الأثير الجزري . . . ومن **تجارب الأمم** لابن مسكويه . . . ومن تاريخ القاضي شمس الدين بن خلّكان المسمّى **بوفيات الأعيان** . . . وقد رتّبتُ التواريخ الاسلامية على السنين حسب تأليف الكامل ، ولما تكامَلَ هذا الكتاب سميته : **(المختصر في أخبار البشر)** .

وقد أورد ترجمة موجزة للرضي في حوادث سنة ٤٠٦هـ: « وفيها توفي الشريف الحسيني الملقّب بالرضيّ ، محمد بن الحسين . . . المعروف بالموسوي صاحب ديوان الشعر » ولم يذكر شيئا من مؤلفاته .

١١ ـ اليافعي (٧٦٨ هـ / ١٣٦٧ م)

(مرآة الجنان وعبرة اليقظان)[٣] :

ذكر الرضي في وفيات سنة ٤٠٦ هـ ، وقد نقل عن الثعالبي والخطيب البغدادي ، وابن خلّكان ، وأورد غررا من أشعاره[٤] ،

---

(١) هو الملك المؤيد عماد الدين أبو القداء اسماعيل صاحب حماة ، مات وهو في الستين ٧٣١ هـ ، وقيل سنة ٧٣٢ هـ ، حسب **فوات الوفيات** .

(٢) دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٠ م ، مجلّدان .

(٣) مؤسّسة الأعلمي للمنشورات ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٠ م ، الجزء الثالث .

(٤) الأبيات التي ذكرها مشهورة وقد أوردتها معظم الكتب الأدبية ، وهي من جملة قصيدة أنشدها الرضي للخليفة العباسي القادر بالله ، عندما أوصل اليه معظم الواصلين من =

وأعلن أنّ « ديوان شعره كبير يدخل في أربع مجلدات » .

وفي حوادث سنة ٤٣٦ هـ ، وهي سنة وفاة المرتضى شقيق الرضي ذكر اليافعي ترجمة موجزة له جاء فيها : « . . . وقد اختلف الناس في كتاب (**نهج البلاغة**) ، المجموع من كلام علي بن أبي طالب ، هل هو جمعه ، أو جمع أخيه الرضي ، وقد قيل : انه ليس من كلام علي ، وانما أحدهما هو الذي وضعه ونسبه اليه والله أعلم »[١] .

١٢ ـ ابن عنبة (٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م)

(عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب)[٢] :

ينقل ابن عنبة عن أبي الحسن العمري صاحب (**المَجْدي في أنساب الطّالبين**)[٣] ، الذي كان معاصرا للرضي والمرتضى ، وعلى صلة قوية

= الحجيج سنة ٣٨٢ هـ ، وافتخر فيها وأجابه الخليفة « على رغم أنف الشريف » . أما اما الأبيات فهي :

عَطْفاً أميرَ المؤمنين فانّنا ... في دَوْحَة العلياءِ لا نَتَفرّقُ
ما بيننا يومَ الفِخارِ تفاوتٌ ... أبداً كلانَا في المعالي مُعرقُ
الّا الخلافة ميّزتك فانني ... أنا عاطلٌ منها وأنتَ مُطوّقُ

أنظر القصيدة في **ديوان الرضي** ، طبع دار بيروت ، ٤٢/٢ . بعنوان : لِمَنْ الحُدوجُ تَهْزَهُنَ الأينُقُ .

(١) **مرآة الجنان** ، ١٨/٣ . وقد نقل هنا كلام ابن خلكان في **وفيات الأعيان** ، عن قضية الخلاف في مؤلف **نهج البلاغة** .

(٢) تحقيق الدكتور نزار رضا . مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٣) أبو الحسن العمري هو : الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي العلوي العُمَري ، نسبة الى عمر الأشرف ، وهو شيخ النّسابين ، وكتابه مصدر أساسي لمعرفة أنساب الطّالبيّين . ذكره العلامة النّوري في **مستدرك الوسائل** . وعبد الرّزاق محي الدين في **أدب المرتضى** ، ص/٦٥ .

بهما ، لأنه من أقربائهما . وكثيرا ما ينقل عنه ابن معصوم في (**الدّرجات الرفيعة**) والخوانساري في (**روضات الجنّات**) ، كما ينقلان بدورهما عن ابن عنبة ، وينقل عنه أيضا كل من : الشيخ يوسف البحراني (١١٨٦ هـ / ١٧٧٢ م) في كتابيه : (**الكشكول**) و (**لؤلؤة البحرين**) ، والشيخ عبد الحسين الأميني النجفي في (**الغدير**) .

١٣ ـ ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٧ م)

(شذرات الذهب في أخبار من ذهب)[١] :

ذكر الرضي في الجزء الثالث من كتابه ، وفي وفيات سنة ٤٠٦ هـ ، وقد أثنى عليه ونعته «بالشاعر المفلق الذي يقال انه أشعر قريش » ، وذكر أن ديوان شعره يقع في أربع مجلّدات . ينقل عن الثعالبي ، وعن ابن خلّكان .

١٤ ـ ابن معصوم (١١٢٠ هـ / ١٧٠٨ م)

(الدّرجات الرفيعة في طبقات الشيعة)[٢] :

ينقل عن الثعالبي ، وعن النجاشي والخطيب البغدادي والباخرزي . ولكنّ أكثر نقوله هي عن أبي الحسن العمري صاحب (**المجدي في أنساب الطالبيين**) ، ثم عن ابن عنبة صاحب (**عمدة الطالب**) .

وميزة هذا الكتاب أنه انفرد عن غيره من المؤلّفات بذكر فصول من

---

(١) تحقيق لجنة احياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت الجزء الثالث ، بدون تاريخ .

(٢) تقديم محمد صادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٢ م .

رسائل الرضي وانشائه ، فيسرّ لنا الاطلاع على فن الترسّل عند الشريف . لقد علمنا أن الرضي من كتّاب الرسائل ، وان كتاب رسائله قد بلغ ثلاث مجلدات كما روى المؤرّخون ، ولكنّ هذه المجلدات ضاعت مع غيرها من مؤلّفات الرضي . لذا كان لكتاب (**الدرجات الرفيعة**) أهمية خاصة ، إذ أتاح لنا دراسة بعض الفصول من رسائله ، للاطلاع على خصائص نثره وعلى ميزاته العامة .

١٥ ـ الخُوانْساري (١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م)

(روضات الجنّات في معرفة أحوال العلماء والسّادات)[١] :

ذكر الرضي في المجلد السادس ، وهو ينقل عن أبي الحسن العمري ، وعن الثعالبي والباخرزي وابن عنبة وقد أكثر من النقل عنه ، كما نقل عن ابن معصوم . وأفرط في الثناء على الرضي على غرار الباخرزي .

---

(١) تحقيق أسد الله اسماعيليان . دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٣٣ م ، المجلّد السادس .

خْ ـ المراجع

رُتّبتْ بحسب حروف المعجم على الشكل التالي : ابتداء من اسم العائلة .

١ ـ الأمين (السيد محسن) :

(اعيان الشيعة)[1] :

يعتبر الكتاب من المؤلفات الموسوعية . فقد بلغ ستين مجلّدا ونيّفا ، وقد وردت ترجمة الرضي في المجلّد الرابع والأربعين في الصفحة ١٧٣ وما بعدها ، ترجمة وافية . فهو يذكر سيرته ونسبه ، وبعض أغراضه الشعرية ، وخصائص شعره ، كما يعدّد مؤلفاته . وقد أثنى عليه وذكر صفاته وموقفه ، ومناصبه الدينيّة . ولم يذكر مصادر ترجمته . وتعود قيمة الكتاب وأهميّته الى كونه أحد معاجم الشيعة المعوّل عليه في ترجمة الكثير من أعلامهم .

---

(١) تحقيق حسن الأمين . دار التعارف ، بيرت ، ١٩٥٩ م ، المجلد ٤٤ .

٢ ـ الأميني (الشيخ عبد الحسين أحمد)

(الغدير في الكتاب والسنّة والأدب)[١] :

ترجم للشريف في الجزء الرابع من كتابه ص ١٨٠ وما بعدها . يعتبر هذا الكتاب من الموسوعات المهمة . وقد اعتمد عليه الكثير من المحقّقين في معرفة أساتذة الرضي ومشايخه وتلامذته والرواة عنه ، وأخص بالذكر محقّق (**الديوان**) الدكتور عبد الفتّاح الحلو ، والأستاذ محمد عبد الغني حسن ، في مقدمة (**تلخيص البيان**) .

٣ ـ بروكلمان (كارل)

(تاريخ الأدب العربي)[٢] :

قدّم لنا نبذة عن حياته ، وقد زوّدنا بروكلمان بطائفة مهمّة من المصادر والمراجع المتعلّقة بدراسة الرضي[٣] كما كشف لنا النقاب عن نسخ الديوان ومخطوطاته وأماكن وجودها ، وطبعاته المختلفة ، كما ذكر بعض مؤلفات الرضي[٤] .

---

(١) دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، الجزء الرابع .

(٢) نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار . دار المعارف مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨ م ، ٢/٦٢ .

(٣) من المصادر والمراجع التي ذكرها : الثعالبي . **يتيمة الدهر** ، الخطيب البغدادي . في **تاريخ بغداد** ، الباخرزي . في **دمية القصر** ، ابن خلّكان . في **وفيات الأعيان** ، أبو الفداء في **تاريخه** ، اليافعي . في **مرآة الجنان** ، ابن العماد في **شذرات الذهب** ، الشيخ يوسف بن عبد الله البحراني في **لؤلؤة البحرين** ، الخوانساري . في **روضات الجنات** . . .

(٤) وذكر من مؤلفات الرضي : **حقائق التأويل** ، **المجازات النبوية** ، أما كتاب **معاني القرآن** للرضي « فقد ضاع » ، « وينسب للرضي أيضا كتاب **نهج البلاغة** ، =

٤ ـ حسن (محمد عبد الغني)

(نوابغ الفكر العربي ٤١) (الشريف الرضي)[1] :

كتيّب يقع في (١٢٠ ص) يشتمل على أربعة فصول هي :

١ ـ عصر الشريف الرضي .
٢ ـ الشريف الرضي في عصره .
٣ ـ جوانب الشريف الرضي .
٤ ـ منتخبات من آثار الشريف الرضي .

والكتاب في الأساس مقدمة لكتاب الرضي (**تلخيص البيان في مجازات القرآن**) ، الذي حقّقه الأستاذ محمد عبد الغني حسن . تناول المؤلف فيه البيئة التي عاش فيها الرضي من النواحي السياسية والاجتماعية والعقلية . أورد المؤلف أن القرن الرابع الهجري ، امتاز بنشوء الدويلات ، واشتداد الصراع على السلطة ، واضطراب الأحوال الاجتماعية بسبب الفتن الدينيّة وارتفاع الأسعار وانتشار الأوبئة ، وظهور العيّارين وقطاع الطرق ، واختلال الموازين بين طبقات المجتمع . يقابل ذلك نهضة شاملة في شتى نواحي المعرفة ، فازدهر الشعر ، ونشطت حركة الترجمة والتأليف في كل الميادين ، واحتشد الشعراء والأدباء والعلماء في مجالس الملوك والسلاطين ، الذين أسهموا في تشجيع الحركة العلمية والأدبية . ثم قدّم ترجمة موجزة لحياة الرضي ، وقد اعتمد بشكل خاص على مؤلّفات الرضي ، وعلى بعض المصادر

= والصحيح انه من جمع أخيه المرتضى ؟ ولست أدري كيف جزم بروكلمان بأن الكتاب للمرتضى ؟ .

(١) دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٠ م .

القديمة[1] . وعلى بعض المراجع الحديثة[2] . وأكثر من ذكر الشواهد الشعرية ، بل خصص الفصل الرابع بكامله لمنتخبات شعرية تمثّل مختلف الأغراض والفنون التي عالجها الرضي .

وأكّد أخيرا على دور الشريف في تطوّر دراسة البيان عبر كتابيه : (**تلخيص البيان** و **المجازات النبوية**) وخلص الى المقارنة بين أسلوب الرضي البلاغي ودوره في الكشف عن استعارات القرآن واستعارات الحديث النبوي الشريف ، وبين (**مجازات أبي عبيدة**) ، واشارات الجاحظ البيانية المنثورة في كتابيه : (**البيان والتبيين**) و (**الحيوان**) ، ومع ابن قتيبة تلميذ الجاحظ في (**تأويل مشكل القرآن**) .

وانتهى الى التأكيد بأن كتابي الرضي في مجاز القرآن والحديث النبوي أول عمل كامل ، ومنهج متكامل ألف لغرض واحد ، مستقل قائم بذاته ، ولم تأت المجازات عنده عرضا في خلال كتاب ، أو باباً من أبواب مصنّف .

٥ ـ الحلّي (الشيخ عبد الحسين) (١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م) .

الشريف الرضي مقدمة (كتاب حقائق التأويل)[3] :

ألّف هذا الشيخ رسالة جامعة تقع في (١١٢ ص) ، ترجم فيها الرضي ، وقدّم بها كتاب (**حقائق التأويل**) ، وتعتبر رسالة الحلي من

---

(١) الثعالبي . **يتيمة الدهر** . الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** . ابن الأثير . **الكامل** . ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** . ابن خلّكان . **وفيات الأعيان** .

(٢) الشيخ عبد الحسين الأميني . **الغدير** . احسان عبّاس . **الشريف الرضي** . زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي** .

(٣) المطبوع في النجف الأشرف في مطبعة الغريّ الحديثة سنة ١٩٣٦ م . ولم يعثر منه الاّ على الجزء الخامس .

أفضل الرسائل التي ألّمت بمراحل حياة الرضي ، وبمكانته في القرن الرابع الهجري ، حيث ذكر : نسبه ، ومكانة والده ووالدته ، ثقافته ، أساتذته ومشايخه ، أدوار حياته وصلته بالخلفاء العباسيين وبالملوك البويهيين ، كما عدّد مناصبه وألقابه ومؤلّفاته .

٦ ـ زيدان (جرجي) (١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م)

(تاريخ آداب اللغة العربية)[١] :

قدّم نبذة عن حياته ، واعتقد أنه كان يقيم في (سرّ من رأى) وينقل زيدان عن الثعالبي ، والخطيب البغدادي ، وابن خلّكان وبروكلمان . وأعلن أن الرضي يمتاز ببراعته في الرثاء ، فذكر شيئا من اشعاره في الفخر والرثاء والحكمة[٢] . وذكر ديوانه فقال : « وللشريف ديوان كبير رواية أبي حكيم الخَبْرى »[٣] .

ونسب للرضي كتاب **(انشراح الصدر في مختارات من**

---

(١) مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩١٢ م ، ٢/٢٥٧ .

(٢) ذكر للرضي في الفخر القصيدة التي أنشدها للخليفة العباسي القادر بالله : لمن الحدوجُ تَهُزُّنَّ الأيْنُقُ ، القصيدة في **ديوان الشريف** ، طبع دار بيروت ، ٢/٣٩ . وفي الرثاء ، قصيدته في رثاء أبي اسحاق الصابئي . أعلمْتَ منْ حملوا على الأعوادِ . القصيدة في ديوان الشرف ، ١/٣٨١ . وفي الحكمة ذكر له :

كَنْ في الأنامِ بلا عَينٍ ولا أُذنٍ ... أولا فعش أبد الأيامِ مَصْدورا

والناسُ أُسْدٌ تحامي عن فَرائِسها ... أمّا عُقِرْت واما كنتَ مَعْقورا

(٣) جاء عنده الخبري بالياء ، وهو تحريف أو خطأ مطبعي ، فهو الخَبْري بالباء ، والديوان مرتّب على أبواب : ١ ـ المديح . ٢ ـ الافتخار وشكوى الزمان . ٣ ـ المراثي . ٤ ـ النسيب والمشيب ووصف طيف الحبيب . ٥ ـ الفنون المختلفة .

الشعر)[1] . وزعم أنّ كتاب (**طيف الخيال**) من مؤلّفاته[2] . وفي حديثه عن الخطابة في عصر الراشدين جزم بأن كتاب (**نهج البلاغة**) من جمع الشريف المرتضى المتوفي سنة **٤٣٦** هـ ، وأكّد هذا الزعم في ترجمته للمرتضى ، وعدّه من تصانيفه وقد نقل معلوماته عن بروكلمان .

٧ ـ الطّهراني (الشيخ آغا بزرك)

(الذّريعة الى تصانيف الشيعة)[3] :

يعتبر الكتاب موسوعة مهمّة بلغت أجزاؤها تسعين مجلّدا ، واهتم صاحبها بالكشف عن مؤلفات الشيعة ، المخطوطة والمطبوعة ، التي رآها بأم عينه في مختلف مكتبات ايران ، والعراق . فهو يذكر المخطوطة ، أو الكتاب المطبوع مع تحديد للمكتبة التي وجده فيها وذكر اسم صاحبها ، ثم يدقّق في الكتاب ويتفحّصه بامعان واصفا مضمونه . لهذا عُدّت موسوعته من أهم المصادر الشيعيّة للتعرف على مؤلفات الشيعة ، وتاريخ أعلامهم ، وذكر مكان وجود تلك المؤلفات وتاريخها وطبعاتها المختلفة .

وقد اعتمدت عليه في التعرف على مؤلّفات الرضي وأسمائها

---

(١) هذه مجموعة شعرية مأخوذة من الديوان كمنتخبات وليست كتابا مستقلا ، وهو لبعض الأدباء اختاره من ديوان الرضي ، كما في **كشف الظنون** لحاجي خليفة ١/٥١٣ ، ط . بولاق .

(٢) هذا الكتاب للمرتضى وقد أكد ذلك بشكل قاطع محقق الكتاب حسن كامل الصّيْرفي وبروكلمان . **تاريخ الأدب العربي** ، ٢/٦٢ .

(٣) طُبعت مجلّدات الكتاب في النجف الأشرف في العراق في طبعة أولى سنة **١٩٥٩** م ثم طبع الكتاب في طهران . وقد ورد ذكر الرضي ومؤلفاته في الأجزاء (٢ ، ٧ ، ٩ و ١٦) . وقد اطّلَعْتُ على هذه الأجزاء من طبعة النجف .

بـدقّة ، لا سيّما أن الغموض قـد أحاط ببعضهـا ، واختلطت بمؤلّفـات شقيقه المرتضى .

٨ ـ عبّاس (احسان)

(الشريف الرضي)[١] :

قسّم الدكتور عباس دراسته الى قسمين كبيرين : قسم يصـوّر حياة الشريف ، وقسم يصوّر تطوّر شعره ، بعد أن رتّبه تـاريخيا وقـد استعان بـالديـوان[٢] وبمؤلّفات الشـريف الأخرى ، ثم كتب عـدة فصـول بـيّن فيهـا : صلة الشريف بعصـره ، وحياتـه السياسيـة ، ومركـزه الـديني ، والاجتماعي ، وصلته بالحياة الثقافية والفكرية بصورة عامة .

وقـد قسّم حيـاة الشـريف إلى مـراحـل ثـلاث : المـرحلة الأولى : كانت سيطرة المتنبي على فنّه ونفسه قوية محكمة . وفي المـرحلة الثانيـة : اجتاحته في ريعان أحلامه وآماله ، موجة طاغيـة من الحزن ، وفي بعض الثانية وكل الثالثة : أصبحت روح البداوة أقـوى مظهـر لنفسيّته وشعـره معا .

تحـدّث الدكتـور عبّـاس في الفصـل الأول عن الـوضـع السيـاسي وانعكـاس الأحداث عـلى العراق . ثم ذكـر نسب الرضي[٣] ، وثقـافته

---

(١) دار بيروت ودار صادر ، بيروت ، ١٩٥٩ م .

(٢) استعـان بـطبعـة دار صـادر ودار بيـروت ، ١٩٦١ م ، وهي نفس الـطبعـة التي اعتمدتها .

(٣) ذكر الدكتور عباس في كتابه ص ٢٢ : أن ابـراهيم بن موسى بن جعفـر الذي ينتمي الى موسى الكاظم خلّف واحد وثلاثين ولداً من الذكور ، أحدهم الحسين المكنّى بأبي أحمد ، ثم بنى على هذا أنّ أبا أحمد تميّز من بيـان ثلاثـين أخا ، وأن محمـدا ابنه سعى ليشق لنفسـه طريقـا بين كثـير من الأقـربـاء والأعمـام ، ومضى عـلى هـذا في سـائـر =

وأساتذته[1] ، ومؤلّفاته ، واعتمد هنا بشكل خاص على الأميني ، وعلى مقدمة كتاب (**تلخيص البيان**) ، للأستاذ محمد عبد الغني حسن .

ولاحظ أنّ الرضي حفظ شعرا كثيرا في سن مبكرة ، ومن طبيعة شعره استدل على أنه نشأ على محاكاة أبي تمّام والمتنبّي . وقد بدأ حياته في التأليف بكتابة (**سيرة والده**) سنة **٣٧٩** هـ ، لأنّه كان شديد الاعجاب بشخصية أبيه ، ثم كتب (**خصائص الأئمة**) في : « عنفوان السّن ، وغضاضة الغصن . . »[2] . وبالنسبة للمشكلات المتصلة (**بنهج البلاغة**) ، اتخذ الدكتور عباس موقفا متدرّجا وموضوعيا ، التزم فيه حدود النقد دون أي اعتبارات أخرى . وسأعرض لهذه القضية بالتفصيل في الباب الثاني من هذه الأطروحة .

ثمّ تحدث عن سائر المؤلفات وعن ترتيب الديوان ، وحكم بأنّ شعره أقوى وأظهر من نثره ، فهو قادر على التنويع فيه ، وتلك ميزة لا

= الكتاب . وقد تعجّل الدكتور عباس في نقله عن ابن حزم في **جمهرة أنساب العرب** ، ص ٥٦ ، فقد ذكر ابن حزم : أنه ولد لموسى بن ابراهيم بن موسى واحدا وثلاثين ولدا ، وواضح من كلام ابن حزم أن المعني هو موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم الجد الثالث للرضي ، وليس موسى بن محمد الجدّ الأول له كما توهّم الدكتور عبّاس .

(١) أجمعت معظم المصادر على أن أبا سعيد السيرافي المتوفي سنة ٣٦٨ هـ/٩٧٩ م ، هو من اساتذة الرضي في النحو وقد ذكر ذلك كل من ابن العماد في **شذرات الذهب** ، الأميني في **الغدير** ، محمد عبد الغني حسن في **تلخيص البيان** ، وعبد الفتاح الحلو في مقدمة تحقيق الديوان ، ولكن الدكتور عباس يعتقد أن المقصود هو يوسف بن أبي سعيد المتوفي ٣٨٥ هـ/٩٩٤ م . بحجة أن عمر الرضي كان تسع سنوات عند وفاة السيرافي أبي سعيد .

(٢) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ١٤/١ .

تظهر في نثره ، لأنه التزم حدود عصره ، وأخذ نفسه بلون واحد من الكتابة .

ومن القضايا المهمّة بالتي طرحها الدكتور عباس في كتابه قضية تأثير المتنبي ، اذ جعل الرضي محاكيا له في الفترة الأولى من حياته ، واعتقد أن الرضي وأبا العلاء المعري وغيرهما من الشعراء قد تقمّصوا شخصية المتنبي . « وقد تمّ اللقاء بين الفتى الصغير والشاعر الكبير في المباديء والغايات وربما كانت (عقدة الامامة) أول شيء ربط بين نفسيته ونفسيّة الشريف ، لأن الشريف تعرف الى المتنبي قبل أن يتعرّف الى الامام علي . . . وشخصية الرضي تلتقي فيها الشخصيتان ، وتؤثران فيها بنصيبين متفاوتين ، أو متماثلين »[1] .

وقد غالى الدكتور عباس في هذه الناحية عندما جعل المتنبي « أستاذاً » للرضي يقلّده في قصائده المختلفة ، بل مثاله الأعلى في الشعر ينشده وينسج على منواله ، ويسير على نهجه ، ونلمح تلك المغالاة بشكل خاص عندما يعلن أن روح المتنبي تسرى في قصائد الرضي ، فلكل من الشاعرين ظروف حياته وبيئته المختلفة بل ونسبه أيضا ، فأنا أعتقد أن هذه « الروح الفاخرة » التي نشهدها عند االرضي ليست من تأثير المتنبي أو غيره ، وانما منبعها من أصله الشريف ، ونسبه العريق . فكثيرا ما نلمح هذه المعاني تتكرّر في قصائده . ربما كان للمتنبي تأثير على نهج الرضي الشعري في صباه ، ولكنه لم يكن محاكيا ولا مقلدا لأبي الطيب ، ولم يكن ظلاً له كما اعتقد الدكتور عبّاس بل كانت له اصالته المميّزة .

---

(١) احسان عباس . **الشريف الرضي** ، ص/١٣٥ .

وممّا لفت نظر الدكتور عباس ، ما يجول في خاطر الرضى دون تحديده بوضوح ، من كثرة ترديده للفظة القذى في شعره ، من أول عهده بالشعر الى آخر عهده به ، وقد عرض أمثلة عديدة من هذا الترديد[1] . ورأى أنّ هذه الحالة النفسية تصوّر اشمئزاز الرضي وتعيّفه . واعتقد الدكتور عباس ، أن المرتضى كان عاملا فعّالا في توجيه أخيه وفي نقد شعره ، وهذه حقيقة بارزة ، لأن المرتضى كان من النّقاد البارزين في ذلك العصر[2] .

وأخيرا كانت دراسة الدكتور عبّاس على قدر كبير من الأهمية ، واعتمدت عليها بشكل أساسيّ في دراستي ، مع وقوعه في بعض الأخطاء التاريخية[3] .

---

(١) ذكر الدكتور عبّاس ٣٩ بيتا من قصائد مختلفة ومتنوعة الموضوعات ص ١٢٥ . وهناك الكثير من الأمثلة . وهي لا تعبر عن حالة نفسيّة واحدة ، ولها معان عديدة . مثلا : (أغضى على القذى) قول موجه للحسود والذليل والمبغض . (كأنّا قذىً يَرْمي به السَّيْلُ) تصوّر هوان المرء . والقذى يمثل أيضا المورد الكدر وتغيّر ما كان صافياً وربما جاءت بمعنى الموت مثل (مورد القذى) .

(٢) يقول الدكتور عباس في كتابه ص ٢٢٠ نقلا عن الشريف المرتضى في كتاب : **الشهاب في الشيب والشباب** . ص ٧ ، ط . الجوائب ١٣٠٢ هـ : « قلّما كان يخرج لي شيء من الشعر الاّ ويسمعه وينشده ، ولا يخرج له ـ رحمه الله ـ طول حياته الاّ ما ينشد نية » . وهذه شهادة كافية للدلالة على التأثير المتبادل بين الأخوين في شعرهما . ثم أورد للمرتضى بعض الآراء و النظريات النقدية .

(٣) من الأخطاء التاريخية التي وقع فيها : ذكر أن فترة سجن والد الرضي في قلعة شيراز ما يزيد على أربع سنوات . والصواب أنها سبع سنوات (٣٦٩ هـ/٣٧٦ هـ) ـ بالنسبة للفترة التي عاشها الرضي قال في ص ١٤٤ : توفي الرضي عن قرابة اثنتين وأربعين سنة ، والصواب أن الرضي عاش ٤٧ سنة ، كما تجمع معظم المصادر اذ كانت ولادته (٣٥٩ هـ/ ٩٧٠ م) ، ووفاته (٤٠٦ هـ/١٠١٦ م) .

٩ ـ مبارك (محمد زكي عبد السلام)

(عبقرية الشريف الرضي)[١] :

هذا الكتاب من المراجع المهمّة والشاملة لدراسة الشريف الرضي . ولكنه تناول أدب الرضي ومراحل حياته بشكل عام وسريع ، دون الالتفات الى التفاصيل . وقد حفل بأسلوب خطابيّ مدحيّ ، وأكثر من الشواهد الشعرية ، ولم يهتم كثيرا بتحقيق مؤلّفات الرضي ، ولا بتفصيل أغراضه الشعرية .

١٠ ـ محفوظ (عبد المسيح)

(الشريف الرضي بودلير العرب)[٢] :

ذكر الدكتور محفوظ في الصفحات الأولى من كتابه بعض مؤلفات الرضي وصرّح بأن من سوء حظّ الأدب العربي ، أنه فقد كثيرا منها ، وقد عدّ الرضي من كبار المؤلفين ، وهو على شهرته بالشعر يعترف بأن شعره دون نثره[٣] . وقد حقق له كتاب (**نهج البلاغة**) خلودا وشهرة واسعة . « وكفى الشريف فخرا بالتهمة التي يوجهها اليه بعض المؤرّخين ، بأنه هو مؤلف تلك الخطب ، ففي تلك الحالة يكون الرضي أمير بلغاء العرب »[٤] .

---

(١) المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٤١ م .

(٢) دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٤٤ م .

(٣) اعتمد على قول الشريف :

نَظمٌ ونثرٌ قد طمحتُ اليهما ... صَعُداً وَيعْنو للأخيرِ الأوّلُ

(٤) تحت عنوان : خلود الشريف بخلود كتابه **نهج البلاغة** ، اعتبر الدكتور محفوظ كتاب النهج : القرآن الثاني ، ولولا جهود الشريف لفقد الأدب معظم أقوال علي بن أبي =

ويعتقد الدكتور محفوظ بأن الرضي قد أثّر في مجرى التاريخ الأدبي والسياسي والديني عند العرب بنشره كتاب **نهج البلاغة** ، اذ انشطر الأدباء الى معسكرين : فريق مصدّق ومناصر له ، وآخر منكر مخاصم . وفي حديثه عن شعر الشريف يرى المؤلف أنّ الرضي يحتل الدرجة الأولى في الفنون الشعرية ، وأنّ ديوانه يوازي ستة أضعاف شعر المتنبي ، وهو خال من السّقطات التي تكثر في ديوان المتنبي . واستند في أحكامه على المؤرّخين الأقدمين : كالثعالبي ، والخطيب البغدادي ، وابن خلّكان ، وابن معصوم .

ولعلّ أهم نقطة أشار اليها الدكتور محفوظ : أنّ مؤلف قصة عنترة قد غزا ديوان الشريف ، ونسب الى البطل العبسي بعض قصائد الرضي[1] ، بعد أن أضاف اليها بعض الأبيات ، وهذه القصائد « المسروقة » مثبتة ليس في قصة عنترة فحسب ، بل وفي ديوانه ايضا ، وتعجّب من سكوت النّقاد عن هذا الغزو التاريخي .

وتحدّث بعد ذلك عن روائع الحكم والأمثال في شعر الشريف ، وخلص الى القول : « بأن الشريف بلبل غرّيد على غصن الحياة

= طالب ، أمير البلغاء ، كما فقد معظم أقوال سحبان وائل وقُسّ بن ساعدة . **الشريف الرضي بودلير العرب** ، ص ٤ .

(١) منها البائية التي مطلعها :

لغير العُلى منّي القِلى والتَجنُّبُ ولولا العُلى ما كنتُ في الحبِّ أرْغَبُ

والدالية ومطلعها :

لأيّ حبيبٍ يُحْسنُ الرأيُ والودّ وأكثرُ هذا الناس ليسَ له عَهْدُ

القصيدتان في **ديوان الرضي** ، دار بيروت ، ١٠٧/١ و ٣٣٣/١ . وعلى هذا الأساس استنتج المؤلف : أن الشريف يفوق عنترة حتى في الشعر الحماسي .

الصاخبة ، وشاعر ، لا مستعطٍ كغيره من الشعراء » . وعلى هذا الأساس فهو يؤدّي واجبا انسانيا اذا مدح أو هجا ، أو رثى . ويسخّر الشعر لنيل أغراضه ، وهكذا يستنتج المؤلّف أنّ في شعر الشريف منهاجين مختلفين :

١ ـ الشعر المثالي[١] .

٢ ـ والشعر العملي لتحقيق أهدافه المنشودة ، وهو الأدب العامل .

وقد خصّص القسم الأكبر من كتابه للمقارنة الموازنة بين الشريف وشعراء الافرنج ، وحاول تطبيق عناصر الأدب الرمزي على شعر الشريف ، واستنتج من ذلك أنّ الرضي « بودلير » العرب ، ورائد الشعر الرمزي[٢] .

لقد أظهر الدكتور محفوظ حماسا ملحوظا لأدب الرضي وصفاته الخلقية (كنبله وتسامحه الديني ، ونظريته في الصداقة والاخاء) ، فكان منصفا في بعض الأحكام ، ومغاليا في بعضها الآخر ، وخاصة في مقارناته مع شعراء الأفرنج حيث حمّل النصوص أكثر من طاقتها التعبيرية ، حتى بلغ حدّ التعسّف[٣] .

---

(١) الشعر المثالي : هو الشعر لأجل الشعر ، والفن لأجل الفن .

(٢) يعتقد المؤلف أن عبقرية الشريف تجمع بين الأسلوب الأصولي المنطقي وبين الأسلوب الرمزي ، وله قصائد ومقطوعات من لطائف الشعر الرمزي ، الى جانب قصائده البدوية الجبارة ، فهو أشبه بالأديب الفرنسي الكبير بودلير ، مؤسس الرمزية في الأدب الفرنسي ، فالرضي رمزيّ بروحه ، أصولي بلغته وأوزانه . قارن الكاتب بين شعر الشريف وشعراء الأفرنج (مالارمي ، فرلنّ ، بودلير ، بول فور . .) .

(٣) خاطب الشريف الزهرة قائلا :

كَمْ فيك من مهجةٍ معذّبةٍ هجيرُها بالنّسيمِ يَلْتَطِمُ

حيث حمّل الهجير اثنتي عشرة صورة بيانية .

وخرج عن نطاق موضوعه ، وذهب بعيدا في تحليله لعناصر الفلسفة الرمزية ، وبنى أحكامه على الجزئيات شأن النقد القديم[1] . وتحدّث مطوّلا عن أنواع الخيال وأنواع الصُّور ، وتلك نقاط لا تمتّ الى موضوع الكتاب بصلة ، حتى غدا معظم الكتاب بحثا في المذاهب الأدبية الحديثة وتحليلا لعناصر الأدب الرمزي .

١١ ـ نور الدين (نور الدين يوسف) .

(الشعراء الثلاثة)[2] :

بدأ المؤلف حديثه عن الرضي بذكر جرأته واعتداده بنفسه عندما خاطب الخليفة العباسي بقصيدة فخرية مشهورة[3] . تساءل هل هو يمدح الخليفة حقا ؟ أم يمدح نفسه ويفتخر بشخصه ؟ وخلص الى الجواب : « ليس في التاريخ السياسي والأدبي في جميع العصور العباسية من بلغت به الجرأة والشجاعة والاعتداد بالنفس حتى يخاطب الخليفة بهذا الخطاب . . . » خاصة وأن الرضي ، من أشراف الطالبيّين ، وهم

---

(١) يقارن الكاتب بين بيت وبيت وبين صورة وصورة ، فقد حكم بأنّ الرضي صاحب أفخر بيت قاله العرب من خلال قوله :

لنا الدوحةُ العُليا التي نَزَعَتْ بها ... الى المجدِ أغصان الجدودِ الأطَايبُ
اذا كانَ في جوِّ السماءِ عُروقُها ... فأينَ اعاليها ؟ وأينَ الذوائِبُ ؟

ديوان الرضي ، ١٤٥/١ .

(٢) المتنبي ، المعرّي والرضيّ ، اصدار دار الانصاف ، منشورات حمد ، بدون تاريخ ، وقد أورد الكاتب ترجمة للرضي في القسم الثالث من كتابه .

(٣) الخليفة العباسي هو القادر بالله ، أما قصيدة الرضي الفخرية فهي :

لِمنِ الحُدوجُ تهزُّهُنَّ الأيْنُقُ ... والرَّكْبُ يَطْفو في السَّرابِ ويَغْرَقُ

ثم يفتخر بالأبيات الشهيرة الموجودة في معظم كتب الأدب والتاريخ وهي : عَطْفاً . أمير المؤمنين فانّنا . . أنظر **ديوان الرضي** ، دار بيروت ، ٣٩/٢ ـ ٤٢ .

في ذلك الوقت لم تكن لهم القوّة التي تسمح لأحدهم بمخاطبة الخليفة بهذه اللّهجة ، مهما كانت مكانة الخليفة من الضعف .

ثن يقارن بين جرأة الرضي وروحه الوثّابة ، ومواقف المتنبي وآماله وطموحاته ويستنتج بعد ذلك أنّ هذا الفتى الذي أنشد الشعر وهو في العاشرة من عمره ، لم تحطّم مصائب الدهر وكوارث الأيام آماله الكبيرة ، بل ظلّ صامدا في وجهها وقاسى ما قاساه المتنبي وأكثر ، وكانت له شاعرية تبذّ شاعرية المتنبي في بعض الفنون[1] .

وتحدث بعد ذلك عن مكانة والد الرضي واعتقاله وما تركه هذا الحادث من آثار ، حيث خلق من الشريف شاعرا ينظر الى الحياة بمنظار الرجال وهو في سنّ الصبيان ، لأن الرضي الذي عرف حياة الشرف والعزّ والجاه ، رأى نفسه فجأة في حالة يرثى لها من الفقر والهوان .

ثم ذكر بعض مؤلّفاته ، واستنتج منها أنّ الشريف كان واسع الثقافة والاطلاع على معارف عصره . ولكنه تحدّث مطوّلا عن الصراع الذي عاناه الرضي بين القلب والعقل ، وبين المجد والحبّ ، عندما عرض لنسيب الشريف وحجازياته .

كان الشريف أميرا للحج ، ولهذا المنصب في حياته وفنه وشعره أثر كبير . لأن الرضي أنشد غزلياته الرقيقة التي عرفت « بالحجازيات » وقد أضحت « حجازيات » الشريف مضرب الأمثال فيقولون : « لا تعقل نفس المتأدب الاّ أن حفظ هاشميّات الكميت ، وخمريات أبي نواس ، وزهديات ابي العتاهية وتشبيهات ابن المعتز ، ومدائح البحتري ، وحجازيات الشريف »[2] .

---

(١) نور الدين . **الشعراء الثلاثة** ، ص/١٠٢ . وخاصة في فنّي الرثاء والغزل .

(٢) نور الدين . **الشعراء الثلاثة** ، ص/١٢١ .

أضف إلى ذلك أن هذه الحجازيات تمثل لونا زاهياً من ألوان الأدب العربي ، وفي الوقت نفسه ، تعيد الى الأذهان تلك الأناشيد التي أطلقها قبله شاعر هنالك في فيافي الحجاز ، وبطاح مكة ، يذكرنا بعمر ابن أبي ربيعة ، لقد أحيا الشريف عهد عمر ، وزاد عليه ألوانا لم تكن معروفة ولم يكن عمر قد توصل اليها . واستنتج الأستاذ نور الدين : أنّ الواقع الاجتماعي والديني المتزمّت ، دفع الشريف الى تغريد أناشيد الهوى والصبابة والعفاف والجمال ، اذ لو كان « كالنواسّي » مثلا ، مطلق الحرية والتصرّف لما ترك لنا هذا التراث الأدبي والشعري العفيف الرائع ، ثم أورد في النهاية مختارات شعرية للرضي متعددة الأغراض .

١٢ ـ (دائرة المعارف الاسلامية)[1]

يونس (عبد الحميد) وغيره :

قدّمت الدائرة ترجمة وافية للرضي ووالده وشقيقه المرتضى . ونقلت هذه المعلومات عن الثعالبي وابن خلّكان واليافعي وغيرهم . ووافقت الثعالبي خاصة في حكمه على شاعرية الرضي ، وكونه أعظم الطالبيّين ، بل أعظم شاعر أنجبته قريش . وقد اتّسمت بعض مراثي الرضي في أصدقائه بالشعور الصادق ، ثم انّ مقدار ما قاله من الشعر في حياته القصيرة الأجل عجيب ، ذلك أنّ ديوانه يتكوّن من أربع مجلّدات . واستنتج المؤلف أن الشريف كان ضعيف البنية ، لأنّ الشيب غزا رأسه في سنّ مبكّرة ، وعزا اعتلال صحته الى انشغاله على أبيه الذي ظلّ سجينا في شيراز زمنا طويلا ، ثم عدّد المناصب التي شغلها

---

(١) الترجمة العربية ، ترجمة عبد الحميد يونس وغيره ، طبع طهران ، المجلد الثالث عشر ، ص/٢٨٤ . مادة « شريف » ، بدون تاريخ .

والألقاب التي نعت بها . وذكر مؤلفاته نقلا عن (**عمدة الطالب**)[1] .

انّ مصادر دراسة الشريف ومراجعه قليلة نسبيّا ، ولا يجد الباحث فيها مبتغاه . فمعظمها أشار الى حياة الشريف وأدبه ، اشارة سريعة ، بل كانت في أغلب الأحيان تكرار لمعلومات تفتقر للدّقة والوضوح ، ومجموعة من الأقوال العامة والأحكام المطلقة ، التي لا تروي غلّة ، ولا تشبع رغبة . زد على ذلك أنها خلطت بين مؤلفاته ومؤلفات شقيقه المرتضى ، ولم تحدّد الأماكن التي جرت فيها الأحداث ، وأخطأت في ذكر بعض أسماء الوزراء والأعيان ، الذين كانوا على صلة بالرضي .

وقد أوردتُ في هذا الفصل التمهيدي أهم المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها في دراسة الشريف الرضي ناثرا وشاعرا ، وحاولت قدر المستطاع دراستها والكشف عن مضمونها واظهار قيمتها بالنسبة الى دراستي . وتوجد مصادر ومراجع كثيرة ومختلفة لم أذكرها ، هنا ، ولكنني أشرت اليها في الهوامش وفي قائمة المصادر والمراجع .

كان اهمال الشريف الرضي باعثا للتساؤ ل ودافعا الى انصافه ، فقد كان لأدبه مكانة بارزة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . كما كانت جرأته ومكانته وطموحه في الوصول الى الخلافة ونظرته للمذهب والتقيّة ، وعقيدته المتسامحة ، وتساهله الديني ، واختيار المواقف والمباديء المناسبة من الأسباب التي جعلت بعض العلماء ورجال الدين يتحاملون عليه ، فيعظمون المرتضى الفقيه العالم ، ويحطّون من قدر

---

(١) ابن عنبة . **عمدة الطالب** ، ص/١٨٤ . وقد ذكر ١٦ كتابا من مؤلفات الرضي أبرزها : **تلخيص البيان عن مجازات القرآن ، حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، خصائص الأئمة ، ديوان شعره ، المجازات النبوية ، معاني القرآن ، نهج البلاغة** . . .

الرضي الشاعر ، المطالب بالخلافة مما حدا ببعض المؤلفين الى نعته بالزيدية[1] . وهذا ما يفسّر سكوت الشيخ أبي جعفر الطوسي عن ذكره وذكر مؤلفاته في كتابيه : (**الفهرست**) و (**الرجال**) ، وقد عدّه الشيخ عبد الحسين الأميني أحد تلامذة الرضي ، ومن تلامذة شقيقه المرتضى .

ولماذا أغفل الأستاذ أنيس المقدسي ذكر الشريف في كتابه : (**أمراء الشعر في العصر العباسي**) ؟ ومثل ذلك ما جرى مع المعلم بطرس البستاني ، فلم يأت على ذكر الرضي في كتابه : (**أدباء العرب في الأعصر العباسيّة**) . وأهمل ذكر الرضي الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه : (**الشعر والشعراء في العصر العباسي**) .

هذا السكوت عن شاعر يعدّ من أئمة الشعراء في العصر العباسي ، وهذا الاغفال لرائد من روّاد البلاغة والبيان زاد في اندفاعي الى الاهتمام بدراسة شعر الشريف ونثره ، وابراز مكانته بين أدباء القرن الرابع الهجري وشعرائه .

ونشير أخيرا الى المراجع الأجنبيّة التي اعتمدت عليها في دراستي وهي :

- (**تاريخ الأدب العربي**) لكارل بروكلمان ، تعريب عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، **١٩٦٨** م ، الجزء الثاني .

---

(١) عبد الرزاق محي الدين . **أدب المرتضى** ، ص/٦٥ ، اعتبر الرضي زيديا لتبرير فكرة طلبه للخلافة ، لأن المذهب الشيعي يعتقد أنّ صاحب الأمر (المهدي المنتظر) هو الامام والوصيّ .

ـ (**دائـرة المعارف الاسـلاميـة**) ، مقـال عن الـرضي لكـرنكـو ، تعريب عبد الحميد يونس وغيره . بدون تاريخ ، المجلد الثالث عشر .

ـ (**الحضارة الاسلاميـة في القرن الـرابع الهجـري**) ، لآدم متز ، تعريب محمد عبد الهادي أبـو ريدة ، الـطبعة الثـالثة ، بـدون تاريـخ ، الجزء الأول .

* * *

الباب الأول

الشريف الرضي في عصره

الشريف الرضي في عصره

ولد الرضي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي[1] . وقد عاش العراق في هذه الفترة صراعا سياسيا حادّا ، انعكس اضطرابا عظيما في شؤون الحياة المختلفة ، من فتن قامت بين السنّة والشيعة ، وبين الأتراك والدّيلم ، ومن شغب يثيره العيّارون والشطّار وقطّاع الطرق ، الى تفاوت هائل بين طبقات المجتمع ، فكثرت المصادرات بأمر من ملوك بني بويه ، واشتدّت ثورات العامة من الناس .

ولكنّ هذا العصر باضطرابه كان أحفل العصور بالرقيّ العلميّ والأدبيّ فأنجب أعلاما منهم : المتنبّي وأبو فراس الحمداني ، والشريف الرضي والشريف المرتضى والمعرّي فيما بعد . وسندرس في هذا الباب عصر الشريف الرضي ، ودوره في مختلف النواحي ، لذلك قسّمناه الى خمسه فصول ، تناولنا في الأول منها أسرة الشريف الرضي ، ثم انتقلنا الى دراسة الرضي وسياسة عصره وعلاقته بسياسيّ عصره ، وبعد ذلك

---

(١) آدم متز . الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ١/٤٥١ ، حيث أطلق على هذا العصر : عصر النهضة في الاسلام .

تحدّثنا عن الرضي ومجتمع عصره فأشرنا الى مكانته الثقافية والاجتماعية ، ثم تطرّقنا الى دور الرضي في بيئته الثقافية ، واسهامه بنشاط في الصراع الفكري الذي امتاز به عصره ، وأخيرا كشفنا عن مؤلفاته المختلفة التي دلّت على اسهامه الفعّال في الحركة الأدبية والفكرية في عصره ، فصنّف في مختلف الموضوعات ، فكان شاعرا وناثرا ، وفقيها ومترسّلا .

الفصل الأول
الشريف الرضي وأسرته

يرتفع نسب الرضي الى علي بن أبي طالب ، وقد نشأ في بيت عرف بمكانته السياسيّة وشرف نسبه من ناحيتي الأب والأم . فمن هو الرضي ؟ وما هي مكانة أسرته ؟ ذلك ما سنفصّله في الصفحات التالية .

وقد تناولت في دراستي لهذا الفصل : اسمه ونسبه ، فأسرته ، فتحدّثت عن والده ، وعرّفت به وبنشاطه ، وأشرت الى اعتقاله ومصادرة أملاكه فاطلاق سراحه ، كما ذكرت وفاته ورثاء الشعراء له .

ثم تحدّثت عن والدته ، فأخوته ، فذكرت شقيقاته ، وكشفت عن مكانة شقيقه المرتضى وعلاقة الرضي به .

كما أشرت الى أقاربه ، فذكرت خاله الناصر الصغير وعلاقته به ، وعمّه وعلاقته به ، ثم تناولت أثر النسب والأسرة في تكوين شخصيّته ، وتحدّثت عن زواجه وعقبه .

وأخيرا فصّلت القول بوفاته ومدفنه ورثاء الشعراء له .

أ ـ اسمه ونسبه :

هو أبو الحسن محمّد بن أبي أحمد الحسين بن موسى الأبرش بن

محمّد الأعرج بن موسى أبي سبحة بن ابراهيم المرتضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1] .

وكان الامام موسى الكاظم ـ وهو الجدّ الخامس للرضيّ ـ يسكن المدينة فأقدمه المهدي العبّاسي بغداد[2] . وقد استقرّ كثير من أبنائه في العراق ، وممّن استقرّ بالبصرة موسى الأصغر المعروف بالأبرش . وهو الجدّ الأول للرضي ، وقد أعقب ثلاثة : أبا طالب الحسن ، وأبا أحمد الحسين ، وأبا عبد الله أحمد .

وظلّ الحسن بالبصرة ، أمّا الحسين والد الرضيّ ، وأحمد عمّه فقد اتّجها الى بغداد ، معترك السياسة في ذلك الوقت[3] .

وأُصهر أبو أحمد الموسوي ـ والد الشريف الرضي ـ الى الناصر الصغير ، أبي محمّد الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الكبير ـ صاحب الدّيلم ـ الذي يرجع نسبه الى الحسين بن علي بن أبي طالب ، فتزوّج ابنته فاطمة ، وكان زواجا سياسيا ، وطّد به أبو أحمد صلته بالبيت البويهيّ[4] .

---

(١) ابن الأثير . **الكامل في التاريخ** ٧/ ٢٨٠ ـ وعبد الفتّاح محمد الحلو ، مقدّمة تحقيق **ديوان الشريف الرضي** ١/ ١٣ .

(٢) ابن خلكان . **وفيّات الأعيان** ٥/ ٣٠٨ ، حيث ذكر : أن المهدي الخليفة العباسي حبسه ، ثم أطلق سراحه وأرسله الى المدينة ، ثم حمله الخليفة العباسي هارون الرشيد الى بغداد سنة ١٧٩/ ٧٩٠ فحبسه ، الى أن توفّي سنة ١٨٣/ ٧٩٤ ، ودفن في بغداد .

(٣) ابن عنبه الداودي الحسني ، **عمدة الطالب** ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٣ .

(٤) كان الناصر الصغير ابن خالة عزّ الدولة بختيار وملك العراق ؛ كما أنه كان يلي نقابة =

وولد من هذا الزواج أبو الحسن محمد المعروف بالشريف الرضي سنة ٣٥٩ / ٩٧٠ في بغداد[١] . ولعلّه من الضروري أن نلقي الضوء على هذه الاسرة التي تضمّ : أبا الرضيّ وأمه ، وأخوته وخاصة شقيقه المرتضى ، وأقاربه ، حتى نطّلع على طبيعة علاقته بأسرته .

ب ـ أسرته

أولا ـ والده :

ولد النقيب أبو أحمد الحسين الموسوي سنة ٣٠٤ / ٩١٤[٢] . وكان من جلالة الشأن وعلوّ المكان في عصره ، بحيث كان سفير الخلفاء والملوك والأمراء في الأمور المهمّة والخطيرة[٣] ، وكان يعتبر ميمون النّقيبة ، مبارك الطّلعة ، مهيبا نبيلا ، ما شرع في اصلاح أمر فاسد الاّ

= العلويين بمدينة السلام . وقد تولّى النقابة عندما اعتزلها أبو أحمد الموسوي سنة ٣٦٢/٩٧٣ ـ عبد الفتّاح الحلو . **ديوان الرضي** ١٤/١ .

(١) الثعالبي . **يتيمة الدهر** ١٣٦/٣ ـ الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** ، ٢٤٧/٢ ، ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ٣١/١ ـ ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ٤١٩/٤ ـ ابن عنبة . **عمدة الطالب** . ٢١ ـ ابن العماد الحنبلي. **شذرات الذهب** ١٨٢/٣ .

(٢) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ٣١/١ ـ ابن خلكان . **وفيات الأعيان** ٤/ ٤٢٠ . وذكر ابن خلكان قولا آخر أنه ولد سنة ٩١٧/٣٠٧ ، وهذا خطأ تاريخي ، لأن كل من ترجم له ذكر أنه توفي سنة ١٠١٠/٤٠٠ عن سبع وتسعين سنة .

(٣) لقد سفر أيام معز الدولة البويهي بينه وبين الأتراك ، وتوسّط الصلح بينه وبين أبي تغلب حمدان ، وفي أيام بهاء الدولة سفر بينه وبين حصام الدولة وهو بفارس . عبد الحسين الحلّي . **مقدّمة حقائق التأويل** ٢٦/٥ ـ احسان عباس . **الشريف الرضي** ، ص ٣٥ .

صلح على يديه ، وانتظم بحسن تصرّفه وبركة همّته وحسن تدبيره[1] .

واذا بحثنا عن حاله في المصادر ، وجدناها تثبت له نسكا مشهورا وهيبة ، ووقارا ، وارادة قويّة وعصبيّة شديدة ، وأصالة رأي وجدّا في الاعمال يستطيع بها أن يدلي بدلوه في شؤون الدولة ومقدّراتها .

١ ـ نشاطه :

أسندت اليه نقابة الطالبيّين مرارا ، وامارة الحجّ والنظر في المظالم ، ولقّب بالطّاهر ذي المناقب ، وبالطّاهر الأوحد ، ولم يلقّب بذلك طالبيّ قبله[2] . وقد كلّفه الخليفة العبّاسي الطائع تسكين الفتن المتتالية في العاصمة أيّام ملوك الدّيلم البويهيّين كافّة ، وبين العسكرين البغدادي والفارسي ، وبين الشيعة والسنّة . والى بعض هذه الفتن يشير ولده الرضي بقوله :

وخَطْب على الزّوراء ألقى جِرانَهُ مَديدِ النَّواحي مُدْ لَهِمَّ الجوانب
سَلَلْتَ عليه الحرب حتى جَلَوتهُ كما انجابَ غيمُ العارضِ المُتراكبِ[3]

لقد كانت للشريف الوالد جهود حثيثة وخدمات جليلة لدى الخلفاء العباسيين وسلاطين البويهيّين ، وكان له من الكفاءة السياسية والحنكة ، وحسن التدبير ، ما جعله وسيطا في حلّ المنازعات ، ورسول سلام بين

---

(١) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ١/١٠ .

(٢) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ١/١١ .
وقد ذكر الشارح أن أبا أحمد ولي نقابة الطالبيين خمس مرّات ، ومات وهو متقلّدها . والحقيقة أن الشريف الوالد تخلّى عن النقابة لولديه الرضي والمرتضى ، وقد تولّاها الرضي في حياته مرارا وبعد وفاته . الثعالبي . **يتيمة الدهر** ٣/١٣٥ .

(٣) الزّوراء : بغداد ـ ألقى جرانه : ثبت واستقرّ ـ **ديوان الرضي** دار بيروت ١/٨٨ ، حيث يذكر في هذه القصيدة حسن تلافيه للفتنة الواقعة بين الشيعة والسنّة .

آل بويه أحيانا ، وبين الحمدانيين ، أو بين الأتراك والدّيلم أحيانا أخرى ، وكثيرا ما أشار الرضي الى هذه المآثر في ديوانه ومنها :

وهذا أبي الأدنى الذي تعرفونَه ... مُقدَّمُ مجدٍ أوّلٌ ومُخلَفُ
مُؤلفٌ ما بين الملوكِ اذا هَفَوا ... وأشْفَوا على حزّ الرِّقابِ وأشْرفوا[1]

لقد أجمعت المصادر التاريخية على مكانته العالية ، وعلى خصاله الحسنة ، فكان صاحب الرأي المسموع والوساطة المقبولة وموضع تبجيل وتعظيم[2] ، لجمعه مناقب شتّى ، فهو علويّ النّسب ، هاشميّ الأرومة ، زعيم في الدين والدنيا .

كان أبو أحمد الموسوي يقوم دائما بدور المصلح ، الموفّق بين المتخاصمين ، وكثيرا ما لجأ اليه الخائف ، فوجد الأمن والطمأنينة في كنفه ، وسنذكر نبذة من توسّطاته وأعماله التوفيقيّة :

ـ لمّا اختلف الملكان الأخوان بهاء الدولة وصمام الدولة سنة ٣٨٤ / ٩٩٤ ، سافر والد الرضي الى فارس ليصلح بينهما[2] .

ـ وفق بين الحمدانيَيْنْ : حمدان وأبي تغلب ، وأرسله عضد الدولة سفيرا الى سلامة البَرْقعيدي ، كما أرسله بختيار سفيرا الى عضد الدولة

---

(١) ديوان الرضي ٢/١٧ . وهي قصيدة طويلة ، ذكر فيها مآثر والده وتوسّطاته وسفاراته للاصلاح وحروبه واماراته .

(٢) ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة . ١/١٠ ـ محسن الأمين . أعيان الشيعة ٤٤/١٧٣ ـ ويوسف البحراني . لؤلؤة البحرين ، ص ٧ . ـ وحسن كامل الصيرفي . مقدّمة طيف الخيال ، ص ٤ .

(٣) محمد عبد الغني حسن . مقدّمة تلخيص البيان ، ص ٤٥ ـ احسان عباس . الشريف الرضي ، ص ٣٥ .

سنة ٣٦٦ / ٩٧٦[١] ، ووجّه بهاء الدولة الى أبي الذوّاذ العُقَيْلي سنة ٣٨٢ / ٩٩٢[٢] ، ولمّا تكرّرت ثورات العيّارين في بغداد سعى الشريف الوالد الى اصلاح الأحوال وتهدئة الخواطر ، اثر الفتن التي قامت بين السنّة والشيعة .

واذا تتبّعنا أخباره منذ ذكر اسمه على مسرح الحياة السياسيّة في العراق ، رأينا أنه عاصر جماعة من الخلفاء العباسيّين[٣] ، وسلاطين بين بويه[٤] . وقد سكتت عنه المصادر التاريخيّة فترة طويلة ، فلم تذكره الاّ في سنة ٣٥٤ / ٩٦٠ ، وفيها تقلّد نقابة الطالبيّين وامارة الحجّ ، وكتب له منشور من ديوان الخليفة العبّاسي المطيع لله[٥] .

ونراه أمير الركب العراقي في الحج لسنوات كثيرة :

فقد حجّ بالناس سنة ٣٥٤ / ٩٦٥ وفي السنة التالية[٦] ، وحجّ بالناس أيضا سنة ٣٥٩ / ٩٦٩ ، وسنة ٣٦١ / ٩٧١ .

ولمّا تولّى الخلافة الطائع جدّد له التقليد بالنقابة واستمرّ به الحال

---

(١) ابن الجوزي . **المنتظم** ، ٨٣/٧ .

(٢) ابن الأثير . **الكامل في التاريخ** ، ٣٢/٩ .

(٣) المطيع لله ٩٥٤/٣٣٤ - ٩٧٣/٣٦٣ والطائع لله ٩٧٣/٣٦٣ - ٩٩١/٣٨١ والقادر بالله ٩٩١/٣٨١ - ١٠٣٢/٤٢٢ .

(٤) عزّ الدولة بختيار ٩٦٦/٣٥٦ - ٩٧٧/٣٦٧ وعضد الدولة ٩٧٧/٣٦٧ - ٩٨٢/٣٧٢ وصمصام الدولة ٩٨٢/٣٧٢ - ٩٨٦/٣٧٦ وشرف الدولة ٩٨٦/٣٧٦ - ٩٨٩/٣٧٩ . وبهاء الدولة ٩٨٩/٣٧٩ - ١٠١٣/٤٠٣ .

(٥) ابن الجوزي . **المنتظم** ٢٤٧/٧ وابن الأثير . **الكامل** ٢٤/٨ .

(٦) وقد أنفذ المطيع معه قنديلا من ذهب وزنه ستماية مثقال وتسعة قناديل من فضّة ليعلّقها بالكعبة ، فكتب الى بغداد بأنّ الحج تمّ على وجهه . ابن الجوزي . **المنتظم** ٢٣/٧ .

كذلك حتى سنة ٣٦٩ / ٩٧٩ ، حين قبض عليه عضد الدولة البويهيّ وعلى أخيه أبي عبد الله وبعض الأشراف ، وسجنهم جميعا في القلعة بفارس ، وبعد اطلاق سراحه ظل يمارس هذه الأعمال من مظالم ونقابة وحجّ وسفارة وعقود وشفاعات في فترات متقطّعة حتى وافته منيّته سنة ٤٠٠ / ١٠١٠ .

وعندما كبر وأضرّ ضعف نشاطه في تصريف الأمور ، فكان ولداه الرضي والمرتضى ينوبان عنه في النقابة دون الأعمال السياسيّة والسفارات .

ويبدو أنه كان يمثّل السّفير الذي يعتمد على ذكائه وجاهه معا[١] ، وعلى مرونة في طبعة سهلة التكيّف ، وكان فيه دهاء أصيل يمكّنه من مواجهة الأزمات[٢] ، ولم يكن يقبّل الأرض بين أيدي الخلفاء خلافا للعادة السائدة في ذلك العصر[٣] ، هذه الصفات دفعت ولده الرضي الى مدحه في عدد كبير من قصائده ، سنذكرها في باب المديح .

---

(١) ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٩٧١/٣٦١ : « اعترض بنو هلال قافلة الحجّاج فنهبوا شيئاً كثيرا ، وقتلوا خلقا كثيرا ، وبطل الحج في ذلك العام ، ولم يسلم من الحجّاج الّا من كان في ركب الشريف أبي أحمد الموسوي . . . » **المنتظم ٥٧/٧** .

(٢) كان أبو أحمد اذا اضطرّته الظروف يلجأ الى حيل غريبة ، ففي احدى المرّات أدركه الخوف على نفسه ، وهو بفارس ، فاختبأ في زنبيل ، ونقل محمولا على الاكتاف .

(٣) وقد اشار الرضي الى عظمته في عدّة قصائد منها :

حَمَى فاهُ عَنْ بُسْطِ الملوكِ وقَدْ كَبَتْ عليَهَا جباهُ مِنْ رجالٍ وآنُفُ

ففي هذه القصيدة ذكر الرضي مكانة والده لدى الملوك . ديوان الرضي ٢٠/٢ . ويدعم هذه المكانة ما ذكره ابن تغرى بردى عن الشريف الوالد :

« كان سيّدا عظيما مطاعا ، وكانت هيبته أشدّ هيبة ، ومنزلته عند بهاء الدولة أرفع منزلة ، كان فيه كل الخصال الحسنة . . . » **النجوم الزاهرة ٢٢٣/٤** .

٢ ـ اعتقاله ومصادرة أملاكه فاطلاق سراحه :

لمّا أزفّت سنة ٣٦٩ / ٩٨٠ ، قبض عضد الدولة البويهي على أبي أحمد الحسين الموسوي وعلى أخيه أبي عبد الله أحمد ، وعلى قاضي القضاة أبي محمّد ، وسيّرهم الى فارس[١] .

ظلّ أبو أحمد معتقلا في قلعة هناك سبع سنوات ، حتى سنة ٣٧٦ / ٩٨٧[٢] . ولم يصرّح المؤرخون بسبب اعتقاله . فان ظنّ بعضهم أنّ عضد الدولة استعظم أمره ، وخشي منه وطمع في أملاكه[٣] ، فان بعضهم رجّح أنّ السبب يعود الى أمر سياسيّ ، وهو ميله الى بعض أقارب عضد الدولة ، ممّن كان يناوئه ، فحقد عليه ، وتلمّس الأسباب التي بها يقبض عليه ويصادر أملاكه ، ثم يأمر بسجنه ، وذلك أنّه أراه خطّا مزوّرا على خطّة بافشاء الأسرار ، وتعلّل عليه بأنّ لديه عقدا من بختيار في فداء أحد غلمانه ، وأنّ الموسوي أخفى ذلك العقد ، فلم يطلع عليه عضد الدولة .

وكان الرضي يومئذ في العاشرة من عمره ، فتلقّى هذا الحادث حزينا مغيظا معا ، لأن أباه كان قد أصبح شيخا يؤوده الأسر ، ويقضّ

---

(١) ابن الأثير . **الكامل** ، ٥٦٦/٨ .

(٢) اعتقد احسان عباس خطأ أنّ مدّة اعتقال الشريف الوالد أربع سنوات ، والصواب أن مدّة اعتقاله هي سبع سنوات ٣٦٩/٩٨٠ ـ ٣٧٦/٩٨٦ كما صرّحت بذلك معظم المصادر مثل : عبد الحسين الحلي . **مقدّمة حقائق التأويل** ٣٥/٥ وزكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي** ١١٧/١ **وديوان الرضي** ١٢٨/٢ حيث ذكر جامع الديوان أن الرضي مدح شرف الدولة بتلك القصيدة عندما أطلق سراح والده سنة ٣٧٦ هـ ـ ومحمد عبد الغني حسن . **الشريف الرضي** ، ص ٢١ .

(٣) ابن الجوزي . **المنتظم** ٩٨/٧ .

مضجعه أن يتعمّد عضد الدولة الحطّ من قيمته وانقاص هيبته في بلده وبين قومه ، وعزّ عليه أن يحرم من عطف أبيه مدّة لا يدري كم تطول . ولمّا تذكّر هذا الحادث صوّره بقوله :

رَحلْت وفي كلّ جفنٍ دمٌ عليك ، وفي كلّ قلبٍ وجيبُ
وأنت تُعلّلُنا بالايا بِ ، والصبرُ مرتحل لا يؤوبُ[1] .

وفي هذه الأثناء كبر الرضي وراض نفسه على شيء من حفظ الشعر وقرضه ، فكتب القصائد في الحنين إلى أبيه والفخر بنفسه ، وتصوّر الشّامتين فرحين لاعتقال أبيه فسخر منهم[2] .

وقد كانت هذه الأعوام السّبعة فترة بؤس وشقاء في حياة الرضي ، لأنها جعلته يواجه أعباء الحياة منفردا ، فشعره في هذه المرحلة يتّسم بالحزن والشكوى ، وهو لا يستطيع البوح والتصريح بشيء خشية من عضد الدولة الذي هلك سنة ٣٧٢ / ٩٨٢ ، فأزفّ الرضي هذا النبأ السّعيد الى أبيه في معتقله حيث يقول :

أبلِغا عنّي الحسينَ ألوكاً انّ ذا الطّودِ بعدَ عهدِك ساخا
والشِهابَ الذي اصطَلَيْتَ لظاهُ عكسَت ضوءَه الخطوبُ فَباخا
والفنيقَ الذي تَدَرَّعَ طول الـ أرضِ خَوّى به الرَّدى فأناخا[3] .

هذا كل ما استطاع الرضي قوله يوم مات عضد الدولة ، فهو يراه

---

(١) ديوان الرضي ١/٧٦ .

(٢) المصدر نفسه . قصيدة لا يفرح الاعداء ١/٣٠٥ ، وقصيدة ١/٢٩٧ ، وزكي مبارك . عبقرية الشريف الرضي ١/١١٨ ، واحسان عباس . الشريف الرضي ، ص/٦٥ .

(٣) ألوكا : رسالة ـ ساخا : انخسف ـ باخا : برد ـ الفنيق : الفحل المكرّم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب ـ خوى : سقط ـ ديوان الرضي ١/٢٦٧ .

جبلا ساخ ، وشهابا هـوى ، وفنيقا هلك ، ولكنّـه يتخوّف العـواقب ، لأن تلك العقاب تركت أفراخا من الجوارح .

ولم يكن غيظ الرضي منصّبا على عضد الـدولة وحـده ، بل انصبّ أيضـا على وزيـره المطّهـر بن عبد الله[1] ، لأن ذلـك الوزيـر قـال لأبيـه ـ غداة اعتقاله ـ حين جيء به اليه : « كم تدلّ علينا بالعظام النّخرة » ، يعني عظام أجداده الأئمـة[2] ، فثارت نفس الـرضي لتلك الاهانـة وردّ عليها بقصيدة طويلة تدلّ على براعة مبكّرة وجرأة نادرة ، وفيها يشير الى المعنى الذي تضمّنته جملة الوزير فيقول مخاطبا والده :

نُصـافي المَعـالي والـزَمـانُ مُعـانِـدُ ونَنْهَضُ بـالآمـالِ والجِـدُّ قـاعِـدُ

الى أن يقول معرّضا بالعضد صاحب نكبة أبيه وبوزيره تعريضا جارحا ، مشيّدا بقوّة الفاطميين في مصر[3] :

وطـاغٍ يُعيرُ البَغْيَ غَـرْبَ لسـانِـهِ وليس لـه عن جانبِ الـدينِ ذائدُ
شَنَنتَ عليـه الحـقّ حتى ردَدْتَـهُ صمـوتاً ، وفي أنيـابه القـولُ راقدُ
تُعـيِّرُ ربّ الخـير بـالي عـظامِـهِ ألا نُـزِّهَتْ تلك العـظامُ البـوائـدُ
ولـو كان بـين الفَاطميـينَ رَفرَفت عليـه العوالي والـظّبيَ والسّواعـدُ

---

(١) كان شرسا خبيث الخلق ، سيّء الفكر ، كـما يذكـر مسكويـه المؤرّخ ، مات منتحـرا سنة ٣٦٩/٩٨٠ بأن أخذ سكينا وقطع بها شرايين يده لهزيمته في محاربة أحد الخارجين على الدولة ، ولخوفه من عضد الـدولة . ابن الأثـير . **الكامـل** ٩٩/٧ . ومحمّد عبـد الغني حسن . **الشريف الرضي** ، ص/٤٤ .

(٢) زكي مبارك . **عبقريـة الشريف الـرضي** ١١٠/١ ـ ونور الـدين يوسف نـور الدين . **الشعرا الثلاثة** ، ص/٣٥ .

(٣) زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي** ١١١/١ ـ **وديوان الرضي** ٣٠٥/١ .

انّ حادثة اعتقال أبيه قد هزّت مشاعره ، وأضرمت النار في صدره ، وزادت من تعلّق الرضي بوالده ، فقد كبر الشيخ في عين الصبيّ عندما رآه يدفع ضريبة المجد ، وأخذ يتشوّق الى اليوم الذي يعود فيه ليفتح له طريق المجد والعزّة ، فقد كان مثله الأعلى ، ومجسّداً لآماله وأمانيه .

وبعد تلك النكبة التي أصابت الرضي ، كنّا ننتظر أن يقتحم ميدان الهجاء ، فيهجو عضد الدولة الذي أمر بسجن والده ، ولكنه لم يفعل ، لأن أعمال العضد العمرانية واهتمامه بحالة البلاد سدّت عليه منافذ القول ، وجعلت شتمه صعبا ، فضلا عن أنّ قوة عضد الدولة وبطشه ، ومحبّة أهل العراق له ، جعلت شعور الرضي يكمن في نفسه ويسكن على مضض ليجد الفرصة المناسبة . ولّما توفّي عضد الدولة كان الرضي في الثالثة عشر من عمره .

فنشب الصراع بين ولديه : شرف الدولة وصمام الدولة ، وآلت النتيجة الى انتصار شرف الدولة ، فدخل بغداد ظافرا ، وكان قد أطلق سراح الشريف الوالد ، وصحبه الى مدينة السلام . واذا قرأنا ما نظمه الرضي في هذه المناسبة وجدنا تأثّره البالغ ، وقد تجلّى اندفاعه في استقباله لأبيه في بغداد ، بعد الافراج عنه . فقد خفق قلب الفتى حين رأى أباه ، وتدلّنا قصيدته في استقباله على بعض ما جاش في صدره من المعاني :

طُلوعُ هداهُ الينا المغيبُ ... ويومُ تمزّقُ عنه الخطوبُ
لقيتُك في صدرهِ شاحِباً ... ومن حِليةِ العربيّ الشّحوبُ
قَدَمتَ قدومَ رقاقِ السّحا ... ب تخطّ والرَّبعُ رَبْعُ جَديبُ

فـما ضحـكَ الـدهـرُ الآ اليـ ـكَ مُذْ بانَ في حاجِبَيه القُطوبُ[1] .

ومدح شرف الدولة أبا الفوارس ، وشكره على ما عمله مع أبيه من الجميل بقصيدة طويلة مطلعها :

أحْظىَ الملوكِ من الأيامِ والدُّولِ مَنْ لا يُنادمُ غير البيضِ والأسَلِ[2]

وقـد ردّت بعض الأملاك التي صـودرت بعـد الاعتقـال ، ذكـرهـا الرضي في قصيدة نفّس فيها عن غضبه وأظهر شماتتـه من موت الـوزير المطّهر[3] ، فهو ما يزال مجروح الفؤاد بسجن والـده ومصادرة أمـلاكه ، فعرّج على موت الوزير مشهّرا ومعرّضا به . وخاطب أباه قائلا :

وجبـانٍ لـويتَ عنـه فـأمسـى وجِـلَ العينِ من قِـراعِ الـرّقـادِ
ظنّ بـالعجـزِ أنّ حبسـكَ ذلّ والمـواضي تُصـانُ بـالأعمـادِ
كنتَ ليثـاً ، وكـان ذئبـاً ، ولكنْ لا تَـلذّ الأشكـالُ بـالأضـدادِ
نِلتَ بعضـاً وسـوف تـدركُ كـلاًّ انّما السّيلُ بعـد قطرِ العِهـادِ[4] .

لقـد فقد الـوالد الأعمـال الرسميّـة التي كانت من أعـظم مـظاهـر التشريف وهي : نقابـة الطالبيّـين ، وامارة الحـجّ ، والنظر في المـظالم ،

---

(١) ديوان الرضي ١/٧٥ ـ يمدح أباه ويهنّئه بقدومـه من فارس وخـلاصه من القلعـة سنة ٣٧٦/٩٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ٢/١٢٨ .

(٣) وهنا نصحّح خطأ تاريخيا وقع فيه زكي مبارك عندما اعتقد أن وفاة المطهّر بن عبـد الله وزيـر عضد الـدولة حـدثت سنة ٣٧٦/٩٨٦ والصـواب أنها وقعت سنة ٣٦٩/٩٨٠ (أنظر ص ٧٤ حاشية ١) .

(٤) العهاد : جمع عهـد وهو أول مـطر موسمي ، القصيـدة في ديوان الـرضي ١/٢٩٨ ، وزكي مبارك . عبقرية الشريف الرضي ١/١٤١ .

ولكنّها عادت اليه سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ ، وقد كان لعودة هذه المناصب نشوة طرب في نفس الرضي :

أُنظر الى الأيامِ كيف تعودُ ... والى المعالي الغُرِّ كيف تزيدُ
والى الزمان نَبا وعاوَد عطفَه ... فارتاحَ ظمآنٌ ، وأورَق عودُ
وعلى المظالم والنقابةِ همّةٌ ... يَقظىَ ، وظلُّ أمانةٍ ممدودُ[١] .

وكان الشريف أبو أحمد الموسوي على حال من الثراء تسعفه على قضاء الحقوق وتوزيع الصّدقات ، والنظر في حال المعوزين وبناء المساجد ، ولذلك كان عامر الجناب ، مضيافا ، شجاعا [٢].

وقد سجّل الرضي هذه المآثر في قصائده التي نظمها فيه مادحا ومفتخرا ، وتدل كثرتها ، على ما يحمله لأبيه من الاعظام والاكبار ، فقد كان ينتهز المواسم والمناسبات ليقف بين يديه منشدا مظهرا مكانته ، ومدلاّ على شرف محتده ، فبلغت أربعا وعشرين قصيدة ونيّفا[٣] ، بل زادت على الأربعين قصيدة [٤] .

---

(١) ديوان الرضي ١/ ٣١٠ .

(٢) مدحه الرضي وأثنى على شجاعته في عدد كبير من القصائد ، ومنها ذكر يومه في غويث ، وهو اسم مكان في اليمن ، كما ذكر جامع الديوان نقلا عن ياقوت الحموي :

لله يومك في غويث انه ... يوم به يشجى بنو غيلان

ديوان الرضي ٢/ ٥١٣ . أما بقيّة أملاك الوالد المصادرة فقد ردّت سنة ٣٩٦/١٠٠٧ ، وقد وهم جامع الديوان عندما اعتبر أن الأملاك المصادرة قدّ ردّت بأسرها سنة ٣٨٦/٩٩٦ ، فالمتتبّع لديوان الرضي يرى بوضوح أنه نظم قصيدتين بردّ تلك الأملاك : الأولى عينيّة ١/ ٦٠٧ والثانية رائية ١/ ٤٢٧ .

(٣) عبد الفتّاح الحلو . تحقيق ديوان الرضي ١/ ١٩ .

(٤) زكي مبارك . عبقرية الشريف الرضي ١/ ١٠٧ .

٣ ـ وفاته ورثاء الشعراء له :

مات أبو أحمد الموسوي بعد عمر حافل بالعطاء ، ليلة السبت لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ٤٠٠ / ١٠٠٩ ، وله من العمر سبع وتسعون عاما[١] ، فصلّى عليه ابنه الأكبر المرتضى ، ودفن بداره ثم نقل الى مشهد الحسين بكربلاء ، ودفن عند جدّه ابراهيم بن موسى الكاظم ، وقبر ابراهيم هذا له مزار معلوم الى عصرنا في رواق الامام الحسين[٢] ، ممّا يلي الرأس الشريف وقبره ظاهر معروف [٣].

فثارت أشجان الرضي وأطلق لعاطفته العنان ، فبكاه بدموع غزيرة حرّى ، معدّدا مناقبه ، متألّما لفقده ، بقصيدة طويلة بلغت تسعة وثمانين بيتا ، مطلعها :

وَسَمتكَ حاليةُ الربيعِ المُرهِمِ ... وسَقَتْكَ ساقيةُ الغَمامِ المُرزِمِ
قد كُنتُ أعذُلُ قبلَ مَوتِكَ مَن بَكى ... فاليومَ لي عجبٌ من المتبسِّمِ
لا قلتُ بعدَكَ للمدامعِ كَفكِفي ... من عَبرةٍ ولو أنّ دمعيَ من دمي[٤] .

ورثته جماعة من الشعراء منهم :

ـ ابنه المرتضى بقصيدة مطلعها :

ألا يا قومَ للقَدرِ المتاحِ ... وللأيامِ ترغبُ عن جراحي
سلامٌ الله تنقُلُه الليالي ... ويُهديهِ الغدوُّ الى الرُّواحِ

---

(١) ابن الأثير . **الكامل ٩/٣٢** حوادث سنة ٤٠٠ هـ .
(٢) بحر العلوم الطّباطبائي . **الرجال ٣/١٠** .
(٣) ابن عنبة الداودي الحسني . **عمدة الطالب** ص/٢١١ .
(٤) المرهم : المخصب ـ المرزم : الرّعد الشديد الصوت ، **ديوان الرضي ٢/٢٩٠** .

عـلى جـدث تشبَّثَ من لـــوىً بينبوعِ العبادةِ والصَّلاحِ[1] .

ـ ورثاه أيضا مهيار الدّيلمي بقصيدة مثبتة في ديوانه ومطلعها :

كَذا تنقضي الأيامُ حالاً على حالِ وتنقرضُ الساداتُ بادٍ على تالِ[2] .

ـ ورثاه أبو سعد علي بن محمّد بن خلف بقصيدة مطلعها :

يـا بَرقُ حـامِ على حيـاكَ وغـايِـرِ أنْ تَسْتَهلّ بغيرِ أرضِ الحائرِ[3] .

وبعث بهـذه القصيدة الى المـرتضى ، فأجـابه بقصيـدة على الـوزن نفسه والقافية نفسها ومطلعها :

هل أنتَ من وَصَبَ الصبابةِ ناصرى أو أنتَ من نَصَبَ الكآبة عاذِرى[4]

ـ وقـد رثاه أبـو العلاء المعـرّي بالفـائية الشهيـرة ، ونعتـه بـالكـرم والشجـاعة وأثنى عليـه ، وتحدّث مـطوّلا عن نـار القـرى ، وعن قـدور كـالهضاب لـه ولابنيـه الـرضي والمـرتضى ، والقصيـدة في سَقْط الـزّنـد ومطلعها :

أودَى فليتَ الحـادثـاتِ كَفـافِ مـالُ المُسيفِ وعَنبـرُ المُسْتـافِ
الـطَّاهـرُ الآبـاءِ والأبنـاءِ والآ رابِ والأثـوابِ والأَلافِ
رَغتِ الـرعودُ وتلكَ هـدّةُ واجبٍ جبـلٌ هَوى من آلِ عبـدِ مَنافِ .

---

(١) ابن الجـوزي . المنتـظم ٢٤٧/٧ وفيـات سنـة ٤٠٠ هـ ، وابن الأثـير . الكـامـل ، ٢٥٠/٧ حوادث سنة ٤٠٠ هـ .
(٢) ديوان مهيار الدّيلمي ٣٥٧/٣ .
(٣) بحر العلوم . الرجال ٢٧/٣ .
(٤) المرجع نفسه ٢٨/٣ .

ويذكر فيها الشريفين المرتضى والرضي ويعزّيهما :

أبْقَيْتَ فينا كوكَبَيْنِ سناهُما ... في الصبحِ والظَّلماءِ ليس بخافِ
رُزِقا العلاء فأهلُ نجدٍ كلّما ... نَطَقا الفصاحةَ مثلُ أهلِ دِيافِ
ساوى الرضيُّ المرتضى وتقاسَما ... خُطَطَ العُلا بتناصُفٍ وتَصافِ[1]

ثانيا ـ والدته :

أمّا أم الرضي فهي فاطمة بنت الحسين[2] ، الناصر الصغير ابن أحمد بن الحسن الناصر الكبير الأطروش صاحب الدّيلم بن علي العسكري بن الحسن بن علي الأصغر بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

وكان أبوها ـ أبو محمّد الناصر الصغير ـ عظيم الشأن في أيام معزّ

---

(١) كفاف : اسم فعل أمر مبني على الكسر بمعنى أكفف : أي ليت الحادثات كفّت الأذى . المسيف : من ذهب ماله ـ المستاف : أسم فاعل : الشّام ، من الاستياف أي الشّم . الهدّة : صوت الشيء الساقط ـ الواجب : السّاقط ، ويقال انّ والد الرضي مات في ليلة برق ورعد ومطر ـ دياف : موضع فيه نبط لا يعرفون الفصاحة . **شروح سقط الزند ٣/١٢٦٤** ـ نقلا عن بحر العلوم . **الرجال ٣/٢٧** .
ويعلّق الصفدي على البيت التالي من قصيدة المعرّي :

والرَّاح أنْ قيل ابنةَ العنبِ اكتفتْ ... بأبٍ من الأسماءِ والأوْصافِ

بقوله : ما عزّى كبير بذاهب سلف بمثل هذا البيت .
الصفدي . الوافي بالوفيات ، ٢/٣٧٤ .

(٢) كذا ورد اسمه في ذكر خال الرضي الحسين في **ديوان ١/٩٨** ، وعند ابن أبي الحديد في **شرح نهج البلاغة ١/٣٢** . وقد ذكر باسم الحسن عند ابن عنبة في **عمدة الطالب** ص/٣١٠ . ولعلّه خطأ طباعي .

الدولة البويهيّ ، لجلالة نسبه ، ولأنه كان ابن خالة بختيار عزّ الدولة[1] .

ولي نقابة العلويين في بغداد ، عندما اعتزلها والد الرضي سنة ٣٦٢ / ٩٧٢ ، وقد ذكره الرضي في احدى قصائده ، عندما أظهر طرفي المجد في نسبه قائلا :

أرُدُّ النوائبَ بالموسويِّ وأُعطي الرَّغائبَ بالناصرِ[2] .

وجدّها الأعلى الناصر الكبير الأطروش ، من شيوخ الطالبيّين ، كان أديبا ، وقد ملك بلاد الدّيلم والجبل ، ولقّب بالناصر للحق ، وتوفّي بطبرستان سنة ٣٠٤ / ٩١٦[3] . وهو الذي نشر الاسلام في الديلم ، وله مؤلفات كثيرة على مذهب الامامية ، ومنها (**الناصريات**) التي صحّحها سبطه المرتضى[4] .

وقد ذكره الرضي في رثائه لأمه فقال :

آباؤكِ الغرِّ الذينَ تفجَّرَتْ بهمُ ينابيعٌ من النَّعْماءِ

---

(١) عبد الفتاح الحلو مقدّمة ديوان الرضي ١٨/١ ، وبختيار عزّ الدولة أحد سلاطين البويهيّين ، ديلميّ الأصل ولد سنة ٣٣١/٩٤٢ ، وكان بينه وبين ابن عمه عضد الدولة معارك أدت الى أسره وقتله سنة ٣٦٧/٩٧٧ ، كان شاعراً ، وله عناية بالأدب وتزوج بنت الخليفة الطائع لله ـ بحر العلوم . الرجال ، ٢٥/٣ .

(٢) **ديوان الرضي** ٤٣٣/١ .

(٣) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ٣٢/١ ـ ٣٣ .

(٤) حسن النوري . **مستدرك الوسائل** ٥١٠/٣ ، ويذكر عبد الفتاح الحلو في مقدّمة **ديوان الرضي** ١٩/١ أنّ الأطروش زيدي المذهب ، ولكن آغا بزرك في **الذريعة** ١٦/٧ يؤكد بأنه امامي .

مـن نـاصـرٍ للحـقِ أو داعٍ الى سُبُـلِ الهُدى أو كـاشفِ الغَمَّاءِ[1]

لقد كانت أم الـرضي علويّة ، وهـو حسينيّ النسب من الطرفـين ، ولهذا السبب لقّب بذي الحسبين .

عـاش الرضي في أكنـاف أبيه وأمـه عنـد ولادتـه الى أن قُبض عـلى أبيه ، فعاش سنّ الفتوّة مع أمه . فتعهّدتـه وقامت عـلى أمره وأمـر أخيه المرتضى أحسن قيام ، وأنفقت عليهما ممّا كانت تملك ، بعد أن صودرت أمـلاك أبي أحمد ، ودفعت بهـما في سبيل التّعليم[2] . وقـد ألّف الشيـخ المفيد كتاب (أحكام النساء) لـوالدة الـرضي تحقيقا لـرغبتها[3] . وقـد ظلّت عـلى قيد الحيـاة حتّى ذي الحجّـة من عـام ٣٨٥ / ٩٩٥ ، فرثاها الرضي بقصيدة طويلة مطلعها :

أبكيـكِ لـو نَقَـعَ الغَليـلُ بُكـائي وأقـولُ لو ذَهَبَ المقـالُ بِـدائي[4]

---

(١) **ديوان الرضي** ١/٢٨ ، وقد ذكره في قصيدة ثانية عند رثاء خالـه أبي الحسين أحمـد في ١/١٤٩ .

(٢) ذكر ابن أبي الحديد في **شرح نهج البلاغة** ١/١٤ وابن معصوم في **الدرجـات الرفيعـة** ص/٤٥٩ : أنّ الشيـخ المفيد أبـا عبد الله محمـد بن النعمان الفقيـه الامامي رأى في منامه ، كأن فاطمة الزهراء بنت رسول الله قد دخلت عليه وهو في مسجده بالكرخ ، ومعها ولداها الحسن والحسين صغيران ، فسلّمتهما اليـه وقالت لـه : علّمهما الفقـه ، فـانتبـه متعجّبـا من ذلـك ، فلمّا تعـالى النهـار في صبيحـة تلك الليلة التي رأى فيهـا الرؤيا ، دخلت اليه المسجد فاطمة بنت الناصر وحولها جواريها ، وبـين يديهـا ابناهـا محمد الرضي وعـلي المرتضى صغيـران ، فقام اليهـا وسلّم عليها ، فقـالت له : أيهـا الشيـخ ، هذان ولـداي قد أحضـرتهما لتعلّمهـما الفقـه ، فبكى الشيـخ وقصّ عليهـا الرؤيا ، وتولّى تعليمهما الفقه .

بينما ذكر ابن حجر العسقلاني في **لسان الميزان** ٤/٢٢٣ في ترجمة المـرتضى : أنّ الذي ذهب بالولدين الى الشيخ المفيد هو أبو أحمد والد الشريفين .

(٣) حسين النوري . **مستدرك الوسائل** ٣/٥١٠ .

(٤) نقع الغليل : أرواه ـ **ديوان الرضي** ١/٢٦ .

وبكاها بلوعة شديدة ، واستلأم الدنيا التي حرمته منها ، ومدحها بالنجابة ، لأنه ولدت النجباء ، وافتخر بآبائها الغُرّ الميامين.، وذكر أنّها قضت حياتها في عفّة وزهادة وصدقة ومعروف وصوم ، حتى في أشدّ الأيام حرّا .

وقد أصابه الجزع لفقدها ، وقد كان يؤثر أن يكون فداءها ، وذكر فضلها في الانفاق عليه وقت الشدّة ، وقد عبّر عن هذا كلّه بأبيات منها :

فارقتُ فيكِ تماسُكي وتَجمُّلي ... ونسيتُ فيكِ تَعزُّزي وإبائي
قد كنتُ آمَلُ أن أكون لكِ الفِدا ... ممّا ألمَّ ، فكنتِ أنتِ فِدائي
ومَن المُموِّلُ لي ، اذا ضاقت يدي ... ومن المُعلِّلُ لي من الأدواءِ
لو كانَ مثلُكِ كلّ أمٍ بَرةٍ ... غنيَ البَنونُ بها عنِ الآباءِ

ثالثا ـ اخوته :

أولا ـ شقيقاته :

أنجب أبو أحمد الموسوي بنتين هما : زينب وخديجة ، وذكرين هما : المرتضى والرضي[1] . وربّما كان لهما ثالث هو المرضي كما سنذكر .

وكان أسبق أولاده الى الوجود احدى البنتين . فقد توفيت احداهما

---

(١) الخوانساري . روضات الجنّات ٦/٣٧٧ . وربّما فهم من ايراد الخوانساري لأولاد أبي أحمد على هذا النسق : « فولّد أبو أحمد زينب وعليّا ومحمّدا وخديجة ، أربعة أولاد » ان كان هذا ترتيب ولادتهم ، تكون المعمّرة زينب ، والتي ماتت في حياة الرضي ورثاها خديجة .

في حياة الشريف الرضي ، ودفنت في مشهد الحسين بن علي بن أبي طالب[1] .

ورثاها الرضي بقصيدته :

شقيقتي انّ خَطْبا عدا عليكِ لخَطبُ[2] .

وتوفيت الثانية سنة ٤١٩ / ١٠٢٨ ، ورثاها أخوها المرتضى[3] .

ورزق أبو أحمد من الذكور : عليّا المرتضى ومحمّدا الرضي ، ولكنّ أبا العلاء المعرّي في مرثيته لأبي أحمد يقول :

ساوى الرضيُّ المرتضى وتقاسَما خِطَطَ العُلا بتناصفٍ وتَصافِ
حلْفا ندىً وصلًى الأطْهرُ الـ مَرضيُّ فَيا لثلاثةٍ أحْلافِ[4] .

ويعلّق التّبريزي في شرحه على البيت الثاني قائلا : والأطهر ولد المرتضى ، ولكنّ البَطَلْيَوْسي يقول في شرحه عليه : وأراد بالأطهر المرضيّ أخا صغيرا كان لهما . وليس هناك ما يقوّي قول التبريزي ، لأن الرضي كان يهنّيء أخاه كلما رزق بمولود ، وقد خلا ديوانه من تهنئته بمولود ذكر . كما أنه ليس بين أيدينا من المصادر التاريخيّة ما يدعم قول البطليوسي ، فلعلّ هذا الأخ الصغير لم ينبغ مثل أخويه ، فلم تحفل به كتب التاريخ . وأغلب الظّن أنّ الأطهر المرضي هو ابن للمرتضى ، وربّما ولد له بعد وفاة أخيه الشريف الرضي[5] .

---

(١) ديوان الرضي ١/١٥٩ .

(٢) ديوان الرضي ١/١٦٢ .

(٣) قصيدة رثاء الأخت المعمّرة في ديوان المرتضى ٣/١٨٦ .

(٤) شروح سقط الزند ٣/٢٩٧* - ١٣٠١ وحسن كامل الصيرفي . مقدّمة طيف الخيال ص/٢ .

(٥) ويؤكد هذا الرأي عبد الرّزاق محي الدين في أدب المرتضى ص/٠٤٧ فيقول : ان=

ثانيا ـ شقيقه المرتضى :

١ ـ مكانته : هو أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي ، ولد سنة **٣٥٥ / ٩٦٥** ، أي أنه يكبر الرضي بأربع سنوات ، وقد طال عمره ، فتوفّي سنة **٤٣٦ / ١٠٤٦** ، في الخامس عشر من ربيع الأول ، ودفن في داره ، ثم نقل الى كربلاء ، فدفن عند أبيه وأخيه ، وقبورهم ظاهرة مشهورة[١] .

وكان يشارك الرضي في النيابة عن أبيه في المناصب التي تناط به : من نقابة ، وامارة حجّ ، ونظر في المظالم ، كما أنّه كرّم يوم قلّد الرضي النقابة سنة **٣٨٠ / ٩٩٠** ، ولقّب بذي المجدين ، يوم لقّب الرضي بذي الحسبين سنة **٣٩٦ / ١٠٠٥** وبعلم الهدى[٢] . وبعد وفاة أخيه الرضي ، تقلّد مناصبه : من نقابة للطالبيّين وامارة حجّ وديوان مظالم[٣] .

وقد سلك المرتضى طريقا غير الطريق التي سلكها الرضي ، فلم يخض غمرات السياسة في حياة أبيه وأخيه ، وانما فرغ الى العلم

= المرتضى أنجب ولدا كنّاه أبا محمّد توفي سنة ٤٤٣/١٠٥١ وبوفاته انقرض به بيت الشريف المرتضى علم الهدى ، ويعلّق في حاشية الصفحة قائلا : وقد لقّبه المعزّي بالأطهر المرضي وجعله ندّا لعمّه وأبيه حين رثى أبا أحمد الموسوي . ويعزّز هذا الاعتقاد أيضا ايراد الخوانساري لأولاد أبي أحمد ، وقول التبريزي شارح سقط الزند .

(١) ابن خلكان . **وفيات الأعيان** ٤/٤٢٠ ـ الخوانساري . **روضات الجنات** ، ٦/٣٨٥ .

(٢) ابن الجوزي . **المنتظم** ٧/٢٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ٧/٢٧٦ .

يحصّله ، والى الكتب يؤلّفها ، والى تلامذته يعلّمهم ويملي عليها . أما الرضيّ فبرغم اشتغاله بالعلم اشتغالا يبهر ويدهش ، كان جلّ اشتغاله بالمجد الذي أضناه ، والسياسة التي طمح اليها وهو فتى صغير ، والخلافة التي كانت منتهى آماله[1] . بذلك تباعد الأخوان في مجال الصراع فلم يكن واحد ينافس الآخر بما هو فيه . كان المرتضى عظيم القدر جليلا ، وقد ألّف عددا كبير من الكتب ، دلّت على مقامه ومكانته . ومن مؤلفاته : (**الانتصار**) في الفقه ، و (**الأمالي**) التي تسمّى « الغرر والدّرر » و (**الشّهاب في الشيب والشباب**) و (**طيف الخيال**) و (**الشّافي**) وغيرها . . . وهو شاعر مكثر يقع ديوانه في ثلاثة أجزاء ، وقيل : له عشرون ألف بيت من الشعر[2] . وكانت داره تغصّ بالعلماء وطلّاب الأدب وروّاد العلم والمعرفة من شتّى الجهات الاسلامية ، وقد اجتمع لديه من فنون العلوم وضروب الآداب ما قلّ أن يجتمع لسواه ، وضرب فيها جميعا بسهم وافر ، فكان فقيها انتهت اليه رئاسة الفرقة الامامية في عصره بعد وفاة أستاذه الشيخ المفيد محمّد ابن محمّد بن النعمان سنة ٤١٣ / ١٠٢٢ . ونصّب نفسه للفتيا ، فشدّت اليه الرّحال ، ووفدت اليه الناس من كل صقع ، ووضع لكلّ كتابا ، فهذه المسائل الدّيلميّة ، وتلك المسائل الطّوسيّة ، وهذه المسائل المصرية والموصليّة وهكذا . . .[3] . وحذق في علم الكلام وأصول

---

(١) عبد الفتاح الحلو . **مقدّمة ديوان الرضي** ١/٢٣ .

(٢) عبد الرّزاق محي الدين . **أدب المرتضى** ص/٥١ ـ ومحمّد أبو الفضل ابراهيم . **مقدّمة أمالي المرتضى** ١/١٠ .

(٣) عبد الرّزاق محي الدين . **أدب المرتضى** ص/٤٧ . وحسين النوري . **مستدرك الوسائل** ، ٣/٥١٢ .

الجدل ، فحاجّ النظراء والمتكلّمين ، وناظر المخالفين ، وكتابه (**الشّافي**) حجّة على طول باعه في الجدل[١] .

وقد أوفاه حقه كل من الثعالبي الذي استحسن رقّة شعره وحلاوته[٢] ، وابن حجر العسقلاني[٣] ، وأبو العلاء المعرّي في رواية الخوانساري[٤] ، ونصير الدين الطوسي[٥] ، وحتى الأندلسيون أمثال ابن بسّام[٦] .

---

(١) بحر العلوم . **الرجال ٣/٣٥** . وعبد الرزاق محي الدين . **أدب المرتضى** ص/٥١ .

(٢) الثعالبي . **تتمّة اليتيمة ٤/٥٣** .

(٣) ابن حجر العسقلاني . **لسان الميزان ٤/٢٢٣** . وذكر قول أبي اسحاق الشيرازي في وصف المرتضى : فقد كان ثابت الجأش ينطق بلسان المعرفة ويردّد الكلمة المسدّدة فتمرق مروق السّهم من الرمّية ، ونقلاً عن بعض الامامية ، كان المرتضى أول من بسّط كلام الامامية في الفقه وناظر الخصوم واستخرج الغوامض وقيّد المسائل . . . .

(٤) نقل الخوانساري وبحر العلوم الطباطبائي مدح المعرّي للمرتضى عندما حضر مجلسه فقال :

يا سائِلي عنه لمّا جئتُ أسأله ... فانّه الرَّجل العاري من العار
لو جئته لرأيت الناس في رجلٍ ... والدَهر في ساعةٍ والأرض في دار

الخوانساري . **روضات الجنات ٦/٣٨٥** ـ وبحر العلوم . **الرجال ٣/٣٦** .

(٥) كان نصير الدين الطوسي يقول : اذا جرى ذكر المرتضى في درسه للقضاة والمدرّسين الحاضرين : كيف لا يصلّي على المرتضى ؟ الخوانساري . روضات الجنات ٦/٣٨٦ ترجمة المرتضى .

(٦) أثنى عليه ابن بسام الأندلسي **الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة** . فكان المرتضى امام أئمة العراق ، عنه أخذ عظماؤها وله تصانيف في أحكام المسلمين ، وكان شاعرا وله ديوان شعر .
وقد نقل عنه هذا الثناء كل من : ابن خلكان . **وفيات الأعيان ٤/٤٢٠** واليافعي في **مرآة الجنان ٣/١٨** .

٢ ـ علاقته به :

كان الشريفان الشقيقان على أحسن ما يكون بين الأخوة المتحابّين المتوادّين . وكثيرا ما مدح الرضي أخاه الأكبر بقصائده التي تنبيء عن هذا الود ، وأوّل قصيدة للرضي فيه كانت سنة ٣٧٤ / ٩٨٤ ، حيث أعدّ قصيدة ليهنّئه بمولود ذكر فلم يتّفق له ذلك ، وجاء في البيت الخامس والأربعين من تلك القصيدة :

أبا قاسمٍ حَلاّك بالشعرِ ماجدٌ عليكَ له حتى المماتِ رصائعُ[1] .

وللرضي بعد هذا قصائد عديدة في أخيه ، في التهنئة والعتاب ، تدلّ على ما كان بينهما من آصرة قويّة ومحبّة أكيدة .

ولكنّ هذه العلاقة الأخوية الطيّبة ، قد عرض لها يوما ما غبّر وجهها ، فنرى الأخوين يتعاتبان بشعر عاطفيّ مؤثّر . ولم تحدّثنا كتب التراجم عن أسباب الجفوة والخلاف الذي نشأ بين الأخوين . ولكنّنا نعرف من وقائع الأمور أنّهما لم يكونا منسجمين كل الانسجام بسبب اختلاف مذاهبهما في الحياة ومقاصدهما .

ويمكن القول أن جمهور الرضي كان من أهل الأدب بشكل عام ، بينما كان جمهور المرتضى من أهل العلم . وتظهر المنافسة بينهما بوضوح ، لأن المرتضى كان عالما جليلا ، ولأن الرضي كان شاعرا مجيدا . فقد كان الشقيقان يحملان من المؤهّلات العلمية والأدبية ، ـ فضلا عن المركز الاجتماعي المرموق ـ ما جعلهما يتنافسان ويختلفان في مسالك الحياة .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٦١٠ .

ففي حين انصرف المرتضى الى العلوم الدينية والفقهية حتى برع فيها جميعها ، ونال شهرة عظيمة ، كان الرضي يطمح في الوصول الى أعلى المراكز السياسية ، وينشد المجد والمعالي بهمّة عالية واندفاع شديد ، حتى أرقّة المجد ، وناضل طيلة حياته في سبيل الوصول الى غاياته وأمانيه ، فمن هنا يتبيّن لنا الاختلاف في آمال الشّقيقين . وأدّى ذلك كلّه الى الكدر والجفاء بين الأخوين . ويبدو أن السبب المباشر في هذا الجفاء هو اغتياب المرتضى في أحد مجالسه لأخيه الرضي وعدم ذكره بالخير ، ممّا دفع الرضي الى الهجوم على شقيقه ، ولم يرد هذا المورد الاّ بعد أن طفح الكيل وعزّ الوفاق ، وبعد أن ضاقت في وجهه مسالك الصفح الجميل . لقد عرف الرضي مرحلة قاسية وصعبة في حياته عند اختلافه مع شقيقه ، وشعر بالحزن والأسف الشديد ، ونظم في ذلك قصيدة ضادية عبّر عن آلامه وما جاش به صدره وجاء فيها :

فعذراً لأعدائي ، إذا كان أقْربَي ... يُشذِّبُ من عودي ويَعرقُ من نَحضي
إذا ما رمى القريبُ بسهمِهِ ... عذرتُ بعيدَ القومِ امّا رمَى عِرضي[1]

ولكنّ الجفوة لم تطل بين الأخوين ، فكتب المرتضى الى أخيه الرضي قصيدة جيّدة منها :

تَكشّف ضلّ العَتب غُرة العَهدِ ... وأعدى اقترابُ الوَصلِ منّا على البُعدِ
هلّم نُعد صفو الوِدادِ كما بدا ... اعادَةَ من لم يُلفِ عن ذاك من بُدّ
ومُثلكَ أهدى أن يُعادَ الى الهُدى ... وأرشدُ أن ينحازَ عن جهةِ القَصدِ[2] .

فانعطف الرّضي عندما وصلت اليه هذه القصيدة ، وجنح الى

---

(١) ديوان الرضي ١/٥٨٣ . يعرق من نحضي : يأكل من لحمي أكلا بالغا .
(٢) رشيد الصّفار . محقّق ديوان السيد المرتضى ١/٢٥٥ .

السلم . وأرسل الى أخيه قصيدة طويلة منها :

عجبتُ من الأيامِ انجازَها وعَدي ٍ وتقـريبها ما كانَ منّي على بُعدِ
مَنحتكَ ما عندي من الصدّ مُعلناً وعقدُ ضميري أن أدوم على الوُدِّ[1]

وقد أثّر المرتضى في توجيه شعر الرضي ، والتقيا على كثير من الآراء ، وتتلمذا معا على بعض المشايخ . ولم يكن من الممكن التنويه بالرضي ، دون التنويه بأخيه . لذلك اعتبرهما الخلفاء والسلاطين والناس « كركبتيْ البعير الأَدْرَم » تقعان على الأرض معا ، وسَوّوُا بينهما في أكثر الأمور والوظائف[2] .

وهناك قصّة تروي للمفاضلة بين الشريفين[3] ، توافق خلق

---

(١) ديوان الرضي ١/٣١٧ .

(٢) احسان عبّاس . الشريف الرضي ، ص/٩٥ .

(٣) جرت مع فخر الملك محمّد بن خلف وزير بهاء الدولة ، وقد ساق هذه القصة ابن أبي الحديد ، وقد ذكر ابن عنبة وابن معصوم القصّة مروية عن أبي اسحاق الصابي ، ومحورها : أنّ الوزير استقبل الرضي استقبالا عظيما وانصرف اليه ، وترك كل ما في يديه ، بينما لم يهتم كثيرا بزيارة المرتضى ولم يعظّمه ذلك التعظيم . وفي رواية ابن عنبة أنّ القصة حدثت مع الوزير أبي محمّد المهلبّي ،وقد زاد على رواية ابن أبي الحديد : أن الوزير ردّ المال على الرضي ليفرّقه في طلبة العلم ، فلم يأخذوا منه شيئا ، الاّ قطعة ، اقتطعها أحدهم من دينار ليقضي دينا استدانه لدهن السّراج . وروى الخوانساري القصة نقلا عن الصابئي أيضا وذكر أن الوزير هو أبو محمّد المهلبي ، وأدمج فيها رواية أبي حامد الاسفراييني . ورواية القصة أنها حدثت مع الوزير المهلبي الذي حرّف اسمه الى المهدي ، كما في الدرجات الرفيعة وعمدة الطالب ، خطأ تاريخي لأن المهلبي مات سنة ٣٥١/٩٦٢ كما يذكر ابن الجوزي ، أي قبل ولادة الرضي بثمان سنوات . وقد نقد هذه القصة المضطربة عبد الرّزاق محي الدين من جهة سندها وروايتها ، واستبعد أن يسجّل محمّد بن ادريس الحلّي الامامي ـ وهو من رأى المرتضى ـ هذه المنقصة ، كما كما ذكر أن الاسفراييني كان داخلا في العداوة بين السّنة والشيعة . =

الرضي وما عرف عنه من عزّة نفس وإباء ، كما توافق انصراف المرتضى الى علمه وحرصه على ماله ، ينفقه على طلبة العلم ، واقتناء الكتب ، وهو أمر لا غرابة فيه ، وقد مُدح به المرتضى على مرّ التاريخ[1] .

وعلى كل حال ، فان تقديم الرضي على المرتضى لا يقلّل من شأن هذا الأخير ، ومكانته ، ولا من سموّ روحه ، فقد أجمع معظم المؤرخين على مقامه الاجتماعي والديني ، وعلى منزلته العالية في زعامة الفرقة الامامية .

رابعاً ـ أقارب الرضي :

١ ـ علاقة الرضي بخاله الناصر :

لم نعرف من أخوال الرضي غير رجل واحد ، هو أبو الحسين أحمد ابن الحسين ، أخو فاطمة بنت الحسين أم الرضي ، والملقّب بالناصر الصغير . ولم تفصح كتب التاريخ والأنساب عن مكانته . ويظهر من قصائد الرضي فيه ، أنه كان حفيّا بابن أخته ، يشدّ عضده في النوائب ، ويقف الى جواره في الملمّات . وللرضي فيه بضع قصائد ،

= وذكر أنّ علاقة فخر الملك بالمرتضى كانت قوية جدا ، فضلا عن اضطراب رواية القصة والاختلاف في تحديد الوزير الذي جرت عنده ، ونقد القصة أيضا رشيد الصفار على نحو مشابه لما ذهب اليه عبد الرّزاق محي الدين . يؤكد ذلك كلّه اختراع القصة واختراع راويها ـ ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ١٣/١ ـ ابن عنبة . **عمدة الطالب** ص/٢٠٩ . ـ ابن امعصوم . **الدرجات الرفيعة** ص/٤٧٩ ـ الخوانساري . **روضات الجنات** ٥٥٠/٦ ـ ابن الجوزي . **المنتظم** ٠٩/٧ . رشيد الصّفار . **مقدّمة ديوان المرتضى** ، ص/٤٨ . عبد الرزّاق محي الدين . **أدب المرتضى** ، ص/٤٧ .

(١) رشيد الصّفار . **مقدّمة ديوان المرتضى** ، ص/٥١ .

منها قصيدة يهنّئه فيها بمولودة ويقول له في آخرها :

أبا الحسين أعِر شعري اصاخَة مَن يَروى مسامعَه من مِسمعٍ عَجَب
إذا مـدحتُك لم أمنُن عليـكَ بـه فالمدحُ باسمِكَ والمعنى به نَسبي[1] .

فعتب عليه خالـه لهذا البيت الأخـير ، اذ فهم منه أنـه لا يمدحـه ، وانما يمدح نفسه ، فكتب اليه قصيدة أخرى يعتذر منه ، ممّـا انساق اليـه فهمه ، ويقول مشيرا الى ذلك :

مالي تُسفّهُ أشعاري التي شَهِدت أنّي ببعضِ فخارٍ منكَ أفتخِرُ[2] .

ثم هنّأه بقصيدة ثالثة بمولود ذكر رزقه .

وتوفي ذلك الخـال في رجب سنـة ٣٩١ / ١٠٠٠ ، فـرثـاه الـرضي بقصيدة مطلعها :

لنـا كلُّ يـومٍ رنّـةٌ خلفَ ذاهبٍ ومُستهلَكٍ بين النّوى والنّوادِبِ[3] .

وهي قصيدة طويلة تحدّث فيها عن الحيـاة والموت ، ومـدح أخوالـه معدّدا مآثرهم .

٢ ـ عمّ الرضي :

مرّ بنا أنّ أبا أحمد الحسـين بن موسى ، وأخـاه أبا عبـد الله أحمد ، تـركا البصـرة ، وتوطّنـا بغداد معتـرك السياسـة في ذلك الـوقت ، وقـد خاض الرجلان غمار الحياة فيهما ، وأصبح لهما شأن استأثر فيه أبـو أحمد بالنصيب الأوفى ، ولم يرد ذكر أبي عبد الله الاّ حين قبض عليه مـع أخيه

---

(١) ديوان الرضي ١/١٠١ .
(٢) المصدر نفسه ١/٤٦٤ .
(٣) ديوان الرضي ، ١/١٤٦ .

أبي أحمد سنة ٣٦٩ / ٩٧٩ ، عضد الدولة ، وحين ورد بغداد أيضا مع أخيه في صحبة شرف الدولة سنة ٣٧٦ / ٩٨٦ ، بعد أن أطلقهما ، ويدل اعتقال عضد الدولة له مع أخيه على أنه كان ذا شأن يرهبه في بغداد ، أو أنّ العضد رأى في تركه طليقا ضررا يلحقه ، فقد يقوم أبو عبد الله بتنفيذ سياسة أخيه أبي أحمد مدّة اعتقاله ، وقد أشاد الرضي بموقف عمّه في هذه المحنة في قصيدة طويلة جاء فيها :

وساعَدَهُ يومَ استقلَّ ركابَهُ ... أخوهُ ، وقالَ البينُ : نعمَ المساعدُ
هما صَبرا ، والحقُّ يركبُ رأسه ... عشيّة زالتْ بالفروعِ القواعدُ[1]

وكانت وفاة أبي عبد الله عمّ الرضي في ربيع الآخر سنة ٣٨١ / ٩٩١ ، فرثاه وعزّى والده عنه بقصيدة يقول فيها :

لقد ذهبَ العيشُ الرقيقُ بذاهبٍ ... هو الغاربُ المَجزولُ من ذروةِ المجدِ
وإنّي وانْ قالوا مضَى لسبيله ... وهِيلَ عليه التُّرْبُ من جانبِ اللَّحدِ
كساقطةٍ احدى يدَيْهِ ازاءَهُ ... وقد جَبّها صَرْفُ الزمانِ من الزَّنْدِ[2]

ج ـ أثر النسب والأسرة في تكوين شخصيّته :

كانت عُلْية المجتمع البغدادي في القرن الرابع الهجري تنقسم الى فئات : فئة تعتزّ بشرفها ونسبها ودمها ، كالعلويين والعباسيّين والبويهيين والمهلّبيين . . . وفئة تعتزّ بمناصبها في الدولة كالوزراء والقادة ورؤساء الدّواوين ، وفئة تفاخر بعلمها ودينها وأدبها كرجال المذاهب من فقهاء ومتكلّمين ، وكرجال الأدب من ناثرين وشاعرين[3] .

---

(١) المصدر نفسه ، ١/٣٠٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ١/٣٧٧ ـ وعبد الفتاح الحلو . مقدّمة ديوان الرضي ١/٢٤ .
(٣) عبد الرزاق محي الدين . أدب المرتضى ص/٢٧ . وأحمد أمين . ظهر الاسلام =

وكان الرضي في صميم الأسرة العلوية ، فالنسب العلويّ يصعد به عن طريق أبيه الى الامام موسى الكاظم سابع أئمة الامامية ، والدّم الثائر يصل به عن طريق أمه الى الحسن الأطروش الكبير صاحب الدّيلم وطبرستان والقرشيّة الصريحة تأتيه من رسول الله عن طريق ابنته فاطمة ، وهي قربى طالما اعتزّ بها العلويين على الخلفاء من بني العباس ، أضف الى ذلك الخؤولة لبني بويه عن طريق أمه ، وكانوا ملوك العصر وسادات المجتمع في ذلك الوقت ، فضلا عن المناصب في الدولة ، فقد كان أبواه لأمه وأبيه نقيبين وأميرَيْ حجّ ، ووالِيَيْ مظالم ، وسفيريْ ملوك ، زد على ذلك المركز الديني والعلمي والأدبي الذي امتاز به الرضي . كانت هذه الرّوافد تفيض على الشريف بالجاه والمنعة ، وتمدّه بوسائل الاعزاز والاكرام . وقد غذّت طموحه الى المجد والعلا ، وتركت فيه نفسا فاخرة طبعتْ أدبه بميسم خاص .

فقد برز الرضي للمجتمع البغدادي في سنّ مبكّرة ، ففي حياة أبيه عيّن نائبا عنه في نقابة الطالبيين ، والنظر في المظالم وامارة الحجّ ، وهو شاب فتيّ لم يتجاوز الواحدة والعشرين من عمره[1] .

د ـ زواجه وعقبه :

لا يُعرف بالتحديد متى تزوّج الرضي ، وان كان الظن الغالب أنه تزوّج مبكّرا قبل أن يصبح نقيبا سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ ، فان هذا المنصب

= ١٢٢/١ . وعبد الفتاح الحلو . مقدّمة ديوان الرضي ١٥/١ .

(١) ابن الجوزي . المنتظم ٢٧٩/٧ ، حيث ذكر في حوادث سنة ٣٨٠ هـ : فمن الحوادث فيها أنه قلّد أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقابة الطالبيين ، وامارة الحجّ ، وكتب عهده على جميع ذلك ، واستخلف له ولديه : الرضي والمرتضى ، وخلع عليهما من دار الخلافة .

ـ لجلالة قدره وعلو منزلته ـ لا يعطى الاّ لرجل مُحْصَن ، يثق الناس في أهليته له .

ولا تفصح المصادر ممّن تزوّج الرضي ، ولكن يفهم من كلام ابن عنبه عن أبي الحسن محمد التقي السّابسي[1] الذي عيّن نقيبا ، عندما عزل أبو أحمد الموسوي سنة ٣٨٤ / ٩٩٤[2] ، كان الرضي ختنه[3] ، من هنا نستنتج أنّ الرضي تزوّج بنت السابسي ، وأنّ هذا الزواج تمّ قبل عزل الرضي عن النقابة ، ولعلّ هذا الزواج تمّ قبل سنة ٣٨٠ هـ ، التي ولي فيها النقابة وهذا ما نرجّحه .

وقد بذل الرضي بعد هذه الزّيجة محاولتين أخريين ، وكان زواجاً سياسيا في كلتا المرتين ، الأولى عندما خطب بنت الوزير أبي نصر سابور بن أردشير ، وكان ذلك قبل وزارة سابور الثالثة لبهاء الدولة سنة ٣٨٦ / ٩٩٦ ، بل وقبل وفاة أبي اسحاق الصابئي الذي كتب عقد الزواج[4] .

ولكن الأمور ساءت بين أبي نصر والشريف أبي أحمد بسبب مشورة الأخير لبهاء الدولة في تولّي الوزارة ، فيرسل الرضي إلى أبي نصر بقصيدة يطلب اليه أن يعود الى حلمه وأنّ يرعى جانب القرابة التي نشأت بينهما ، ونفهم من مقدّمة القصيدة في الديوان[5] بأن العقد

---

(١) السابسي أو النهرسابسي ، نسبة الى سابس ، وهي قرية مشهورة قرب واسط ، على طريق القاصد بغداد منها على الجانب الغربي . ونهر سابس فوق واسط بيوم عليه قرى . ياقوت . معجم **البلدان** ٣/٤ .

(٢) وكان ينوب عنه فيها ابناه الرضي والمرتضى ، ابن الأثير . **الكامل** ٩/١٠٥ .

(٣) ابن عنبه . **عمدة الطالب** ، ص ٢٨ .

(٤) عبد الفتاح الحلو . مقدم **ديوان الرضي** ١/٢٥ .

(٥) قصيدة في ديوان الرضي ١/٢٩١ ومنها :

وحامِ على ما بيننا من قرابةٍ فانّ الذي بيني وبينَكَ شاهِدُ

انفسخ ، وأنّ الرضي فشل بمحاولته .

أما المحاولة الثانية فكانت على بنت الوزير أبي علي الحسن بن محمّد ابن اسماعيل الموفّق وزير بهاء الدولة[1] . وذلك قبل سنة ٣٩٠ / ٩٩٩ ، تلك السنة التي قضاها الموفق في الحروب بفارس ، والتي أرسل له الرضي فيها بقصيدتين ، ويذكره في الأولى[2] بالحرمة التي ستربط بينهما عن طريق المصاهرة . ولقد دفع الرضي الى هذه المصاهرة مكانة الموفّق المرموقة لدى بهاء الدولة . حتى قال قائل له : « زيّنك الله يا مولانا في عين الموفّق » ، ولكنّ عقد المصاهرة هذا انفسخ أيضا لأسباب مختلفة ، وربّما كان أقواها تغيّر بهاء الدولة على الموفّق سنة ٣٩٠ / ٩٩٩ ، ثم قبضه عليه سنة ٣٩٢ / ١٠٠١ ، وقتله سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣[3] . وهكذا خاب سعي الرضي في هاتين الزّيجتين السياسيتين ، وباء جهده بالفشل .

لم نعرف من عقب الرضي الاّ ولده عدنان الذي ولد سنة ٤٠٠ / ١٠٠٩[4] ، وكنّي بكنية جدّه ، ولقّب بلقبه ، فكان يدعى أبا أحمد الطاهر ذا المناقب[5] . وقد تولّى نقابة الطالبيين بعد وفاة عمّه الشريف

---

(١) عبد الفتاح الحلو . مقدّمة ديوان الرضي ١/٢٧ .

(٢) القصيدة في ديوان الرضي ١/٦٩ ومنها :

وأقْـربُ مـا بيني وبينَـكَ حرمـةً تَـداني نفـوسٍ ودُّهـا وحِبـابُهـا

(٣) ابن الأثير . الكامل ٩/١٦٠ ـ ١٦٢ . وابن الجوزي . المنتظم ٧/٢١٩ ـ ٢٢٨ .

(٤) ابن الأثير . الكامل ٩/٢١٩ ـ وابن عنبة . عمدة الطالب ، ص/٢١١ .

(٥) ابن معصوم . الدرجات الرفيعة ص/٤٨٠ . حيث ذكر : « كانت الملوك من بني بويه تعظّمه كثيرا ، وتراه بالعين التي كانت ترى أباه وعمّه وجدّه ، ورأيت في مشجرة معتمد عليها أنّ أبا أحمد عدنان المذكور أولد ولدا اسمه علي ، لكنّه درج ولم يعقّب ، فانقرض بانقراضه عقب الشريف الرضي » .

المرتضى سنة ٤٣٦ / ١٠٤٤[١] . وكان يقوم بالمهمّات التي قام بها جدّه أبو أحمد الحسين من قبل[٢] .

وقد وافاه أجله سنة ٤٤٩ / ١٠٥٧[٣] . وانقرض بانقراضه نسل الشريف الرضي . وكان عدنان كما قال أبو الحسن العمري : « الشريف العفيف المتميّز في صلاحه وصواب رأيه ، يعرف علم العروض ، وأظنّه يأخذ ديوان أبيه ووجدته يحسن الاستماع ويتصوّر ما ينبذ اليه »[٤] .

ولم يعرف للرضي نسل من الاناث[٥] .

هـ ـ وفاته ومدفنه ورثاء الشعراء له :

فارق الرضي الحياة وهو في أوج شبابه ، وعنفوان فيضانه الأدبي والروحي ، فتوفّي يوم الأحد ٦ محرّم ٤٠٦ / ٢٦ حزيران ١٠١٦[٦] ،

---

(١) ابن الجوزي . **المنتظم** ٨/١١٩ ـ وابن الأثير . **الكامل** ٩/٥٠٦ .

(٢) منها : قام بكشف فتنة في بغداد بين السّنة والشيعة سنة ٤٤٣/١٠٥١ . وفي سنة أهل الكرخ للغز عسكر طغرلبك وفي سنة ٤٤٨/١٠٥٦ حضر عقد نكاح أرسلان خاتون واسمها خديجة ابنة داود أخي طغرلبك على الخليفة القائم بأمر الله . ابن الأثير . **الكامل** ٩/ ٥٧٦ ـ ٦١٢ ـ ٦١٧ .

(٣) ابن الجوزي . **المنتظم** ٨/١٨٩ ـ وابن الأثير . **الكامل** ٩/٦٣٨ .

(٤) ابن عنبة . **عمدة الطالب** ص/٢١١ . نقلا عن أبي الحسن العمري صاحب **المجدي في أنساب الطالبين** . ولكن لماذا لم يهنّىء المرتضى أخاه بمولد ولده عدنان ؟ ربّما كان السبب في هذا أنّ عدنان ولد في السنة التي مات فيها أبو أحمد والد الرضي والمرتضى ، وقد عمّ الأسرة حزن شامل ، فلم يلتفت أحد الى مولده .

(٥) عبد الفتاح الحلو . **مقدّمة ديوان الشريف الرضي** ١/ ٢٩ .

(٦) الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** ٢/٢٤٧ ـ ابن الجوزي . **المنتظم** ٧/٢٨٢ . ابن خلكان . **وفيات الأعيان** ٤/ ٤١٩ ـ ابن عنبه . **عمدة الطالب** ص/٢١٠ . الخوانساري . **روضات الجنّات** ٦/٥٤٨ ـ ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ص/٤٧٨ .

عن سبع وأربعين سنة ، اذ كانت ولادته سنة ٣٥٩ / ٩٦٩[١] .

وقد تساءل أديب التقيّ عن السبب في قصر عمر الرضي ، وهو من أسرة معمّرة ، فوالده بلغ السابعة والتسعين ،وأخوه مات عن احدى وثمانين سنة . وعزا هذا ـ في تقديره ـ الى مرض مفاجيء دهمه بالموت قبل أن يعالج ، ثم ساق ما ذكره « كرنكو » من أنّ الرضي كان ضعيف البنية[٢] .

وعلّق عبد الفتاح الحلو وعلى هذا الموضوع قائلا : « ولست أدري من أين استقى كرنكو قوله : أنّ الرضي كان ضعيف البنية ، بل أنه ذكر أيضا أنّ المرض اشتدّ عليه اشتدادا خطيرا ، سنة ٤٠٣ / ١٠١٢ في جمادي الأولى حتى يئس الناس من حياته ، بيد أنه ما انقضى شهران حتى أبل من مرضه الى حدّ أنه استطاع أن يرسل في شهر رجب قصيدة أخرى الى سلطان الدولة في أرّجان » . وواضح من هذا أنّ الأمر اختلط على كرنكو ، فالذي مرض حتى يئس الناس منه هو بهاء الدولة لا الرضي[٣] .

وقد أورد ابن معصوم والخوانساري قصة في انشاء الرضي لبيتين من الشعر أكمل بهما عمل أخيه المرتضى[٤] ، نقلاها عن أبي الحسن

---

(١) اعتقد احسان عباس خطأ أنّ الرضي توفي عن قرابة اثنين وأربعين عاما . احسان عباس . **الشريف الرضي** ص/١٤٤ .

(٢) عبد الفتاح الحلو . **مقدّمة ديوان الشريف الرضي** . نقلا عن أديب التّقي . **الشريف الرضي** ص/١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٣) عبد الفتاح الحلو . **مقدّمة ديوان الشريف الرضي** ١/١١٨ ـ كرنكو . **دائرة المعارف الاسلامية** ١٣/٢٨٥ .

(٤) ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ص/٤٦٨ ـ ٤٦٩ ـ والخوانساري . **روضات الجنات** ٦/٥٤٨ .

العمري . وقد ذكر تلك الحكاية الشيخ يوسف البحراني أيضا[1] .

وهذه الحكاية التي أوردها أبو الحسن العمري في كتابه (**المجدي في أنساب الطالبيين**) لا مجال لردّها ، أو الطعن بها ، فصاحبها سيد جليل ثقة ، معاصر للشريفين ، وهي مع ذلك كثيرة الغرابة ، وقد صيغت لبيان بديهة الرضي ، وقوّة حدس المرتضى . وعلى كل حال ليس لهذا ولأمثاله يد في أجل انتهى .

ولّما توفّي الرضي حضر الوزير فخر المُلك وجميع الأشراف والقضاة

---

(١) حكى أبو الحسن العمري قال : « دخلت على الشريف المرتضى فأراني بيتين قد عملهما وهما :

سَرى طيفُ سُعْدى طارقاً فاستفزّني هُبوباً وصحبي بالفَلاةِ رُقودُ
فقلتُ لِعيني عاودي النومَ واهْجعي لعلّ خيالاً طارقاً سَيعودُ

فعدت الى المرتضى بالخبر فقال : يعزّ عليّ ، أخي قتله الذكاء ، فما كان الّا يسيرا حتى مضى الرضي لسبيله » . يوسف البحراني . **لؤلؤة البحرين** ص/١٠ ـ ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ص/٤٦٩ . وقد ذكر ابن معصوم أن أبيات المرتضى ثلاثة والبيت الثاني هو :

فلمّا انْتَهينا للخيالِ الذي سرى اذ الدارُ قفْرى والمَزارُ بَعيدُ

كما جاءتْ ثلاثة أبيات عند الخوانساري في **روضات الجنات** ٦/٥٤٨ . ولم تُذكر هذه الأبيات في ديوان المرتضى المطبوع . كما لم تذكر أبيات الرضي في ديوانه المطبوع ، وجاء في روضات الجنات :

« فأتيت بها الى المرتضى فلمّا قرأها ، ضرب بعمامته الأرض وبكى وقال : يعزّ عليّ أخي يقتله الفهم بعد اسبوع ، فما دار الاسبوع الّا وقد جاء نعي الرضي ، ومضى الى سبيله » . الخوانساري . **روضات الجنات** ٦/٥٥٠ .

أما أبو الحسن العمري ، فهو الشريف علي بن محمّد بين علي العلوي العمري نسبة الى عمر الأشرف ، يلقب بابن الصوفي وهو شيخ النّسابين ، وهو صاحب « **المجدي في أنساب الطالبين** » . عبد الرزاق محي الدين **أدب المرتضى** ص/٢٢٥ .

والشهود والأعيان ، وصلّى عليه الوزير في الدار مع جماعة أمّهم أبو عبد الله بن المهلوس العلوي[1] . ثم دخل الناس أفواجا عليه ، ودفن في داره الكائنة في محلّة الكرخ بخط مسجد الانباريين[2] . ولم يشهد جنازته أخوه المرتضى ولم يصلّ عليه ، لأنه لم يستطع النظر الى تابوته ، فخرج من جزعه عليه الى مشهد الامام موسى الكاظم بمقابر قريش . ومضى فخر الملك بنفسه آخر النهار الى أخيه المرتضى بالمشهد الكاظمي فعزّاه وألزمه بالعودة الى داره ، وقد حفظ له المرتضى هذا الصنيع ، فذكره في قصيدة رثائه لشقيقه :

مَن مُبلغٌ فخرَ الملوكِ بأنّني للفضلِ من نُعماهُ لستُ بناسِ[3] .

ويذكر ابن عنبه أن جثمان الرضي نقل بعد ذلك الى مشهد الامام الحسين بكربلاء فدفن عند أبيه ، وقبره ظاهر معروف[4] .

أما الخوانساري فقد زاد في نقله عن ابن عنبه بعد قوله : « وقبره ظاهر معروف » قوله : « هناك قريبا من الرّوضة المنوّرة »[5] .

---

(١) ويعقّب الشيخ النّوري على مسألة الصلاة على جثمان الرضي قائلا : « لا أدري كيف صلّى عليه فخر الملك مع وجود الشيخ المفيد ـ شيخ الطائفة ـ الاّ أن يكون في هذه الأيام في مشهد الحسين ، لكونها أيام زيارته ، والله العالم » .
حسين النوري . **مستدرك الوسائل** ، ٣/٥١٠ .

(٢) ابن الجوزي . **المنتظم** ٧/٢٨٢ ـ ٢٨٣ ـ ابن خلكان . **وفيات الأعيان** ٤/٤١٩ . الصفدي . **الوافي بالوفيّات** ٣/٣٧٨ ـ الشيخ الأميني . **الغدير** ٤/١٨٥ .

(٣) من قصيدة المرتضى في رثاء أخيه الرضي ، عبد الفتاح الحلو . مقدّمة **ديوان الشريف الرضي** ١/١٢٠ .

(٤) ابن عنبه . **عمدة الطالب** ص/٢١٠ ـ ٢١١ ، وعنه نقل صاحب **الدرجات الرفيعة** ، وصاحب **روضات الجنات** ، وصاحب **الغدير** .

(٥) الخوانساري . **روضات الجنات** ، ٦/٥٥٠ .

تضاربت الآراء حول مكان مدفن الرضي ، ففئة من المؤرخين تقول : انّ الرضيّ دفن في داره بالكرخ ، وأنّ الدار التي دفن فيها خربت وأن القبر دثر[1] . وفئة تقول : انّ للرضي وأخيه المرتضى ضريحين قائمين حتى اليوم في الكاظمية ، في العراق ، قرب مرقد الامام موسى الكاظم ، تسرج فيهما المصابيح ليلا ، ويقصدهما العامّة للتبرّك وقراءة الفاتحة ، وقد تعاقبت الأيدي على هذا الأمر منذ زمن بعيد[2] .

يقابل ذلك أقوال فئة من المؤرخين والمحقّقين الذاهبين الى أنهما ليسا مرقدي الشريفين ، وأنهما دفنا في كربلاء عند ضريح الامام الحسين[3] .

وازاء هذا التناقض في الأقوال ، ولازالة اللّبس والغموض عن هذه القضية ، عمدت الى مراجعة تلك الآراء وتمحيصها بدقّة فاستنتجت ما يلي :

أولا : هناك ما يشبه الاجماع بين المؤرخين على أنّ الشريف الرضي دفن في داره ، وموقع داره ليس حيث يوجد مرقده الآن .

---

(١) من هؤلاء : ابن خلكان . **وفيات الأعيان** ٤/٤١٩ ـ وابن العماد الحنبلي . **شذرات الذهب** ٣/١٨٤ .

(٢) عبد الرزاق محي الدين . **أدب المرتضى** ص/٢٣٥ ، وهذا ما أكّده لي بعض علماء الشيعة العائدين من العراق .

(٣) ابن عنبة . **عمدة الطالب** ص/٢١٠ ـ ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ص/٤٧٨ . الخوانساري . **روضات الجنات** ٦/٥٥٠ ـ الرّفاعي . **صحاح الأخبار** ص/٦٢ . الأميني . **الغدير** ٤/١٨٦ ـ عبد الحسين الحلّي . مقدّمة **حقائق التأويل** ٥/١١٢ . محسن الأمين . **أعيان الشيعة** ٤٤/١٧٣ ، وعنه نقل أديب التقي . **الشريف الرضي** ص ١٠٨٨ . وذكر ابن عنبة : « وقد لقّب بالرضي جماعة » فلعلّ القبر الموجود في الكاظمية لواحد منهم . ويؤيّد هذا الاعتقاد : جزم السيد محسن الأمين بأن القبر الموجود في الكاظمية اليوم والمنسوب الى الرضي ـ ليس بقبر الرضي .

ثانيا : يؤكد معظم المؤرخين من الشيعة الامامية وغيرهم ، قضية نقل جثمانه بعد الدفن من داره الى كربلاء .

ثالثا : هناك تقاليد شيعية متوارثة حتى يومنا هذا تقضي بدفن الملوك والوزراء والشخصيات العلميّة والسياسيّة قرب ضريحي الامام علي بن أبي طالب والامام الحسين تمسّكا بهما . وقد دفن في النجف على العهد البويهي عضد الدولة وابناه شرف الدولة وبهاء الدولة ، وكثير من الأمراء والوزراء البويهيّين . وفي عصرنا الحاضر دفن الكثير من الشخصيات الشيعية في النجف الشريف ، أو في جوار السّيدة زينب في دمشق .

رابعا : دلّت الوقائع التاريخية أنّ أسرة أبي أحمد الموسوي ، اعتادت تاريخيا أن تدفن أفراد الأسرة في كربلاء ، فقد دفن والد الرضي ، النقيب أبو أحمد في داره ، ثم نقل الى مشهد الحسين ، وأنّ أخت الرضي قد نقل جثمانها الى كربلاء ، فلا عجب ولا غرابة أن ينقل جثمان الرضي الى جوار أبيه وأخته ، ويدفن قرب جدّه الأعلى الامام الحسين . فالملاحظ أن تقاليد هذه الأسرة تقضي باتخاذ مرقد الحسين مدفنا لها .

هذه الأدلة كلّها تؤكد قضية نقل جثمانه الى كربلاء .

لم يصلنا من رثاء الشعراء للرضي الاّ قصائد أربع ، وهم الذين رثوا الرضي يوم وفاته وهنا نتساءل لماذا سكت عن رثائه بقيّة الشعراء المعاصرين له ، أمثال المعرّي[1] والثّعالبي وغيرهما ؟

---

(١) اعتقد الشيخ الأميني أنّ المعرّي رثى الشريف الرضي بقصيدة تناهز خمسا وخمسين بيتا ومطلعها :

أوْدى فليتَ الحادثاتُ كفاف مالُ المُسيفِ وعَنْبَرُ المُسْتافِ =

لماذا امتنع المعرّي عن رثاء الرضي ، مع أنه لقيه في بغداد حين رحل اليها ، كما لقي أخاه المرتضى ؟ واذا صحّ ما ذكر عن الحادث الذي وقع لأبي العلاء المعرّي في مجلس المرتضى ، فليس هذا مسوّغا لأن يغفل المعرّي رثاء الرضيّ .

وأول من رثى الرضي أخوه الشريف المرتضى بقصيدة باكية عبّر فيها أصدق تعبير عن فجيعته بشقيقه ، ومطلعها :

قُدني اليكَ فقد أمِنتُ شِماسي وكُفيتَ منيّ اليومَ صِدقَ مِراسي

وفيها يقول :

يا للرجالِ لفَجعةٍ جذَمت يدي ووَدَدْتُها ذهبت عليّ بِراسيِ

ثمّ يصف مكارم أخلاقه وعظيم صفاته ، ويشير الى اختطاف الموت له :

واها لعُمرِكَ من قصيرٍ طاهرٍ ولَرُبّ عُمرٍ طالَ بالأرجاسِ

كما يبلغ به الأسى مبلغه في قوله :

يا موتُ كيفَ أخذتَ نفسي تاركاً نَفساً عليها جمّةَ الأنفاسِ[1] .

فكانت قصيدة المرتضى في شقيقه الرضي من أرقّ الشعر عاطفة ، فقد كان الرضي ثاني اثنين ، وكانا رفيقي صبا ودراسة ، حتى اذا شبّا

= والصوابُ أنّ هذه القصيدة هي للمعرّي في رثاء والد الشريف الرضي . **الغدير** ١٨٧/٤ .

(١) **ديوان المرتضى** ١٣١/٢ ـ ١٣٥ ـ عبد الفتاح الحلو مقدّمة **ديوان الرضي** ١٢١/١ . ذكر الصفدي في **الوافي بالوفيات** ٣٧٨/٢ : « ورثاه المرتضى بمراث كثيرة » ولكن في الحقيقة لا يوجد في ديوان المرتضى الاّ هذه المرثية .

تسابقا الى المجد فرسي رهان واغتذيا الأدب معا ، لذلك صعق المرتضى بموت شقيقه المبكّر .

ورثاه أيضا تلميذه مهيار الدّيلمي ٤٢٨ / ١٠٣٦ بميميّة بليغة ، عبّر في آخرها عن لوعته لفراقه ومطلعها :

مِن جُبّ غاربِ هاشمٍ وسِنامِها ولَوى لَويّاً فاستزَلّ مقامُها

ومنها قوله :

بكرَ النّعيُّ من الرضيِّ بمالِكٍ غاياتُها مُتعوِّدُ إقدامُها
كلَحَ الصباحُ بموتِهِ عن ليلةٍ نفَضَت على وجهِ الصباحِ ظَلامُها
أبكيكَ للدُنيا التي طَلّقتُها وقد اصطَفَتكَ شَبابُها وعُرامُها[1] .

قال صاحب (**الدرجات الرفيعة**) : « وكان المهيار أنشد هذه القصيدة المرثية بحضور جماعة ممّن كان يحسد الرضي فشقّ عليهم ، ونسبوه الى المبالغة والافراط في اطرائه ، فرثاه بقصيدة أخرى أجاد فيها كل الاجادة ، وعرّض بهم ليزدادوا غيظا ، ومطلعها :

أقريشُ لا لفمِ أراكِ ولا يدِ فتواكَلي غاضَ النّدى وخلا النّدي
اهبِط الى مُضَرٍ فسَل صحراءَها مَن صاحَ بالبطحاءِ يا نارُ اخمِدي
بَكَر النّعِيّ فقال أردى خيرُها ان كانَ يصدُقُ فالرضيّ هو الرّدي
ورآكَ طفلاً شيبُها وكهولُها فَتَزَحزَحُوا لكَ عن مكان السّيد[2]

---

(١) القصيدة الأولى تحتوي على ثلاثة وسبعين بيتا وهي في **ديوان مهيار** ٣٦٦/٣ .
(٢) القصيدة الثانية تقع في واحد وستين بيتا وقد ذكرت في **ديوان مهيار الدّيلمي** ٢٤٩/١ .

ورثاه أبو القاسم الوزير المغربي بقصيدة منها :

أذكـرتَنـا يـا بن النبيِّ محمّـد يـومًا طـوى عنّـا أبـاكَ مُحمّـداً
ولقد عرفتُ الـدهر قبلَكَ سـالياً الاّ عـليـك فـما أطـاق تَجـلُّدا
ما زلتَ نَصْل الدَّهر تأكلُ غِمدَهُ حتّى رأيتُكَ في حشاهُ مغمداً[1] .

ورثاه سليمان بن فهد بقصيدة مطلعها :

عَـذيـرِي من حادثٍ قـد طرَقْ أمـاتَ الهُـدُوَّ وأحْيـا القَلَق[2] .

---

(١) هو أبو القاسم الحسين الوزير المغربي توفي سنة ١٠٢٧/٤١٨ ، وقد ذكر هذه الأبيات كل من الصفدي . **الوافي بالوفيات ٢/٣٧٩** ـ وعبد الفتاح الحلو في **مقدّمة ديوان الرضي ١/١٢٣** .

(٢) ذكر هذه المرثية عبد الحسين الحلي في مقدّمة **حقائق التأويل ٥/١١٢** ، وأديب التقي . **الشريف الرضي** ص/١٠٦ . وعن الحلّي نقل عبد الفتاح الحلو في مقدّمة **ديوان الشريف الرضي ١/١٢٣** .
أبو القاسم سليمان بن فهد كان يكتب في حداثته بين يديّ الصابي وخدام المقلّد ابن المسيّب أحد أمراء العقيليّين ، ثم كان ناظر الموصل من قبل قَرْواش بن المقلّد ، فظلم الناس وصادرهم ، سخط عليه قرواش فحبسه وطالبه بالمال ، فادّعى الفقر فقتل سنة ١٠٢٠/٤١١ . ابن الأثير . **الكامل ٧/٣٠٨** .

الفصل الثاني
الشريف الرضي وسياسة عصره

شهد القرن الرابع الهجري حالة من الصراع السياسي ، نتج عنه اضطراب في شؤون الحياة ، وتفكّك في أوصال الخلافة العباسيّة ، وغياب كلّي لسلطة الخلفاء ، وسيطرة مطلقة لسلاطين البويهيّين على مقدّرات البلاد ، كما تعدّدت الدويلات ، وانتشرت الامارات والممالك الصغيرة على أطراف الشام والعراق .

في ظلّ هذه الأوضاع السياسيّة عاش الرضي ، فقد دفع للحياة السياسيّة منذ صغره ، بسبب اعتقال والده ، بل أصبحت هذه القضية شغله الشاغل فانصرف لاقامة العلاقات مع الخلفاء العباسيّين والسلاطين البويهيين . وسنشير الى هذه الأمور من خلال دور الرضي في الحياة السياسية .

أمّا موضوعات هذا الفصل فهي :

الأوضاع السياسية في عصر الرضي ، تعدّد الدول والامارات ، فصراع الدول وخاصة حول موسم الحجّ ، فضعف الخلفاء وطغيان السلاطين عليهم ، ثم صراع البويهيّين فيما بينهم .

وأشرت الى علاقة الرضي بسياسيّي عصره : فتحدثت عن الخلفاء

العباسيين : الطائع والقادر ، والملوك البويهيّين : عضد الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة ، ثم ذكرت وزراء البويهيين وأمراءهم وكتّابهم كما تناولت مسألة طموح الرضي الى الخلافة .

وعالجت ألقاب الرضي ومناصبه ، فتناولت : ألقابه ، وتنوّع مناصبه وتاريخ تولّيها ، وتحدثت عن أهمّية هذه المناصب : نقابة الطالبيين ، وديوان المظالم وامارة الحجّ .

١ ـ الأوضاع السياسيّة في عصر الرضي :

١ ـ تعدّد الدول :

شهد النصف الثاني من القرن الرابع الهجري أحداثا جساما ، كانت ذو تأثير كبير في تاريخ الخلافة العباسيّة . فقد انقسمت الدولة العباسية الى دويلات مختلفة تتنازع السّيادة فيما بينها أهمها : العباسيّون في العراق ، الفاطميون في شمال أفريقيا ومصر ، البويهيّون في العراق وفارس ، الحمدانيون في حلب والموصل ، الأمويّون في الأندلس ، والغزنويّون في الهند وأفغانستان ، والسّامانيون في بخاري ، والزّياريّون في جرجان ، والعقيليون في الموصل ، وبنو شاهين في البطائح ، وسيطرت بعض القبائل العربية على أطراف العراق والشام ، فضلا عن غارات الروم على أطراف المملكة الاسلامية ، وغزوات القرامطة للعراق[1] .

كانت الخلافة الفاطمية في غرب الدولة الاسلامية قد استقرّت في مصر وفي شمالي أفريقيا ، وبسطت سلطانها على مناطق من الشام

---

(١) ابن الجوزي . المنتظم ، ٦٩/٧ . ابن الأثير . الكامل ، ١٥٥/٧ .

والحجاز واليمن ، وقد عاصر الرضي من خلفائها : العزيز بالله ٣٦٥ / ٩٧٥ ، والحاكم بأمر الله ٣٨٦ / ٩٩٦[١] .

وكان الحمدانيون في شمالي الدولة الاسلامية في الموصل وحلب ، يدفعون عنها غزوات الروم ، وقد ضعف أمرهم ، فاستولى العقيليون خلال هذه الفترة على امارة الموصل ، واستولى الفاطميون على حلب في السنوات الأولى من القرن الخامس الهجري[٢] .

وفي نجد وسواحل الخليج ، وعلى أطراف الشام والعراق كانت قبائل الأعراب من خفاجة وأسد وسُلَيْم تنتشر ، وتسدّ الطريق على قوافل الحجّاج ، أو ينتصر بها قوم على قوم ممّا جعل لها ثقلا في ميزان هذه الفترة السياسية[٣] .

ومن حوادث هذا القرن المهمة ظهور دولة بني بويه ـ وهم من الدّيلم ـ في العراق وفارس ، حيث نزع سلاطينها السلطة الحقيقية من أيدي خلفاء بني العباس ، الذين خلعوا عليهم الألقاب الفخمة ، وأذنوا لهم بضرب ألقابهم على النقود . وظهر في العراق قوّة أخرى وهم الأتراك الذين كانوا ذوي شأن في تطوّر الأحداث[٤] .

٢ ـ صراع الدول :

لقد شهد عصر الرضي الكثير من الصراعات السياسيّة بين هذه القوى ، ذات الأطماع البعيدة ، فكل فئة متربّصة بأعدائها ، تحاول

---

(١) ابن الأثير . **الكامل** ، ٦٧/٧ و ١٥٧/٧ .
(٢) احسان عبّاس . **الشريف الرضي** ، ص/١٠ .
(٣) ابن الجوزي . **المنتظم** ، ١٠٧/٧ .
(٤) جرجي زيدان . **تاريخ آداب اللغة العربية** ، ٢٢٤/٢ .

استغلال الفرص للانقضاض عليها ، ومنازعتها السلطة . وسأكتفي بتقديم بعض الأمثلة عن هذه الصراعات ، وخاصة حول موسم الحجّ ، لما يمثّله من سلطة دينيّة وتأثير مباشر على عامّة الناس .

لقد كان موسم الحجّ محور هذه الصراعات ، لذلك كان يشهد الدعاء مرّة للسلطان البويهيّ ، ومرّة أخرى للخليفة العباسي ، وثالثة للخليفة الفاطمي . وقد شهد أبو احمد الموسوي وولده الرضي هذا الصراع ، أو شاركا فيه عندما كان أميرا للحجّ . وكثيرا ما كانت المشاحنات السياسيّة ، والتّنازع على الديار المقدّسة سببا في تعطيل سفر ركب الحجيج من أنحاء البلاد الاسلامية .

وكان البدو والقرامطة وقطّاع الطرق يتربّصون بالحجّاج وينهبون ما معهم[1] .

وفي سنة ٣٥٦ / ٩٦٦ ، كان أبو أحمد الموسوي على رأس قافلة الحجّ العراقية ، فنهب بنو سُلَيم حاجّ مصر ، وخطب أبو أحمد بمكة لبختيار السلطان البهويّهي[2] .

وفي سنة ٣٦٧ / ٩٧٧ ولّى العزيز الفاطمي على امارة الحجّ باديس الصنهاجي ، فاستولى على الحرمين وأقام له الخطبة[3] ، وفي السنة التالية عاد أبو أحمد الى الحج مع ركب العرّاق وخطب لعضد الدولة البويهي ، وبعدها انقطعت خطبة العباسيّين بمكة وأصبحت لخلفاء مصر العبيديّين حينا من الدهر[4] . وقد ظل الفاطميون أصحاب النفوذ في الديار

---

(١) ابن الجوزي . **المنتظم** ، ٥٧/٧ . راجع ص ٧١ (الفصل الأول ، حاشية ٧١) .
(٢) ابن خلدون . **العبر وديوان المبتدأ والخبر** ، ٨٧/٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ٨٩/٤ .
(٤) ابن الجوزي . **المنتظم** ، ١٠٤/٧ .

المقدّسة مدّة طويلة ، حتّى أن القادر العباسي لمّا شاء أن يبعث بحجّاج العراق سنة ٣٩٦ / ١٠٠٥ استأذن أبا الفتوح عامل الفاطميين ، فأذن له بذلك ، على شرط أن تقام الخطبة للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، ورضي الخليفة العباسي بهذا الشرط ، وكان الرضي وأخوه المرتضى مع الرّكب ، فتلقّاهم ابن الجرّاح حليف الفاطميين واحتجزهم ، ثم أخلى سبيلهم ، بعد أن أخذ عليهم العهد ألاّ يعودوا[١] .

٣ ـ ضعف الخلفاء وطغيان السلاطين عليهم :

كان خلفاء بني العبّاس في ذلك العهد لا يملكون من الأمر شيئا ، فكانت الدولة والكلمة والسلطان كلّه لبني بويّه ، منذ سنة ٣٣٤ / ٩٤٥ ، أي قبل مولد الرضي بربع قرن ، على أن سلطان الخلفاء كان قبل ذلك ضعيفا أيضا . فقد كان المقتدر وهو أول خلفاء القرن الرابع الهجري صبيّا ضعيفا ، وقد روعي في انتخابه صغر سنّه .

وكان ابن الفرات الوزير مسؤولا عن هذه « الفضيحة » ، حين رشّحه للخلافة ، وكانت سنّه آنذاك ثلاثة عشر عاما[٢] . لقد كانت قوّة بني بويه على حساب الخلفاء العباسيّين ، اذ كان معز الدولة بن بويه صاحب الأمر والنهي في العراق ، في حين كان الخليفة مجرداً حتى من وزير يزر له ، وانما كان له كاتب يدبّر له اقطاعاته ، وصار معز الدولة يستوزر لنفسه من يشاء .

ولقد بلغ من كراهة بني بويه للعباسيّين ، أن خطر لمعز الدولة أن

---

(١) ابن الأثير . الكامل ، ٢٠٤/٧ .

(٢) ابن الجوزي . المنتظم ، ٣٦/٧ .

يـزيل اسم الخـلافة عن بني العبـاس ويجعلهـا للعلويّـين ، ولكنّ بعض خـواصه أشـار عليه ألاّ يفعـل فـأعـرض عـمّا كـان عـزم عليـه ، وأبقى للعبـاسيّين اسم الخـلافة ، وانفـرد هو بـالسلطان . ومـا الـظنّ بخليفـة كالمستكفي ، لا يجلس في كرسي الخـلافة منـذ استيلاء معـز الدولـة الاّ أربعين يوما ، ثم يخلع لأن السلطان البويهي اتّهمه بالتـدبير عليـه . وهو أضعف من أن يدبّر . وقد كان خلعه مأسـاة مضحكة مبكيـة ، اذ دخل عليه اثنان من نقباء الدّيلم يصيحان ، وتناولا يـده ، فظنّ أنهما يـريدان تقبيلـها ، فمدّها اليهما ، فجذباه عن سريره ، وجعلا عمامته في حلقه ، ونهض معزّ الدولة ، واضطرب الناس ، ونهبت الأموال وساق الرجـلان المستكفي ماشيا الى دار معزّ الدولة ، فاعتقل بها ، ونهبت دار الخلافة . والذي فعله معز الدولة مع المستكفي ، فعله بعد ذلـك بهاء الـدولة مـع الخليفـة الطائـع سنة ٣٨١ / ٩٩١ . فقـد جُذب من سـريـره بـطريقـة مهينة[١] .

وبلغ من هـوان الخلفاء عـلى السلاطـين والأمـراء أنهم كـانـوا هم الذين ينزلون من قصورهم ليتلقّوا السلاطين ، ويستقبلوا الأمراء ، ففي حـوادث سنـة ٣٧٠ / ٩٨٠ ، يـذكـر المؤرّخ ابن الجـوزي أنّ الخليفـة العباسي الطائع خرج ليستقبل عضد الدولة حـين مجيئه الى بغـداد . ولم تكن العـادة جاريـة بخروج الخلفـاء لتلقي أحد من السـلاطين . وقبـل ذلك خرج الخليفة المطيع من قصره ليقدم العزاء الى معزّ الدولـة البويهي في وفاة أخته فاطمة[٢] .

---

(١) ابن الأثير . **الكامل** ، ٩/٢٣ .

(٢) ابن الجوزي . **المنتظم** ، ٧/٧٤ .

لقد اطمأن الخلفاء الى حرمانهم من السلطة التنفيذيّة ، حتى امارة الحجّ لم يكن الخليفة يصدر بها مرسوما الاّ نصّ فيه على اسم الملك الذي يحكم ويسود(١) .

٤ ـ صراع البويهيّين فيما بينهم :

امتد الصراع على السلطان والنفوذ في ذلك العصر الى بني بويه أنفسهم ، فقد شهد البيت البويهيّ نزاعات حادة بين رجاله الذين شاركوا في بنائه ، وغلبت المطامع عليهم ، فطمع بعضهم ببعض ، حتى بلغ من عضد الدولة أن طمع في ملك العراق ، وكان من نصيب ابن عمه بختيار ، فتربّص به الدوائر ، وما زال به بين تهديد واغراء حتّى سلّم له بختيار بملك العراق ، فدخل عضد الدولة بغداد ظافرا ، وأمر بابن بقيّة وزير بختيار أن يلقي بين قوائم الفيلة لتقتله ، وصلبه على رأس الجسر(٢) .

ولم يكن صمصام الدولة بأسعد من بختيار ،فقد اضطراب عليه أمر العراق حين خرج عليه أخوه شرف الدولة وناصبه العداء ، وقطع

---

(١) فقد كتب أبو اسحاق الصائبي على لسان الخليفة المطيع مرسوما بامارة الحجّ ، نصّ فيه على اسم الأمير البويهي معز الدولة ، لأنه لم يكن غير ذلك . وهناك منشور كتب على لسان الطائع ، جاء فيه أنّ الامامة لا تصحّ ولا تسلم الا برعاية البويهيّين .
زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي** ، ١٣١/١ ـ ١٣٢ ، حيث ذكر نصّ المرسوم الديني الصادر عن الخليفة المطيع . وقد نقل عن **رسائل الصابي** وابن مسكويه في **تجارب الأمم** .

(٢) وهو الذي رثاه الشاعر الأنباري بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

علوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ لحقٌّ أنتَ احدى المُعْجِزاتِ

ابن الجوزي . **المنتظم** ، ٩٥/٧ . ومحمد عبد الغني حسن . مقدمة **تلخيص البيان** ، ص/٤٧ .

الخطبة باسمه ، وهزم الجيش الذي سيّره اليه . وانتهى النزاع بين الأخوين بأن أصبح شرف الدولة سلطانا على العراق ، فدخل بغداد سنة ٣٧٦ / ٩٨٦[١] .

ولّما توفي سنة ٣٧٩ / ٩٨٩ ، تولّى العراق وبعده أخوه بهاء الدولة ، ولم يهدأ له الأمر ، فقد خرج عليه أقاربه وأهل بيته من بني بويه ،وحاولوا نزع السلطان منه ، ولكنه انتصر عليهم[٢] .

وبهاء الدولة بن عضد الدولة هذا هو سلطان العراق الذي اتّصل به الشريف الرضي ومدحه مدائح رائعة ، وأطال القصائد في مدحه . وطال الأمد ببهاء الدولة سلطانا على العراق من سنة ٣٧٩ / ٩٨٩ الى سنة ٤٠٣ / ١٠١٢ ، أي ما يقرب من أربعة وعشرين عاما[٣] .

ب ـ علاقة الرضي بسيّاسيّي عصره :

لأنّ سلطة الخلفاء قد أصبحت اسميّة ، فقد استبدّ البويهيون بكل شيء ، فهم الذين يولّون ويعزلون ، وبيدهم الجيش ولهم الغلبة والحكم ، ولم يعد للخلفاء الاّ التوقيع لانفاذ مشيئتهم ، لذلك نرى من المفيد أن تدرس علاقة الرضي بدار الخلافة دراسة مستقلّة ، تشمل الى جانب علاقته بالخليفة ، بيان علاقته بمن يتولّون الأمر له من كاتب يدير شؤونه ، أو رئيس لديوان الانشاء يعدّ مراسيمه .

وأن تدرس علاقة الرضي بسلاطين بني بويه دراسة مستقلّة ، يتبعها

---

(١) ابن الأثير . **الكامل** ، ٩/ ٥٠ .

(٢) المصدر نفسه . ٩/ ٧٥ .

(٣) عبد الفتّاح الحلو . مقدمة تحقيق **ديوان الشريف الرضي** ، ١/ ١٩٣ .

دراسة لصلاته بالوزراء وكبار رجال الدولة ، لأن هؤلاء يمثّلون وحدة متكاملة تقوم بشؤون الملك ، ويدور الصراع بينها عنيفا وحادّا .

١ ـ صلة الرضي بخلفاء بني العبّاس :

عاش الرضي في عهود ثلاثة من الخلفاء هم : المطيع والطائع والقادر[١] . ولا يمكننا أن نلتفت لأيامه في عهد المطيع ، لأنه كان طفلا في الرابعة من عمره ، ولا يحسب له حساب . لذلك سنقسّم صلاته ببقية الخلفاء الى فترتين : الأولى : علاقته بالطائع ، والثانية : علاقته بالقادر .

ـ الفترة الأولى : صلاته بالطائع : ٣٦٣ / ٩٧٣ ـ ٣٨١ / ٩٩١ .

عاش الرضي الفترة الأولى من حياته السياسية في ظلال خلافة الطائع لله ، وقد واجهته أول مشكلة سياسيّة ، ألا وهي القبض على أبيه واعتقاله فسعى الرضي لاقامة علاقات سياسيّة مع الطائع ، فاتّصل به سنة ٣٧٤ / ٩٨٤ ، ومدحه بأول قصيدة ، مطلعها :

أغارُ على ثَراكَ من الرّياحِ وأسألُ عن غديرِكَ والمُراحِ[٢] .

وهي بداية متواضعة ، قويت بعد ذلك حين عاد أبوه من فارس ، فدخل على الطائع سنة ٣٧٦ / ٩٨٦ ، ومدحه على تكرمة خصّه بها وثياب وورق بقصيدة منها :

واذا أميرُ المؤمنينَ أضافَ لي أمَلي نزلتُ على الجوادِ المُفضِلِ

---

(١) لمعرفة الفترات التاريخية التي حكمها هؤلاء الخلفاء ، انظر ص ٧٠ في الفصل الأول ، حاشية ٣ .

(٢) المراح : هو مأوى الابل والغنم ، القصيدة في ديوان الرضي ، ١/٢٤٠ . وفي ديوان الرضي ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، ١/٢٨١ .

بـالطائـعِ الميمونِ أُنجِـحُ مَـطلبي وعلوتُ حتى مـا يُـطاولُ مَعقَـلي

وقد نعت الطائع بسلسلة من فضائل أسلافه الخلفاء :

رَأيُ الـرّشيدِ ، وهيبـةُ المنصورِ في حُسنِ الأمينِ ونِعمةِ المُتوكّلِ[1] .

واستمرّت تلك العلاقة بالنموّ حتى خلع الطائع لله سنة ٣٨٢ / ٩٩١ .

لم تكن صلة الـرضي بـالـطائـع للحصـول عـلى الجـاه والسلطان فحسب ، بل لأنه نفسه قد نشأ على موالاة الطائع منذ صباه ـ فالطائع لا ينسى بعد استخلافـه ـ ما لأبي أحمـد والد الـرضي على أبيـه المطيـع من الأيدي الكريمة . فقد كان الشريف الوالد الـواسطة الـوحيدة لـدى معزّ الدولة في صرف الخلافة اليه ، الى أن تنازل عنها لولده الطائع .

فلم ينس هذا الأخير جميل أبي أحمد ، وما كان بينهما من المودّة فكان بينه وبين الرضي ما كان بين أبويهما من الولاء والصفاء ، فزاد الطائع في اكـرام الشريف الـوالد عنـد عودتـه من فـارس بصحبـة شـرف الـدولـة البويهي .

وردّ أمر النقابة اليه ، واستعـاد ذكرى المـودّة القديمـة بينهما ، ولهـذه المناسبة مدحه الرضي بقصيدة ثانية منها :

بـالطائـعِ الهادي الامـامِ أطاعَني أمَـلي ، وسهّل لي الـزّمانُ مُـرامي
هذا الحسينُ وقـد جذبْتَ بضَبعِـهِ جَـذبـاً يَمُـرّ قـرائـن الأرحـام[2]

ولمّا شاخ أبو أحمد لم يكن الـطائع ليـولّي النقابـة بطبيعـة الحال لغـير ولده الرضي نيابه عنـه ، ثم عهد بهـا اليه مستقـلاّ سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ ،

---

(١) ديوان الرضي ، ٢/١١٥ .
(٢) ديوان الرضي ، ٢/٣٣٣ .

وكافأه على مدائحه المتوالية ، وخلع عليه أبراد النقابة السّود[1] ، في موضع من الدار قريب من مجلسه اعظاما له ، وقد أُدني مجلسه من سرير الطائع ، وقد خرج الرضي وهو مثقل بالهدايا .

وظلّت صلات الرضي بالطائع ممتازة مدّة ثمانية عشر عاما ، فترة حكمه الى أن نكب الخليفة نكبة توجّع لها الرضي ، وتركت أثرا عميقا في نفسه فيما بعد . فقد قبض رجال بهاء الدولة على الطائع ، وشهد الرضي هذه الحادثة المؤلمة ، لأنه كان حاضرا مجلس الطائع ، فهرب الى دجلة طالبا النجاة ، ووصف لنا هذه الواقعة بقصيدة قال فيها :

ومنظرٍ كان بالسرَّاءِ يُضحِكُني ... يا قُربَ ما عادَ بالضّراءِ يُبكيني
هيهاتَ أغترُّ بالسلطانِ ثانيةً ... قد ضلّ وُلّاج أبواب السلاطينِ[2]

وفي ظلّ خلافة الطائع لله ، كانت للرضي علاقات بوزيره وكاتبه أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان ، وبرئيس ديوان الانشاء لديه ، أبي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي . وقد امتدّت علاقته بهما الى عهد القادر بالله [3] .

ـ الفترة الثانية : صلاته بالقادر ٣٨١/ ٩٩١ ـ ٤٢٢/ ١٠٣٠ :

انّ الفترة التي تبدأ باستخلاف القادر بالله ، هي فترة نشطة في حياة

---

(١) قالوا : وهو أوّل طالبيّ لبس السّواد ـ ابن الأثير . **الكامل** ، ٩/ ١٠٠ . وعبد الحسين الحلّي ، **مقدمة حقائق التأويل** ، ٥/ ٣٧ . ابن الجوزي . **المنتظم** ، ٧/ ٣٦٠ . وعنه نقل ابن كثير . في **البداية والنهاية** ، ١١/ ٣٤٧ وعبد الفتّاح الحلو . **مقدمة ديوان الرضي** ، ١/ ٢٩٦ .

(٢) **ديوان الرضي** ، ٢/ ٤٤٤ .

(٣) ابن الأثير . **الكامل** ، ٩/ ٨٣ .

الرضي السياسيّة ، ولم يتّجه نشاطه فيها إلى قصر الخلافة ، وانما اتّجه نحو علاقته بالبويهيين ووزرائهم ورجال دولتهم ، فهم الذين يخلعون الخلفاء ويولّوهنهم .

أمّا صلة الرضي بالقادر فكانت قلقة ولم تتوثّق ، فكان يسودها التكلّف والمجاملة ، لا سيما أنّ القادر قد استعاد وقار الخلافة واسترجع قوّتها عندما صاهر الملك البويهيّ بهاءالدولة[1] .

وقد أحسّ القادر بتطلّعات الرضي السياسيّة ، وبطموحه لمنصب الخلافة ، فقد كان يرى نفسه أحقّ بها . فاتصل بالخليفة الجديد وهنّأه بالخلافة بقصيدة مطلعها :

شرفُ الخلافة يا بني العبّاس اليوم جَدّدَهُ أبو العبَّاسِ[2] .

وتؤكد لنا محاولة الرضي هذه ، أنه كان يهدف إلى مأرب سياسيّ ، وأنّ مدحه للقادر لم يكن الاّ من تلك المظاهر المفتعلة ، ويظهر أنّ الخليفة العباسي نظر اليه ، نظرة خاصة حين رآه وفيّا لسلفه الطائع هذا الوفاء ، ويغرق نفسه في مدائحه ، ثم يعود فيمدحه بهذا المدح المبالغ فيه[3] .

---

(١) عبد الحسين الحلّي ، مقدمة حقائق التأويل ، ٤٣/٥ .

(٢) ديوان الرضي ، ٥٤٦/١ . يمدحه ويهنئه عندما استقرّ بدار الخلافة في رمضان ٩٩١/٣٨١ .

(٣) شكّ الشيخ عبد الحسين الحلي بصدق عواطف الشريف الرضي نحو الطائع وهو يمدحه . وأنا أرى غير ذلك مطامع الشريف في ذلك العهد كانت تقف عند استرداد أملاك أبيه التي صادرها عضد الدولة . فلم يطلب الخلافة في تلك الفترة ، وعواطف =

وفي عام ٣٨٢/٩٩٢ مدحه بقصيدة ثانية ، أطراه فيها ، وحصر الخلافة في أسرته ، وعرّض بالعبيديّين (ملوك مصر) في ادّعائهم الخلافة ، ثم نراه يزاحم القادر في القصيدة نفسها متباهياً متفاخرا فختمها بقول :

عطفاً أمير المؤمنين . فانّنا ... في دوحَةِ العلياء لا نَتَفَرّقُ
ما بيننا ، يوم الفخار تفاوُتٌ ... أبداً كِلانا في المعالي مُعرِقُ
الّا الخلافة مَيّزتك ، فانني ... أنا عاطلٌ منها ، وأنتَ مُطوّقُ[1] .

ويقال انّ القادر قال له حين بلغ البيت الأخير : « الى رغم أنف الشريف » .

وكانت هذه العبارة فيما يظهر أصل الفرقة بين الرجلين ، فانصرف الرضي عن مدحه وأسقطه من حسابه[2] .

هذه العواطف المتضاربة ، وتلك الحال القلقة تؤكّد لنا بوضوح نوايا الشريف ، وما يخفيه في قرارة نفسه من مطامح وآمال ، فقد يكون فكّر في هذا العهد تفكيرا جدّيا بالخلافة ، وانصرف الى أمر نفسه يتدبّرها مع الملوك والوزراء والأمراء ، وهو يدرك تمام الادراك أنّ لهؤلاء الكلمة الفصل في موضوع الخلافة .

وقد كان هوى الرضي وميله مع الدولة الفاطميّة بمصر ، لأنها أقرب اليه من الدولة العباسّية ، فالفاطميّون من الاسماعليّين ، والرضي

= الرضي نحو الطائع كانت خالصة من شوائب الرياء ، لتوجّع الرضي لنكبة الطائع ، ووفائه له بعد خلعه ـ عبد الحسين الحلّي ، **مقدمة حقائق التأويل** ، ٤٢/٥ .

(١) **ديوان الرضي** ، ٣٩/٢ . ومطلع القصيدة :
« لِمن الحدوجُ تهزهنّ الأينُقُ » .

(٢) زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي** ، ١٥٤/١ .

علويّ ، ونحن نعرف ما بين العلويّين والعباسيّين ، من صراع انتهى إلى مصرع كثير من الطّالبيّين بطريقة قاسية .

وطالما صرّح الرضي بعزمه على مغادرة بغداد ، بما فيها من مهازل العباسيّين ، إلى مصر التي فيها « الخليفة العلوّي » ، الذي يلتفّ عرقه بعرقه عن طريق عليّ والنبي محمد . ولقد بلغت الخليفة القادر تلك الأبيات التي قالها الرضي : يحنّ فيها إلى الخليفة العلوي الفاطمي بمصر ، وينوي الذهاب اليه رافضا الأقامة على الهوان في بغداد :

ما مُقامي على الهوانِ وعندي ... مِقولٌ صارمٌ وأنفٌ حَمِيُّ
ألبُس الذلَّ في ديارِ الأعادي ... وبمصرَ الخليفةُ العلَويُّ
مَنْ أبوهُ أبي ، ومولاهُ مولا ... يَ ، اذا ضامَني البعيدُ القَصِيُّ
لفّ عِرقي بعرقِهِ سيِّدا النّا ... سِ جميعاً محمدٌ وعليُّ[1]

فلمّا بلغت تلك الأبيات مسامع الخليفة القادر اغتاظ غيظاً شديدا ، وقال حاجبه لوالد الرضي على لسان الخليفة : « قل لولدك محمد ، أيّ هوان قد أقام عليه عندنا ، وأيّ ضيم لقي من جهتنا ، وأيّ ذلّ أصابه في ملكنا ، وما الذي يعمله معه صاحب مصر لو مضى اليه . . . فينكر والد الرضي هذا الشعر على ابنه قائلا : انه ممّا لم نسمعه من ولدنا ، ولا رأيناه بخطّه . . . ، فيطلب القادر من الشريف الوالد انكار هذه القصيدة وانكار نسبتها إلى الرضي ، وبالتالي انكار النّسب الفاطمي كلّه . وعمل محضر بذلك ليوقّعه الوالد والرضي بنفسه ، فيأبى الشاعر

---

(١) ابن الجوزي . المنتظم ، ٣٨١/٧ . ديوان الرضي ، ٥٧٦/٢ . يقول جامع الديوان : لم تثبت هذه القصيدة في ديوانه ، إلاّ أنها مشهورة عنه .

توقيعه بحجّة أنه يخاف ارهاب دعاة الفاطميين بالعراق ويخشى غيلتهم . . . »[1] .

ومن خلال استعراضنا لشعر الرضي في هذه المرحلة ، نعلم أنه كان بحقّ ضيّق الصدر بالنقابة ، ويرى فيها غرما كبيرا ، وأنها دون ما يطمح اليه ، وكثيرا ما تذمّر ممّا يتكلّفه فيها من المشاق ومكايدة الأعداء ، ومنافسة الغرباء . وبالتالي أحسّ أنه بدأ يفقد حبّ قومه ، نظرا لهيبته عليهم ، وتشدّده في عقاب الجاني وبذلك يقول :

كَفاني أنّني حربٌ لقومي وذلك لي من الضرّاءِ كافِ[2] .

---

(١) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ٣٧/١ . ويروى ابن الجوزي القصة على نحو آخر لا يبعدها عن هذا ، مع بعض الاختلاف الذي جاء من رواية ابن أبي الحديد نقلا عن أبي الحسن الصابي وولده غرس النعمة . ويذكر ابن الجوزي : أنّ الرضي حلف لرسولي الخليفة اليه : القاضي أبي بكر الباقلاني وأبي حامد الاسفراييني أنه لم يقل الشعر المنسوب إليه ولا يعرفه. أمّا ابن أبي الحديد فيروى أنّ الرضي أبى أن يسطّر خطّه في المحضر . فلما انتهى الأمر الى القادر سكت عن سوء أضمره له . وبعد ذلك بأيام صُرف والده عن النقابة وصُرف كذلك ولداه الرضي والمرتضى لأنهما كانا ينوبان عنه فيها ، وولّى مكانه محمد بن عمر النهر سابسي وكان ذلك سنة ٣٨٤/٩٩٤ . ولعلّه في ذلك يقول مفتخرا :

ولَئِنْ صُرفتُ فلستُ عن شرفِ العُلا ومقاعِدِ العُظماءِ بالمَصْروفِ

ديوان الرضي، ١٢/٢ . وقد ذكر هذه القصة أيضا ابن معصوم . في **الدّرجات الرفيعة** ، ص/٤٦٩ . انّما اسم المؤرخ هو : أبو الحسين الصابي ، عوضا عن أبي الحسن ـ وذكر ابن معصوم : أن القادر عقد مجلسا أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوي وابنه أبا القاسم المرتضى وجماعة من القضاة والشهود ، وأبرز لهم أبيات الرضي وقال الحاجب عن لسان الخليفة للنقيب أبي أحمد : قل لولدك . . (الحديث الذي ذكره ابن أبي الحديد) .

(٢) **ديوان الرضي** ، ١٥/٢ . قال جامع الديوان : كان الرضي ضيق الصدر بأمر النقابة ، وما يتكلّفه من التشدّد واقامة الهيبة فيها .

لهذه الأسباب كلها ، كانت علاقات الرضي بالقادر قلقة ومتوتّرة .

٢ ـ علاقة الرضي بالبويهيين ورجالهم :

أولا ـ علاقته بسلاطينهم :

شهد الرضي من عهود بني بويه : عهد عز الدولة بختيار بن معزّ الدولة ، ولكنّه كان في ذلك الحين صبيّا لم يزد على الثامنة من عمره ، فقد انتهى حكمه سنة ٣٦٧ / ٩٧٧ ، وعهد عضد الدولة بن ركن الدولة الذي توفي سنة ٣٧٢ / ٩٨٢ . وعهد صمصام الدولة بن عضد الدولة الذي انتهى سنة ٣٧٦ / ٩٨٦ . وعهد شرف الدولة بن عضد الدولة الى سنة ٣٧٩ / ٩٨٩ . وعصر بهاء الدولة بن عضد الدولة الى سنة ٤٠٣ / ١٠١٢ . وأدرك من عصر سلطان الدولة بن بهاء الدولة ثلاث سنوات ، الى أن توفي سنة ٤٠٦ / ١٠١٥[١] .

كان عهد عضد الدولة وعهد صمصام الدولة فيما بعد ، من أسوأ الأدوار التي مرّت على الرضي وأشدّها بؤسا في حياته ، فقد كان العضد عدو أبيه والحاكم المطلق في بغداد ، وكذلك ابنه صمصام الدولة الذي سار على نهجه في العداء لأسرة أبي أحمد الموسوي .

لم تكن للرضي صلات مباشرة معهما ، أما علاقاته المباشرة فكانت مع شرف الدولة ومع بهاء الدولة .

كان شرف الدولة صاحب الفضل في الافراج عن والده ، وقد حفظ له شاعرنا هذا الجميل ، فمدحه بقصيدة لاميّة[٢] يقول فيها :

---

(١) ابن الجوزي . **المنتظم** ، ١٩٦/٧ . ابن الأثير . **الكامل** ، ٩٠/٩ . ابن خلدون . **العبر** ، ٤٤٠/٣ .

(٢) **ديوان الرضي** ، ١٢٨/٢ .

هذا أبي والذي أرجو النجاحَ به أدعوهُ منكَ طليقَ الهمّ والجذَلِ
لولاك ما انفسَحت في العيشِ همّتُهُ ولا أقرّ عيونَ الخيل والخَوَلِ .

وشرف الدولة هو ذلك الدّيلمي الفارسي الذي لا يتبرأ من الزهوّ والخيلاء ، ومحبّة المدح والاطراء . وقد عبّر له الرضي عن الامتنان لصنيعه ، فقد وفى شرف الدولة لأبي أحمد ، فردّ بعض املاكه المصادرة ، وأقرّه على النقابة ، وقرّبه منه . وهنا يبدأ عهد الرخاء في حياة الرضي ، بعد دور النكبة الذي مرّ به على عهد العضد .

كانت صلة الرضي ببهاء الدولة قوية متينة ، والدليل على ذلك تلك المدائح الكثيرة الجيّدة التي تشغل حيّزا لا يستهان به من الديوان .

كان بهاء الدولة مع غطرسته وتسلّطه[1] ، يتذّوق الأدب الرّفيع . وقد استطاع أن يثبت قواعد ملكه في العراق والموصل وخوزستان وشيراز وكرمان . واستطاع ان يطمئنّ على بغداد فيتركها ويقيم في خوزستان ، ويولي عليها حاكما يسمّيه عميد العراق[2] . ومعنى ذلك أن العراق شهد في عهده الامان والاستقرار .

وكان للرضي ذوق لطيف في التفرقة بين مقامات الخلفاء ومقامات الملوك ، فقد كان ينشد الخلفاء شعره بنفسه ، أمّا الملوك فكان يكتفي

---

(١) بهاء الدولة هو فيروز بن الحسين بن بويه الدّيلمي ، أبو نصر بن عضد الدولة ، أبي شجاع الملك ، قوام الدين صاحب بغداد وغيرها ، قبض على الطائع ووليّ القادر . كان يحب المصادرات ، فجمع من الأموال ما لم يكن يجمعه أحد قبله من بني بويه . وكان بخيلا جدّا . توفي بأرّجان سنة ٤٠٣/١٠١٢ . ودفن بالمشهد الى جانب أبيه . ابن الأثير . **الكامل** ، ٩/٢٥ و ٩/١٠٠ .

(٢) ابن الجوزي . **المنتظم** ، ٧/١٣٥ .

بارسال القصائد اليهم . وقد فطن بعض الدّساسين الى هذه التفرقة فاغتابوه عند بهاء الدولة ، واتّهموه بالتكبّر والتّعالي ، فلما بلغته الدّسيسة كتب الى بهاء الدولة يقول :

جَناني شجاعٌ ان مدحتُ وانّما لساني ان سِيمَ النشيدَ جبانُ
وما ضرّ قوّالاً أطاعَ جَنانَه اذا خانَهُ عندَ الملوك لِسانُ[1] .

وظلّ الرضي يمدح بهاء الدولة ، وعلى أطيب العلائق معه ما يقرب من ربع قرن ، فأتيح له أن يرى مواهب هذا السلطان البويهيّ على حقيقتها ، وأن يبرزها بصدق وحسن تصوير . ولم تمنع فارسية بهاء الدولة الرضي من انصافه ، فذكر أمجاد الفرس القديمة التي انصهرت في بوتقة العروبة والاسلام .

ولا يعرف الرضي العصبيّة في تقديره للرّجال ، ولم تكن مدائحه في بهاء الدولة للتزلّف والكسب ، بل كانت سجلّا للأخلاق ، وتصويرا للرجولة .

وقد كافأه بهاء الدولة فقلّده سنة ٣٨٨ / ٩٩٨ وهو بواسط منصبا رفيعا ، فأصبح نائبا عنه في بغداد[2] .

ويدلّنا هذا الاستخلاف على أن صلة الرضي ببهاء الدولة ليست صلة شخصية بارزة فقط ، أو صلة شاعر مادح بملك ، بل هي نوع من صلة ذوي الرأي الصائب في السياسة وأصحاب الجدّ بالأعمال التي توطد دعائم الملك .

---

(١) **ديوان الرضي** ، ٢/٥٥٢ .

(٢) عبد الفتاح الحلو . مقدمة **ديوان الرضي** ، ١/٦٦ . حيث ذكر أن الرضي شغل منصبا مهمّا ، عندما قلّده بهاء الدولة خلافته بمدينة السلام ، وخلع عليه خلعا جليلة . . .

وما كان الرضي ليتولّى تلك النيابة وهو محاط بالوزراء الفارسيّين والحسّاد والأعداء من كل الجهات لو لم يكن له من الكفاءة والجدارة ما يؤهّله لهذا المنصب .

وفي هذا المقام لقّبه بهاء الدولة بالشريف الأجلّ[1] ، وكان يدعى بالشريف الجليل . ثم ولاّه النقابة وامارة الحجّ سنة ٣٩٧ / ١٠٠٦ .

وواصل الملك البويهيّ تكريمه بتلقيبه بالرضي ذي الحسبين في العام نفسه ، وبأن تكون مخاطبته بالكناية سنة ٤٠٠ / ١٠٠٩ ، وكلّفه النظر في أمور الطالبيين بجميع البلاد سنة ٤٠٣ / ١٠١٢ . وهو أمر لم يصل اليه نقيب من قبل[2] . وكان الرضي بهذا قد حقّق بعض أمله ، فأصبح خليفة على فريق من الأمة ، ولكن الزمن لا يمدّ له في هذا الأمل ، فيقضي بهاء الدولة نحبه ـ وهو سنده الى المجد ـ سنة ٤٠٣ / ١٠١٢ ، فيرثيه الرضي بقصيدة مؤثرة منها :

رزيئةٌ لم تَدَع شمساً ولا قَمراً ولا غماماً ، ولا نَجماً ، ولا فلَكا
لا تُبصرُ الدّهرَ بعد اليومِ مبتسماً انّ الليالِيَ أنسَتْ بعدهُ الضّحِكا[3]

ثانيا : علاقته بوزرائهم ورجالهم :

أمّا وزراء بني بويه وقوّادهم في ذلك الوقت ، فانّ الأمر يقتضي وضع بيان بهم ، لاضطراب ذكرهم في المصادر التاريخيّة ، وحتى يمكن

---

(١) عبد الحسين الحلي . مقدمة **حقائق التأويل** ، ٤٧/٥ .

(٢) عبد الفتّاح الحلو . مقدمة **ديوان الرضي** ، ٦٥/١٠ . نقلا عن الشيزري صاحب **جمهرة الاسلام** .

(٣) **ديوان الرضي** ، ١٠٤/٢ .

التعرّف على نفوذهم السياسي ، ومدى ارتباط الرضي بهم . وسيعيننا هذا البيان أيضا على تأريخ بعض قصائد الرضي . وسنتّبع في تنظيم هذا البيان على التسلسل الزمني ، فنرتّبهم حسب تولّيهم مناصبهم . وبعد ذلك نتحدّث عن صلات الرضي بهؤلاء الوزراء والرجال .

ـ بيان بأسماء الوزراء والرجال مع تاريخ تولّيهم الوزارة لسلاطين بني بويه .

١ ـ المطهّر بن عبد الله .

وزير عضد الدولة سنة ٣٦٩/٩٧٩[١] .

٢ ـ أبو نصر سابور بن أردشير .

وزير شرف الدولة سنة ٣٧٦/٩٨٦[٢] .

٣ ـ أبو منصور محمد بن الحسن بن صالح أو ابن صالحان .

وزير شرف الدولة وبهاء الدولة سنة ٣٧٧/٩٨٧/ ٣٨٠/ ٩٩٠[٣] .

٤ ـ سابور بن أردشير .

---

(١) كانت علاقة الرضي به غير مباشرة ، تعرّض له بقصيدتين وهجاه في معرض مدحه لوالده ، وقد مر التعريف به في الفصل الأوّل ، ص ٧٤ ، ح ١ .

(٢) أبو نصر سابور بن اردشير قدم مع شرف الدولة الى بغداد سنة ٣٧٦/٩٨٦ ، حين تغلّب على العراق وتملكه من صمصام الدولة . وزر لشرف الدولة مرّة واحدة وأربع مرّات لبهاء الدولة ، كان عفيفا عن الأموال ، كثير الخير ، ابتاع دارا ببغداد وحمل اليها كتب العلم من كل فنّ وسمّاها « دار العلم » عاش قرابة سبعين سنة وتوفي سنة ٤١٦/١٠٢٥ . ابن الجوزي . المنتظم ١٣٢/٧ وابن الأثير ، الكامل ١٩/٩ و ١٤٥ وابن كثير ، **البداية والنهاية** ٣٠٥/١١ .

(٣) أبو منصور محمد بن الحسن بن صالحان ، وزر لشرف الدولة ولبهاء الدولة ، عاش ستّا وسبعين سنة وتوفي سنة ٤١٦/١٠٢٥ ، وذكر بالديوان بأبي منصور بن صالح ، وذكره ابن الأثير بابن صالحان . ابن الأثير . **الكامل** ، ٢١/٩ ، ٣٢ ، ٤١ ، ١٤٥ . عبد الفتاح الحلو . **ديوان الرضي** ، ٢٢٢/١ .

وزير بهاء الدولة من سنة ٣٨٠ ـ ٣٨١/٩٩١ للمرة الثانية[١] .

٥ ـ أبو الحسن بن محمد الكوكبي بن المعلّم يلقب بالكافي النصيح .

مدبّر ووزير لبهاء الدولة ٣٨٠ ـ ٣٨٢ هـ[٢] .

٦ ـ أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكّار .

وزير بهاء الدولة سنة ٣٨١ خمسة أشهر[٣] .

٧ ـ أبو القاسم علي بن أحمد الابرَقوهّي .

وزير بهاء الدولة سنة ٣٨٢/٩٩٢ . أقل من سنة[٤] .

٨ ـ سابو بن أردشير وأبو منصور بن صالحان .

وزيرا بهاء الدولة معا سنة ٣٨٢ ، يتناوبان في الوزارة[٥] .

---

(١) ابن الأثير . **الكامل** ، ٧٧/٩ . وابن خلدون . **العبر** ، ٤٣٩/٣ . وعبد الفتاح الحلو . مقدمة **ديوان الرضي** ، ٦٠/١ .

(٢) يعرف بأبي الحسن النصيح ، وبابن المعلّم ، وبالكافي النصيح ، كان المدبّر لبهاء الدولة منذ سنة ٣٨٠/٩٩٠ حيث استولى على الأمور ، وانصرفت اليه الوجوه ، أشار على بهاء الدولة بخلع الطائع ، طمعا في أمواله وقد اشترك بنفسه في هذا العمل ، ثم شغب الديلم والأتراك ، وطالبوا بتسليمه وقتله ، وحاول بهاء الدولة انقاذه دون جدوى ، فسلّمه ، فسمّ ، ثم خنق سنة ٣٨٢/٩٩٢ . ابن الجوزي . **المنتظم** ، ١٦٧/٧ ـ ١٦٩ ، ابن الأثير . **الكامل** ، ٩٤/٩ ، ابن خلدون ، **العبر** ، ٤٣٩/٣ . عبد الفتاح الحلو . **ديوان الرضي** ، ٣٢٠/١ . الثعالبي . **اليتيمة** ، ١٥٤/٣ .

(٣) عبد العزيز بن يوسف الحكّار ، كان كاتب الانشاء لعضد الدولة ، ثم وزر لابنه بهاء الدولة مدة خمسة أشهر . توفي بواسط سنة ٣٨٨/٩٩٨ . ابن الأثير . **الكامل** ، ١٩٤/٧ . وابن الجوزي . **المنتظم** ، ٢٠٣/٧ .

(٤) قبض عليه بهاء الدولة ، ثم استوزره للمرّة الثانية ، ولكنه هرب ، فعاد ابن أردشير الى الوزارة مكانه . ابن الجوزي . **المنتظم** ، ١٧٢/٧ ، وابن الأثير . **الكامل** ، ١٠٠/٩ ، وسيرد ذكره في رسائل الرضي .

(٥) ابن الجوزي . **المنتظم** ، ١٩٦/٧ . **وابن الأثير** . **الكامل** ، ٩٤/٩ . وابن خلدون . **العبر** ، ٤٤٠/٣ .

٩ ـ أبو القاسم الأبرقوهيّ .

وزير بهاء الدولة سنة ٣٨٣ أقلّ من سنة للمرّة الثانية .

١٠ ـ أبو نصر سابور بن أردشير .

وزير بهاء الدولة سنة ٣٨٣ أقلّ من سنة للمرة الرابعة .

١١ ـ عيسى بن ما سَرْجُس .

وزير بهاء الدولة سنة ٣٨٤/٩٩٤[١] .

١٢ ـ الصاحب اسماعيل بن عبّاد .

وزير مؤيد الدولة ابن ركن الدولة بالريّ سنة ٣٨٥/٩٩٥[٢] .

١٣ ـ أبو نصر سابرو بن أردشير .

وزير بهاء الدولة سنة ٣٨٦/٩٩٦ لمدّة شهرين للمرّة الخامسة .

١٤ ـ عيسى بن ما سرجس .

وزير بهاء الدولة سنة ٣٨٦ للمرّة الثانية .

١٥ ـ الموّفق أبو علي الحسن بن محمد بن اسماعيل .

---

(١) بذل الكثير من الدنانير في سبيل الوصول الى الوزارة سنة ٣٨٤/٩٩٤ ، وقد أشار الرضي الى مسلكه هذا بمقطوعة منها :

اشترِ العزَّ بما بيـ ... ـعَ فما العزُّ بِغال
بالقِصارِ الصُّفرِ إنْ شئـ ... ـتَ أو السُّمْرِ الطّوالِ
ليس بالمغبونِ عقلاً ... من شَرَى عزّا بمالِ

ديوان الرضي ، ٢/٢٤٤ . ابن الأثير . الكامل ، ٩/١٢٨ . وابن خلدون ، العبر ، ٣/٤٤١ .

(٢) الصاحب اسماعيل بن عبّاد ، من أصحاب السيادة والشرف ، والجاه والمجد في ذلك الوقت ومن الشخصيات الأدبية اللامعة في عصره ، بعث الملوك والأمراء يطلبونه ـ توفي سنة ٣٨٥/٩٩٥ ، وانظر في ترجمته الثعالبي . اليتيمة ، ٢/٢٧٠ ، وما بعدها .

نائب بهاء الدولة في بغداد سنة ٣٨٦[١] .

١٦ ـ الموفق أبو علي .

وزير بهاء الدولة من سنة ٣٨٨/٩٩٨ ـ ٣٩٢/١٠٠١ .

١٧ ـ أبو جعفر الحجّاج بن هرمز .

قائد الجيش في بغداد لبهاء الدولة سنة ٣٩٢[٢] .

١٨ ـ أبو غالب محمد بن خلف .

وزير بهاءالدولة من سنة ٣٩٢ ـ ٣٩٣[٣] .

١٩ ـ أبو علي بن أستاذ هرمز عميد الجيوش .

---

(١) أبو علي الموفّق ، كان نائبا لبهاء الدولة على بغداد ، فلمّا هاجم المقلّد بن المسيّب بغداد قاتله ، وبلغ الخبر بهاء الدولة فصالح المقلد ، وقبض على الموفق ، ثم عاد الموفق الى طاعة بهاء الدولة فوز له ودبّر أمره وحارب أبا نصر وأبا القاسم ابني بختيار سنة ٣٨٩/٩٩٩ وانتصر عليهما واستولى على بلاد فارس ، استعفى من خدمة بهاء الدولة ، ولما رفض بهاء الدولة الحّ في طلبه فقبض عليه وعلى أمواله ، وقتله سنة ٣٩٤/١٠٠٣ ، وقد مرّ بنا طمع الرضي في مصاهرته على ابنته ، نظرا لمكانته وعظمته ، راجع الفصل الأول ص ٩٦ . من هذه الرسالة . ابن الأثير . **الكامل** ، ٩/٥٢ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ **وعبد الفتاح الحلو . ديوان الرضي** ، ١/٢٢٨ .

(٢) أبو جعفر الحجّاج ، نشبت الحرب بينه وبين عميد الجيوش أبي علي بن أستاذ هرمز ، فحاصر بغداد في غيبة عميد الجيوش سنة ٣٩٧/١٠٠٦ ولكنه انهزم عنها . ابن الأثير . **الكامل** ، ٩/١٧١ .

(٣) أبو غالب محمد بن خلف ، لقّبه بهاء الدولة بفخر الملك ، كان قبل تعيينه وزيرا من أصحاب النفوذ ، يكلفه بهاء الدولة ببعض المهام ، وفي سنة ٤٠١ ، أصبح وزيره بعد وفاة عميد الجيوش . وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاة بهاء الدولة ـ فوزر لولده سلطان الدولة حتى قتله بالأهواز سنة ٤٠٧/١٠١٦ ابن الجوزي . **المنتظم** ، ٧/٢٥٢ ، ٢٦٦ ، و٢٨٦ . ابن الأثير . **الكامل** ، ٩/٢٤٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ . ابن كثير . **البداية والنهاية** ، ١/٣٤٤ و١٢/٥ ، ٦ .

قائد الجيش ووزير لدى بهاء الدولة وحاكما للعراق من سنة ٣٩٢ ـ ٤٠٠/١٠٠٩[١]

٢٠ ـ أبو علي الحسن بن حمد بن أبي الرّيان .

لم تذكر المصادر التاريخية لمن كان وزيرا ، أو تاريخ وزارته[٢] لكنه رافق الرضي في طريق الحجّ سنة ٣٩٤/١٠٠٣ ، وكان وزيرا قبل هذا التاريخ .

٢١ ـ أبو غالب محمد بن خلف فخر الملك

وزير بهاء الدولة وسلطان الدولة من ٤٠١ ـ ٤٠٧/١٠١٦ .

وكان للرضي علاقات متينة بعدد من رجال الدولة زمن البويهيّين نذكر منهم :

٢٢ ـ أبو سعد علي بن محمد بن خلف .

كاتب في ديوان البويهيّين في عهد بهاء الدولة ، ومن الرجال النّافذين في السلطة[٣] .

---

(١) عميد الجيوش أبو علي حكم العراق ، وضبط الأمن فيها من سنة ٣٩٢ ، حتى وفاته سنة ٤٠١ ، وكان القائد والوزير معا ، تولى الأمر بعده فخر الملك أبو غالب . عبد الفتاح الحلو . **ديوان الرضي** ، ٦٣/١ .

(٢) أبو علي الحسن بن حمد بن أبي الرّيان ، كان وزيرا لدى البويهيّين ، ولم تحدّد المصادر التاريخية زمن وزارته ، ولكننا ندرك من **ديوان الرضي** ، ومن قصائده فيه ٧٢/١ و ٢١/٢ ، أنّه كان وزيرا ، وصديقا مخلصا للرضي ، وسيأتي ذكره في عداد أصدقاء الرضي . وقد ذكر اسمه في بعض نسخ الديوان « بابن أبي الرّمان » و « ابن أبي الزّمان » ـ فعلّه خطأ طباعي .

عبد الفتاح الحلو . **ديوان الرضي** ، ٢٣٢/١ . وقد أشار ابن الأثير . في **الكامل** ، ١٥/٨ الى وفاته سنة ٤٢٨/١٠٣٦ .

(٣) أبو سعد علي بن محمد بن خلف ، وقد ذكره جامع الديوان بأبي سعيد في عدّة مواضع ، والصواب أنه أبو سعد لأن الرضي ينصّ على اسمه في بعض الأبيات : =

٢٣ ـ أبو الخطّاب حمزة بن ابراهيم المنجّم

بلغ منزلة رفيعة عند بهاء الدولة ، وكانت له معرفة بالنجوم ، وسعى الوزراء لخدمته [١].

ـ علاقة الرضي ببعض الوزراء والرجال :

نتحدّث عن الوزراء والرجال الذين كانت لهم صلة أو علاقة بالرضى ، ونقتصر على الذين خصّهم الرضي بقصائده . وقد ذكرنا بعضهم وفي الحواشي السابقة أمثال (المطّهر بن عبد الله ، وسابور بن أردشير ، وأبي علي الموفّق وعيسى بن ماسرجس)[٢].

كانت علاقة الرضي ببعض الوزراء ـ أمثال : ابن صالحان وابن يوسف الحكّار والصاحب بن عباد ، وفخر الملك ـ متينة ومتطوّرة ، بينما كانت بسيطة لا تتعدّى التهنئة في مناسبة من المناسبات ، أو المدح والشكر لقضاء حاجة من الحاجات لدى البعض الآخر . أمثال :

= وأتوبُ من ذمِّ الزمانِ إذا عـلِقتْ يـدايَ يَـدَيْ أبي سعـد

البيت ٢٥ من قصيدة مدحيّة في **ديوان الرضي** ، ٣٢١/١ . كان يخدم في ديوان بني بويه ببغداد ، وصنّف لبهاء الدولة (**المنثور البهائي**) وهو نثر لكتاب « **الحماسة** » . **توفي سنة ٤١٤/١٠٢٣ رثاه في ديوانه** ٤٢/١ ، وسيرد ذكره في عداد أصدقاء الرضي .

(١) ولد أبو الخطاب المنجّم سنة ٣٣٩/٩٥٠ وتوفي سنة ٤١٩/١٠٢٨ ، رثاه المرتضى في **ديوانه** ٣٢٨/٢ . حمل اليه فخر الملك مائة الف دينار فلم يقبلها ، ثم صار أمره الى الضيق والفقر والغربة . ابن الجوزي . **المنتظم** ، ٣٦/٨ .

(٢) مرّ بنا تعريف لأبي نصر سابور في الفصل الأول ص١٢٦ من هذه الرسالة وسيرد ذكره في رسائل الرضي وقد مدحه الرضي بقصيدتين في **ديوانه** ٦١/١ و ٢٩١/١ وأنظر للتعريف ببقية الوزراء الصفحات ص ١٢٨ ـ وص ١٢٩ .

الأبرقوهيّ وأبو علي عميد الجيوش ، وابن المعلّم وأبو الخطّاب المنجّم .

كانت صلة الرضي بابن صالحان قوية ومتينة فقد مدحه بقصيدتين ، وعزّاه عن والدته بقصيدة ثالثة[1] ، وكان الوزير شجاعا جوادا ، فقد انتصر على باذ الكردي في الجزيرة والموصل[2] وأقرّه الخليفة الطائع على الوزارة في عهد بهاء الدولة[3] .

أمّا ابن يوسف الحكّار ، فقد كان كاتبا وشاعرا ، لذلك تطوّرت علاقة الرضي به ، وتحوّلت الى صداقة متينة ، وكانت بينهما مودّة وأنس واختلاط ومفاوضات ومكاتبات[4] .

أما علاقات الرضي السياسيّة خارج بغداد ، قد اتّجهت نحو فارس في علاقة جيّدة ومتينة مع الصاحب بن عبّاد وزير مؤيد الدولة ، ووزير أخيه فخر الدولة ، وبعد وفاته ، وطالما تمنّى الرضي لقاء الصاحب ، ولكن أمنيته لم تتحقّق وكان الصاحب ـ من جهته ـ معجبا بشعر الرضي مقدّرا له ، فأنفذ الى بغداد من يستنسخه له ، وبلغ الرضي ذلك الاعجاب والطلب لشعره من رجل أديب امام متذوّق ، فمدحه بقصيدة دالية يصف فيها قلم الصاحب بقوله :

---

(١) القصائد في **ديوان الرضي** ، ١/٦٤ و ٢/٣٩٩ و ٢/٤٠٦ .

(٢) باذ الكردى كان يغزو في ديار بكر ، له بأس وشدّة ، فلما ملك عضد الدولة ، هرب منه وملك ديار بكر وميافارقين ، استولى على الموصل وقد ظل في صراع مع البويهيين حتى قتل سنة ٣٨٠/٩٩٠ . ابن الأثير . **الكامل** ، ١/١٤ و ٥٠ .

(٣) ابن الجوزي . **المنتظم** ، ٧/١٣٥ .

(٤) وعند وفاته بكاه الرضي بقصيدة مؤثرة في **ديوانه** ١/٦٣٠ . وسيرد ذكره في رسائل الرضي .

لك القلم الماضي الذي لو قَرَنتَهُ بِجَرْيِ العوالي كانَ أجْرى وأجْوَدا[1]

ولكنه طوى المدحة فلم يبعث بها اليه مخافة ان يتّهم بمطلب مادّي عنده فيستصغره الصاحب ، ولكنه عاد فمدحه بدالية أخرى[2] .

وظلّ الرضي على ولائه للصاحب ومَدحِه له دون التقائهما ، الى أن مات الصاحب سنة ٣٨٥ / ٩٩٥ ، فرثاه الشريف بقصيدة عبّر فيها عن تمنّيه الدائم بلقائه والاجتماع به ، ولكنّ الموت لم يحقق ذلك فيقول له :

قد كنتُ آملُ أن أراكَ فأجتَني فضلاً اذا غيري جَنى إفْضالا
وأُفيدُ سمعَكَ منطِقي وغرائبي وتُفيدُني أيامُكَ الإقبالا[3] .

أما علاقته بأبي غالب فخر الملك فكانت متينة جدا ، ومدائح الرضي فيه أصدق شاهد على ما نقول[4] . وقد مرّ بنا سابقا تلك المعاملة الخاصة والمميّزة التي كان يلقاه بها عند زيارته ، فقد كان الوزير يهبّ لاستقباله ويترك كل ما يشغله اكراما للرضي وتعظيما له[5] . ولّما مات الرضيّ صلّى عليه ، وكان في طليعة المشيّعين له[6] .

---

(١) ديوان الرضي . ١/ ٢٨٠ وقد أنشد هذه القصيدة سنة ٣٧٥/٩٧٥ .

(٢) أرسلها اليه سنة ٣٨٥/٩٩٥ . وهي في ديوان الرضي ، ١/ ٢٨٥ .

(٣) من مرثية الرضي في الصاحب بن عبّاد ، ومطلعها : « أكذا المنونُ تُقَطِّرُ الأبطالا » ديوان الرضي ، ٢/ ٢٠١ .

(٤) مدحه الرضي بالكرم والشجاعة ، والمآثر العظيمة في الحروب ، وقد شكره على قضاء حاجته ويفهم من قصائد الرضي فيه ، أنه يلبّي طلبات الرضي بسرعة حتى وهو في فارس ، فلما اطّلع على قصيدة الرضي التي أرسلها اليه ، أمر فورا بقضاء حاجته . مدحه الرضي بقصيدتين ، انظر ديوان الرضي ، ١/ ٤٢٠ و ١/ ٤٢٣ .

(٥) مرّت بنا قصة ابن أبي الحديد ، في تفضيل الرضي على المرتضى ، والطريق التي استقبل بها فخر الملك كل من الشريفين ـ راجع الفصل الأول ص ٩٠ ، حاشية ٣ .

(٦) راجع الفصل الأول ، ص ١٠٠ .

٣ ـ مسألة طموحه الى الخلافة :

ان أعظم معضلة سياسيّة تحدّث بها من ترجموا للشريف الرضي ، هي طموحه لتبوّء الخلافة الاسلامية . ونجد من العسير السّير في عرض هذه المسألة دون النظر في الحوافز والأسباب التي دفعت الرضي الى طلب الخلافة من ناحية ، والاشارة الى علاقاته السياسيّة من ناحية ثانية ، والنظر في شعره كلّه لأستخراج الأدلّة والشواهد على هذه القضية من ناحية ثالثة .

يرى العلويون أنّ الخلافة اغتصبت اغتصابا ، وانهم ورثتها الشرعيّون لذلك كانت ثوراتهم المتتابعة عبر العصور لاسترداد هذا الحقّ المهضوم .

فقد نهض بنو أبيه ، وبنو عمّه الثائرون في وجوه الخلفاء من قبله لاستعادة حقّهم السليب ، وفي هذا الاتجاه ينهج الرضي بقوله :

كم أبٍ لي جدّ في احرازِها ... يحرقُ النّابَ عليها وابنِ عمّ
صبروا فيها على كلّ أذىً ... ولقَو من دونِها كلّ ألَمْ[1] .

وكان الرضي متين العلاقة بالبويهيين ، الذين تسلّطوا على مقادير الأمور في بغداد ، وتلاعبوا بالخلفاء ، وربّما كانوا يعتقدون أنه أحقّ بها من غيره ، اذ جعله بهاء الدولة نائبا عنه في بغداد عندما كان يقيم في واسط . فشكّل ذلك كلّه حافزا له . ولم تكن أمنيات الرضي ونوازعه للخلافة مستورة ، أو خافية على أحد ، فقد عرفها معاصروه والمحيطون به ، حتى بلغت مسامع الخليفة القادر نفسه .

---

(١) ديوان الرضي ، ٢/٤٢٣ .

فقد روى الصفدي وابنِ معصوم : أنّ الرضي حضر يوما مجلس القادر ، فأخذ يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه ، فقال له الخليفة : « أظنّك تشمّ منها رائحة الخلافة ؟ » فقال : لا ، بل رائحة النبوّة ، فاهتزّ القادر لهذا الجواب[1] .

تجسّدت فكرة الخلافة في نفس الرضي ، فتصوّر ان الخليفة العباسي يحسده فيقول :

يُقِرُّ بفضلي كلُّ بادٍ وحاضرٍ ويحسدُني هذا العظيمُ المُحجّبُ[2]

وقد وجد الرضي وهو في ذروة أمانيه وأحلامه بالخلافة من يزيّن له طلبها ، ويمنّيه بقرب حلولها . وجد أبا اسحاق الصابئي رئيس ديوان الانشاء ، والكاتب الأول للخليفة وللسلطان البويهيّ يتنبأ له بالخلافة ، ويتفرّس في وجهه ملامح الخليفة المنتظر . ويتوقع له أن يكون من عظماء الرجال ، فيخاطبه من قصيدة :

أبا حسنٍ لي في الرجالِ فراسةٌ تعوَّدتُ منها أن تقولَ فتَصدُقا[3] .

ولا يتلقّى الرضي هذه الفراسة والبشارة بالصّمت والثّناء السّاكت ، بل يردّ على الصابي بقصيدة طويلة يعده فيها بالخير ومشاطرة العزّ ، ويؤكد له أنه سيجعله ـ متى صحّت الفراسة ـ بمأمن من غدرات الزمان ، فيقول متخيّلا ومسرفا في لذاذات الخيال :

لئن برقت منّي مَخايلُ عارضٍ لعَينَيكَ تقضي أن يجودَ ويُغْدَقا

---

(١) صلاح الدين الصفدي . **الوافي بالوفيّات** ، ٢/٣٧٦ . وابن معصوم . **الدّرجات الرفيعة** ، ص/٤٧٠ .

(٢) **ديوان الرضي** ، ١/٧٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢/٨٩ .

فليس بساقٍ قبلَ ربعِكَ مرْبعاً ولیس براقٍ قبلَ جَوِّك مُرتقى[1] .

ويبدو أن امارة الحجّ التي تولّاها الرضي مرارا ، قد نبّهت نفسه ، وأذكت فيها ، ذلك الشعور الملتهب الذي يتحفز ولا يهدأ ولا يقنع بما دون الخلافة :

لو كنتُ أقنعُ بالنقابة وحدَها لغَضَضتُ حين بلغتُها آمالي
لكنّ لي نفساً تتوقُ الى التي ما بعدَ أعلاها مقامٌ عالِ[2] .

فاتّصل الرضي بصديقه البدوي أبي العوّام ، واتخذه داعية له يؤلف القلوب حوله بين القبائل العربية ، ليكون سنده عندما « يختمر الأفق الغربيّ بالغبار » . على حدّ قول الرضي . فمن هو أبو العوّام ؟

لا تعرّفنا كتب التاريخ والتراجم شيئا عنه ، حتى ولا تذكر اسمه ، ولكنّ المتتبّع لديوان الرضي ولقصائده فيه ، يدرك أنه من بني عامر بن لؤيّ ، وأنّ اسمه عمرو ، ويكنّى بأبي العوّام ، وبابن ليلى ، وفي سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣ ـ وهو العام الذي حجّ الرضي فيه ، ومعه الوزير أبو علي الحسن بن حمد بن أبي الرّيان أنشد الرضي قصيدة يذكره فيها[3] .

---

(١) ديوان الرضي . ٢/ ٩٠ .
يذكر ابن عنبه وابن معصوم ، أنّ الرضي كان يرشّح للخلافة ، وأن الصابي كان يطمعه فيها ، ويزعم أنّ طالعه يدلّ على ذلك .
عبد الفتاح الحلو . مقدمة **ديوان الراضي** ، ١/ ٧٥ ، نقلا عن عمدة **الطالب** ، ص ٢١٠ ، **والدرجات الرفيعة** ، ص/ ٤٧١ . كما يذكر الخوانساري في **روضات الجنات** ، ٦/ ٥٥٠ : « أنّه كان رشّح للخلافة ، بل كان منتظرا لها صباحا ومساء ، حتى خاطبه الشعراء بالتهنئة بها ، ومنهم أبو اسحاق الأديب الصابي » .
(٢) **ديوان الرضي** ، ٢/ ١٨٢ .
(٣) نظمها في طريق نجد ، : ومطلعها : تُرى نوبُ الأيامِ تُرجي صِعابَها » وقد ذكر ابن=

ويؤخذ من تعداد مناقب الرضي له ، أنه رجل يتمتّع بمآثر جليلة ومكانة عالية ، وأنّ بني تميم قتلته في سبيل دعوته للرضي . وللشريف مراثٍ عديدة فيه متحسّرا ومتألما لفقده .

كما كان للرضي صلات قويّة بالحمدانيّين الذين حكموا الموصل حتى سنة ٣٨٢ / ٩٩٢ ، وبالعقليّين المتغلّبين عليها بعد ذلك (١) .

وكأنما الخليفة كان يضرب في كل اتجاه يرى أنه يخدم مآربه في التطلّع الى يوم ، يجلس فيه خليفة بغداد ، ينصّبه بنو بويه ، كما ينصبون خلفاء بني العباس ، أو متغلّبا يملكها بالثورة والكفاح .

واذا استعرضنا ديوان الرضي ، يفصح لنا شعره في أكثر قصائده عن هذا النّزوع والحنين الطويل لنيل الخلافة واستحقاقه لها ، فتارة نراه يقول :

ما أنا للعلياءِ ان لم يكنْ ... من وَلدِي ما كان من والدي
ولا مشَت بِي الخيلُ ان لم أطَأ ... سريرَ هذا الأغلبِ الماجدِ(٢) .

= ليلى قائلا : في البيت ١٧ :

بعين ابن ليلى لا تُداوى من القَذى ... يُريبُ أقاصي رَكبهِ ما أرابَها

المصدر نفسه ، ١/٧٢ .

(١) للرضي عدّة قصائد في الحمدانيين والعُقَيْليينّ، أشهرها قصيدتان في رثاء أبي طاهر ابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني وكان صديق له ، **ديوان الرضي** ١/٣٦٦/ و ١/٤٩٠ ، وقصيدة في رثاء أبي حسّان المقلّد بن المسيب صديقه وقد قتله غلمان داره بالأنبار ، سنة ٣٩١/١٠٠٠ وهو أمير العقيليّين ، المصدر نفسه ، ١/٣٦٩ . وفي بكائهم نلمس يأس الرضي ، وضياع آماله ، فهم سنده الى المجد وسواعده .

(٢) **ديوان الرضي** ، ١/٣٤٦ . وقد ورد عجز البيت الثاني : سريرَ هذا الأصيدِ الماجِد . عند محمد عبد الغني حسن . **الشريف الرضي** ، ص/٣٣ .

ثمّ يتخيّل والده خليفة للمسلمين ، كأنما بدأ حلمه يتجسّد في أبيه :

اذا ذَكروهُ للخلافةِ لم تَزل تَطلّع من شوقٍ رقابُ المنابرِ[1] .

ويستمر الرضي باندفاعه وحماسه نحو المجد والعلا بكل السّبل والأساليب ، بالعرب أو بالرّوم . كما يقول :

أرى نفسي تَتوقُ الى النجومِ سأحملُها على الأمرِ العظيمِ
سألتمسُ العُلا امّا بعُربٍ يُروّوُنَ اللّهاذِمَ أو بروم[2] .

ثم يقول :

فيا عجباً ممّا يَظُنّ محمّدٌ وللظنّ في بعضِ المواطنِ غَرّارُ
يُقدِّر أنّ المُلك طَوعَ يمينهِ ومن دون ما يَرجو المقدِّرُ أقدارُ[3]

وتذهب به تخيّلاته وتوهّماته للخلافة أبعد من هذا ، فيقول مخاطبا نفسه ، وقد توهّم أنه صار أمير المؤمنين :

هذا أميرُ المؤمنينَ محمدٌ كَرُمَت مغارسُهُ وطابَ المولِدُ
أو ما كفاكَ بأنّ أمَكَ فاطمٌ وأبوكَ حيدرةٌ وجدُّكَ أحمدُ ؟[4]

ويظلّ شاعرنا الطموح منتظرا للخلافة مترقّبا مجيئها اليه ، ولعله كان ينتظر أن تأتيه الخلافة منقادة اليه تجرّر أذيالها .

---

(١) ديوان الرضي ، ٤٤٦/١ .
(٢) المصدر نفسه ، ٤٠٨/٢ ، وقد جاء عجز البيت الأول : سأحملها على الخطر العظيم ، وفي نسخة الخَبْري ، تحقيق عبد الفتاح الحلو : سأحملها على الأمر العظيم .
(٣) ديوان الرضي ، ٥٣٦/١ .
(٤) ديوان الرضي ، ٤٠٩/١ .

وتبدأ آمال الرضي في الخلافة بالتّراجع ، بعد أن توطّدت دعائم الخلافة للقادر بالله ، وشغل بهاء الدولة بحروبه خارج بغداد ، ثم انّ البهاء أسند سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣ نقابة الطالبيّين ، وامارة الحجّ ، وديوان المظالم ، لأبي أحمد الموسوي ، والد الرضي ، فأخذ اليأس يدبّ في نفسه ، أضف الى ذلك مقتل صديقه وداعيته البدوي ابن ليلى سنة ٣٩٣ / ١٠٠٢[1] .

ويبدأ الرضي مرحلة جديدة بتولّيه النقابة وامارة الحجّ سنة ٣٩٧ / ١٠٠٦ وتظل روح اليأس والضجر مسيطرة عليه ، ونحسّ منذ ذلك الحين أن أطماع الرضي بالخلافة أخذت تتوارى ، وبدأ يعيش واقعه ، فيرضى بما يقدّمه له بهاء الدولة بين الحين والآخر من تكرّم بلقب ، أو زيادة في منصب ، بل انّ الرضي قد علّق مصيره بمصير بهاء الدولة . وندرك ذلك من اشفاقه عليه حين مرضه ، فضلا عن تتابع المدائح له .

وهكذا تخيب آماله . واذا ما قضى بهاء الدولة سنة ٤٠٣ / ١٠١٢ ، ماتت معه آمال الرضي ، ويمثّل حاله أصدق تمثيل قوله :

لم يبقَ عندي من الاباءِ سوى الـ نظْرة مُحَمَرّةً من الغَضَبِ[2] .

واذا تأملنا قصّة طموح الرضي الى الخلافة ، ونظرنا اليها بعين الجدّ والتحقيق ، لوجدنا أنها لم تعدُ ان تكون مجرّد أمنيات ومطامح وأحلام يصوّرها له الشعر ويجسّدها له الخيال .

---

(١) عبد الفتاح الحلو . مقدمة **ديوان الشريف الرضي** ، ١/ ٧٨ .

(٢) **ديوان الرضي** ، دار بيروت ، ١٩٢/١ . ويتابع بمقطوعة تعبّر عن يأسه وحالته النفسية أصدق تعبير فيقول :

وعضّ كفّي على الزمان من الغَيـ ظِ وشكوى وقائع النُّوَبِ
أو زفرةٍ تحسبُ الضلوعَ لها أُطُر قِسِيٍّ يَرْمينَ بالـلّهبِ
مضى الرجالُ الأُلى مذِ افتَرَقوا عنّي صار الزمان يلعبُ بي

ج ـ ألقاب الرضي ومناصبه :

حظي الرضي بسلسلة من الألقاب دلّت على منزلته الرفيعة ، وبمناصب خطيرة في الدولة . وسنبدأ بألقابه ، ثم نذكر مناصبه ، وأهميّة هذه المناصب التي شغلها .

١ ـ القابه :

أما القابه فهي : الشريف الجليل : ، لقّبه به بهاء الدولة سنة ٣٨٨ / ٩٩٨ . ثم صدر أمره من واسط بتلقيبه بذي المنقبتين ، في سنة ٣٩٢ / ١٠٠١ . ولقّبه وهو بالبصرة بالرضي ذي الحسبين[١] ، في سنة ٣٩٨ / ١٠٠٧ . فمدحه يومئذ بقصيدة منها :

رَفَعتَ اليومَ من قَدري وأوطأتَ العِدى عَقبي[٢] .

ثم أمر ان تكون مخاطبته بالكناية ، سنة ٤٠١ / ١٠١٠ ، وبالشريف الأجلّ مضافا الى المخاطبة بالكناية في السنة نفسها ، وهو الكناية أول من خوطب بذلك من حضرة الملك[٣] .

٢ ـ تنوّع مناصبه وتاريخ تولّيها :

شغل الرضي عدّة مناصب هي : نقابة الطالبيّين ، والنظر في أمور المساجد في مدينة السلام ، وامارة الحجّ والنظر في أمور الطالبيّين في جميع

---

(١) عبد الحسين الحلّي . مقدمة **حقائق التأويل** ، ص/٤٧ ، وعبد الفتاح الحلو . **مقدمة ديوان الرضي** ، ١/٦٦ .

(٢) **ديوان الرضي** ، ١/٥٣ ومطلعها : « يدٌ في قائم العَضْبِ » .

(٣) أنظر في تفصيل هذه الألقاب : عبد الحسين الأميني . **الغدير** ، ٤/١٨٠ . وعبد الحسين الحلّي . مقدمة **حقائق التأويل** ، ٥/٤٦ ـ ٤٧ . وعبد الفتاح الحلو . مقدمة **ديوان الرضي** ، ١/٦٦ ـ ٦٧ .

البلاد ، وخلافة والده أحيانا في النظر بالمظالم والحجّ بالناس ، وخلافته لبهاء الدولة في بغداد .

بدأ عهد الرضي بالمناصب منذ ردّ الطائع لله على والده أعماله القديمة ، وهي : النقابة وامارة الحجّ ، والنظر في المظالم ، في جمادى الأولى سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ ، واستخلف له ولديه الرضي والمرتضى . فلم تمض شهور حتى رتّب الطائع لله الرضي في رتبة أبيه في مجلسه ، وأفرده بتولية نقابة الطالبيّين والنظر في أمور المساجد ، واستخلفه عن والده للنظر في المظالم والحجّ بالناس ، وتمّت قراءة العهد بذلك في رمضان من تلك السنة[1] .

وقد استمرّ الرضي على ذلك بقيّة عهد الطائع لله ، وأوائل عهد القادر بالله ، فصرفه وصرف أسرة أبي أحمد عن هذه المناصب في سنة ٣٨٤ / ٩٩٤ . وظل البيت مصروفا حتى سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣ ، عندما قلّد بهاء الدولة أبا أحمد قضاء القضاة والحجّ والمظالم والنقابة ، فأمضى القادر بالله هذا التقليد ما عدا قضاء القضاة . وبديهيّ أن الرضي والمرتضى كانا يقومان بهذه المهمّات لأن الشريف الوالد صار هرما وضعيفا ، فولى بهاء الدولة الرضي النقابة وامارة الحجّ في جمادي الأولى سنة ٣٩٧ / ١٠٠٦ ، ثم أضاف اليهما في المحرّم سنة ٤٠٣ / ١٠١٢ النظر في امور الطالبيين بجميع البلاد ، وهو امر لم يصل اليه احد من اهل هذا البيت ، فدعي نقيب النقباء[2] .

---

(١) ابن الأثير . **الكامل** ، ٩/ ١٠٠ ، وابن الجوزي . **المنتظم** ، ٧/ ٢٥٣ .

(٢) جاء في مقدمة القصيدة : « من رأى البرقَ بِغَوريّ السّنَدْ » في **ديوان الرضي** ، ١/ ٢٧٣ . قال يمدح بهاء الدولة ويشكره على ما ورد من أمره بأن يضاف الى أعماله النظر في أمور الطالبيين بجميع البلاد ، واجتمع الناس في دار فخر الملك وقرئت الكتب =

وثمّة منصب آخر مهم شغله الرضي في سنة ٣٨٨ / ٩٩٨ ، عندما قلّده بهاء الدولة ـ وكان في واسط ـ خلافته في بغداد ، وخلع عليه خلعا جليلة ، كما رسمه في خدمته في النيروز الفارسي سنة ٤٠٢ / ١٠١١[١] .

٣ ـ أهميّة هذه المناصب :

أولا : نقابة الطالبيين :

كان الملوك يرون في الطالبيّين طبقة ممتازة بالشرف ، من حيث انتماؤها الى النبيّ محمد ، فكانت لهم أنظمة خاصة ، ويرعاهم رجل منهم ، هو « النّقيب » وهو بطبيعة الحال علويّ له الشرف في البيت ، والتقدّم في العلم والعمل والآداب وفي العفّة ونزاهة المولد ، وقل ـ ان شئت ـ له مميّزات التفوّق على سواه من الطالبيّين الأكفاء فضلاً عن غيرهم ، ويكون ذا سلطة واسعة ، وله مقام خاصّ عند الخلفاء والولاة . والنّقيب هو المسؤول عن أتباعه أمام الخلفاء والملوك يقيم العدل فيهم ، ويدافع عن كرامتهم ، وهو المكلّف بالعطف عليهم ، وباحصاء نفوسهم ، وتنزيه أنسابهم ، وردع المخالفين منهم[٢] .

ولي النقابة والد الراضي ، ولّما اعتزلها سنة ٣٦٢ / ٩٧٢ ، وليها

= الواردة بذلك وكان يوما مشهودا .

وقد ذكر هذا الخبر ابن الجوزي . في **المنتظم** ، ٢٦٠/٧ . بشيء من التفصيل : « فخلعت عليه خلعة سوداء وهو أول طالبي خلع عليه السّواد » . ونقل عنه ابن كثير في **البداية والنهاية** ، ٣٤٧/١١ . بعض هذا الخبر عن ابن الجوزي .

(١) عبد الفتاح الحلو . **ديوان الرضي** ، ٦٧/١ .

(٢) عبد الحسين الحلي . مقدمة **حقائق التأويل** ، ٧٩/٥ . والماوردي . **الأحكام السلطانية** ، ص/٨٢ .

جدّ الرَضي لأمه أبو محمد الناصر ، ثم أعيدت لأبيه ، الى أن اعتقل بالقلعة بفارس ، وولده الرضي يومئذ شابّ صغير ، فوليها بعض أخوال أمه[1] . وعند عودة أبي أحمد ردّت اليه ، الى أن شاخ ، فوليها ولده الرضي نيابة عنه ، ومستقلاً بها ، ويشهد لذلك قوله :

وَليَ النقابَةَ خالُ أ مّي قبلُ ، ثم أبي وجَدّي
ووُلّيتُها طفلاً فهلْ ، مجدٌ يُعدّدُ مثلَ مَجدي[2]

ويعتقد ابن أبي الحديد أن أباه توفي وهو متقلّدها[3] ، ولكن الدلائل كلّها تشهد الى أن الرضي تولاّها مستقلا سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ ، وأنه لم يزل يتقلّب فيها الى آخر أيامه[4] ، ولكن مع فترات قليلة يعتزلها أو يعزل عنها ، ثم تُعاد اليه رسميّا .

ثانيا : ديوان المظالم :

كان الخلفاء والملوك يخصّصون أياما في السنة يسمح فيه لأهل الظلامات عامة برفع ظلاماتهم اليهم ، فيتولّون البتّ فيها مباشرة ، ثم تطوّر الشأن فجعل لها ديوان خاص ، وجعلت لها وظيفة دائمة يتولاّها ذوو الكفاءة من اصحاب الوجدان البعيد عن التّهم . وهي أشبه بمحكمة التمييز في عصرنا لأن الدّعاوى تمرّ في أول الأمر على قضاة وحكام اداريّين ، ثم ترفع الى والي الديوان . واذا امتاز الرضي بالكفاءة

---

(١) هو ابو الحسن علي بن أحمد العلوي ،عبد الحسين الحلي ،مقدمة **حقائق التأويل** ٥/ ٧٩ .
(٢) **ديوان الرضي** ، ١/ ٣٥٨ .
(٣) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ١/ ١٠ .
(٤) الثعالبي . **يتيمة الدهر** ، ٣/ ١٣٧ . جاء في اليتيمة : كان أبو احمد يتولّى النقابة ، ثم ردّت الى الرضي سنة ٣٨٠/ ٩٩٠ وأبوه حيّ .

في النقابة ، فهو لديوان المظالم اكفأ ، لعفّته ونزاهته مع علمه وفضله ، وقد تولّاها مرارا مع النقابة وامارة الحجّ[1] .

ثالثا : امارة الحجّ :

انّ أمير الحجّ هو حامي ركب الحجيج في طريقه الى مكة والمشرف عليه ، وقد مرّ بنا كيف كان يكثر السّلب والنهب ويمنع الحجّاج من الوصول الى هدفهم في أحيان كثيرة . وقد عُهد بها الى الشريف الوالد والى ولده الرضي . لأنّ بيت أبي أحمد الموسوي مشهود له ، بالاقدام وتحمّل المسؤوليات . وقد تولّى الرضي هذه الامارة منذ صباه ، وفي أكثر أيام حياته وزيرا لأبيه ، ونائبا عنه ومستقلا بها ، وقد عانى الكثير ، وكانت دافعا له لتغذية طموحه نحو المجد والعلا لأنّ تلك الامارة ـ مهما كانت محدودة ـ هي مثال مصغّر لتلك المرتبة التي يتوق اليها منذ صغره ، ويرى أنه الأجدر بها وكانت امارة الحجّ متشعّبة ، فهي اما امارة على تسيير الحج ، أو على اقامته ، والامارة التي تولّاها أبو احمد وولده الرضي كانت تجمع بين الأمرين لأنهما كانا اذا تخلّفا عن الركب أنابا عنهما من يحجّ بالناس[2] .

وتسيير الحجّ ولاية سياسيّة ، وتقتضي تدبيراً لأمر القافلة قبل الرحلة ، وتأمين السّبل لها ، ويشترط في أميرها أن يكون مطاعا شجاعا

---

(١) عبد الحسين الحلّي . مقدمة **حقائق التأويل** ، ٨٢/٥ . وقد تولّاها سنة ٣٨٨/٩٩٨ ، حسب قول ابن خلّكان في **وفيات الأعيان** ، ٤٧/٤ . والأرجح أنه وليها قبل ذلك بأمد بعيد . اذ ولّاه المظالم القادر العباسي ، حسب ما نقل ابن أبي الحديد في **شرح نهج البلاغة** ، ١٤/١ . نقلا عن أبي الحسين الصابي وابنه غرس النعمة في تاريخهما ، ولم يحدّد عام ولايته .

(٢) ابن الجوزي . **المنتظم** ، ١٥٣/٧ . وابن الأثير . **الكامل** ، ٧٨/٩ .

صاحب رأي وهيبة وهداية ، يقيم حدود الله ، ويقضي بين الناس ويدبّر لهم ما يحتاجون اليه ، وكذلك فانّ الولاية على اقامة الحجّ تقتضي من صاحبها فقها في الدين ، وبصرا بشعائر الحج ، وأن يكون قدوة صالحة للناس[1] .

ولم يكن الاعداد للحجّ ، ورعاية القافلة في الرحلة ، وأداء الشعائر ، ثم العودة الى بغداد أمرا سهلا ، لاضطراب أحوال الدولة ، وتنازع السلطة بين الدول المختلفة على الحرمين الشريفين ، كما كان الأعراب من بني هلال وبني سُلَيْم وبني خفاجة وغيرهم يعترضون قوافل الحجاج وينهبونها ، ويمنعون الناس من مواصلة الرحلة ، بل وصل بهم الأمر الى أسر الحجّاج واسترقاقهم ، وفرض ضريبة عليهم ، كما كانت العوامل الطبيعيّة سببا في هلاك بعض الحجّاج . أو ردّهم عن الطريق[2] .

تلك كانت ظروف الحج في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وهي الفترة التي باشر فيها الأمر بيت أبي أحمد الموسوي ، ومن هذا يتبيّن جسامة المهمة التي توضع في عنق أمير الحجّ .

* * *

---

(١) الماوردي . **الأحكام السلطانية** ، ص/٩٣ ـ ٩٤ .

(٢) نجد أمثلة واضحة لأثر ذلك على الحجّ في أخبار سنوات : ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٩٦ هـ ، وقد ساق ابن الجوزي وابن الأثير اخبارا محزنة لكل من هذه الأمور في حوادث سنوات : ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، و ٤٠٥ هـ .
ابن الجوزي . **المنتظم** ، ٥٣/٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٠٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ ، ٢٦٠ . وابن الأثير . **الكامل** ، ٥٧٤/٨ ، و ٦٧٧ و ٩/٩ و ٦٩/٩ .

الفصل الثالث
الشريف الرضي ومجتمع عصره

في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي تتداخل النّواحي السياسيّة بالنواحي الاجتماعية والنواحي الدينيّة ، حتى ليصعب على الباحث التمييز بينهما . فهناك خلاف سياسيّ بين العباسيّين والعلويّين والبويهيّين ، وقلق اجتماعي في صفوف العيّارين والشطّار وأهل الذمّة ، وخلاف عنصري بين الترك والدّيلم ، وخلاف دينيّ بين السنّة والشيعة . لقد تناولنا في هذا الفصل : الاضطراب الاجتماعي والمذهبي في عصر الرضي ، الذي حدث بين الأتراك والدّيلم ، ثم انتشار الغلاء والمجاعة والأوبئة ، فاللصوصيّة وقطع الطريق ونهب الحجّاج والتجسّس ، فالصراع السنّي الشّيعي . ودرسنا عقيدة الرضي وتسامحه الديني ، وموقفه من : الاثني عشرية والزّيديّة والاعتزال ، فموقفه من عليّ وبعض الصحابة والأمويّين ، فتسامحه الدينيّ .

كما تناولنا الصّداقة والصديق في حياته ، فتتبّعنا علاقته بأبي اسحاق الصابي المتوفي سنة ٣٨٤ / ٩٩٤ ، وابن حجّاج ٣٩١ / ١٠٠٠ ، وبابن ليلى البدوي ٣٩٣ / ١٠٠٢ ، وبأبي حسن البتّي ٤٠٥ / ١٠١٤ ، وبابن خلف ٤١٤ / ١٠٢٣ ، وبابن أبي الريّان ٤٢٨ / ١٠٣٦ .

كما عالجنا قضيّة وفاء الرضي لكل من الطائع وبهاء الدولة ، ولعدد من أصدقائه منهم : الصابي وابن جنّي المتوفّي سنة ٣٩٢ / ١٠٠١ ، وابن شاهَوَيْه ٣٩٦ / ١٠٠٥ وغيرهم . وأخيرا تحدّثنا عن العداوة والأعداء في حياة الشريف الرضي .

أ ـ الاضطراب الاجتماعي والمذهبي في عصر الرضي :

١ ـ بين الأتراك والدّيلم :

ولم يكن النفوذ في العراق للعنصر الدّيلمي وحده ، فقد كان الأتراك وعلى رأسهم « سُبُكتُكين » يمثّلون جبهة نفوذ أخرى ، وقد كان لكلّ من الجبهتين منزع مذهبيّ يناقض منزع الآخر ، فبنو بويه يؤيّدون المذهب الشيعي ويحمونه ويتعصّبون على أهل السنّة . والأتراك يميلون الى مذهب أهل السنّة ويناصرونهم[١] . وكان من الطبيعيّ أن يكون الصراع بين هاتين الجبهتين على حساب العرب ، والأدهى من ذلك أن الدّويلات التي انقسمت اليها الدولة العبّاسيّة كانت أكثرها دولا غير عربيّة : كالسامانية فيما وراء النهر ، والزّياريّة في جرجان ، والبويهيّة في العراق وفارس ، والغزنوية في أفغانستان والهند . وقد ظهرت بعض الدويلات العربية في ذلك العصر كردّة فعل لاثبات وجود العنصر العربي : كالدولة الحمدانية في حلب والموصل ، ودولة بني شاهين بالبطائح . فلم تدع هذه الجبهات المتصارعة ، وتلك الأطراف المتنازعة للعراق وبغداد مجالا للهدوء والاستقرار . فلا يكاد يمرّ يوم دون فتنة تحدث ، أو شغب يقع ، سواء أكان خلافا بين الديلم والأتراك ، أو بين السنّة والشيعة[٢] .

---

(١) ابن الجوزي . **المنتظم** ٦٨/٧ ـ جرجي زيدان . **تاريخ آداب اللغة العربية** ٢/٢٢٤ .

(٢) نذكر على سبيل المثال ، ذلك الشّغب الذي حدث من الدّيلم سنة ٣٨٣/٩٩٣ ، =

٢ ـ الغلاء والمجاعة والأوبئة :

ولم يكف العراق الفتن والاضطرابات ، فظهرت المجاعة وتفشّت الأوبئة والأمراض . فمن المجاعات ما حدث سنة ٣٧٣ / ٩٨٣ ، فقد زادت الأسعار زيادة مفرطة ، ولحق الناس مجاعة عظيمة ، وارتفع سعر الحنطة الى حدّ كبير ، فضجّ الناس ، وحطّموا منابر الجوامع ، ومنعوا الصلاة في عدّة جمع ، ومات كثير من الضعفاء جوعا على الطريق ، وعندما غلت الأقوات اضطرّ الناس الى أكل الجِيَف[١] ، وبيع رطل الخبز بأربعين درهما[٢] .

أمّا الأوبئة والأمراض فقد انتشرت في هذا العصر أيضا . ففي سنة ٣٧٦ / ٩٨٦ ـ على سبيل المثال ـ كثر الموت في أول العام الهجري بالحميّات الحادّة ، فمات من الناس خلق كثير . وفي السنة التي مات فيها الرضي ٤٠٦ / ١٠١٥ ، وقع في البصرة وباء شديد ، وبلغ من كثرة الموتى أنّ الحفارين عجزوا عن حفر القبور[٣] .

= فيروى لنا المؤرخ ابن الجوزي : انهم شغبوا شغبا شديدا ، لأجل فساد النقد ، وغلاء السّعر وتأخر العطاء ، وقد منعوا الصلاة بجامع الرّصافة ، ثم قصدوا دار أبي نصر سابور بن أردشير ـ وزير بهاء الدولة ـ بباب خراسان ، وهجموا فنهبوها ، وأفلت من بين أيديهم هاربا على السطوح ، وثارت بذلك فتنة دخلها العامة . . .

ابن الجوزي . **المنتظم** ٧/ ٧٤ ـ **ومحمّد عبد الغني حسن** . **الشريف الرضي** ص/٧ .

(١) بينما كانت ثروات بعض الناس : مثل محمد بن عمر بن يحيى العلوي عظيمة جدا ، حتى أنّ بهاء الدولة صادر بعضها ، فوصل الى مليون دينار عينا ، وقد أدّى هذا التفاوت الاجتماعي الى مصادرات عظيمة من جانب بني بويه ، وثورات قامت بها عامّة الناس .

ابن الجوزي . **المنتظم** ٧/ ٦٠ .

(٢) **ابن الأثير** . **الكامل** ٧/ ٦٠ .

(٣) المصدر نفسه ٧/ ٢٨١ .

٣ ـ اللصوصيّة وقطع الطرق ونهب الحجّاج والتجسّس :

ولم يكف الناس ما أصابهم من الغلاء والمجاعات والأوبئة ، فعاشوا في خوف ورعب دائمين من حوادث اللصوص وقطّاع الطرق . ففي سنة ٣٦٤ / ٩٧٤ أحدث العيّارون حريقا هائلا بالخشّابين من باب الشعير في بغداد ، فاحترق أكثر هذه السوق وما يليها من سوق الجزّارين وأصحاب الحصر . فهلك من ذلك كلّه شيء كثير . وزاد أمر العيّارين فسادا في هذه السنة ، فركبوا الدّواب جهارا ، وتلقّبوا بالقوّاد ، وغلبوا على الأمور ، وأخذوا رسوما للخفارة على الأسواق والدروب[١] .

وظهر في هذه الفترة عيّار قائد يدعى : « أسود الزّبد » لأنه كان يأوي قنطرة الزّبد ، وينهب الأموال ، ويشتري الجواري بأغلى الأثمان[٢] . ولا يتّسع المجال هنا لتعداد الكثير من الحوادث الدامية والحرائق المتعمّدة ، ونهب الأموال والكبسات التي قام بها العيّارون في بغداد ونواحيها في ذلك العصر[٣] .

وقد كثرت حوادث قطع الطرق بصورة مثيرة أيضا . ففي سنة ٣٧٠ / ٩٨٠ ، كان رجل اسمه الصّيْدَلاوي يقطع الطريق الى أن احتال عليه بعض الولاة وقتله وحمل رأسه الى بغداد[٤] . وفي سنة

---

(١) محمد عبد الغني حسن . **الشريف الرضي** ص/١١ نقلا عن ابن الجوزي . **المنتظم** ٥٣/٧ .

(٢) ابن الجوزي . المنتظم ٥٦/٧ . وقد أجاره أبو أحمد الموسوي عندما لجأ اليه ، وسيّره الى الشام .

(٣) لمعرفة الكثير من حوادث العيّارين والشطّار وحيلهم أنظر كتاب محمّد رجب النّجار . **حكايات الشطّار والعيّارين في الأدب العربي** ، الصفحات : ٥٢ ـ ٥٦ وما بعدها .

(٤) ابن الأثير . **الكامل** ١٠٧/٧ .

٣٧٢ / ٩٨٢ كانت عصابة من بني شيبان يقطعون الطريق ، فأوقع بهم عضد الدولة ، وأسر منهم ثمانمائة رجل[١] .

ولا ننسى ونحن نتحدّث عن اللصوص والعيّارين في بغداد ، أن نشير الى اللص الظريف والكبير « ابن حمدي » أو ابن حمدون ، الذي ظهر في بغداد سنة ٣٣١ / ٩٤٢ وأعيا السلطان أمره[٢] . فبعد أن عجزت الدولة عن مطاردته ، شرعت تخطب ودّه ، وخلعت عليه ، ووافقت على أعماله ، شرط أن يؤدّي للسلطان في كل شهر خمسة عشر الف دينار ممّا يسرقه وأصحابه[٣] . وفي سنة ٣٨٤ / ٩٩٤ اشتدّ أمر العيّارين وقطّاع الطرق ، وظهر عيّار خطير اسمه عزيز وانضمّ اليه كثير من الزّعار[٤] . وفي سنة ٣٩٢ / ١٠٠١ انتشر الزّعار وقطّاع الطرق وانتشرت الفتن في بغداد ، ممّا اضطرّ بهاء الدولة أن يبعث عميد الجيوش أبا علي بن أستاذ هرمز الى العراق ليدبّر أمورها ويضع حدّا للفساد فيها[٥] . ويتّصل بقطع الطريق الخروج على الحجّاج ونهبهم في مواسم الحجّ في ذهابهم وايابهم . ففي سنة ٣٥٤ / ٩٦٥ قطع بنو سُلَيم الطريق

---

(١) محمد عبد الغني حسن . **الشريف الرضي** ، ص/١٢ .

(٢) ويشير اليه ابن الأثير بما مفاده : هذا اللّص البغدادي كان موضع اعجاب العامة ، واشتهر عنه تخلّقه بخلائق الفروسية ، فكان لا يفتّش امرأة ولا يسلبها . ابن الأثير . **الكامل** ٧/ ٣٤ .

(٣) ويتعجّب ابن الأثير من هذه « المقاسمة » بينه وبين السلطة ، وهو أمر لم يسمع بمثله من قبل . ويتحدّث عنه آدم متز باعجاب شديد مشبّها اياه بأنه رجل من طراز « رينالدو رينالديني » . المصدر السابق ٧/ ٣٥ ، وآدم متز . **الحضارة الاسلامية** ، ٢/ ٤٠٠ ، ومحمّد رجب النجار . **حكايات الشطّار والعيّارين** ، ص/ ٦٢ .

(٤) محمد عبد الغني حسن . **الشريف الرضي** ، ص/١٠ .

(٥) ابن الأثير . **الكامل** ٧/ ١٧٨ ـ وعبد الفتاح الحلو . **مقدّمة ديوان الرضي** ١/ ٦٣ .

على قافلة المغرب ومصر والشام ، وكانت قافلة عظيمة ، فيها كثير من الحجّاج التجّار والمنتقلين من الشام الى العراق هربا من غارات الروم ، فنهب اللصوص أموال القافلة ومتاعها ، وزادوا على ذلك أخذ جمال القافلة ، فصار رجالها جميعا رجّالة منقطعا بهم[1] . وبلغ من اجتراء قطّاع طريق الحجّ أنه في عام ٣٨٤ / ٩٩٤ اعترض الحجّاج الأُصَيفر الأعرابي الشهير ومنعهم من اجتياز الطريق ، وذكر أنّ الدنانير التي استولى عليها في العام الماضي كانت دراهم مطلية ، وأنه لا يفرج عنهم الاّ بعد أن يعطوه مال عامين ، فتردّدوا وعادوا ، ولم يحجّوا في عامهم هذا[2] .

وقد دفعت هذه الفتن والمجاعات والاضطرابات الكثير من أهل بغداد لهجرتها مع قوافل الحجّاج الى الشام ومصر طلبا للأمن والاستقرار .

وزاد في سوء الحالة التجسّس على الناس ، فلم يترك الأمراء الناس أحرارا يُنفّسون عن صدورهم بما يقولون ، فقد كانت تحصى عليهم الكلمات ، ويقوم بالتسجيل والتبليغ جماعة من المتخصّصين في التجسّس على أحوال الناس ، ونأخذ مثلا على ذلك الملك البويهي عضد الدولة ، فكان يبحث عن أسرار الملوك ، وينقب عن آثارهم ، وكانت أخبار الدنيا عنده ، حتى قيل : انه لو تكلّم انسان كلمة بمصر لوصلت اليه ، فكان الناس يحترزون في كلامهم وأفعالهم من نسائهم وغلمانهم[3] .

---

(١) محمد عبد الغني حسن . **الشريف الرضي** ، ص/١١ .

(٢) ابن الأثير . **الكامل** ١٦٥/٧ .

(٣) يقول ابن الجوزي ما مفاده : انّ الرضي كان هدفا لهذا التجسّس والرّقابة ، فاذا قال =

٤ ـ الصراع السنّي الشيعي :

ظهرت في المجتمع الشيعي العراقي خاصة ، ظاهرة النّوح على الحسين في يوم عاشوراء . وقد ساعد بنو بويه على المبالغة في هذه الظاهرة ، فكان ذلك يثير سخط أهل السنّة ، لما كان يقوم به عوّام الشيعة من سبّ بعض الصحابة ، وسبّ معاوية[١] . ففي سنة **٣٥٢ / ٩٦٣** ، وفي العاشر من المحرّم ، أغلقت الأسواق في بغداد ، وعطّل البيع ، ولم يذبح القصّابون ، ونصبت القباب في الأسواق ، وعلّقت عليها المسوح ، وخرجت النساء يلطمن وينحن . وحدث مثل ذلك في السنة التالية ، وقد انتهى الأمر بحدوث فتنة عظيمة بين الشيعة والسنّة ، جرح فيها كثير من الناس ، ونهبوا بعضهم بعضا[٢] .

وظلّ الاحتفال قائما بهذه المناسبة من كل عام[٣] حتى سنة **٣٨٢ / ٩٩٢** ، حين أمر ابو الحسن الكوكبي ابن المعلّم ـ وكان متسلّطا على السلطان البويهي ـ بأن يمنع أهل الكرخ وباب الطاق من النّوح في عاشوراء ومن عمل المسوح[٤] .

= قصيدة بلغت مسامع الأمراء والسلاطين والخلفاء في التّو والحال ، كما حدث لقصيدته اليائية (ما مُقامي على الهوانِ . . .) التي تمنّى فيها اللجوء الى مصر ـ **المنتظم** ٣٨١/٧ .

(١) محمد عبد الغني حسن . **الشريف الرضي** ص/١٤ .

(٢) ابن الأثير . **الكامل** ، ٥٧/٧ .

(٣) في سنة ٣٦١/٩٧١ ، حدثت فتنة كبرى بالكرخ (تسكنها الشيعة) عندما أرسل أبو الفضل الشيرازي وزير معز الدولة البويهي ، من طرح النار على منازل أهل الكرخ ، فاحترقت أموال عظيمة واحترق جماعة من الرجال والنساء والصبيان في الدور والحمّامات ـ ابن الجوزي . **المنتظم** ٦٠/٧ .

(٤) ابن المعلّم مرّ ذكره في الفصل الثاني ص/١٢٧ ، حاشية ٢ ـ ابن الأثير . **الكامل** ١٥٩/٧ .

وكذلك فعل عميد الجيوش ابن أستاذ هرمز سنة ٣٩٣ / ١٠٠٢ ، فأصدر أمره بابطال هذه المراسم لأنها تفسح المجال لتفاقم الخلاف بين السنّة والشيعة[١] . والحقّ أنّ البويهيين ـ بما كان لهم من مطامع بعيدة ومآرب سياسيّة ـ مسؤولون الى حدّ كبير عن تفاقم أسباب الخلاف بين أهل السنّة وأهل الشيعة . فقد كان لهم مصلحة في هذا الخلاف لتحقيق أهدافهم في السيطرة . فمعزّ الدولة البويهي يغضّ طرفه عمّا كان يفعله عامّة الشيعة وجهلاؤها من الكتابة على مساجد العاصمة لاستفزاز أهل السنّة ، ففي سنة ٣٥١ / ٩٦٢ كتب العامة على مساجد العاصمة العبّاسيّة لعن معاوية ، ولعن من غصب فاطمة « فدكا » ، ومن أخرج العبّاس من الشورى ، ومن نفى أبا ذرّ الغفاري ، ومن منع دفن الامام الحسن عند جدّه[٢] . وكان أهل السنّة يقابلون ذلك بالمثل . فقد لجأوا في القرن الرابع الى طريقة يقابلون فيها أحزان الشيعة يوم عاشوراء ، وأفراحها يوم الغدير[٣] ، على نحو ما كان يفعل بنو أميّة الذين اتخذوا من عاشوراء ، يوم سرور وفرح . ففي حين كان الشيعة يذوبون حزنا ونوحا على الحسين ، كان أهل السنّة في عيد وسرور . وأول ما جرى ذلك سنة ٣٨٩ / ٩٩٨[٤] .

---

(١) ابن الأثير . الكامل ١٥٩/٧ .

(٢) المصدر السابق ٥٤/٧ ، وقد نقل عنه محمد عبد الغني حسن في **الشريف الرضي** ص/١٤ .

(٣) يوم الغدير : هو عيد عند الشيعة ـ هو يوم غدير خمّ الذي بايع النبي محمّد فيه عليّاً بالولاية قائلا : « . . من كنت مولاة فعليّ مولاه ، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه . . » وللشيخ عبد الحسين الأميني النجفي فيه موسوعة عظيمة تبلغ بضعة عشر جزءا ، طبعت في النجف وفي ايران بعنوان : **الغدير في الكتاب والسنّة والأدب** .

(٤) ابن الجوزي . **المنتظم** ٢٠٦/٧ .

وما أكثر ما كانت تقع الفتن بين أهل السنّة وأهل الشيعة . فقد قبض معزّ الدولة البويهي على الخليفة العبّاسي المستكفي سنة ٣٣٤ / ٩٤٥ وأنزله عن العرش بصورة مهينة لأنه اتّهم بالقبض على رئيس الشيعة[١] . وما أكثر ما كانت تعطّل الصلاة في الجوامع بسبب الفتنة بين الطائفتين ، كما حدث في سنة ٣٤٩ / ٩٦٠ في بغداد[٢] .

ولعلّ نظرة الى أحداث ذلك القرن عاما عاما في كتاب **المنتظم** لابن الجوزي ، أو **الكامل** لابن الأثير ، أو **تجارب الأمم** لابن مسكويه ، ترينا كيف استحالت الحياة بين المسلمين الى حرب عصبيّة مذهبيّة .

ويروي ابن الجوزي في حوادث سنة ٣٩٨ / ١٠٠٧ نبأ الفتنة التي جرت بين أهل الكرخ الشيعة ورجال السنّة بقطيعة الرّبيع ، وقد كاد يضيع فيها : محمّد بن النعمان ، المعروف بالشيخ المفيد ، فقيه الشيعة ، والقاضي أبو محمّد بن الأكفاني ، وأبو حامد الاسفراييني وهما من علماء السنّة . بسوء ما صنعوه أحداث بغداد وجهّا لها[٣] .

وكان سببها أنّ بعض السنّة من أهل باب البصرة تعرّضوا لمحمّد ابن النعمان تعرضا ، امتعض له اصحابه من الشيعة ، الذين استنفروا أهل الكرخ دفاعا عن فقيههم ، وساروا الى دار ابن الأكفاني والاسفراييني وسبّوهما . فازدادت نار الفتنة اشتعالا ، وبلغت الحوادث حدّا أحفظ الخليفة العباسي القادر ، فأرسل الحرس الذين حول بابه

---

(١) الجوزي . **المنتظم** ٢٣/٧ .

(٢) ابن الأثير . **الكامل** ٥٤٢/٨ .

(٣) ابن الجوزي . **المنتظم** ٢٣٧/٧ ـ ولمعرفة مكانة الفقهاء الثلاثة أنظر ابن الأثير . **الكامل** ٢١٣/٧ و ٢٨٠/٧ ، و ٢٣٩/٧ . توفّي الشيخ المفيد ١٠٢٢/٤١٣ ، والاسفراييني ١٠١٥/٤٠٦ وابن الأكفاني ١٠١٤/٤٠٥ .

لمعاونة أهل السنّة . واجتمع أشراف الكرخ وتجّارها واتجهوا الى دار الخليفة يسألونه العفو عمّا فعل السّفهاء والاحداث الأغرار فعفا عنهم[1] .

ب ـ عقيدته وتسامحه الديني :

١ ـ بين الاثني عشرية والزّيدية والاعتزال :

انّ كتب التاريخ والسّيرة والأدب من عصر الرضي الى العصر الحاضر ، متّفقة على أنه شيعي امامي ، من أسرة شيعيّة امامية ، ولا غبار على معتقده اطلاقا . ونحن اذا سبرنا شعره لنأخذ منه عقيدته ، وجدناه قد جمع أساسيّات الاسلام والتشيّع بقوله :

جدّي النبيُّ وأمي بنتهُ وأبي وصيّهُ وجدودي خيرةُ الأُممِ[2] .

أما جدوده أولئك الذين يقول عنهم « خيره الأمم » فقد ذكرهم بالتفصيل في قصيدته الشهيرة : « ألاَ لله بادرةُ الطّلابِ[3] ، حتى انتهى الى أخيرهم الامام المهدي المنتظر ، وهو الذي يقول فيه :

بني أُميّة ما الأسيافُ نائمةٌ عن ساهرٍ في أقاصي الأرض موتورِ[4]

---

(١) ابن الجوزي . **المنتظم ٧/٢٣٨** . ويبلغ التعصّب حداً مضحكاً أحيانا ، وقد بلغ من استغلال بعض الناس الهذا الخلاف حدّ الدّعابة والطّرافة ، كما رواه التنوخي : فقد كان هناك سائلان ضريران يقفان على جسر بغداد ، ويتوسّل أحدها بعلي والآخر بمعاوية . ويتعصّب لهما الناس ، وتأتيهما النقود الكثيرة ، فاذا ما انصرفا آخر النهار ، اقتسما ما جمعاه من النقود سويّة لأنهما شريكان . **نشوار المحاضرة ١/٢٨١** .

(٢) **ديوان الرضي ٢/٣٨٥** .

(٣) المصدر نفسه ١/١١٣ .

(٤) المصدر نفسه ١/٤٨٧ .

ثم يعود الى ذكر آبائه الأئمة الاثني عشر ومراقدهم معدّدا فضائل الامام علي بن أبي طالب ومناقبه :

قسيمُ النارِ جدّي يومَ يُلقى به بابُ النجاةِ من العذابِ[1] .

وهناك قصيدة يذكر فيها وقائع جدّه أمير المؤمنين علي : بالبصرة وصفّين والنّهروان ، ويذكر فيها ردّ الشمس عليه[2] .

ولكن بعض المؤلفين[3] رمى الرضي بالزّيدية والاعتزال . ويرى الشيخ عبد الحسين الحلّي أن تلك التهمة ، قد لصقت به من قبل آبائه لأمه ، بني الناصر الكبير الأطروش ، صاحب الديلم . لكنّ علماء الرجال من الامامية وفي طليعتهم المرتضى في كتابه (**شرح المسائل الناصرية**) ، قد أثبت نزاهة الأطروش ونزاهة بنيه جميعهم عن تلك العقيدة المخالفة لعقيدة أسلافهم الشيعة[4] .

ويشير الحلّي الى أنّ اصطلاح الكتّاب أخيرا جرى على تسمية الثائر في وجه الخلافة زيديّا ، حتى ولو كان بريئا من عقائد الزيديّة ، يريدون أنه زيدي النزعة لا العقيدة[5] .

ويضيف الشيخ الحلّي قائلا : « ربّما تطرّفوا فجعلوا لفظ « زيدي «

---

(١) قسيم النار : كناية عن الامام علي ، مأخوذ من قوله : « أنا قسيم النار » ، أي أنّ من أحبّني دخل الجنّة ، ومن أبغضني دخل النار ـ **ديوان الرضي** ١/١١٦ .

(٢) المصدر نفسه ١/٢٥٠ .

(٣) اعتبر عبد الرزاق محي الدين في كتابه **أدب المرتضى** ص ٧٥ : أنّ الرضي كان يعتنق الزيديّة ، لكي يبرّر طلبه للخلافة ، لأن الشيعة الامامية لا يطلبونها بوجود المهدي المنتظر ، فهو الامام .

(٤) عبد الحسين الحلّي . مقدّمة **حقائق التأويل** ٥/٧٥ .

(٥) المصدر نفسه ٥/٧٦ .

لقبا لكل من تحمّس للثورة وطالب بحقّه ، وان لم يجرّد سيفا ، ولم يحد قيد شعرة عن مذهب الامامية ، ولا عن طريق الجماعة ، ولقد كان أبو حنيفة في نقل أبي الفرج الاصفهاني زيديا ، وكذا أحمد وسفيان الثوري وأضرابهم ومعاصروهم ، ومراده من زيديتهم ، أنهم يرون أنّ الخلافة الزمنية جائرة ، وأنّ الخارج آمرا بالمعروف أحقّ بالاتباع والبيعة »[1] .

أما النزعة الاعتزالية فقد ظهرت عليه في مسألة (الارجاء والوعيد) ، ومسألة (خلق الجنّة والنار) . ولكنّ موافقة المعتزلة في رأيين يتبعهم فيها كثير من الناس ، لا يعني بالضرورة اعتناق الاعتزال ، لأن الاعتزال منهج قد يسلكه الاماميّ وغيره ، وقد كان الشيخ أبو جعفر الطّوسي يقول بالوعيد ثم رجع عنه . ومع ذلك فالرضي ليس بالرجل الذي يوافق المعتزلة على سائر آرائهم[2] . ومن يتعمّق بدراسة كتابه (**حقائق التأويل**) يدرك جيّدا ، أنّ الشريف اذا قاده البرهان الى شيء لا يبالي أن يجاهر به ، ولا يحفل أن يتّفق أهل الملل كافة على خلافه . وقد تنبّه الى هذه الحقيقة زكي مبارك فعلّق قائلا : « مثل الشريف الرضي بين أهل التشيع كمثل الجاحظ بين أهل الاعتزال ، فالجاحظ لا يدرك مراميه غير الخواص ، وكذلك الشريف الرضي لا يدرك مراميه غير الخواص »[3] .

---

(١) المصدر نفسه ص/٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ص/٧٧ .

(٣) زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي** ١/٢١٢ .

والرضي لا يأخذ العقيدة تقليدا ولا اتّباعا ، فربّما مرّ عليه زمن طويل شاكّ تتضارب لديه الحجج والبراهين ، وأنه لا يزال كذلك حتى يحصل له الاذعان بشيء بعينه، فاذا حصل ربّما عدل به عن أمر كان يراه صوابا ، وعن شيء كان معتقدا له ردحا من الزمن .

الشريف الرضي . **حقائق التأويل** ، ص/١٦ ـ ١٧ .

هكذا دار النقاش حول اماميّة الرضي وزيديّته واعتزاله ، كأن القضيّة وراثيّة ، بمعنى أنه قد ورث عقيدة الامامية عن أصلابه ، وعقيدة الزّيدية عن أخواله ، مع العلم أنّ الرضي من صميم الفرقة الشيعية الامامية ، ولكنّه لم يلتزم التقيّة[1] . فقد رأى أنه صاحب حقّ مهضوم لا بدّ أن يصل اليه ، وجاهر بذلك ، ولعلّنا ندرك بهذا سرَّ النزاع بينه وبين أبيه وأخيه حول موقفه من القادر بالله ، حيث آثرا أن يهجراه تقيّة[2] .

أمّا الرضي فقد جاهر بعداوة القادر ورفض أن يضع خطه في الكتاب ، وهو موقف لم يقفه اماميّ قطّ ، وهو يفسّر أيضا ما نقله الرضي في التقيّة ، من أنها بالقول والكلام والقلب عاقد على خلاف ما يظهره اللسان ، ومن أنها باللسان لا بالعمل[3] . من هنا ندرك أنّ الرضي على غير رأي أبيه وأخيه وسائر الامامية في هذه المسألة . فهو يجاهر بحقّه وينشده بالوسائل التي يستطيعها ، وكان حقّه الأكبر في ذلك

---

(١) التقيّة : رخصة بموجبها يظهر المؤمن خلاف ما يضمر ، اذا ما تعرّض للخطر بسبب قضيّة من القضايا الدينيّة ، فالامامية تنصح الالتزام بالتقيّة في بعض الحالات ، لكن الرضي يعتقد : « وقد ذهب المحقّقون من العلماء الى أن من أُكره على الكفر فلم يفعل حتى قُتل ، أنه أفضل ممّن أظهر بلسانه وان أضمر الايمان بقلبه » . من هنا نستدّل أن اعطاء التقيّة رخصة ، وأنّ الأفضل ترك اظهارها .
عبد الحسين الحلّي . مقدّمة حقائق التأويل ٥/٧٥ ـ ٧٦ .

(٢) مرّ بنا أنّ والده خطّ في كتاب قَدْحاً في نسب الفاطميين الحاكمين بمصر تقيّة ، وقد شارك بذلك أيضا ولده المرتضى ، حتى لا يثيرا غضب الخليفة لعباسي القادر . راجع الفصل الثاني ص/١٢١ .

(٣) حقائق التأويل ٥/٧٤ ـ وعبد الفتّاح الحلو . مقدّمة ديوان الرضي ١/٤٥ .

الحين ـ على ما يرى ـ خلافة مغتصبة ، يجب عليه أن يشهر السيف في سبيل استعادة حقّه فيها[1] .

٢ ـ موقفه من علي وبعض الصحابة والأمويّين :

ويعتقد الشريف الرضي أنّ عليّا أفضل الناس بعد رسول الله[2] . كما أنه يؤمن بأنّ عليّا هو صاحب الأمر بعد رسول الله[3] .

ولذلك فقد كان الرضي يشكو من استمرار امامة المفضول ، حيث يقول في رثائه للحسين بن علي ، في عاشوراء سنة ٣٨٧ / ٩٩٧ :

---

(١) والرضي ـ في هذا الموقف ـ يتّفق مع الزّيدية .
عبد الفتّاح الحلو . مقدّمة **ديوان الرضي** ١/٤٦ .

(٢) وقد صرّح بهذا في بيانه للاستعارة في قول الرسول لعليّ : « أنّ لك لَبْيَتاً ، وانك لَذو قَرْنيها » . فقد قال الرضي : « وهذه استعارة ، لأن المراد انك لذو قرني الأمة ، فكأنه ـ عليه السلام ـ قال : وانك رأس هذه الأمة ، لأن الرأس هو ذو القرنين ، لأن القرنين انّما يكونان فيه ، ويظهران عليه ، وهذا الخبر على هذا التأويل من الأخبار الدّالة على أن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أفضل الناس بعد رسول الله (ص) اذ كان رأس أمته ورئيس أسرته » .
الشريف الرضي . **المجازات النبوية** ، ص/٨٦ ـ ٨٧ .

(٣) وقد ساق بعض حديث الغدير ، ثم تكلّم على الحديث فعضّده من جهّة رواياته وقال : « وقد روى عمران بن حصين عن النبي (ص) أنه قال : « عليّ ولي كل مؤمن بعدي » ، وفي هذا الخبر تصريح بأنه من بعده وليّ الأمر ووالياه ، والقائم مكانه فيه ، كما قال الكُمَيْت بن زيد في ذلك :

ونِعْمَ وليُّ الأمرِ بعد وَليّه ومُنتَجعُ التّقوى ونِعْمَ المؤدِّبُ

والكلام في هذا المعنى يطول ، وليس كتابنا هذا من مظانّ استقصائه ومواضع استيفائه » .
المصدر السابق ص/٢١٦ ـ ٢١٨ .

كمْ الى كمَ تعلو الطغاةُ وكم يَحـ ـكُمُ في كلِّ فاضلٍ مفضولُ[1] .

كما كان يردّد وصف الامام علي بالوصيّ ، ايمانا بما جاء في حديث الغدير ، كما في تهنئة أبيه بغدير سنة ٣٩٦ / ١٠٠٥ :

غدرَ السرورُ بنا وكا نَ وفاؤُهُ يومَ الغديرِ
يومٌ أطافَ به الوصـ ـيُّ وقد تلقّبَ بالأميرِ[2] .

وكما في قوله مفتخرا :

جَدّي النبيُّ وأمي بنتهُ وأبي وَصيّهُ وجدودي خيرةُ الأُممِ[3] .

وكان اعجاب الرضي بالامام علي يفوق كلّ اعجاب ، وقد جعله مثله الأعلى في حياته ، وكان يفتخر به دائما ، ولا حاجة لاستقصاء ذلك ، فالشواهد تكثر في ديوانه[4] .

وقد حداه اعجابه ببلاغة علي الى جمع كتابه **نهج البلاغة** ـ كما أنه ذكر كثيرا من أقواله خلال بيانه للاستعارات والمجازات في حديث رسول الله ـ في **مجازات الآثار النبوية** .

وكان رأي الرضي ببعض الصحابة منطلقا من اعتقاده بعلي بن أبي طالب ، وفي الدفاع عنه والانتصار له ، ويمثل ذلك رأيه في حسان بن ثابت ، فقد قال في بيانه للمجاز في قول النبي : « حسّان حجاز بين

---

(١) **ديوان الرضي ٢/١٨٩** .
(٢) المصدر السابق ١/٤٣٠ .
(٣) المصدر نفسه ٢/٣٨٥ .
(٤) فتى هاشمٍ بعدَ النبيّ وباعُها لَمرْمَى عُلىً أو نَيْل مجدٍ وسؤدَدِ

ديوان الرضي ١/٣٥٩ . وراجع القصائد التالي : ١/٤٣٠ و ١/٢٥٢ ، و ٢/١٨١ .

المؤمنين والمنافقين ، لا يحبّه منافق ولا يبغضه مؤمن » . فعلّق الرضيّ على هذا المجاز قائلا : « وهذا الكلام عندنا في حسان متعلّق بوقت مخصوص ، وهو زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ فأما حين ظاهر أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بعداوته ورماه بمعاريض القول في أشعاره ، فقد خرج من أن يكون حجازا بين الايمان والنفاق ، وتحيّز الى جانب النّقمة والضلال »[1] .

وكان استنكار الرضي لما فعله بنو أميّة بالعلويين شديدا ، وهل يستطيع علوي أن ينسى عداوة بني أميّة بعدما فعلوه بالحسين الشهيد ، وبذرّية علي من بعده ؟ لذلك كانت ذكرى عاشوراء تمرّ بالرضي مؤلمة موجعة ، فهي تؤرّق العيون وتقضّ المضاجع بسبب الظلم الذي لحق بأهل البيت . ففي ذكرى سنة ٣٩١ / ١٠٠٠ قال ذاكرا مصارع أسرته :

كانت مآتمُ بالعراقِ تَعُدُّها ... أمويّةٌ بالشامِ من أعيادِها
ما راقبَتْ غضَب النبيّ وقد غدا ... زَرع النبيّ مِظنّة لحَصادها[2] .

ولم يستثنِ الرضي من بني أميّة الاّ عمر بن عبد العزيز ، فقد كان يجلّه لما أثر عنه من عدل ، ولما كان يصل به أهل البيت سرّا ، ممّا كان يعينهم على ضيق الدنيا واضطهاد الأمويين ، لذلك رثاه بقصيدة يقول فيها :

يا بنَ عبدِ العزيز لو بكَتِ العيـ ... ـنُ فتىً من أُميّةٍ لَبكيتُك
أنتَ نزّهتَنا عن السبِّ والقَذ ... فِ ، فلو أمكن الجزاءُ جَزَيتُك[3] .

---

(١) الشريف الرضي . **المجازات النبوية** ، ص/١٣١ ـ ١٣٢ .

(٢) **ديوان الرضي** ، دار بيروت ١/٣٦٢ ـ **وديوان الرضي** . تحقيق الحلو ١/٤٨ .

(٣) **ديوان الرضي** ، دار بيروت ١/٢١٥ ـ القصيدة بعنوان : خير ميّت من آل مروان . وقد =

٣ ـ تسامحه الديني :

كان الشريف الرضي أبعد ما يكون عن التعصّب ، وكان فيه من سماحة الرأي ، ورحابة الصدر ، واتّساع الأفق ، ما باعد بينه وبين الخوض في غمرات الصراع الديني[١] .

والحق يقال انّ الشريف الرضي قد ورث السماحة المذهبيّة والبعد عن التعصّب من أبيه ، الذي كان يقوم دائما بدور المصلح الموفّق بين المتخاصمين وكثيرا ما لجأ اليه الخائف فوجد في ظلّه الأمن والطمأنينة[٢] .

وهذا المرتضى يذهب مع مشايخ أهل الكرخ الى دار الخليفة القادر العباسي ، فيعتذرون عن جناية مذهبيّة ، قام بها أحداث الكرخ من أبناء الشيعة سنة ٤٢٠ / ١٠٢٩[٣] ، أي بعد وفاة الرضي بأربعة عشر عاما .

= روى الامام الصادق : أنّ العبد الصالح أبا حفص ـ يعني الخليفة عمر بن عبد العزيز ـ كان يهدي الينا الدراهم والدّنانير في زقاق العسل خوفا من أهل بيته
المصدر نفسه ١/ ٢١٥ .

(١) من مواريث الرضي الخُلُقية ، ذلك التسامح ، واتساع الأفق ، والبعد عن التعصب الديني والمذهبي ، وهي مما ورثه عن أبيه . محمد عبد الغني حسن . **الشريف الرضي** ، ص/ ٥٤ .

(٢) كان أبو أحمد الموسوي واسطة خير في الخلافات التي تقوم بين السنّة والشيعة في بغداد . وقد مرّ بنا مواقف الشريف الوالد الاصلاحية ونذكر منها على سبيل المثال حُسْن تلافيه للفتنة بين السّنة والشيعة التي وقعت سنة ٣٨٠/ ٩٩٠ وقد ذكرها الرضي في **ديوان** ، ١/ ٨٨ . ومنها :

وخَطْبٍ على الزَّوْراءِ ألْقى جِرانَهُ مديدِ النَّواحي مُدْلهمِّ الجَوانِبِ (البيت ٣٦)

(٣) ابن الجوزي . **المنتظم** ، ٨/ ٤٥ .

فلم يكن غريبا على الرضي أن يرث التسامح واتساع الأفق الديني من أبيه وقد كانت دراسته وتلمذته على عدد من مشايخ السنّة وفقهائها دليلا ساطعا على بعده عن التعصّب المذهبيّ[1] .

واذا استعرضنا ما كتبه الشريف ، أو ما نظمه ، لا نجد أثرا لتعصّب ممقوت ، أو مظهرا لعصبيّة ظاهرة ، ولا خروجا عن الحلم والوقار حين يغضب للامام علي بن أبي طالب ، أو لأبنائه وحفدته من العلويين ، ولا نلاحظ عنده عنفا في القول ، أو غلاظة في الدفاع عن مبادئه . ولو أن الرضي كان من أنصار التعصّب لوجد في مؤلفاته : **ـ تلخيص البيان عن مجازات القرآن ، والمجازات النبوية ، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل ـ** مجالا فسيحا للتعبير عن تعصّبه[2] .

وكانت علاقة الرضي مثلا باستاذه السنّي أبي اسحاق الطبري علاقة الابن بأبيه[3] . لقد ظفر الشريف بالاعزاز والتّبجيل من الجميع ، ولعلّ أهم ميزة لتسامح الرضي وتجرّده هي طغيان نزعته الدينيّة على نزعته

---

(١) وقد أدرك هذه الحقيقة زكي مبارك في حديثه عن الشريف الرضي فقال : « والواقع أن الشريف كان قليل الرعاية للعصبيّة المذهبيّة ، والظاهر انه كان حرّ العقل الى حدّ بعيد . . » **عبقرية الشريف الرضي ، ١٢٦/١** .

(٢) فالرضي ينقل في مؤلفاته : آراء علماء السّنة ، وفقهاء الشيعة ، وبعض مباديء الاعتزال ، وكان من أساتذته : الحنفي والشافعي والجعفري والحنبلي ، ولم يكن مقلّداً في عقيدته .

(٣) روى ابن الجوزي أن الشريف الرضي قرأ على هذا الشيخ القرآن ، فقال له يوما : « أيها الشريف . أين مقامك ؟ فأجاب : في دار أبي بباب المحوّل ، فقال له : مثلك لا يقيم بدار أبيه ، ونَحَلهُ الدار التي بالبركة في الكرخ ، فامتنع الرضي وقال : لم أقبل من غير أبي قط شيئاً. فقال له : حقّي عليك أعظم لأنني حفّظتك كتاب الله ، فقبلها » . **المنتظم ، ٢٢٣/٧** .

المذهبيّة ، فقد درس على شيوخ من أهل السنّة ، ولم ير اهل السنّة ما يمنع تولّيه امارة الحجّ ، فقد كان الشريف شيعيا ، مسلما صحيح العقيدة ، ومثله لا يحتاج الى من يشهد له بصحّة الدين ، فهو من بيت عريق في الايمان والتقوى ، وللشيعة آراء خاصة في فهم أغراض القرآن والحديث ، وقد ساهم الرضي بدحض المفتريات والمزاعم القائلة انّ الشيعة لا يهتمون بالقرآن والحديث ، من خلال شرحه الخصائص البلاغية في القرآن الكريم وفي المجازات النبوية . وكان فضل الرضي عظيما عندما حمى البيئات الشيعيّة من الذين انحرفوا عن جادّة الصواب ، وكفروا باسم التشيّع ، أضف الى ذلك أنّ التشيّع في جوهره لا ينافي الدين الاّ حين يوكل أمره للجهلاء والمتعصّبين والمتزمّتين ، من هنا نفهم أهميّة الشريف وعظمته ، لأنه كان ينشد الى حدّ بعيد وحدة الدين ، في مؤلفاته وفي سلوكه العملي . لقد عاش في فترة اشتدّ فيها التعصّب والفتن المذهبيّة ، ومع ذلك استطاع ان يكون نموذجا في السّماحة ، وفي الخُلق الكريم ، وتمكن من زرع محبّته وتقديره في جميع النفوس ، ونال احترام من ترجموا له ، من أهل السنّة ، فأنصفوه وقدّروه حقّ قدره .

لقد سنّ الرضي شريعة التّسامح بين المذاهب والآراء المختلفة ، وفضله على الشيعة عظيم ، كما يقول زكي مبارك[1] ، لأنه خلق لهم صداقات في البيئات السنّية ، وحفظ لهم مكانة عالية في العراق وفي خارجه ، بفضل جهاده في الأدب والدين ، وهذا ما حمل لواءه من بعده شقيقه المرتضى الذي عمت شهرته الآفاق .

---

(١) عبقرية الشريف الرضي ، ١/٢١٤ .

ج ـ الصداقة والصديق في حياته :

قليل هم شعراء العربية الذين صوّروا لنا الصداقة في أجلى صورها ، ووصفوا لنا الصديق الحقّ الذي يعوّل عليه في الشدّة ، ويؤنس به في الرّخاء ، ويحفظ الغيبة ، ويحرص على حبل المودّة ، ويغفر اساءة الصديق ، ويحتال له العذر اذا زلّ ويهديه في رفق اذا ضلّ .

ولم يكتف الشريف الرضي بأن يكون واحدا من هؤلاء الشعراء ، ولكنه كان في سلوكه العملي مع أصدقائه نموذجا للعلاقات الانسانية التي وضعها للأصدقاء . والشريف في صداقته لا يفرّق بين مذهب وآخر ، أو دين ودين ، أو منحى في الحياة ومنحى . فأبو اسحاق الصابي صديقه الحميم مع مجوسيّته وفارق السّن بينهما ، فتساهله الديني ونظريته في الاخاء والوفاء دليل على سموّ أخلاقه . وقد كان الرضي على حظ وافر من رهافة الحسّ وحبّ الوفاء ، وصيانة حق الصداقة ، لذلك كان يجرح شعوره أدنى تقصير من أصدقائه . وينتابه في بعض ساعات اليأس شعور بأنّ الدنيا لم تجد بشيء اسمه الصديق ، على أن أصدقاءه كانوا يلقون منه البشاشة والتضحية ، لأنّه طُبع على حبّ هذا النوع من العلاقة . وكان الشريف يرى أنه نموذج للصديق الطيّب المؤنس ، فقال :

على أنّني تُحْفةٌ للصديقِ ... يروحُ بنَجوايَ أو يَغتدي
وانّي ليأنسُ بي الزائرونَ ... أُنسَ النّواظرِ بالاثمِدِ[1] .

وكان يتحرّق شوقا الى صديق الشدّة والمحنة ، لا صديق النعمة والرخاء فيقول :

---

(١) **ديوان الرضي** ، بيروت ، ٣٩٤/١ . وردتْ في الديوان أنيس النواظر ، والصواب أنْس ـ الأثْمِد : الكُحْل .

قَـلَّ الـصـحـابُ فـانْ ظـفـرْ تَ بنعمةٍ كَـثُرَ الصحـابُ[1] .

للرضي أصدقاء كثيرون ، صرّح بأسماء بعضهم في ديوانه ، وأنشد فيهم عدّة قصائد ، وتبادل معهم الرسائـل بالنـظم والنثر ، وقـد توجّـع لفقـدهم ، متذكّـرا أيـام اللقـاء وحـلاوة العيش معهم ، ومصـورا تلك العـلاقات الحميمـة التي كانت تـربطه بهم . وكثيـرا ما نجـد في ديوانـه مقطوعات كتبها يعاتب فيها بعض أصدقائه ، أو يرثي بعضهم دون ذكر أسمائهم ، أو تاريخ وفياتهم .

وسنورد نماذج من الأصدقاء الذين تردّد ذكرهم في الديـوان ، لفهم طبيعة العلاقات التي سادت بـين الرضي وبينهم ، وسنعتمـد في تربيتهم على التسلسل الزمني . أي حسب سنّي وفاتهم . وسنكتفي بـالاشارة الى بعض أصدقائه الذين عرفناهم عندما رثاهم ، فذكرهم عرضـا ـ لذلـك يمكننا تقسيم أصدقائه الى فئتين :

تشمل الفئة الأولى : أبو اسحاق الصابي ـ الشاعر ابن حجّاج ـ ابن ليلى البـدوي ـ أبو الحسن البتّي ـ الـوزير ابن أبي الـريّان أبو سعد محمد بن أبي خلف .

والفئة الثانية : أبو طاهر ابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني[2] ـ الكاتب أبـو منصور الشيـرازي ـ الشريف أبـو القـاسم الـزّينبي ـ

---

(١) ديوان الرضي ، ١/١٢٠ .

(٢) مرّ بنا ذكره ، وذكر أمير عُقيل المقلّد في الفصل الثاني ، ص ١٣٧ ، حاشية ١ . وللرضي في أبي طـاهـر مرثيتـان شهيـرتـان في ديـوانـه ١/٤٩٠ و ١/٣٦٦ ، وقـد قتـل سنـة ٣٨٢/٩٩٢ . أما ابو حسان أمير عقيـل فقد قتـل سنة ٣٩١/١٠٠٠ ، وللرضي فيـه مرثيتان في ديوانه ١/٣٦٩ و ١/٦٣٥ .

المظفّر عبيد الله بن محمد ـ أبو حسان المقلّد أمير عقيل ـ أبو الحسن ابن المفضّل المَلهبي .

١ ـ علاقته بأبي اسحاق الصابي :

لقد جمعت بين الرجلين المشاركة في المحنة والنكبة من ناكب واحد فعضد الدولة البويهيّ نكب والد الرضي وسجنه بضع سنين ، هو نفسه الذي غضب على كاتبه أبي اسحاق ، وعزم على القائه تحت أرجل الفيلة ، لولا بعض الطّيبين الذين شفعوا به ، فأُطلق سنة ٣٦٧ / ٩٧٧ ، بعد أن صودرت أمواله[١] .

ولكن متى نشأت تلك العلاقة وكيف تطوّرت ؟

يبدو أن هذه العلاقة نشأت في البدء على أثر اعجاب الرضي بادب الصابي وبمكانته لدى البويهيّين[٢] ، ثمّ لعلّ أبا اسحاق كان يقدّر والد الرضي ويحترمه ، فاتخذت تلك العلاقة لونا أدبيّا حين نبغ الشريف في أدبه وأخذ يكتب الرسائل ، وينشد الشعر مخاطبا صديقه الصابي ، فيثني الشيخ المحنّك اللّبق على مقدرته الفنيّة[٣] . وتدل الرسائل المتبادلة بينهما على أنّ العلاقة نشأت مبكّرة ، فهناك رسالة كتبها الصابي الى الشريف

---

(١) محمد عبد الغني حسن . **الشريف الرضي** ، ص/٤٦ . وقد مرّ بنا ذكره في الفصل الثاني ، ص ١٣٥ .

(٢) كثيرا ما أظهر الرضي اعجابه بقلم الصابي وببلاغته ، ولعلّ مرثيته الأولى له أصدق شاهد :

مَنْ للبلاغةِ والفصاحةِ انْ هَمَى ذاكَ الغَمامُ ، وعبّ ذاك الوادي
مَنْ للملوكِ يجزُّ في أعدائها بُظبىً من القول البليغِ حِدادِ

ديوان الرضي ، ص/١١٢ .

(٣) إحسان عباس ، الشريف الرضي ص ١١٢ .

يعتذر فيها من التأخّر عن زيارته عام ٣٧٦ / ٩٨٦[١] .

وكان الشريف اذا وُلّي أمرا عهد الى أبي اسحاق أن يكتب العهد ، ايمانا منه ببلاغته وحسن تأتّيه الخطاب . كما كان الصابي يستشير الرضي في ما ينظمه من شعر . ويدل ذلك كله على علاقة وثيقة بين الرجلين ، تصوّرها المراسلات الشعرية والنثرية التي دارت بينهما . وقد مرّ بنا أنّ الصابي كان يطمع الشريف في الحصول على الخلافة ، زاعما أنّ طالعه ينبئه بذلك ، لأن فراسته في الرجال لا تخيب . فنرى الصابي يذكره بحقّه في هذه البشارة ويوصيه بأهله وأولاده ان لم يعش ليرى المجد الذي ينتظر الشريف[٢] .

ومهما يكن من أمر تلك « النّبوءة » ، فقد صادفت موقعا حسنا من نفس الشريف ، لأنها صادرة عن شيخ خَبَرِ حياة القصور ، وعرك الأيام وحنّكته التجارب ، والرضي يحترم هذا الشيخ ويحبّه ، ويعترف له بالصدق في القول والمودّة ، فضلا عن أنه صابي ، دقيق المعرفة بعلم النجوم .

ولما توفي الصابي سنة ٣٨٤ / ٩٩٤ ، رثاه الرضي بقصيدة مؤثّرة ، تشير الى مروءة الرضي وانسانيّته ، وقد جاء في مطلعها :

أعَلِمتَ من حَمَلوا على الأعوادِ أرأيتَ كيفَ خبا ضياءُ النّادي ؟

---

(١) محمد يوسف نجم . **رسائل الصابي والشريف الرضي** ، ص/٤ .

(٢) فإنْ عشْتُ أو إنْ متُّ فاذكر بشارتي وأَوْجِبْ بها حقّاً عليك محقّقا
وكنْ ليَ في الأولادِ والأهلِ حافظاً اذا ما اطمأنّ الجنبُ في موضعِ البَقا

من قصيدة أبي اسحاق الصابي للرضي ، ومطلعها : « أبا حَسنٍ لي في الرجالِ فراسةٌ » .

ديوان الرضي ، ٢/٨٩ .

جَبلٌ هوى لو خرَّ في البحرِ اغتدَى من وَقعِه متتابعِ الأزْبادِ[1]

٢ ـ علاقته بأبي عبد الله بن حجّاج :

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجّاج ، من كبار شعراء الشيعة ، كان على قسط وافر من الظرف والمجون[2] ، كان صديقا للشريف بالرغم من اختلاف مزاجيهما ، فابن حجّاج هازل ماجن ، والرضي جادّ وقور . وقد بلغ من اعجاب الرضي بصاحبه وبشعره أنه اختار ما استجاده من أشعاره ، وجمعه في كتاب سمّاه : **الحسن من شعر الحسين** ، ورتّبه على حروف المعجم ، ونشره في حياة ابن حجّاج ، الذي حفظ له الصنيع فسجّله بشعر قال فيه :

أتَعرفُ شعري الى مَن ضَوَى فأضحى على مُلكهِ يَحتوي ؟
الى البدرِ حُسناً ، الى سيّدي الشريفِ أبي الحسنِ الموسوي[3]

وعند وفاته سنة ٣٩١ / ١٠٠٠ تأسّف عليه الرضي ، فرثاه بقصيدة منها :

بَكيتُكَ للشُرّدِ السّائِرا تِ تَعبِقُ ألفاظُها بالمعاني
ليبْكِ الزمانُ طويلاً عليكَ ، فقد كنتَ خفّة روحِ الزمانِ[4]

٣ ـ علاقته بابن ليلى البدوي :

كان الرضي يسعى الى الاعتماد على العرب أيضا لتحقيق أمانيه في

---

(١) ديوان الرضي ، ١/٣٨١ . والثعالبي . يتيمة الدهر ، ٢/٣٠٦ .
(٢) الثعالبي . يتيمة الدهر ، ٣/١٣٠ . ومحمد عبد الغني حسن . الشريف الرضي ، ص/٤٦ .
(٣) الثعالبي . يتيمة الدهر ، ٣/١٣١ .
(٤) ديوان الرضي ، ٢/٤٤١ ـ ٤٤٢ .

الخلافة[1] ، فاتّخذ لنفسه داعية يجمع حول اسمه بعض القبائل البدويّة في نجد وأطراف العراق ، ويجنّد له « الفرسان الملثّمين » الذين طال انتظارهم ، وطالما تخيّلهم في قصائدهم . هذا الداعية هو أبو العوّام ، أو ابن ليلى ، أو عمرو ، كما وردت هذه الاسماء في قصائده ، وأنه كان يعلّق عليه الآمال الكبار[2] ، ويراه عدّة لغده . واذا أحسّ بشيء من الفتور والانقباض في نفسه حثّها بتذكر هذه الذراع القويّة التي يعتمد عليها كثيرا . وقال مشيرا اليه في احدى قصائده :

واشدُدْ يَدَيكَ الى الوغى بمغامِرٍ نَدْبٍ لعاداتِ الطِّعانِ مُعَوّدِ[3] .

ولكنه لم يلبث أن فقد صديقه البدوي وداعيته حين ذهب يدعو بعض التّميميّين فاعتدوا عليه وقتلوه سنة ٣٩٢ / ١٠٠١[4] ، فرثاه بعدّة قصائد[5] ، وكان أبرزها :

لَعمرُ الطير ، يومَ ثَوى ابنُ ليلى لقد عَكَفت على لحمٍ كريمِ
تداعَتْ لَي بمصرعِهِ الليالي وأُوعِبَتْ النّوائبُ في أديمي[6]

---

(١) في قصائد الرضي تتردّد لفظة « الفتى العربي » ، ومن صلاته التي أقامها مع الحمدانيين والعقيليّين، وبعض القبائل العربية في البادية التي كانت تسدّ منافذ الطريق الى الحجّ ، ندرك أهمية الدور للعنصر العربي وللآمال التي كان يعلقها على العرب في نصرته للوصول الى أهداف . شأنه في ذلك ، شأن المتنبي قبله ، الذي تأثّر به .

(٢) لقد ورد ذكر صديقه في الفصل الثاني ، ص١٣٦ .(في الحديث عن طموحه الى الخلافة) .

(٣) ديوان الرضي ، ٣٥٣/١ .

(٤) عبد الفتاح الحلو . مقدمة ديوان الشريف الرضي ، ٧٨/١ .

(٥) لقد تذكّره بعدّة أبيات في قصائد متعدّدة الأغراض . ولكنه رثاه بعد مرثيته الأولى ٢٣٥/١ بخمس قصائد في ديوانه ، ٥٦٧/١ و ٥٨٩/١ و ٥٢٣/١ ـ و ٣١٧/٢ و ٦٧٢ـ٦ .

(٦) ديوان الرضي ، دار بيروت ، ٣١٧/٢ .

انّ الالحاح في رثائه يدلّ على مبلغ الخسارة التي لحقت بالرضي ، فبموته فقد الشريف مساعداً قويا .

٤ ـ علاقته بأبي حسن البتّي :

كان الشريف يطرب لاجتماع اخوانه عنده . ويرى أنسه بلقائهم من فرص العيش ، وكان يرى ادارة الأحاديث شبيهة بادارة الكؤوس ، كأن يقول وقد اجتمع في بيته خمسة من الأصفياء :

نُظِمنا نظام العِقدِ ودُّا وأُلفةً ... وكان لنا البَتيّ سِلكَ نِظامِ
أخي وابنُ عمي وابن حَمدٍ فانه ... تباريْحُ قلبي خالياً وغرامي
فَنُضحي لها طَربى بغير تَرنُّمٍ ... ونُمسي لَها سَكرى بغيرِ مُدامِ[1] .

فمن هو البتيُّ هذا يا تُرى ؟[2] .

انّه أبو الحسن أحمدبن علي البتيُّ ، من كبار الكتّاب في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، ولّاه القادر العباسي أمر البريد والخبر ، وكان من أخلص أصدقاء الرضي وأوفاهم ، مع ميله الشديد الى الظرف والتّماجن والنوادر[3] وقد نزلت مودة البتيّ الى أعماق الشريف . وللرضي قصيدة شوقية فيه مزج فيها بين معاني الصداقة ومعاني الحبّ ، ودلّ على مدى تعلّقه به وتقديره لصداقته ونعرف من

---

(١) **ديوان الرضي** ، ٢/٢٧٥ .

(٢) البتّي : بائع البتّ ، وهو الطّيلسان من خزّ ونحوه ، أو نسبة الى البتّ قرية بالعراق قرب راذان .

المصدر نفسه ، ٢/٢٧٥ . أكّد ابن الأثير في **الكامل** ٧/٢٤٧ ، أن البتي نسبة الى بتّ ، قرية من أعمال بغداد .

(٣) ابن الجوزي . **المنتظم** ، ٧/٢٦٣ .

خلالها كيف تَسري المودّة في القلب مَسرى السّحر في العيون ، وتُشعر المرء بأنس اللقاء بعد وحشة الفراق ، وفيها يقول :

أبا حَسنٍ أتَحسبُ أنّ شوقي ... يقلُّ على مُعارضةِ الخُطوبِ
وكيفَ وأنتَ مُجتمعُ الأماني ... ومَجني العيشِ ذي الوَرَقِ الرَّطيب
وبي شوقٌ اليكَ أعلَّ قلبي ... ومالي غيرُ قُربِكَ من طبيبِ(١)

ثم كتب الرضي قصيدة الى صديقه ابن حمد أخبره فيها أنّ البتيّ جفاهم وهجر مجلسهم ، وأشار الى تغيّر عام طرأ على علاقته بأولئك الأصدقاء ، الذين دعا لهم من قبل بدوام الألفة وذلك بعد سفر ابن حمد :

لَهفي على ذاكَ الزمانِ ، وهَل ... يُثني زماناً ماضياً لَهَفُ
انبتَّ بعدكَ حبلُنا ، وحَدَت ... كلّا لِطِيّتِهِ نَوىً قُذُفُ(٢) .

وفي الواقع ساءت العلاقات بين الرضي وصديقه القديم البتيّ ، ولم تذكر الأسباب ، ونفهم من قصيدة للرضي عنوانها : (يعاتب صديقا له) أنه قالها في أبي حسن البتّي ، لأنه تحدث في مقدمتها عن العلاقة الحميمة والمتينة بينه وبين صديق له سمّاه أبا حسن وقد أخلف مواعيده ، وفسخ العهود وقرف الجروح المندملة ، ومع ذلك فالرضي شديد التعلق به ، وقد جاء فيها :

رِفقاً بقلبي ، يا أبا حَسنٍ ... العينُ منكَ ، وأنتَ تَطرفُها

---

(١) ديوان الرضي ، ١٩٣/١ .

(٢) ديوان الرضي ، ٢٣/٢ . وقد قالها في الوزير والصديق أبي علي الحسن بن حمد الرّيان يعاتبه ويتشوّق اليه .

في القلبِ منكَ جراحَةٌ أبداً ما زلتُ أدمُلها وتَقرِفُها[1] .
أرضى واغضَبُ في حبابِكُمُ ورِقابُ ودِّي لا أُصرِّفُها

وتوفيّ البتّي سنة ٤٠٥ / ١٠١٤ ، قبل وفاة الرضي بأشهر ، فرثاه صديقه الوفيّ ، ورأى في موته مقدّمة لدنوّ أجله ، ويقال : انّ آخر شعر نظمه الشريف هو أبياته في رثاء ذلك الصديق . حتى أنّ زكي مبارك قال : « أكاد أجزم بأن موت أبي الحسن البتّي هو السبب في موت الشريف الرضي »[2] ويشهد على ذلك قوله في رثائه :

ما للهمومِ كأنّها نارٌ على قلبي تُشَبُّ
والدمعُ لا يَرقى له غربٌ كأنّ العينَ غربُ
لوداعِ اخوانِ الشّبا بِ مضَتْ مطاياهم تَخُبُّ
فارَقتهم والعين عَينٌ بعدَهم والقلبُ قَلبُ
ما أخطأتكَ النّائباتُ اذا أصابَت من تُحبُّ[3]

وقد صحّت فراسة الرضي ، فان النائبات لم تخطئه حين أصابت من يحب ، فمات بعد ذلك الصديق المحبوب بأشهر معدودات .

٥ ـ علاقته بأبي سعد بن خلف : ٤١٤ / ١٠٢٣

هو أبو سعد علي بن محمد بن خلف النّيرمانيّ الهمذانيّ الكاتب[4]

---

(١) ديوان الرضي ، ٣١/٢ .
قرف الجرح : قشره .
(٢) زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي** ، ٨/٢ .
(٣) الغرب : عرق في العين يسيل منه الدمع ، والغرب أيضا الدّلو العظيمة . العين : هي الباصرة وهي أيضا الينبوع . والقلب : الفؤاد وهو أيضا اسم ماء .
القصيدة في **ديوان الرضي** ، ١٧٠/١ .
(٤) الثعالبي . **يتيمة الدهر** ، ٤١٢/٣ ونيرمان التي ينتسب اليها : قرية من قرى الجبل =

كان كاتبا في ديوان بني بويه ، وله مكانة خاصة عند بهاء الدولة[1] ، يلقّب بذي السعادتين ، وكان شاعرا تبادل القصائد مع الرضي ، وقد كانت صلة الرضي فيه قوية ومتطورة ، يدل على ذلك كثرة القصائد المدحية التي نظمها الرضي فيه ، وقد مدحه : بالشجاعة ، والحلم والعزم والوفاء ، وكان عونا للرضي في أوقات الشّدة ، وخلص بعد ذلك الى مدح قومه بني خلف .

ففي القصيدة الأولى التي كتبها الرضي جوابا عن قصيدة بعثها اليه أبو سعد ، نرى طبيعة العلاقة بين الرّجلين ومنها :

أخٌ ثقّفَ المجدُ أخلاقَهُ وأشعرَ أيّامَهُ بالعُلى
بني خَلفٍ أنتمُ في الزمانِ غيوثُ العطاءِ لُيوثُ الوغى[2] .

وفي القصيدة الثانية ، مدحه الرضي وهنّأه بالمهرجان ، ومنها :

اخاؤك ، ياعليُّ أساغَ ريقي وودِّك يا عليّ ، جَلا كُروبي
فيا عَوني ، اذا عَدَتِ الليالي عليَّ ، ويا مِجنيَّ في الحروبِ[3] .

وفي الثالثة مدحه وقد تخلّص من نكبة لحِقَته ومطلعها :

يا دارُ من قتلَ الهوى بعدي وَجدوا ولا مثلَ الذي عندي[4] .

= بالقرب من همذان . ياقوت **معجم البلدان** ، ٤/٨٥٦ . عبد الفتاح الحلو . **ديوان الرضي** ، ١/٢٧٢ .

(١) وقد مرّ بنا ذكره في الفصل الثاني ص/١٣٠ ح ٣ . وقد توفي سنة ٤١٤/١٠٢٣ .

(٢) **ديوان الرضي** ، دار بيروت ، ١/٤٠ ، من هنا ندرك أنّهما تبادلا الرسائل .

(٣) **ديوان الرضي** ، ١/١٠٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ١/٣٢١ .

وفي الرابعة مدحه وهنّأه بخَلع السلطان عليه وقد أشار الرضي الى ذلك بقوله :

فاسْعَد ، أبا سعدٍ ، باقبالِهِ فالهَديُ مجنوبٌ الى النَّحرِ
ما هو انعامٌ ، ولكنّه ما خلَعَ الغيثُ على الزّهرِ(١)

وفي الخامسة عزّاه عن ابنه ، وذكر مكانه في بني خلف ، وفي السادسة عزّاه عن أخت له :

كلَّما غابَ من بني خلَفٍ بَدْ رٌ يُضيء الظلامَ أخلفَ بَدرا
وكأنّ القبورَ منهم بذي الجِزْ عِ عِيابٌ حَمَلنَ دُرًّا وعِطرا(٢) .

٦ ـ علاقته بابن ابي الريّان : توفي سنة ٤٢٨ / ١٠٣٦

انه الوزير أبو علي الحسن بن حَمَد بن أبي الريّان ، كانت له مكانة في أواخر القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، وقد رافق الرضي في طريق الحجّ سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣(٣) . وهو الذي عزّاه عن ابن له مات سنة ٣٩٦ / ١٠٠٥ ، بقصيدة أشار فيها الى رابطة الصداقة بينهما ، وقد جاء فيها :

أُخيَّ ! جبراً لكَ من عثرةٍ لا بدَّ للعاثرِ أن يوهَنا(٤) .

وكان ابن حمد صديقاً وفيّا للرضي ، وله مكانة عظيمة في نفسه ،

---

(١) ديوان الرضي ، ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ١/٤٩٩ .
وعزّاه عن أخته بقصيدة سادسة ، ٢/٢٠٩ .
(٣) ورد ذكره في الفصل الثاني ، ص ١٣٠ ، ح/٢ .
(٤) ديوان الرضي ، ٢/٤٩٠ .

ويصوّر لنا الشريف هذه العلاقة السامية في احدى قصائدة التي جاء فيها :

وكنتُ إذا ضاقتْ مناديحُ خِطّةٍ دَعَوتُ ابنَ حَمْدٍ دعوةً فأجابَها
أخٌ لي ان أعْيَتْ عليّ مطالبي رمى لِيَ أغراضَ المُنى فأصابَها[1] .

أما الفئة الثانية من أصدقائه ، فقد اشار اليهم في الديوان عرضا ، وعلمنا مكانتهم وطبيعة علاقته بهم من خلال مراثيه لهم ، ونذكر منهم :

- أبو منصور الشيرازي الكاتب ، وهو من كتّاب الرسائل ، وكان بينه وبين الرضي مكاتبات بالنظم والنثر ، توفي سنة **٣٨٣ / ٩٩٣** ، فرثاه الرضي بقصيدة مؤثرة مطلعها :

أيُّ دموعٍ عليكَ لم تَصُبِ وأيُّ قلبٍ عليكَ لم يَجِبِ[2]
كنتَ قريني ولستَ من لِدتي كنتَ نسيبي ولسْتَ من نَسبي

- والشريف أبو القاسم علي بن الحسين أبو تمام الزّينبي نقيب العباسيّين توفي سنة **٣٨٤ / ٩٩٤** وكان بينهما صداقة وكيدة[3] .

- المظفّر أبو الحسن عبيد الله بن محمد ، كان صديقا لأبي أحمد الموسوي ثم صديقا للرضي ، توفي سنة **٣٨٧ / ٩٩٧**[4] .

---

(١) ديوان الرضي ، ٧٢/١ .
المناديح : جمع مندوح : الكثرة والسّعة .
(٢) **ديوان الرضي** ، دار بيروت ، ١٥١/١ .
(٣) رثاه بقصيدة في **ديوانه** ، ١٤٢/١ .
(٤) رثاه بقصيدة في **ديوان** ، ٤٩٤/١ .

- أبو الحسن محمد بن المفضّل المَلهبي ، توفي سنة ٣٩٩ / ١٠٠٨[١] .

د ـ وفاء الشريف الرضي :

جمع الشريف الرضي حفنة كريمة من الصفات الخلقية الرفيعة ، وأول ما يلفت نظرنا من تلك الخلال وفاؤه النادر ، وعرفانه للجميل حتى في أحرج المواقف . وهل ننسى وفاءه للخليفة المعزول الطائع ؟ أو لمجموعة من أصدقائه ؟

١ ـ وفاؤه للطائع ولبهاء الدولة :

ظلّ الرضي على وفائه للطائع حتى بعد عزله ، ولّما مات وهو مجرّد من الحول والطَّول ، ومن جاه الخلافة رثاه بعدّة قصائد[٢] ولم يخش فيها غضب الخليفة القادر ، والملك البويهي بهاء الدولة ، وهو الذي عزله .

انّ توجّع الشريف للطائع منذ خلعه سنة ٣٨١ / ٩٩١ ، حتى وفاته سنة ٣٩٣ / ١٠٠٢ ، يدلنا على احتفاظه بالولاء له ، وتمسّكه بالمودّة القويّة . بل قل الوفاء النادر ، والجسارة فهو يجاهر بتأبينه واطرائه مع ما يجرّ ذلك عليه من غضب وسخط . فعندما خلع الطائع توجّع الشريف ممّا لحقه وأنشد قائلا :

انْ كان ذاكَ الطَّودُ خَرَّ فَبَعدَما استَعلى طويلا[٣]

---

(١) رثاه بقصيدة في ديوانه ، ٢/٧٤ .

(٢) رثاه بثلاث قصائد في ديوانه ، ١/٣٠ و٢/٢١٥ و٢/١٩٩ .

(٣) ديوان الرضي ، ٢/١٩٤ .

وفي رثائه له يوم وفاته نسمع أنينا حزينا كأسجاع الحمام ، ذاكرا فضله قائلا :

انّ لـلطائِـع عـنـدي مِـنَّـةً ، وحِمىً قـد بـلَّهـا بـبـلالي
ليس يُنسيهـا وان طـالَ المـدَى مـرُّ أيـامٍ عـليـهـا ولـيـالي
فـاتني منـكَ انتصـارٌ بيمـينـي فتلافيتُ انتصاراً بمقـالي[1] .

وقد تكرّرت مرثياته له بعد ذلك ، ممّا يدلّ على وفائه الأصيل .

وكان الرضي شديد التعلّق بالملك البويهيّ بهاء الدولة ، كثير الميل اليه ، فبعد مرثيّته الأولى فيه يوم وفاته في سنة ٤٠٣ / ١٠١٢ ، اشتدّ به الحنين اليه ، وتذكر أيامه معه فبكاه وتفجّع عليه ، بمرثية ثانية بعد سنة من وفاته ، سنة ٤٠٤ / ١٠١٣ ممّا يدلّ على اخلاصه له ، ووفائه النادر ، وعرفانه للجميل فبعد وفاة بهاء الدولة اقفرت المنازل من المكارم ، وزادت الخطوب أذى ، وقل الوفاء ، وزادت الهموم على قلب الشاعر ، لذلك قرّر الرضي هجر الديار بعدر رحيله ، لأن عقارب القوم تسعى للَسعِه في الظلام ، وممّا قاله في :

فأين قوامُ الدّين للخَطبِ يَعتري وللدّهـرِ يَغدو بـالأذَى ويَـروعُ
فـلا حَمَلت أمُّ المكـارمِ بـعـدَهُ ولا شبّ للمجدِ التّليدِ رضيـعُ
أضمُّ عليـه الـراحتـينِ تعلُّقـاً وقـد نـزعَتْـهُ من يـديّ نَـزوعُ

ويبلغ الحزن والأسى به مداه في البيت الأخير :

ولـو أنَّ قلبي بعدَ يـومِك صخـرةٌ لبانَ بها وَجْـداً عليكَ صُـدوعُ[2]

---

(١) ديوان الرضي ، ١٩٩/٢ ، ويشير في هذا البيت الى حادثة جذبه عن سرير الملك وخلعه .

(٢) المصدر نفسه ، ٦٢٤/١ .

٢ ـ وفاؤه لأصدقائه :

ويتجلّى وفاؤه بأعظم مظاهره في كثرة مراثيه لأصدقائه أكثر من مرّة . فلا يكتفي بالمرثية الواحدة لميّت ، حتى ليصحّ أن نسميه شاعر الدموع . ولقد رثى صديقه الصابي أكثر من مرّة[١] ، ورثى أحبابه مرّات ومرّات كأن عينه موكّلة ببكائهم[٢] .

وكان شجاع القلب في وفائه ، فلا يبالي أن يغضب الناس برثائه لميّت غضبت عليه السياسة ، أو تألّبت عليه الجماهير . ويذكرنا هذا الموقف برثائه لابن شاهَوَيْة ، زعيم القرامطة في بغداد ، فقد رثاه بقصيدة مؤثرة عند وفاته سنة ٣٩٦ / ١٠٠٥ ، فقد كان صديقه ، ولم يشهد جنازته في بغداد الاّ ثلاثة رجال فقط ، أحدهم الرضي . فقد خاف أصدقاؤه وأنصاره عواقب التفجّع عليه ، وفي هذا الحادث يقول :

أخي ما أقلَّ التّابعيكَ الى الثَرى ... واخوانُكَ الأدنَونَ من قبلها كُثْرُ[٣]

وقد مدح الرضي ابن جنّي أستاذه ـ ورثاه عرفانا لجميله[٤] ،

---

(١) رثى الصابي بثلاث قصائد في ديوانه ١/٣٨١ ، مرثيته الأولى ، ثم عاد وتذكّر بمرثيّتين في الديوان ، ٢/٧٥ ، ٢/٥٧٩ .

(٢) لقد رثى أبا طاهر ابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني بثلاث قصائد في ديوانه ١/٤٩٠ و ١/٦٤٢ و ١/٣٦٦ وأبا حسان المقلّد أمير عقيل بقصيدتين في ديوانه ١/٣٦٩ و ١/٦٣٥ ـ وقد مرّ بنا انه رثى ابن ليلى بست قصائد ، راجع ص ١٧١ ح ٥ .

(٣) ديوان الرضي ، ١/٤٩٨ .

(٤) كانت صلة الرضي به قوية ، وكان من المعجبين بشعر الرضي ، فقد شرح قصيدة الرضي في مرثيته الأولى لأبي طاهر بن ناصر الدولة الحمداني ومطلعها : « ألقيْ السلاحَ ربيعةَ بن نَزارِ » فمدحه الرضي تعبيرا عن شكره بقصيدة في ديوانه . ٢/١٦٦ وعند =

ومدح شرف الدولة ورثاه لموقفه النّبيل من اطلاق سراح والده من السجن في فارس[1] .

وقد بكى الشريف الكثير من المغمورين ، وتوجّع لفقد الأحباب والأصحاب ، حتى أصبح وفاؤه مضرب المثل ، ومثالا نادرا يحتذى به[2] .

هـ ـ العداوة والأعداء في حياة الشريف الرضي :

لقد أسرف الرضي من بين الشعراء في الكلام على الصديق والعدو ، وله أشعار كثيرة في الصفح عن ذنوب الأصدقاء[3] . وكان

= وفاته سنة ٣٩٢/١٠٠١ رثاه بقصيدة مؤثرة ، وصلّى عليه عند دفنه وقد جاء فيها :

لِتَبْكِ أبا الفتحِ العيونُ بدمعها وألْسُنُنا من بعدِها بالمناطِقِ

ديوان الرضي ، ٢/٦٣ .

(١) وفي مرثيته له عند وفاته سنة ٣٧٩/٩٨٩ ، أشار الى هذا المعنى قائلا :

أعادَ عزَّ أبي غضاً وَخوّله ما شاء من بَذْلِ اعْزازٍ واكرامِ

ديوان الرضي ، ٢/٤١٣ .

(٢) جسّم الرضي معاني الأخوّة وهو يبكي أصدقاءه المجهولين ، فربما لم ترفعهم مواهبهم ، أو مقاماتهم لمرتبة النّص على أسمائهم في الديوان . ومن شواهد شعره في بكاء المغمورين القصائد التالية في **ديوانه** ١/٣٤ ، ١/٥٠٧ ـ ١/٥٤٤ ـ ١/٥٦٠ ـ ١/٦٤٨ و ٢/٧٠ ـ ٢/٢١٧ ـ و ٢/٥١١ . . ويتعجّب زكي مبارك من وفاء الرضي فيقول : « وهناك جانب من غرائب الوفاء عند الشريف هو بكاء النساء ، وهذا أغرب الجوانب . . . فقد أكثر الرضي من تعزية الناس في أمهاتهم وأخواتهم . . » .

عبقرية الشريف الرضي ، ٢/٧٨ .

(٣) وأصدق نموذج لصبره وغفرانه القصيدة التالية :

وكم صاحبٍ كالرّمحِ زاغَتْ كعوبُهُ أبى بعدَ طولِ الغَمْزِ أن يتقوَّما

ولو أنني كَشَفْتُه عن ضميره أقمتُ على ما بيننا اليومَ مأتَما

حملتُك حملَ العينِ لجّ بها القَذَى فلا تنجلي يوماً ولا تبلُغُ العَمى =

الدهر يبتليه أحيانا بأخوان لا تغفر لهم ذنوب ، اخوان يميلون عليه مع الزمان فيسقونه كأس العلقم والصّاب . فنراه يتوجّع بمثل هذا الشعر الحزين :

أمسى عليَّ مع الزمانِ أخٌ ... قد كنتُ آمُلُ يَوْمَه لغَدِ
فلأجعَلنَّ عقوبتي أبداً ... أنْ لا أمدَّ يدي الى أحدِ
فتكونَ أوَّل زلَّةٍ سبقَتْ ... منّي[1] وآخِرَها الى الأبدِ(1)

وهذه ، الزّفرة تنقلنا الى أشعاره في الثورة على الغادرين ، فنراه أحيانا يقف موقف اليائس من صحّة الودّ فيقول :

تُجاذِبُني يدُ الأيامِ نفسي ... ويوشكُ أن يكونَ لها الغِلابُ
وتغدرُ بي الأقارِبُ والأداني ... فلا عجبٌ اذا غَدَرَ الصِّحابُ(2)

ولكن الشريف لم يصرّح بأسماء أعدائه ، ولم يشهّر بهم ، فتحدث في قصائده عن العداوة بشكل عام ، وعن سلوك الأعداء نحوه ، ولكنه لم يعرّفنا على عدوّ واحد من أعدائه ، على عكس ما فعل في تحديد أصدقائه ، والتعريف بمكانتهم . ومن خلال شعر الرضي ندرك أنه ضجر من الناس ، وعانى أشقّ العداوات ، ولكنه تماسك وقارع خصومه قراع الفحول . وكان أشدّ أعدائه أصدقاء قدماء . وشواهد هذه الحالة النفسيّة كثيرة في شعره(3) .

= ديوان الرضي ، ٢/٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

(١) المصدر نفسه ، ١/٣٩٧ .

(٢) ديوان الرضي ، ١/١٢٥ .

(٣) وخير شاهد على ما نقول القصيدة التالي :

نهْنِهْ عتابَكَ الاّ إنّ هفَا جرمُ ... بِعضُ العِتاب على الاخلاص مُتَّهَمُ
مالي أقولُ فلا تُصْغي بسامعةٍ ... تصامُمٌ بكَ عن ذا القولِ أم صَمَمُ

وقد كان الشريف يتنبّه الى أسباب العداوة بينه وبين النـاس ، فنراه يداري الأعداء خـوفا من عـواقب اللّجاجـة والالحاح في اثـارة الضغائن والأحقاد فيقول :

تَجـافِ عن الأعـداءِ بَقيـاً فـربمـا كُفيتَ ولم تُعقَـر بنـابٍ ولا ظِفـرِ
ولا تبـرِ منهم كـلّ عـودٍ تخـافُـه فانّ الأعادي يَنبِتون مع الـدّهرِ(١)

والعداوة كالنار تخمد بعض الخمود . وأخطر الأعداء وأشدّهم ضررا ذوو النفـوس المـريضـة والضعيفـة ، لأنهم يلجـأون الى أسـاليب الختـل والخـداع ، والعدوّ الضعيف مخلوق خـطر ، لأن الضعف علّمه الـدّهاء والاحتيـال . من هنا كـان من السهـل أن يعمـد الأعـداء الضعفـاء الى تهوين قدر الرضي في نفوس أهـل العراق ، والشـريف يعتمد بـالدرجـة الأولى في حياته السياسيّة والاجتماعية عـلى حسن السّمعة بـين الناس ، نظرا الى نسبه ومكانته الاجتماعية :

وإنّ مـقـامَ مـثـلي في الأعـادي مقـامَ البـدرِ تَنبَحُـه الكـلابُ
رَمَـوني بـالـعيـوبِ مُـلفّـقـاتٍ وقـد علمـوا بـأنّي لا أُعـابُ(٢) .

وكـان الشريف قـد امتحن بجماعـة من أقربـائه نـاصبوه العـداء ، ونحن نعرف أسباب تلك العداوة ، فقد كـانت هناك منـاصب موقـوفة على الأشراف وكانت الحرب عـلى تلك المناصب مـا تنفكّ تستعـر . وفي

= نهنه : كفكف . هفا : ارتكب هفوة . جرم : أراد مجرما .
ديوان الرضي ، ٢/٣٩٣ .
وزكي مبارك . عبقرية الشريف الرضي ، ٢/١٤ ـ ١٥ .
(١) ديوان الرضي ، ١/٥٣٠ .
(٢) ديوان الرضي ، ١/١٢٧ .

أشعاره عبّر الشريف عن عواطف ذاتيّة ، غرسها في صدره عنف الأهل ولؤم الزمان . ولولا ذلك ما صحّ له أن يقول :

اذا أشِرَ القريبُ عليك فاقطَعْ بحدِّ السيفِ قُربى الأقرِباءِ[1] .

وقال في موضع آخر :

وقُل لبني عمِّنا الواجدينَ بني عمنا . بعضَ هذا الغضَب[2]
أما آنَ للرّاقدِ المستمرِّ في ظُلَمِ الغَيِّ أن يستهِبّ

لقد كان أولئك الأقرباء ينافسونه على الحظوة عند السلطان ، وعلى القيام بأعباء النقابة والسّفارة وما الى ذلك ، وكان ثراء بعضهم يضيف عنصرا قويا الى تلك المنافسة والخصومة في طلب الجاه والدنيا العريضة .

وكان الشريف يرضى ويغضب ، ويخشن ويلين ، ويوازن بين عداوة الأقارب وعداوة الأباعد فيقول :

للذل بين الاقربَين مضاضَةٌ والذلُّ ما بين الأباعِدِ أروَحُ
واذا رمَتكَ من الرجالِ قوارصٌ فسهامُ ذي القُربى القريبةِ أجرَحُ[3]

---

(١) أشِر : حقَدَ .
ديوان الرضي ، ١٦/١ ـ وكان يخاطب والده .
(٢) الوجدين : الغاضبين . بعض الغضب : قلّلوا غضبكم . المصدر نفسه ، ١٢٨/١ .
(٣) ديوان الرضي ، ٢٥٨/١ .

الفصل الرابع
الشريف الرضي وثقافة عصره

بالرغم من اضطراب الاحوال السياسية والاجتماعية في القرن الرابع الهجري ، القرن العاشر الميلادي ، وكثرة الدويلات والممالك الصغيرة فيه ، كان ذاك العصر عصرا حافلا بالحركات العلمية والأدبية في شتّى نواحي المعرفة . ولقد امتاز هذا العصر بظهور طائفة كبيرة من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء ، قلّ أن نجد لها نظيرا في العصور السابقة أو اللّاحقة . وأغرى هذا العطاء الفكري والأدبي الخصب الكثير من الباحثين ، فاندفعوا يدرسون هذا العصر بشغف ، فنال من اهتمامهم القسط الأوفر حتى سمّي عصر النهضة في الاسلام[1] . ولا شكّ أنّ كثرة السلاطين والوزراء والأمراء في أنحاء المملكة الاسلامية ، كانت من العوامل المساعدة في ابراز هذه النهضة ، لأن مجموعة كبيرة منهم كانت من كبار الكتّاب والأدباء والشعراء ، أو من مناصري العلم والأدب[2] . فقد تنافس الملوك والوزراء والأمراء في استقدام الأدباء

---

(١) آدم متز . **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري** ١ / ٤٥٠ .

(٢) نذكر منهم على سبيل المثال : سيف الدولة الحمداني الذي كان أديبا ، شاعرا ، وقد روى الثعالبي طائفة من أشعاره وأخباره ، وكان مجلسه حافلا بالشعراء ، حتى قيل : لم يجتمع باب أحد من الملوك ما اجتمع ببابه من الشعراء وعلى رأسهم : المتنبي وأبو =

والشعراء الى بلاطاتهم ، وكان هذا التنافس بحدّ ذاته من مصلحة العلم والأدب .

وكان انقسام الدولة العباسية الى دويلات وامارات عاملا من عوامل النهضة التي أخذت تتميّز في هذا العصر ، فانتقلت مراكز التشجيع للعلماء والأدباء من قصور الخلفاء الى دور الأمراء والسلاطين والوزراء والعمّال في الأقاليم المختلفة .

لقد تناولنا في هذا الفصل : دور البويهيّين في الحياة الفكرية (الملوك والوزراء والأمراء) ، وتحدّثنا عن مرافق الفكر في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، فدرسنا : الشعر والشعراء ، النثر ، النّقد ، اللّغة ، والكلام .

وشيوخ الرضي الذين رتّبناهم حسب سنة الوفاة ، وقدّمنا ترجمة لكل واحد منهم . ثم درسنا بعد ذلك تلامذة الرضي والرّواة عنه ، كما تحدّثنا عن دار العلم و « مجمع الرضي » .

وأتبعنا هذا الفصل بخلاصة شامله للفصول السابقة ، عالجنا فيها أخلاق الرضي ومقوّمات شخصيّته ، وقد تناولت :

تديّنه ، زهده ، عفافه ، عزّة نفسه ، وتشدّده في عقاب الجاني من الطالبيّين .

= فراس الحمداني . وقد توفي سنة ٣٥٧/٩٦٧ وشمس المعالي قابوس بن وشمكير ، أمير الدولة الزّياريّة في طبرستان ، كان أديبا ممتازا ، وشاعرا ملحوظ المكان ، وله مراسلات عالية دارت بينه وبين الصاحب بن عبّاد ، قتل سنة ٤٠٣/١٠١٢ (فضلا عن سلاطين البويهيين ووزرائهم وأمرائهم ، وسيرد ذكرهم) .
الثعالبي . **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** ١/١٥ و ٤/٥٩ .

أ ـ دور البويهيّين في الحياة الفكرية (السلاطين والوزراء والأمراء) :

لقد أسهم البويهيون في نهضة القرن الرابع العلمية والأدبية ، بشكل لا يمكن لمنصف اغفاله ، فقد كانوا لا يستكتبون ولا يستوزرون الاّ العلماء والشعراء والأدباء ، وقد كان ملوك بني بويه أنفسهم مشهورين بميلهم الى الأدب والعلم ، وبالمساهمة فيهما . فقد شارك عضد الدولة ٣٧٢ / ٩٨٢ في عدّة فنون ن الأدب ، وقرّب اليه العلماء والأدباء وحثّهم على التأليف[١] ، فألّف له أبو اسحاق الصابي ٣٨٤ / ٩٩٤ كتابه (**التاجي**) في أخبار آل بويه ، وألّف له أبو علي الفارسي ٣٧٧ / ٩٨٧ النحوى المشهور كتاب (**الايضاح**) و (**التّكملة**) في علم النحو[٣] . وقصده فحول الشعراء في عصره ، كالمتنبي والسّلامي وغيرهما ، وكان هو نفسه ينظم الشعر[٣] ، كما كان عزّ الدولة وتاج الدولة من شعراء بني بويه .

ومن الوزراء الأدباء الذين نبغوا في عصر بني بويه ابن العميد ٣٦٠/٩٧٠ وزير ركن الدولة بن بويه ، والصاحب بن عبّاد ٣٨٥/٩٩٥ وزير مؤيّد الدولة ، وأخيه فخر الدولة ابنا ركن الدولة البويهي ، وكان من المعالم الأدبية الواضحة في هذا العصر ، وعبد العزيز بن يوسف الحكّار ٣٨٨/٩٩٨ ، كاتب الانشاء ، لعضد الدولة ووزير بهاء الدولة ، وكان شاعراً وصديقا للشريف الرضي ،

---

(١) الثعالبي . **يتيمة الدهر** ، ٢/٢١٤ .

(٢) محمد عبد الغني حسن . مقدمة **تلخيص البيان** ، ص/٧٢ .

(٣) الثعالبي . **يتيمة الدهر** ٢/٢١٦ .

وأبو سعد علي بن محمد بن خلف ٤١٤/١٠٢٣ الذي صنّف لبهاء الدولة (**المنثور البهائي**) وهو نثر لكتاب (**الحماسة**) وكان كاتبا في ديوان بني بويه وشاعرا من أصدقاء الشريف الرضي ، وسابور بن أردشير ٤١٦/١٠٢٥ الذي وزر لشرف الدولة ولأخيه بهاء الدولة ، وكان شاعرا أديبا ووا أنشأ في الكرخ خزانة كتب عظيمة ، حمل اليها كتب العلم من كل فنّ سمّاها « دار العلم » ووقفها على افادة الناس[١] .

ب ـ مرافق الفكر القرن الرابع الهجري :

شهد القرن نهضة فكرية شاملة ، فازدهر الشعر وكثر الشعراء ، وظهرت طائفة من الكتّاب والمترسّلين ، وتطوّر النقد وألّفت فيه الكتب ، وتضخّم القاموس اللغويّ ، وكانت بلاطات الخلفاء والملوك ودور الوزراء والأمراء حافلة بالجدل والمناظرة والمساجلة ، وغصّت دور العلماء والفقهاء وحلقات الدروس بطلّاب الأدب وروّاد المعرفة من شتّى الجهات .

١ ـ الشعر والشعراء :

أخذ الشعر حظّا وافرا من التوسّع في أبوابه ، والتنوّع في أساليبه ، فانتشرت أبواب جديدة في دواوين الشعراء مثل : الاخوانيات ، وشكوى الزمان ، والسلطانيات والمقارضات والمداعبات ، فرأينا فيها : الثّلجيّات ، والفيليّات والبرذونيّات[٢] . وتلقّح الشعر

---

(١) راجع في ترجمة وزراء بني بويه ورجالهم الفصل الثاني الصفحات ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ

(٢) هي القصائد التي نظّمها أصحابها في (الثلج والفيل والبرذون) .
الثعالبي . **يتيمة الدهر** ٣/٢١٤ ـ ٢٩٩ .

بلقاحات جديدة ، فرأينا في شعر أبي الطيّب المتنبّي الكثير من حِكَم اليونان ، وفي شعر أبي العلاء المعرّي الكثير من المعاني الفقهيّة والفلسفيّة والصوفيّة .

كما تجدر الاشارة الى ظاهرة جديدة ، وهي كثرة المقطوعات الصغيرة كما هي الحال في ديوان المتنبي وديوان الشريف الرضي . فهناك القصائد الفخمة على النمط القديم ، والمقطوعات الصغيرة في وصف شيء ما .

ويرى أحمد أمين أنّ هناك قسمين من الشعر : قسم كلاسيكي كالذي ذهب اليه المتنبي وأبو فراس الحمداني والشريف الرضي ، وقسم شعبي مثل بعض شعر المُكدين الطوّافين ، كالأحنف العُكبُري ، وابن الحجّاج ، وابن سُكَّرة ، وكان ميل الناس في ذلك العصر الى السّخافة والشهوات سببا في نتاج هذا النوع من الشعر والاقبال عليه[1] .

لعلّ من أشهر شعراء هذا العصر المتنبي ٣٥٤ / ٩٦٥ ، وأبو فراس الحمداني ٣٥٧ / ٩٦٧ . ونجد في النصف الثاني من القرن الرابع ومطلع القرن الخامس مجموعة من الشعراء ، نذكر منهم : أبا الفرج محمد بن أحمد المعروف بالوَأواء الدمشقي ٣٩٠ / ٩٩٩ ، وأبا الحسن محمد عبد الله السّلامي ٣٩٣ / ١٠٠٢ ، وأبا الفرج الببّغاء ٣٩٨ / ١٠٠٧ ، وأبا العبّاس أحمد بن محمد النامي ٣٩٩ / ١٠٠٨ وابن نباتة السّعدي ٤٠٥ / ١٠١٤[2] . ومهيار الدّيلمي ٤٢٨ / ١٠٣٦

---

(١) أحمد أمين . **ظهر الاسلام ٢/١٢٥** .

(٢) ابن نباتة السّعدي هو غير ابن نباتة المصري من شعراء القرن الثامن ، وغير ابن نباته الفارقي الخطيب الذي تتلمذ له الشريف الرضي .

وهو تلميذ الشريف الرضي والمرتضى ، وأبا العلاء المعري أحمد بن سليمان ٤٤٩ / ١٠٥٧ ، الذي أدّب الفلسفة وفلسف الأدب (١) .

ومن الشعراء الذين عاصروا الرضي شاعران أخرجهما الهزل والمجون وروح اللّهو والعبث عن أن يذكرا في مواطن الجدّ هما : ابن سكّرة وابن الحجّاج ، وكان لهذين الشاعرين في زمانهما مكان مرموق ، فكان يقال في بغداد : ان زمانا جاد بابن سكرة وابن الحجّاج لسخيّ جدا (٢) . وكانت أشعار هذين العابثين تباع في الأسواق بأثمان غالية ، وكان الناس يتشوّقون الى أشعارهما بالرغم ممّا حوته من سخف القول وفحشه (٣) . كان ابن سكّره يبدع في وصف مجالس اللهو والانس (٤) ، وقد اتّفق له أن يعشق قَينة سوداء اسمها « خمرة » فنظم فيها أكثر من عشرة آلاف بيت (٥) ، وكانت هذه الحكاية مدار السّمر في أندية بغداد ، وأثّرت في الشريف الرضي نفسه فأنشأ القصائد الطّوال في التشبيب بالسود الملاح (٦) .

وأما ابن الحجاج فقد تفرّد بفنّ من السخف لم يسبقه اليه سابق . وقد رفع الشعر بابن الحجاج الى مرتبة عالية ، فحصّل الأموال والأملاك ، وصار مقضّي الحاجة ، مقبول الشفاعة ، محذور الجانب ،

---

(١) انظر في ترجمة هؤلاء الشعراء الثعالبي . **يتيمة الدهر** ، الجزأين الثاني والثالث .
(٢) الثعالبي . **يتيمة الدهر** ٣/٣ و ٣/٣٠ .
(٣) المصدر نفسه ٣/٤ .
(٤) المصدر نفسه ٣/٥ ، وقد ذكر له عدّة مقطوعات من أشعاره في مختلف الفنون .
(٥) المصدر نفسه ٣/٣ .
(٦) زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي** ٢/١٠٨ .

متّقي اللسان ، ولكن لم يكن السخف كل بضاعته ، فقد كان يجيد القول في سائر ضروب الشعر(١) .

لذلك عكف الشريف الرضي على دراسة شعره ، فأخرج منه مختارات سمّاها (**الحسن من شعر الحسين**) . ولمّا مات ابن حجّاج رثاه الشريف باحدى قصائده(٢) . هل كان الرضي ينظر الى نجاح هذين الشاعرين بعين الرضا والارتياح ؟ وكيف وهو يراهما ينتهبان الجوّ الأدبي أفظع انتهاب ، ويشدّان انتباه الناس اليهما بسخيف الشعر ومبتذله ، لقد كان الشريف يزهو بشعره ويختال بعبقريته ، ويبدو أنّ اختياره لشعر ابن الحجّاج ، انّما هو ردّ فعل لما كان في نفسه من سخط وغضب على مجتمع لا يحفل بالشعر الجّاد الرّصين . فلجأ الى شاعر هازل ليختار أحسن ما في شعره . هذا الاختيار لا يسوّغ لنا اعجاب الشريف بشعراء العبث والمجون ، وقد يكون معجبا بظرفه وخفّة روحه كما قال ، جريا على ذوق عصره . كانت دواوين الشعراء كلّها تصل الى العراق ، وكانت بغداد تشعر بخطر المنافسة ، لأنها تستورد كل ما تجود به القرائح ، وان تباعدت البلاد ، ولا بدّ أن يشعر الشريف بالغيرة والقلق لاندفاع الشعراء وتفنّنهم في أساليب القول . كان الشريف يضجر ويتألم

---

(١) **أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجّاج ٣٩١/ ١٠٠٠ وقد مرّ ذكره في الفصل الثالث** ص ١٧٠ . **وانظر في ترجمته يتيمة الدهر ٣/ ٣٠** . وابن مسكويه . **تجارب الأمم ٣/ ٤٠٣** .

(٢) ديوان الرضي ٢/ ٤٤١ . يرى زكي مبارك : أنّ الرضي كان يعطف على ابن الحجاج لبعض الوفاق في المذاهب الدينيّة أو السياسيّة ، لأنه كان يعرّض ببعض خصوم أهل البيت . . . فضلا عن شاعرية ابن الحجّاج ، فقد كانت له وثبات شعرية لا يستهان بها . زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي ١/ ٨٦** .

لانصراف الناس والنّقـاد عن شعره واقبـالهم على شعـر المتنبي مثلا[1] ، مـع أنه يـرى نفسه سيّـد الشعراء ، فـدفعته الـظروف ليزهـو بشعره ويختال بشاعريته :

سيُسكتُني يَأسي وفي الصدرِ حاجةٌ ... كـما أنـطَقَتني والـرجـالَ المطامع
بضـائعُ قـولٍ عند غيـري رِبحُها ... وعنـديَ خُسرانـاتُهـا والـوَضـائـعُ
وهل تدّعي حفظَ المكـارمِ عِصبةٌ ... لِئامٌ ، ومثلي بينها اليومَ ضائعُ[2] .

٢ ـ النّثر :

أمّا النثر فقد ظهرت طائفة من الكتّـاب والمترسّلين ، نـذكر منهم . أبا الفرج الاصبهاني ٣٥٦ / ٩٦٦ صاحب كتـاب (**الأغاني**) وأبـا علي القـالي ٣٥٦ / ٩٦٦ صـاحب كتـابي (**النّـوادر**) و (**الأمـالي**) ، وابن العميد ٣٦٠ / ٩٧٠ في رسائله الشهيرة ، وأبا اسحـاق الصابي ٣٨٤ / ٩٩٤ الـذي نبـغ بـالسلطانيـات والأخـوانيـات[3] ، وكـذلـك أبـا بكـر الخـوارزمي ٣٨٣ / ٩٩٣ . فكلاهمـا كان شيخـا لهذه الصنـاعة ، وقـد التزما السّجع في كتاباتهما[4] .

---

(١) كان الرضي يعيش في عصره حياة المغبون ، وأنه كان على أهل زمانه من الحاقدين . فقد انصرف النّقاد عن دراسة شعر الرضي ، وألّفوا الكتب في شاعرية أبي تمّام والبحتري ، والمتنبي ، فكان هؤلاء محور الجدل والخلاف . زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي** ١/٧٨ ـ ٧٩ .

(٢) **ديوان الرضي** ١/٦٦٥ .

(٣) الثعالبي . **يتمية الدهر** ٢/٢٤١ ، وأنظر في ترجمة الخوارزمي ابن الأثير . الكامل ، ٧/١٦٢ .

(٤) كان الصابي يفتخر بقدرته على الكتابة ، وبمكانته لدى السلطان :

وقـد عـلمَ السـلطانُ أنّي أمـينُـه ... وكـاتبـهُ الكـافي السّـديـدِ المُـوفّقِ
فيُمْنـايَ يُمْنـاهُ ، ولفـظي لفـظُه ... وعيني لـه عـينٌ بهـا الـدهـرُ يـرْفُقُ =

وقد بلغت الكتابة في هذا العصر مرحلة راقية من النضوج ، وكانت البلاغة وحدها سبيل الكتاب الى أكبر المناصب مهما اختلفت ديانتهم ، فالصابي الكاتب المترسّل البليغ قلد ديوان الرسائل ببغداد بسبب بيانه وبلاغته .

وسنرى في الفصول التالية أنّ الرضي نفسه قد أسهم في أدب الرسائل ، فقد دارت بينه وبين بعض أعلام عصره ـ وخاصة الصابي ـ رسائل أدبيّة[1] .

٣ ـ النّقد :

واتّجه فريق من أدباء هذا العصر وجهة نقد الشعر ودراسته ، فأُلّفت في هذا الباب مجموعة كبيرة من الكتب التي تعتبر تراثا أدبيّا غنيّا ، فمنهم : أبو الحسن محمد بن أحمد بن طَباطَبا العلوي **٣٢٢ / ٩٣٣** صاحب (**عيار الشعر**) ، وقُدامه بن جعفر **٣٣٧ / ٩٤٨** صاحب كتاب (**نقد الشعر**) ، وعلي بن عبد العزيز الجُرجاني **٣٦٦ / ٩٧٦** الذي ألّف كتاب (**الوساطة بين المتنبي وخصومه**) ، يردّ به على الصاحب بن عبّاد في كتابه عن مساويء المتنبي ، والحسن بن بِشْر الآمدي **٣٧١ / ٩٨١** صاحب كتاب (**الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري**) ، وأبو عبيد الله محمد بن عمران المَرْزُباني **٣٨٤ / ٩٩٤** في كتابه (**الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء**) ، وأبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل

= محمد عبد الغني حسن ـ مقدمة **تلخيص البيان** ص ٧٥ ، أحمد أمين ، صهر الاسلام ١٢٤/٢ .

(١) أثبت ابن معصوم في الدرجات الرفيعة ص٤٧٨ بعض الفصول منها ، ونُشر بعضها في الأجزاء الأولى من مجلة العرفان التي أصدرها في صيدا الشيخ أحمد عارف الزين .

العسكري ٣٩٥ / ١٠٠٤ في (**الصناعتين**) ، وأبو منصور الثعالبي ٤٢٩ / ١٠٣٧ في (**يتيمة الدهر**) ، وأبو العلاء المعرّي ٤٤٩ / ١٠٥٧ في (**رسالة الغفران**) و (**عبث الوليد**) .

٤ ـ اللّغة :

أمّا اللّغة فقد سجّل مؤرّخها في هذا القرن ظاهرتين مهمّتين في حياتها : **أولاهما** : ضخامة القاموس اللغوي ، وسعة معاني مفرداته ، وذلك بما جدّ من مفردات اقتُبِست من البيئات التي دخلتها العربية ، فظهرت ألفاظ جديدة عن طريق التعريب ، وأدّى تطوّر العلوم الفقهيّة والجدل والمناظرة الى ظهور مصطلحات خاصة ، أضف الى ذلك ما دعا اليه « أبو علي الفارسي » وتلميذه « أبو الفتح عثمان بن جنّي » من ضرورة الخروج باللغة من نطاق التوقيف والسّماع الى نطاق القياس والاشتقاق[1] . **وثانيهما** : سَهُل تناول اللغة من المعاجم ، بعد أن رتّبت على حروف الهجاء ، وكانت قبلا معقّدة صعبة لتبويبها على مخارج الحروف ، أو على أساس ما يجمع بين المفردات من معنى ، وكان لهاتين الظاهرتين أثر بالغ في تطوّر اللغة ، وفي تأليف المعاجم على حروف الهجاء فيما بعد .

ويعتبر الرضي أحد أعلام اللغة البارزين ، بما حَوَته كتبه من مفردات لغويّة ، تطرّق الى شرحها وتحديد مفاهيمها . وكان الشريف من أعلام التفسير والحديث والفقه والكلام . ولا بدّ لمن يفسّر القرآن بالرأي من ألمام بالغ بمعاني المفردات القرآنية حتى يستطيع أن يختار منها ما يراه ملائما لرأيه في التفسير .

---

(١) أحمد امين . **ظهر الاسلام** ٢/١٢٤ .

٥ ـ الكلام :

يتّفق مؤرّخو علوم العربية على تميّز القرن الرابع بظاهرتين هامّتين ، الأولى : بلوغ العلوم والفنون الأدبية درجة من النضج والتكامل ، لم يسبق أن بلغتها في العصور الماضية ، وكرّست قواعدها وخططها بشكل ثابت ومتين ، ممّا جعل العصور الآتية بعد القرن الرابع تأخذ بمناهجه ومذاهبه في شيء من التوسّع والشرح ، أو الاختصار والاجمال(١) .

والثانية : تمايز العلوم والفنون فيما بينها ، وعدم التداخل بين مسائلها ، ووضوح المذاهب الاسلامية في أصولها وعقائدها . وهذا التمايز بين العلوم ظاهرة طبيعيّة تبدو اثر نضوج العلوم وأخذها سبيل التكامل . ففي هذا القرن شهدنا لكل مذاهب المتكلّمين من امامية وأشعرية ومعتزلة دعاة وأنصارا وأتباعا يتجادلون ويتناظرون . وكان لهذا الصراع الفكري أبعد الأثر ، فلم تبق دعوة الّا عُرفتْ ولا فكرة الّا استُجلبت ، ولا وسيلة دفاع أو هجوم الّا وأُلقي بها في ميادين المساجلة والمناظرة . فكان لزاما على رجال كل مذهب أن ينشطوا للذّود عنه ، واعطائه صفة القدرة على البقاء . وقد نبغ من الامامية « ثالوث » لم يعرف القرن الرابع أكثر نشاطا وحماسا لمعتقده(٢) .

أوله : أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العُكبُري المعروف بالشيخ المفيد وبابن المعلّم(٣) . **وثانيه** : المرتضى ، علم الهدى شقيق

---

(١) أحمد أمين ، ظهر الاسلام ، ٢/٨٧ .

(٢) عبد الرّزاق محي الدين . أدب المرتضى ص/١٧ .

(٣) عاش بين ٣٣٦/٩٤٧ ـ ٤١٣/١٠٢٢ ، يعرف بالشيخ المفيد ، عالم الشيعة الكبير ، =

الشريف الرضي . **وثالثه** : محمد بن علي بن الحسن الطوسي المعروف بأبي جعفر الطوسي[1] .

ونبغ في هذا القرن من المعتزلة : قاضي القضاة عبد الجبّار المعتزلي ، ويُعدّ رأس الاعتزال في كل عصوره[2] . ومن علماء الكلام في هذا العصر أيضا أبو الحسن الأشعري[3] ، الذي ناصر مذهبه جماعة من أكابر علماء العصر ، من أشهرهم : الباقلاّني[4] ، والاسفراييني[5] الذي انتهت اليه رئاسة الشافعيّة في بغداد .

= وصاحب التصانيف الكثيرة ، شيخ الرضي والمرتضى ، وسيأتي ذكره بالتفصيل في عداد شيوخ الرضي . عرف بجرأته وبراعته في الفقه والجدل والكلام . .

(١) أبو جعفر الطوسي ، تلميذ السيد المرتضى وفقيه الشيعة ، كان له كرسي الكلام في بغداد وعاش بين ٣٨٥/٩٩٥ ـ ٤٦٠/١٠٦٩ ، وكتاباه : **التهذيب والاستبصار** ، يعدّان من أصول فقه الامامية ، ومن كتبه الشهيرة أيضا : **رجال الطوسي** .

(٢) عبد الجبّار بن أحمد المعتزلي ، شيخ المعتزلة ٤١٥/١٠٢٤ ، وسيأتي ذكره بالتفصيل في عداد شيوخ الرضي . قيل عنه : أوّل من فتّق عليم الكلام ونشر بروده ، ووضع فيه الكتب الجليلة التي بلغت المشرق والمغرب ، حتى صار شيخ المعتزلة وعالمها غير مدافع .
أحمد أمين . **ظهر الاسلام ١/٢٣** ، أنظر ترجمته عند ابن الأثير . **الكامل ٧/٣١٥** .

(٣) أبو الحسن الأشعري هو علي بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي موسى الأشعري ٣٢٤/٩٣٥ البصري المتكلّم ، صاحب التصانيف في الكلام والأصول والملل ، بلغت تصانيفه خمسة وخمسين مصنّفا ، كان الأشعري معتزلياً ، ثم ارتدّ عنهم وأظهر فضائحهم على المنابر . . . ابن الأثير . **الكامل ٦/٢٥٧** .

(٤) الباقلاّني هو القاضي أبو بكر محمد بن الطّيب المتكلّم الأشعري ٤٠٣/١٠١٢ كان مالكي المذهب ويلقب بسيف السنّة ولسان الأمة ،رأس المتكلّمين ، وهو من أكثر الناس تصنيفا في علم الكلام وقد اختلفوا في مذهبه على الفروع فقيل شافعي ، أو مالكي ـ وكان مؤمنا ورعا . . . أبن اثير . **الكامل ٧/٢٦٩** .

(٥) هو الامام ابو حامد أحمد بن محمّد بن أحمد الاسفراييني ٤٠٦/١٠١٥ امام أصحاب =

ج ـ شيوخ الشريف الرضي :

رأينا من علاقة الشريف الرضي ببعض أساتذته وشيوخه ، ما جعل أستاذه الفقيه المالكي أبا اسحاق ابراهيم بن أحمد الطبري ينحله دارا له ، فيمتنع الشريف عن قبولها ، لأنه لم يقبل من غير أبيه شيئا ، ولكنّ الشيخ يلحّ عليه من باب الأبوّة الروحية العلمية ، فيقول له : « حقّي عليك أعظم من حقّ أبيك » . فيرضخ الشريف .

والواقع أنّنا نشهد حدبا شديدا وبرّا قويا من الرضي على شيوخه ، فهو يشيد بذكرهم ويدعو لهم في مؤلفاته ، بل ويترحّم عليهم دائما ، فكثيرا ما يردّد هذه العبارات في كتبه : (قرأت على فلان ـ رحمه الله ـ أو سألت شيخنا فلانا وفّقه الله . . .)[1] . ويدلّ هذا على شكره للمعروف ، وعلى عرفانه للجميل ، وتقديره للصّنيع الحسن . وحين يستحسن قولا لأحد شيوخه ، أو رأيا لأحد أساتذته يشير اليه ويشيد به ، كما فعل مع شيخه أبي الفتح عثمان بن جنّي الذي شرح معنى قولهم : (لعَمْر الله) أنهم يريدون القَسم بالحياة التي يُحيي بها الله ، لا الحياة التي يحيا بها . وقد أُعجب الرضي برأي أستاذه ابن جنّي في هذا التعبير فعلّق على ذلك قائلا : « وكنت أستحسن هذا القول منه جدّا ،

= الشافعي ، كان يحضر درسه أربعمائة متّفقة ، ويدرّس في مسجد عبد الله بن المبارك (بقطيعة الفقهاء) وكان عظيم الجاه عند السلطان والعوام ، واليه انتهت رياسة الدين والدنيا شرح « المُزْني » في تعليقة حافلة نحوا من خمسين مجلّدا ، وله تعليقة في أصول الفقه وكتاب « البستان » . . . ابن الأثير . **الكامل** ٧/ ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(١) مثل قوله : وكنت سألت شيخنا أبا بكر محمد بن موسى الخورزمي ـ رحمه الله ـ عند انتهائي في القراءة عليه الى هذه المسألة من كتاب (**الطهارة**) .
الشريف الرضي . **مجازات الآثار النبوية** ص/١١٥ ـ كما ترحّم على شيخه ابن جنّي عندما ذكره في المجازات النبوية ص/١٨٩ و ٢١٦ .

وله نظائر كنت أسمعها منه عند قراءتي عليه ، وكان ـ عفا الله عنه ـ كثير الاستنباط للخبايا ، والاستطلاع للخفايا »[1] .

ـ فكيف نستطيع أن نتعرّف على شيوخ الرضي ؟

نستطيع أن نعرف أساتذة الرضي وشيوخه منه نفسه ، حين ينقل عنهم في كتبه ، أو يشير اليهم بالأخذ عنهم والرّواية لهم ، وخاصة في كتابيه : (**تلخيص البيان في مجازات القرآن**) و (**المجازات النبوية**) . فهذان مصدران مهمّان لمعرفة شيوخه . وأحيانا نقرأ ترجمة أو خبرا عن رجل معاصر للرضي ، فنجد أنه تتلمذ عليه وأخذ عنه . وأحيانا أخرى نجد في ديوانه اشارة الى أنه رثى بهذه القصيدة أستاذه فلانا . وقد أشار المؤرّخون الى بعض من قرأ عليهم ، أو أخذ عنهم ، كما فعل ابن الجوزي حين أشار الى قراءة الرضي على الفقيه أبي اسحاق الطبري المالكي المتوفّي سنة **٣٩٣ / ١٠٠٢**[2] . وكان أوّل من تتبّع شيوخ الرضي عبد الحسين النجفي[3] . فقد أوردهم وذكر مصادر ورودهم ، ولكنه لم يترجم لهم ، ولم يذكر الاّ القليل من وفياتهم ، وبلغ عددهم عنده أربعة عشر أستاذا . وقد ذكر محمد عبد الغني حسن في مقدّمة كتاب الرضي (**تلخيص البيان**) شيوخ الرضي مع ترجمة لكلّ منهم . وبلغ عددهم عنده خمسة عشر أستاذا . أمّا المحقّق عبد الفتاح الحلو ، فقد ذكر في مقدّمة تحقيقه (**لديوان الشريف الرضي**) ثمانية عشر أستاذا مع مصادر ترجمتهم ، مستندا الى الشيخ الأميني والى ديوان الشريف الرضي وكتبه . وذكر احسان عباس في كتابه (**الشريف الرضي**) ستّة

---

(١) الشريف الرضي . **تلخيص البيان** ، مجازات سورة النّحل ص/٨٥ .

(٢) ابن الجوزي . **المنتظم** ٢٢٣/٧ .

(٣) الشيخ عبد الحسين الأميني . الغدير في **الكتاب والسنّة والأدب** ١٨٣/٤ وما بعدها .

عشر أستاذا للرضي ، ورأى أنه من الوهم أن نعدّ أبا سعيد السيرافي واحدا من أساتذته ، وان ذكر ذلك ابن جنّي ، وابن العماد الحنبلي في (**شذرات الذهب**) ، وغيره من المؤرخين[1] . وكان الرضي ينهل المعرفة والثقافة من ينابيع عديدة : من علوم اللسان العربي ، ومن علوم الشريعة الاسلامية ، ومن التاريخ وعلم الانساب .

وسنعدّد هؤلاء الشيوخ مع ترجمة موجزة لكل واحد منهم ، مستمدّة من كتب التاريخ وغيرها من كتب التراجم والرجال . وسنعتمد الترتيب التاريخي في تعدادهم ، حسب سنة الوفاة .

---

(١) يرى احسان عباس أن أبا سعيد السيرافي المتوفي سنة ٣٦٨/٩٧٨ لا يمكن أن يكون من أساتذة الرضي ، لأنه توفي وعمر الرضي دون تسع سنوات ، وأن ابن السيرافي المشار اليه هو ابن أبي سعيد المسمّى يوسف والمتوفي سنة ٣٨٥/٩٩٥ . **الشريف الرضي** ص/٨٣ .

ولكن شيخ الرضي ابن جني يذكر في بعض مجامعيه : ان الرضي أحضر الى ابن السيرافي النحوي ، وهو طفل جدّا لم يبلغ العاشرة ، فلقّنه النحو ، وقعد معه يوما في حلقته ، فذاكره بشيء من الأعراب على عادة التعليم ، فقال له : اذا قلنا رأيت عمرو ، فما علامة النصب في عمرو ؟ فقال له الرضي : بُغْض عليّ . فعجب السّيرافي والحاضرون من حدّة خاطره .

وأقدم من ذكر هذه القصة ابن خلكان في **وفيات الأعيان** ٤١٦/٤ ، على أن المراد « عمرو العاص » . وقد اعتاد النحويون التّمثيل بزيد وعمرو . أما الصّفدي في **الوافي بالوفيات** ٣٧٥/٢ ، والخوانساري في **روضات الجنات** ٥٤٧/٦ ، وابن معصوم في **الدرجات الرفيعة** ص/٤٦٨ ، فقد جاءت اللفظة لديهم « عُمر » ، على أنّ المراد عمر بن الخطّاب وأعتقد أن هذا خطأ في النسخ أو الطباعة ، لأن الشيعة يذكرون بغض عمرو بن العاص للامام عليّ .

١ ـ أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المَرزُبان السّيرافي النحوي ٣٦٨ / ٩٧٨

من كبار علماء النحو البصريّين ، شرح كتاب سيبويه وأجاد فيه . ويُذكر عنه أنه كان معتزليا ، كما كان ينتحل مذهب أهل العراق في الفقه . وُلي القضاء في بغداد ، وكان لا يأكل الاّ من كسب يده ، حيث ينسخ كل يوم ورقات يبيعها قبل أن يخرج الى مجلسه . وكان الناس يدرسون عليه في فنون كثيرة ، وقد تتلمذ عليه الرضي في النحو وهو طفل دون العاشرة ، كما ذكر أستاذه ابن جنّي[١] . وكان ثقة في القراءات وعلوم القرآن والفقه .

٢ ـ أبو يحي عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الفارقي ٣٧٤ / ٩٨٤ :

وهو صاحب ديوان الخطب المنبريّة المشهور . كان مبرّزا في البلاغة والأدب ، وأُجمع على أن خطبه لم يعمل مثلها في موضوعها . التقى المتنبّي في خدمة سيف الدولة الحمداني ، وأثرت غزوات سيف الدولة في الشاعر والخطيب ، فنظم المتنبي قصائده الحماسية الحربية ، وصنع ابن نباته خطبة في الجهاد والحثّ عليه . واشتهر أيضا بالتقوى والصلاح . وتوفّي بحلب[٢] .

ولم يذكر الأميني مصدر معلوماته حول تلمذة الرضي لابن نباته ،

---

(١) الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** ٣٤١/٧ .

(٢) ذكر الشيخ الأميني في **الغدير** ١٨٤/٤ أن وفاته كانت سنة ١٠٠٣/٣٩٤ ، وربّما كان ذلك خطأ طباعيا لأن ابن خلكان أكّد على وفاته سنة ٣٧٤ هـ ، **وفيّات الأعيان** ١٥٧/٣ .

ولعلّه أخذه من قول صاحب (**الدرجات الرفيعة**) في ترجمة المرتضى : « وقرأ هو وأخوه الرضي على ابن نباته صاحب الخطب وهما طفلان »[1] . ولم تذكر المصادر التاريخيّة رحلة له الى بغداد ، ولم يعرف عنه أنه كان يدرّس ، ولهذا ربّما كان ابن نباتة السّعدي هو المقصود .

٣ ـ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسي النحوي ٣٧٧ / ٩٨٧ :

ولد بفَسا ، وقدم بغداد فاستوطنها ، وعلَتْ منزلته في النحو ، وكان متّهما بالاعتزال . أجاز للرضي الرواية عنه في كتابه (**الايضاح**) ، وقد ذكر ذلك الرضي في المجازات النبويّة . وكان يسمع من شيخه ابن جنّي الذي كان ينشده عن أبي علي الفارسي كما في (**تلخيص البيان**)[2] . وأبو علي أحد الأئمة في علوم العربية ، زار كثيرا من البلاد الاسلامية ، فقدم حلب وأقام عند سيف الدولة الحمداني ودخل فارس فاتصل بعضد الدولة البويهي ، وصنّف له كتاب (**الايضاح**) في قواعد العربية ، وصحبه ابن جنّي أربعين عاما[3] .

٤ ـ أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني الأديب الاخباري المؤرّخ ٣٨٤ / ٩٩٤[4] .

مؤلّف (**معجم الشعراء**) و (**الموَشّح**) وغيرهما ، كان صاحب

---

(١) ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ص/٤٥٩ .

(٢) الشريف الرضي . **المجازات النبوية** ص/١٢٧ وتلخيص البيان في مجازات سورتي طه و ص ، صفحة/١٣٤ .

(٣) الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** ٢٧٥/٧ ـ ابن الجوزي **المنتظم** ١٧٧/٧ ـ ابن خلكان . **وفيات الأعيان** ٨٠/٢ ـ الأميني . **الغدير** ١٨٣/٤ .

(٤) الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** ١٣٥/٣ ـ ابن الجوزي . **المنتظم** ١٧٧/٧ ـ ابن =

أخبار وراوية للأدب ، ثقة في الحديث ، معتزليا صنّف كتابا جمع فيه أخبار المعتزلة ، وكان فيه ميل الى التشيّع . وبلغ من اهتمام المرزباني بالشعر والشعراء أنه أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية ، على ميله الى التّشيّع ، فرفع بذلك الصّنيع درجة العلم فوق حدود التعصّب ، وقد روى عنه المرتضى كثيرا في (**أماليه**) أو (**غرر الفوائد ودرر القلائد**) .

٥ ـ سهل بن أحمد بن عبد الله بن سهل الديباجي ٣٨٥ / ٩٩٥ :

لم يذكره الشيخ الأميني في لائحة أساتذة الرضي ، ولعلّه سَهَا عنه ، فقد ذكره الشريف الرضي نفسه في (**المجازات النبوية**) خلال الحديث عن مجازات قوله : « الخلق عيال الله »[1] ، وروى ابن حجر أنه كان « رافضيا غاليا »[2] .

٦ ـ أبو محمد هارون بن موسى التَّلْعُكْبُري الشيخ الأقدم ٣٨٥ / ٩٩٥ :

ذكره الشيخ الأميني في (**الغدير**) ، ولكنه لم يذكر ماذا أخذ الرضي عنه ؟ ولم يكشف عن المصدر الذي استقى منه مادّته ، ولم يذكره الرضي في مؤلّفاته ، ولم نجد له ترجمة . ولكنّ الشيخ النوري يصرّح أنّ الرضي يروي عنه في كتاب (**خصائص الأئمة**)[3] .

= خلكان ، وفيات الأعيان ٤/٣٥٤ ـ ذكر ابن خلكان تاريخ وفاته ثم قال : وقيل سنة ٣٧٨ والأول أصح » ـ الأميني . **الغدير** ٤/١٨٣ . وانظر لقراءة الرضي عليه .

(١) الشريف الرضي. **المجازات النبوية** ص/٢٤١. **المجازات النبوية** ص/٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٢) ابن حجر العسقلاني . **لسان الميزان** ٣/١١٧ .

(٣) حسين النوري . **مستدرك الوسائل** ٣/١٥ حيث يقول : « لم نجد فيه رواية له من غيره » . .

٧ ـ أبو حفص عمر بن ابراهيم بن أحمد الكناني المقريء المحدّث ٣٩٠ / ٩٩٩ :

أشار اليه الرضي في (**المجازات النبوية**) ، وهو يتحدّث عن المجاز في قوله : « الخمر أمّ الخبائث »[١] ، وقد سمع الشريف هذا الحديث عنه في جملة ما رواه له من الأحاديث . وأبو حفص ـ كما يذكر الخطيب البغدادي ـ كان من رجال الحديث ، وقيل : انه كان ثقة[٢] . وقد قرأ الرضي القرآن عليه ، وروى الحديث عنه .

٨ ـ أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحي النهرواني القاضي ٣٩٠ / ٩٩٩ :

كان فقيها على مذهب ابن جرير الطبري ، أديبا له شعر حسن . لم يذكره الأميني ، ولا محمد عبد الغني حسن[٣] ، في عداد شيوخ الرضي .

---

(١) الشريف الرضي . **المجازات النبويّة** ص/١٥٥ .

(٢) اللخطيب لبغدادي . **تاريخ بغداد** ١١/٢٦٩ ـ ابن الجوزي . **المنتظم** ٧/٢١١ والأميني . **الغدير** ٤/١٨٥ .

(٣) الخطيب البغدادي . **تاريخ بغددا** ١٣/٢٣٠ ـ ابن الجوزي . **المنتظم** ٧/٢١٣ ـ ابن خلكان . **وفيات الأعيان** ٥/ ٢٢١ .

وقد ذكره في عداد شيوخ الرضي ، عبد الفتاح الحلو ، مقدّمة **ديوان الشريف الرضي** ١/٨٥ وذكر أن الرضي قرأ عليه في القراءات في كتاب **تلخيص البيان**.

ولد سنة ٣٠٣/٩١٥ ، وكان اماما في النحو واللغة والفقه ، ولي القضاء بباب الطاق ، وكان الشيخ الباقلّاني الشافعي يقول : اذا حضر المعافى حضرت العلوم كلّها . ومن مصنّفاته : كتاب « الجليس والأنيس » و « التفسير الكبير » قال ابن الأثير : القاضي **أبو الفرج المعروف** « بان طرّار الجريري » نسبة الى محمد بن جرير الطبري ، لأنه نصر مذهبه ودافع عنه . ابن الأثير . **الكامل** ٧/٢٠٧ .

٩ ـ أبـو القـاسم عيسى بن عـلي بن عيسى بن داود بن الجـرّاح ٣٩١ / ١٠٠٠ :

أشار اليه الرضي في (**المجازات النبـويّة**) في مجـاز قولـه : « الخلق عيـال الله ، فأحبّهم اليـه أنفعهم لعيالـه » وقال عنـه : « أخبـرنـا بهـذا الحديث أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجرّاح في جملة مـا أخبرنـا به من الأحـاديث »[١] . وقد ذكـره الخطيب البغـدادي وابن الجوزي . فكان ثبت السّماع ، صحيح الكتاب ، وأملى الحديث ، كان عارفا بالمنطق ، لذلك رمي بـاشتغالـه بشيء من مذهب الفـلاسفة[٢] . كـان ينظم الشعـر ، ومن شعره مـا يدلّ عـلى نزعتـه العلميّة[٣] . كـان يتجمّـل ويتجلّد ، لأنه يشعـر بضيق العيش ، ويظهـر أنه كـان غـرضـا لسهام الزمان[٤] ، وقد دفن في داره ببغداد .

---

(١) الشريف الرضي . **المجازات النبوية** ، ص/٢٤١ .

(٢) الخـطيب البغدادي . **تـاريـخ بغـداد ١٣ / ٢٣٠** ـ ابن الجـوزي . **المنتـظم ٧/٢١٨** ـ **الأميني** . الغدير ٤/١٨٥ .

(٣) كقوله :

رُبّ ميْتٍ قـد صار بـالعلم حيّا ومُبَقّىً قـد حـازَ جَهْـلاً وغَـيّـا

قـاقْـتَـنـوا الـعـلم كـي تـنـالـوا خـلوداً

لا تُـعـدّوا الحـيـاةَ في الجـهـلِ شَـيّـا

محمـد عبـد الغني حسن . **مقـدّمـة تلخيص البيـان** ، ص/٨٩ ـ وابن الأثـير . **الكامل ٧/٢١١** .

(٤) حـدّث أبو محمـد الجوهـري قال : انقـطعت عن زيارة أبي القـاسم عيسى بن علي ثم قصدته فلمّا نظر اليّ قال :

رأيتَ جفـاءَ الـدهـرِ لي فَجَفَـوْتني كـأنّـك غضبـانٌ عـليَّ مـع الـدهـرِ =

١٠ ـ أبو عبد الله ابن الامام المنصوري ٣٩١ / ١٠٠٠ :

كان الرضي يقرأ عليه اللغة ، وهو من بني العبّاس ، وقد جمعت بينهما صداقة قديمة . وقد ذكره كلّ من : احسان عبّاس ، وعبد الفتّاح الحلو ، في مقدّمة (**الديوان**) ، ولم يذكره الشيخ الأميني في (**الغدير**) ، وقد رثاه الرضي عند وفاته بقصيدة مطلعها :

ما أقلَّ اعتبارنا بالزمانِ وأشَدَّ اغترارَنا بالأماني[1] .

١١ ـ أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي النحوي ٣٩٢ / ١٠٠١ :

كان اماما في النحو والعربية وله شعر ذكر بعضه ياقوت في معجمه الذي يشتمل على ترجمة مطوّلة له . روى شعر المتنبي وشرحه[2] .

صحب ابن جنّي أبا علي الفارسي أربعين سنة ، ولما مات أبو علي تصدّر عنه أبو الفتح في مجلسه ببغداد . كان من أكبر أساتذة الرضي من

= محمد عبد الغني حسن تلخيص البيان ص/٩٠ .

(١) ديوان الرضي ٢/٤٥٩ ـ ويرى احسان عباس أنّ الرضي رثاه بقصيدتين نونية وعينيّة أما العينية فهي :

قِفْ موقفَ الشكِّ لا يَأسٌ ولا طمَعُ وغالِطِ العيشَ لا صبرٌ ولا جزَعُ

وقد نقل عنه محمد عبد الغني حسن ـ ويبدو لي أنّ ذلك خطأ لأن جامع **الديوان** لا يذكره بالاسم في هذه القصيدة ، ويؤرخ القصيدة سنة ٣٨٧/٩٩٧ ، بينما كانت وفاته سنة ٣٩١/١٠٠٠ . والواقع ان القصيدة النونية هي التي رثاه بها فقط .

(٢) كان المتنبي يقول : « ابن جنّي أعرف بشعري منّي » ، ولّما مات المتنبي رثاه ابن جني بقصيدة مطلعها :

غاضَ القريضُ وأذْوَتْ نُضْرةُ الأدبِ وصوّحَتْ بعد ريّ دوحةُ الكتبِ

محمد عبد الغني حسن . مقدّمة **تلخيص البيان** ص/٨٦ .

النحويين ، وطالت صحبته له وأخذه عنه ، نشأت بينهما صداقة متينة . وأُعجب الرضي بآرائه في التفسير وضروب التخريج والتّأويل ، ونقل عنه شيئا من آراء أبي علي ، وكان يجمع بينهما الاعجاب بالمتنبي ، وكان ابن جنّي يعجب بشعر الرضي حتى انه أخذ قصيدته الرائية في رثاء أبي طاهر بن ناصر الدولة الحمداني فشرحها[1] .

وشرح ابن جنّي ثلاث قصائد أخرى للرضي في الرثاء ، جمعها مع القصيدة الرائيّة في مجموع واحد . والأمثلة التي تدلّ على مدى تأثّر الرضي بشخصية أستاذه ابن جنّي ومدى اعجابه به كثيرة . وقد ذكره مرارا في (**المجازات النبويّة**) و (**تلخيص البيان**) و (**حقائق التأويل**)[2] .

وعند وفاته رثاه بقصيدة يقول فيها :

لِتَبكِ أبا الفتحِ العيونُ بدمعِها وألسُننا من بعدِها بالمناطِقِ[3] .

---

(١) ومطلعها :

ألقي السلاحَ ربيعةَ بن نزارِ أوْدَى الرَّدى بقريعِكَ المِغْوارِ

ديوان الرضي ١/ ٤٩٠ ، والقريع : السيد المختار من قومه .

(٢) أنظر لقراءة الرضي عليه : **تلخيص البيان** : ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٣٤ ـ ١٨٦ ، **حقائق التأويل** ٥/ ٣٠ ـ ٥١ ـ ١٤٠ ـ ٢٢١ ـ ٣٣١ ـ ٣٣٢ ، **المجازات النبوية** ٢٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ١٢٧ ـ ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٢ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٩ .

(٣) **ديوان** ٢/ ٦٥ ، توفي في بغداد ، وكان بينهما مودّة أكيدة ، وصلّى عليه الشريف الرضي . أنظر في ترجمته : الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** ١١/ ٣١١ ـ ابن الجوزي . **المنتظم** ٧/ ٢٢٠ .
ابن خلكان . **وفيات الأعيان** ٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨ ـ الخوانساري . **روضات الجنات** ٦/ ٥٥٠ ـ الأميني . **الغدير** ٤/ ١٨٤ .

ولم يكتف الرضي بحسن الاشارة الى أستاذه ابن جنّي في مصنّفاته والترحّم عليه ، ولكنّه مدحه بشعره عرفانا بقدره في البلاغة ومنزلته في الفصاحة[1] .

١٢ - أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن محمّد الطبريّ المقريء الفقيه المالكي ٣٩٣ / ١٠٠٢ :

سمع الكثير من الحديث ، وكان أحد الشهود في بغداد ، أمّ الناس في المسجد الحرام أيام الموسم[2] . قرأ الرضي عليه القرآن بعد أن كبر[3] ، وهو صاحب قصة الدار التي منحها الشريف ، كان فقيها مالكيا ، وكان فوق منزلته العلمية مفضلا على أهل العلم ، وقصته مع الشريف هي دليل الكرم والافضال من الاستاذ الى تلميذه ، وتعبير عن اعزاز الشيخ لتلميذه ، ووسيلة لاظهار عاطفته نحوه ، وتوثيق للرابطة بينهما . وتدلّ أيضا على عزّة الرضي واباء نفسه . ذكره ابن الجوزي في حوادث سنة ٣٩٣ هـ ، وزاد عليه الخطيب البغدادي : انه كان حسن المعاشرة ، جميل الأخلاق ، وان داره كان مجمع أهل القرآن والحديث[4] .

---

(١) شكر الرضي لابن جني شرحه القصيدة الرائية ، فمدحه بقصيدة في **ديوان الرضي** ١٦٦/٢ .

(٢) الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** ٢٤٧/٣ . الخوانساري . **روضات الجنات** ٥٥٠/٦ .

(٣) قال ابن الجوزي : حفظ القرآن في مدّة يسيرة بعد أن جاوز ثلاثين سنة ، ونقل عنه ذلك ابن أبي الحديد ، وابن معصوم . **المنتظم** ٢٧٩/٧ . ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ٣٣/١ - وابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ص/٤٦٧ .

(٤) الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** ٢٤٧/٣ - الخوانساري . **روضات الجنات** ، ٦/ ٥٥٠ - **الأميني** . **الغدير** ١٨٤/٤ .

١٣ ـ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي الحنفي ٤٠٣ / ١٠١٢ :

شيخ أهل الرأي وامامهم ، دُعي الى الحُكم مرّات فرفض . وكان معظّما في النفوس مقدّما عند السلطان والعامة ، لا يقبل من أحد حسنة ولا برّا ولا هديّة . وسئل عن مذهبه في الأصول ، فقال : « ديننا دين العجائز ، ولسنا من الكلام في شيء »[١] . كان شيخ الرضي في الفقه ، واليه يشير في (المجازات النبوية) قائلا : « وكنت سألت شيخنا أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي ـ رحمه الله ـ عند انتهائي في القراءة عليه الى هذه المسألة من كتاب (الطهارة) ، وهي مسألة الشرب في آنية الذهب والفضّة . ويشير اليه في (تلخيص البيان) في مجازات سورة ص قائلا : « وقال لي الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي ـ أدام الله توفيقه ـ »[٢] . ويقول عنه الخطيب البغدادي : « هو شيخ أهل الرأي وفقيههم ، وقد انتهت اليه الرياسة والفتوى في مذهب الامام أبي حنيفة »[٣] . وقد نصّ ابن الجوزي على أن الرضي من تلامذته ، وصرّح الرضي بأنه قرأ عليه (مختصر أبي جعفر الطحاوي)[٤] .

---

(١) تاريخ بغداد ٣/٢٤٧ ـ الخوانساري . روضات الجنّات ٦/٥٥٠ .

(٢) الشريف الرضي . تلخيص البيان ٢٥٠ ـ والمجازات النبوية ٨٥ ـ ٨٦ ـ ١٤٥ ـ وحقائق التأويل ٥/١١٥ .

(٣) ابن الجوزي . المنتظم ٧/٢٦٦ ـ الشريف الرضي . حقائق التأويل ٥/٨٥ ـ ٨٦ .

(٤) والطحاوى هذا فقيه مصري حنفيّ محدّث ، كان اماما في الفقه والحديث وأحكام القرآن توفي سنة ٣٢١/٩٣٣ . ابن الأثير . الكامل ٦/٢٣٤ .

١٤ ـ أبو محمد عبد الله بن محمد الأسدي الأكفاني المحدّث ٤٠٥ / ١٠١٤ :

ولد سنة ٣١٦ / ٩٢٨ ، أبو محمد بن الأكفاني قاضي بغداد ، كان عالما ديّنا عفيفا نزيها[١] . أنفق على العلم مائة ألف دينار ، ووُلي القضاء أربعين سنة نيابة ورياسة . وجمع له قضاء بغداد بكاملها سنة ٣٩٦ / ١٠٠٥[٢] . وقد ذكر الرضي أنه درس عليه مذهب أبي حنيفة والشافعي[٣] . وكان ابن الأكفاني مفضلا على أهل العلم ، وقد أثنى عليه الكثيرون من أهل الحديث ثناء حسنا . ودفن في داره بنهر البزارين .

١٥ ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد وابن المعلّم ٤١٣ / ١٠٢٢ :

قرأ عليه الرضي وأخوه المرتضى فقه الامامية . وقد ذكر كل من ابن أبي الحديد ، وابن معصوم قصة الرؤيا التي رآها الشيخ المفيد ، وقدوم والدتهما بهما عليه ليعلمهما ، وقد تقدّمت سابقا[٤] . قال ابن الجوزي فيه : « شيخ الامامية وعالمها ، على مذهبهم ، من أصحابه المرتضى . كان لابن المعلّم مجلس نظر بداره بدرب رباح ، يحضره العلماء كافة ، وكانت له منزلة عظيمة عند أمراء الأطراف بميلهم الى مذهبه »[٥] .

---

(١) ابن الأثير . الكامل ٧/ ٢٧٤ .

(٢) الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد ١٠/ ١٤١ ـ ابن الجوزي . المنتظم ٧/ ٢٧٣ ـ الأميني . الغدير ٤/ ١٨٥ .

(٣) الشريف الرضي . حقائق التأويل ٥/ ٣٤٦ .

(٤) راجع الفصل الأول ص ٨٢ ح ٢ .

(٥) ابن الجوزي . المنتظم ٨/ ١١ .

كان من أهل التحقيق وانتهت اليه رئاسة الفرقة الامامية في وقته ، وقد صنّف كثيرا من الكتب في الفقه والأصول وعلم الكلام ، منها : (**الخصائص**) و (**أحكام النساء**)[1] . ولّما توفّي صلّى عليه تلميذه وصاحبه المرتضى[2] ، ورثاه بقصيدة منها :

مَن لفَضلٍ أخرجتَ منه خَبيئاً ومعانٍ فَضَضْتَ عنها خِتاما
من يُنيرُ العقولَ مِن بَعدِ ما كُنَّ هُموداً ويفتحُ الأفْهاما
من يُعيرُ الصديق رأياً اذا ما سلَّهُ في الخُطوبِ كانَ حُساما[3] .

وبوفاته انتقلت زعامة الفرقة الامامية الى تلميذه المرتضى .

١٦ - أبو الحسن عبد الجبّار بن أحمد المعتزلي قاضي القضاة ٤١٥ / ١٠٢٤[4]

كان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع ، ومذاهب المعتزلة في الأصول ، وكان شيخ المعتزلة في عصره ، وله في ذلك مصنّفات . ورد بغداد حاجّا وحدّث بها . وقد أخذ عنه الرضي أصول المعتزلة ، فقرأ عليه كتاب (**تقريب الأصول**) ، وصرّح بهذا عند تقريره أنّ معنى قوله

---

(١) له أكثر من مائتي مصنّف وكان له منزلة عند بني بويه ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف . ابن الأثير . **الكامل** ٣١٣/٧ .

(٢) النجاشي . **الرجال** ص/٢٨٣ ـ الطوسي . **الفهرست** ص/١٥٧ ـ الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** ٢٣١/٣ ـ الخوانساري . **روضات الجنات** ٥٤٧/٦ ـ ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ٤٥٩ ـ الأميني . **الغدير** ١٨٤/٤ .

(٣) محمد عبد الغني حسن . مقدّمة **تلخيص البيان** ص/٩٢ ، نقلا عن ابن الجوزي . **المنتظم** ١١/٨ .

(٤) ذكر الخطيب البغدادي في **تاريخ بغداد** ١١٣/١١ أنّ وفاته كانت سنة ٤١٥ هـ بينما ذكر ابن الأثير في الكامل ٣١٥/٧ أنّ وفاته كانت سنة ٤١٤ هـ .

تعالى ﴿ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ ﴾ صادفناه غافلا[1] . كما قرأ عليه كتاب (**العُمدة**) في أصول الفقه ، ذكر ذلك في نقله الكلام عنه في معنى العقل[2] ، وقرأ عليه كتابه (**شرح الأصول الخمسة**) ، ذكر ذلك عند تفسيره اليد بمعنى النعمة[3] . ويبدو لنا أن الرضي قرأ كثيرا على قاضي القضاة عبد الجبّار ، وتبعه في الكلام على صحّة حديث رؤية الله ـ عزّ وجلّ ـ يوم القيامة أو عدمها . ولمعرفة تأثّر الرضي بشيخه عبد الجبّار يكفي النّظر في كتابه (**حقائق التأويل**)[4] . وذكره عدّة مرّات في (**تلخيص البيان**) و (**المجازات النبوية**)[5] . وجاءت كنيته أبو الحسين في (**الاعلام**) للزركلي[6] . وقد توفّي بالريّ ، وقد طال عمره حتى جاوز تسعين سنة ، ورحل اليه الناس من كل الأقطار ، ولم يذكره ابن الجوزي في وفيات كتابه .

١٧ ـ أبو الحسن علي بن عيسى بن الفرج الرَّبَعِيّ البغدادي النحوي ٤٢٠ / ١٠٢٩[7]

تلميذ السيرافي أبي سعيد ، ثم أبي علي الفارسي ، وله شرح على

---

(١) الشريف الرضي **تلخيص البيان** ص/١٢٧ .

(٢) **المجازات النبوية** ، ص/١٨٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص/٢٦٦ .

(٤) الشريف الرضي . **حقائق التأويل** ٥/١٠ ـ ٢٢ ـ ٤١ ـ ٥٩ ـ ٦٨ ـ ١١٦ ـ ١٢٠ ـ ١٥٦ ـ ١٧٧ ـ ١٨٤ ـ ١٩٠ ـ ٢٠٤ ـ ٢٢٤ ـ ٢٣٤ ـ ٢٦٢ ـ ٢٧٣ .

(٥) في **تلخيص البيان** ، في مجازات سورة الكهف ـ وفي **المجازات النبوية** في بيان المجاز في قوله : (ص) : « الأيدي الثلاث : فيد الله العليا ، ويد المُعطي بَلَغَ قُبالاً ، الوُسْطى ، ويد السائل السُفْلى » . ص/٢٦٥ .

(٦) محمد عبد الغني حسن . **مقدّمة تلخيص البيان** ، ص/٩٠ .

(٧) الرّبعيّ : (بفتح الراء والباء وكسر العين والياء المشدّدة) نسبة الى ربيعة ، وهي =

(**مختصر الجرمي**) ، وشرح على (**الايضاح**) لأبي علي الفارسي . كان نحويا من أكابر النحويين ، شرح كتاب سيبويه[1] . يقول عنه السّيوطي في (**بغية الوعاة**) : أحد أئمة النحو وحذّاقهم الجّيدي النظر ، الدقيقي الفهم والقياس ، كان تلميذا للسيرافي في النحو ، ثم رحل الى شيراز ، فلازم أبا علي الفارسي عشر سنين[2] ، ثم رجع الى بغداد حيث مات فيها .

ثم ذكره الشريف الرضي في (**المجازات النبوية**) في البيان عن المجاز في حديث الرسول ، المتعلّق بالزواج بعد الطّلاق ثلاثا[3] . كما ذكره في (**تلخيص البيان**) في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ربّي انّي وَضَعتُها أُنثى والله أعلَمُ بما وضَعَتْ** ﴾[4] . وفي (**حقائق التأويل**) حيث فصّل لنا ما قرأه عليه من كتب النحو بقوله : « وقال لي شيخنا أبو الحسن علي بن عيسى النحوي صاحب أبي علي الفارسي . . . وهذا الشيخ كنت بدأتُ بقراءة النحو عليه قبل شيخنا أبي الفتح عثمان بن جنّي ، فقرأت

= احدى قبائل العرب . ذكر محمود مصطفى محقّق كتاب **المجازات النبوية** أن وفاته كانت سنة **٤٣٥/١٠٤٣** ، ولا أدري من أين استمدّ معلوماته ، بينما أجمعت معظم المصادر التاريخية على وفاته سنة **٤٢٠** هـ مثل : الخطيب البغدادي ، **تاريخ بغداد ١٢/١٧** ـ ابن خلكان . **وفيات الأعيان ٣/٣٣٦** ـ الخوانساري . **روضات الجنات ٦/٥٥٠** ـ الأميني . **الغدير ٤/١٨٤** .

(١) محمود مصطفى . تحقيق **المجازات النبوية** ص/٢٨٣ ـ حيث ذكر ، أنه غسل الكتاب بعد شرحه ، على أثر جدال غضب فيه وقال : « أُعلّم أولاد البقّالين النحو ؟ » وكان صديقا لابن جني ، وكان بعقله دخل .

(٢) محمد عبد الغني حسن . مقدّمة **تلخيص البيان** ص/٩١ نقلا عن السيوطي في **بغية الوعاة** . بينما ذكر ابن الجوزي في **المنتظم ٨/٤٦** أنها عشرون سنة .

(٣) الشريف الرضي . **المجازات النبوية** ص/٦٠ .

(٤) **تلخيص البيان** ص/٩١ .

عليه (مختصر الجرمي) ، وقطعة من كتاب (الايضاح) لأبي علي الفارسي ، ومقدّمة أملاها عليّ كالمدخل الى النحو ، وقرأت عليه أيضا (العروض) لأبي اسحاق الزّجاج ، و (القوافي) لأبي الحسن الأخفش ، وهو ممّن لزم أبا علي السنين الطويلة ، واستكثر منه ، وعَلَت في النحو طبقته . . . »[1] .

١٨ ـ أبو الحسن محمد بن أبي جعفر محمد بن أبي الحسن الجرّار ٤٣٥ / ١٠٤٣ :

درس الرضي عليه علم النسب ، وله مصنّفات كثيرة في علم النسب مختصرة ومطوّلة ، عاش طويلا حتى قارب المائة وهو صحيح الأعضاء ، وكان شيخا للمرتضى أيضا الى جانب الرضي[2] . ولم يذكره الشيخ الأميني في عداد أساتذة الرضي ، وكذلك محمد عبد الغني حسن ، واحسان عبّاس .

١٩ ـ أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرّماني النحوي ٣٨٤ / ٩٩٤[3] :

أبو الحسن النحوي المعروف بالرّماني ، ويعرف أيضا بالأخشيدي وبالورّاق ، وهو بالرّماني أشهر . ولد سنة ٢٩٦ / ٩٠٨ ـ لم يكن شيخا للشريف الرضي بالذات ، وانما كان شيخه بالواسطة . فقد كان شيخه

---

(١) الشريف الرضي . حقائق التأويل ٥/٨٧ ـ ٨٨ .

(٢) ابن عنبة . عمدة الطالب ص/٣٢٢ ـ ذكره عبد الفتاح الحلو في مقدّمة شرح ديوان الرضي ١/٨٨ .

(٣) لم يذكر هذا الشيخ عند المحقّقين في شيوخ الرضي ـ ذكر وفاته ابن الأثير . الكامل ٧/١٦٦ .

أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي يروى له عنه . وقد ذكر ذلك الرضي في (**تلخيص البيان**)[1] . ولم يذكر اسمه في لائحة شيوخ الرضي وأساتذته ـ ولا ندري لماذا لم يأخذ الشريف النحو عنه ، كما أخذ عن الرّبعي ؟ وكلاهما معاصر له . . وقد ذكر له ابن الأثير ترجمة وافية منها : « كان اماما في العربية في طبقة السيرافي والفارسي ، معتزليا أخذ عن الزّجاج وابن السّراج وابن دريد . له ما يقرب من مائة مصنّف ، وله تفسير كبير . قال عنه أبو حيان التوحيدي : لم يُرَ مثله قط عِلماً بالنحو وغزارة بالكلام ، وبصرا بالمقالات واستخرجا للعويص وايضاحا للمُشكل ، مع تنزّه ودين وفصاحة وعفاف ، وكان يمزج النحو بالمنطق . . . »[2] .

من هذا العدد الكبير من الشيوخ والأساتذة الذين درس عليهم الرضي ، أو روى عنهم مباشرة أو بالاجازة ، ندرك مدى شمولية ثقافته ، ونرى أنه كان واسع العقل ، رحب الصدر ، حرّ التفكير ، فلم يتعصّب لرجال مذهب دون الآخر : فقد كان من شيوخه الشيعي والسنّي والمعتزلي ، والشافعي والحنفي والمالكي ، ومع ذلك فقد أخذ العلم عن الجميع دون احراج . وقد رأينا أنّ أبا اسحاق الطبري الذي منحه داره ليقيم فيها ، كان فقيها سنّيا على مذهب الامام مالك . هؤلاء هم أساتذة الرضي ، وهم يمثّلون تيارات فكرية ومدارس مختلفة ، وأكثرهم مشهور له ، وله مكانة علمية في زمانه . انّ انصراف الشريف الرضي الشيعي لدراسة الفقه وأصوله ، وأصول الكلام لسائر الفرق ، يقدم لنا صورة واضحة عن نوعية العلماء في ذلك العصر ،

---

(١) الشريف الرضي . **تلخيص البيان** ، مجازات سورة ص ، ص/٩٢ .

(٢) ابن الأثير . **الكامل** ١٦٧/٧ .

وعن تسامحهم الديني وبعدهم عن التعصّب المقيت ، فالعصر عصر مناظرة وجدل . زد على ذلك أنّ الشريف كان واليا للمظالم ، فيجب عليه أن يعرف الفقه لكل المذاهب ، كما يعرف القاضي اليوم قوانين الدولة كلّها .

د ـ تلامذته والرّواة عنه :

لا ترشدنا مؤلفات الرضي الى تلامذته الذين كانوا يتلقّون العلم في الدار التي أنشأها ، ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا غير تلمذة مهيار بن مَرْزَوَيْه الدّيلمي عليه بعد اسلامه على يده سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣[1] . ولكنّ الأميني ذكر تلامذته والرّواة عنه على هذا النحو ، قال : ويروي عنه جمع من أعيان الطائفة وأعلام العامة منهم :

١ ـ شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠ / ١٠٦٧ ، تولّى رئاسة الفرقة الامامية بعد وفاة شيخه المرتضى ، له تصانيف عديدة أشهرها : تفسير القرآن المسمّى (**التِّبيان**) و (**الفهرست**) وهو من كتب الرجال ، (**الاسْتِبصار**) و (**التَّهذيب**) وهما من الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة الامامية في الأحاديث والأخبار[2] .

---

(١) أبو الحسن مهيار بن مرزوية الديلمي ـ كان ديلمي الأصل ، مجوسي الديانة ، تتلمذ للشريف الرضي وأسلم على يديه سنة ٣٩٤ هـ ، ثم عاش منذ ذلك الحين في بغداد ، وتوفّي فيها سنة ٤٢٨/١٠٣٧ ـ بروكلمان . **تاريخ الأدب العربي** ٢/٦٢ . ذكره ابن خلكان في **وفيات الأعيان** ٢/١٩٥ ، وقال : تخرّج على الرضي في الشعر . وانظر في ترجمته : الخطيب البغدادي **تاريخ بغداد** ١٣/٢٦٧ ـ ابن العماد الحنبلي . **شذرات الذهب** ٣/ ٢٤٢ ـ واسماعيل حسين **مهيار الدّيلميّ** . بحث وتحليل ـ طبع مصر.

(٢) وقيل هو من تلامذة المرتضى ، عبد الرّزاق محي الدين . **أدب المرتضى** ، ص/١٢٧ .

٢ ـ الشيخ جعفر بن محمد الدّوريسْتي .

٣ ـ الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الحلواني كما في الاجازات .

٤ ـ القاضي أبو المعالي أحمد بن علي بن قدامة ٤٨٦ / ١٠٩٣ ، كما في الكثير من اجازات أعلام الدين .

٥ ـ أبو زيد السيد عبد الله بن علي كيابكي بن عبد الله الحسيني الجرجاني ، كما في اجازة الشهيد الثاني لوالد شيخنا البهائي العاملي ، واجازة مولانا المجلسي الأول لولده العلّامة المجلسي الثاني .

٦ ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد النّيسابوري الخُزاعي ، وهو من أجلّاء تلامذة الرضي وأخيه المرتضى كما في (المقاييس) للعلّامة الحجّة التُّستَري .

٧ ـ أبو منصور محمّد بن أبي نصر محمد بن أحمد بن الحسين ابن عبد العزيز العُكْبُري المعدّل كما في (قصص الأنبياء) للرّاوَندي .

٨ ـ القاضي السيد أبو الحسن علي بن بُندار بن محمد الهاشمي ، يروي عن الرضي وأخيه المرتضى كما في اجازة الشيخ عبد الله السماهيجي الكبيرة للشيخ ياسين واجازته للشيخ ناصر الجارودي ١١٢٨ / ١٧١٥ .

٩ ـ الشيخ المفيد عبد الرحمن بن أحمد بن يحي النّيسابوري يروي عن الرضي وأخيه المرتضى جميع مصنّفاتهما بلا واسطة كما في

اجازة الشيخ عبد الله السّماهيجي الكبيرة المذكورة[1] .

١٠ ـ وأُضيفُ الى ما ذكره الأميني أنّ للمرتضى بنتا فاضلة ، رَوَت عن عمّها الرضي كتاب (نهج البلاغة) ، ويروي عنها الشيخ عبد الرحيم البغدادي المعروف بابن الأخوّة ، ذكر ذلك القطب الرّاوَندي في آخر شرحه على نهج البلاغة[2] .

هـ ـ دار العلم و « مَجْمَع » الرضي :

اتّخذ الرضي لطلبة العلم الذين يدرسون عليه دارا سمّاها « دار العلم » ، ذكر ذلك كل من : ابن معصوم والخوانساري في سياق قصة للرضي مع أحد وزراء عصره[3] . ويذكر عبد الحسين الحلّي في مقدّمة (حقائق التأويل) نقلا عن ابن خلكان أنّ الرضي اتّخذ لتلامذته عمارة سمّاها دار العلم ، وأرصد لها مخزنا فيه جميع حاجيّاتهم من ماله ، وأنّ الذي أهدى له الطبق وفيه النقود هو الوزير المهلّبي[4] .

وسواء أكانت هذه القصة صحيحة أم مخترعة ، فانّ دلالتها على عناية الرضي بتلامذته والانفاق عليهم وتربيتهم تدل على علوّ الهمّة

---

(١) ذكر هذه الأسماء الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي في الغدير ٤/١٨٥ ـ ١٨٦ .

(٢) عبد الفتاح الحلو . مقدّمة ديوان الشريف الرضي ١/٥٦ نقلا عن رشيد الصّفار محقّق ديوان المرتضى ص/١١٢ .

(٣) ابن معصوم . الدرجات الرفيعة ص/٤٧٢ ـ ٤٧٣ ـ الخوانساري . روضات الجنّات ٦/٥٤٨ ـ وذكرها عبد الفتاح الحلو في مقدّمة ديوان الشريف الرضي ١/٩٠ .

(٤) عبد الحسين الحلّي . مقدّمة حقائق التأويل ٥/٥٧ ، وقد أخطأ الحلّي في تحديد القصة مع الوزير المهلبي ، لأن هذا الأخير توفي سنة ٣٥١/٩٦٢ ، ولم يكن على عهد الشريف الرضي . أما ابن الحديد في شرح نهج البلاغة ١/١٤ ، فقد ذكر أنّ الوزير المعني هو فخر المُلْك أبو غالب .

واباء النفس دلالة قوية[1] . لم تكن دار العلم مدرسة فقط ، بل كانت مكتبة أيضا ، وهي ثالثة المكتبتين الشهيرتين في بغداد : فالمكتبة القديمة منها هي التي أسّسها الرشيد وتدعى « بيت الحكمة » ، والحديثة هي التي أنشأها وزير شرف الدولة البويهي أبو نصر سابور ابن أردشير ، وقد حدّث عنها ياقوت وأطراها[2] .

وكانت هناك مجامع عامة : أحدها مجمع زعيمه الشريف الرضي يحضره الأدباء على اختلافهم ، وآخر لأخيه الشريف المرتضى ، وهو من المجامع الفلسفية الكلامية العامة[3] . وثالث للوزير أبي نصر

---

(١) فقد أرسل اليه ذلك الوزير طبقا فيه ألف دينار عندما علم أنه ولد له غلام ، فردّه الرضي ، وعاود الوزير ارساله هديّة للقوابل ، فاعتذر الرضي بأنّ عجائز بيته يتولّين هذا الأمر، ولا تحتاج نساؤ هم الى قابلة ، وردّه ، فأرسله اليه الوزير للمرّة الثالثة ، وقال : يفرّقه الشريف على ملازميه من طلّاب العلم ، فلمّا جاء الطبق وحوله طلاب العلم قال : ها هم حضور فليأخذ كل واحد ما يريد ، فقام رجل منهم وأخذ دينارا ، فقرض من جانبه قطعة وأمسكها وردّ الدينار الى الطبق ، فسأله الشريف عن ذلك ، فقال : انّي احتجت الى دهن السّراج ليلة ، ولم يكن الخازن حاضرا ، فاستقرضت من البقّال دهنا للسراج ، فأخذت هذه القطعة لأدفعها اليه ثمن دهنه ـ وكان طلبة العلم الملازمون للشريف في عمارة قد اتخذها لهم ، سمّاها دار العلم ، وعيّن لهم جميع ما يحتاجون اليه ـ فلمّا سمع الرضي بذلك : أمر في الحال بأن يتّخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ، ويدفع الى كلّ منهم مفتاح ليأخذ منها ما يحتاج اليه ، ولا ينتظر خازنا يعطيه ، وردّ الطبق على هذه الصورة . هكذا ذكر ابن معصوم خبر دار العلم ، ضمن قصة للرضي مع أحد الوزراء .

(٢) وكانت بغداد تضمّ الى جوار دار العلم التي أنشأها الرضي ، دار أخرى سمّيت بدار العلم ، ولكنها كانت خزانة كتب أنشأها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير سنة ٣٨١/٩٩١ . وجعل فيها أكثر من ١٠ آلاف مجلد ، وبقيت الى أن احترقت عند مجيء طغرلبك الى بغداد سنة ٤٥٠/١٠٥٨ .
ابن الجوزي . **المنتظم** ٧/١٧٢ ـ ابن الأثير . **الكامل** ٧/٣٢٤ .

(٣) ذكرت بعض المراجع أنّ المرتضى أنشأ أيضا مدرسة سمّاها « دار العلم » وكان يعطي =

سابور السالف الذكر ، ورابع لأبي حامد الأسفراييني من فقهاء الشافعية ، يحضره نحو سبعمائة متفقّه ، وخامس للشيخ المفيد يحضره من فقهاء الامامية أكثر من ذلك . وكانت المحاضرات العامة تلقى على الناس في هذه المجامع من أولئك الأئمة في شتى العلوم والفنون[1] .

* * *

= تلامذته رواتب معيّنة ، فقد كان نصيب أبي جعفر الطوسي ـ شيخ الطائفة فيما بعد ـ اثني عشر دينارا ، وكان آخر يأخذ ثمانية عشر دينارا ، كان المرتضى كريما ومفضلا على أهل العلم ، فقد وقف قرية من قراه تصرف مواردها على قراطيس الفقهاء والطلبة . روى صاحب روضات الجنّات أن خزانة كتبه ضمّت ثمانين ألف مجلّد ، وقوّمت هذه الكتب بثلاثين الف دينار ، على ما رواه الثعالبي في يتيمة الدهر ، ونقله رشيد الصفّار في مقدّمته لديوان المرتضى . محمد عبد الغني حسن . **الشريف الرضي** ، ص/٢٦ .

(١) كان الخازن لمكتبة دار العلم هو أبو أحمد عبد السلام بن الحسن البصري ، صاحب الصّيت الذائع في علم تقويم البلدان ، وكان لعبد السلام هذا مجمع علمي خاص في بغداد ، وينعقد له يوم الجمعة من كل أسبوع . عبد الحسين الحلّي . مقدّمة **حقائق التأويل** ٥٨/٥ .

خلاصة
في أخلاق الرضي ومقوّمات شخصيّته

أشاد بالشريف الرضي الكثير من المؤرخين ، وذكر فضله معظم أصحاب كتب الرجال[1] . ونستنتج من خلال الأقوال المختلفة أنّ الرضي وُصف بالعفّة والورع والتقشّف والتديّن ، كما وصف بشرف النفس وعلوّ الهمّة ، وأنه لم يقبل من أحد صلة ، كما وُصف بالجود والحدب على قومه ومراعاتهم ، ووُصف بالتشدّد في معاقبة الجاني منهم . وقد جمع الرضي صفاتا كريمة تتلخّص فيما يلي :

١ ـ الورع والتديّن ، ٢ ـ الزهد ، ٣ ـ العفاف ، ٤ ـ الشرف وعزّة النفس ، ٥ ـ التشدّد في معاقبة الجاني من الطالبيّين .

١ ـ ورعه وتديّنه :

انّ المتتبّع لحياة الرضي وسيرته يراه رجل الدين الجادّ ، والعالم الفاضل الذي يتشبث بالحق ، وينفذ الأحكام الشرعية بصرامة بعيدة عن التهاون في التطبيق . فلا نجد مغمزا في دينه ، ولم يُؤثر عنه

---

(١) الثعالبي . يتيمة الدهر ٣/١٣١ ـ ابن الجوزي . المنتظم ٧/٢٧٩ ـ ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة ١/٣٣ .

انتهاك لحرمات الله ، ولم يأخذ من اللهو ومتاع الدنيا كسائر الناس ، ولم يصف الخمرة في شعره الاّ نادرا! وكان فنّا شائعا في ذلك العصر[1] . وكان شديد النّكير على من يشرب النبيذ[2] .

٢ ـ زهده :

في ديوان الرضي عدّة مقطوعات قيلت في الزهد ، تتضمّن معنيين : السخرية من تعلّق الناس بالدنيا ، وقرب نهاية الحياة من بدايتها .

ولم نلاحظ هذا الزهد بالدنيا والانصراف عن هموم المجد في مطلع شباب الرضي ، وهو يصارع في سبيل تحقيق آماله وأمانيه ، وانّما

---

(١) وحين وصفها قال :

راحٌ يَحولُ شُعاعُها بين الضمائر والعقولِ

ذكر في مقدّمتها أنه سئل القول في ذلك ـ **ديوان الرضي ٢/٢٣٩** ، وهي ثلاثة أبيات فقط . وكذلك حين جعل ذكر الخمر مقدّمة لقصيدته في الغزل ووصف الرّوض ، وكانت من أول قوله ، أنشد :

اسْقني فاليومُ نَشْوانُ والرُّبَى صادٍ ورَيّانُ

المصدر نفسه ٢/٥٠٤ ـ اعتذر عن ذلك قائلا : انه قالها على لسان بعض الناس ، ممّا يشعر بتحرّجه من ذلك .

(٢) عبد الفتاح الحلو . مقدّمة **ديوان الرضي ١/٣٢** .

ويروى في ورع الرضي وتديّنه أنه اشترى في بعض الأيام جُزازاً من امرأة بخمسة دراهم ، فوجد فيه جزءاً بخط أبي علي بن مُقلة ، فقال للدلاّل : أحْضر المرأة فأحضرها ، فقال : قد وجدتُ في الجزاز جزءا بخط ابن مقلة ، فان اردتِ الجزء فخذيه ، وان اخْترتِ ثمنه فهذه خمسة دراهم . فأخَذَتْها ودَعَتْ له وانصرَفَتْ . الجُزاز : ما يسقط على الأرض عند الجزّ والمراد هنا قُصاصات الورق . ابن الجوزي . **المنتظم ٧/٢٧٩** ـ الصفدي . **الوافي بالفويات ٢/٣٧٩** .

نتجت هذه النغمة عنده ، بعد أن يئس من الوصول الى مبتغاه . وأخذ يفتّش عن آخرته وزهد بالدنيا . وقصيدته الزهدية[1] وعظ وارشاد ، يعلن فيها صراحة طلاقه للدنيا :

طَلَّقْتُها ألفاً لأحسِمَ داءَها وطلاقُ مَن عزمَ الطَّلاقَ ثلاثُ

هذا الطلاق يقع في تلك الفترة القصيرة من نهاية مسيرة حياته منذ سنة ٤٠٣ / ١٠١٢ وحتى بداية سنة ٤٠٦ / ١٠١٥ [2] .

٣ ـ عفافه :

لم يُؤْثر عن الرضي الاّ العفّة المطلقة واحترام النّواميس كافة ، حتى في مجالسه الخاصة ، ولم يقترف مأثما يؤاخذه عليه ، مع أنه كان متمكنا من لذائذ الحياة ، ولكنه حرم نفسه وحملها على المركب الخشن ، ايثارا للمرؤة وصونا لكرامة العِرض . ونزداد يقينا حين نعلم أنه لم يستعمل المواربة في شعره ، ولم يجالس الخلعاء والظرفاء ـ وما كان أكثرهم في عصره ـ ولم يصرف شيئا من شعره في فنون المهازل والمجون :

وانّي لَمأمُونُ على كلِّ خَلوَةٍ أمينُ الهوى والقلبِ والعين والفمِ
وغيري إلى الفحشاءِ انْ عرضَت لهُ أشدُّ من النُّؤْ بانِ عَدْواً على الدمِ [3]

---

(١) **ديوان الرضي** ١/٢٢٨ .

(٢) وقد بكاه مهيار الدّيلمي بهذا المعنى في مرثيته :

أبكيكَ للدنيا التي طَلَّقتَها وقد اصْطَفَتْكَ شَبابُها وعُرامَها
ورميتَ غاربها بِفُضلة مُعْرضٍ زهداً وقد ألقتْ اليكَ زمامَها

عبد الفتّاح الحلو . مقدّمة **ديوان الشريف** ١/٣٤ ، نقلا عن ديوان مهيار .

(٣) **ديوان الرضي** . دار بيروت ٢/٤٠٢ ، وقد أنشدها سنة ٣٧٨/٩٨٨ . وقد =

وقد التزم الشريف هذا الخُلق الصارم منذ يفاعته ، وأعلنه في أوائل ما أنشد من الشعر ، ففي أول قواذفه[1] قال :

بُردي عفيفٌ اذا غَيري لِفَجرتِهِ كانت مناسِجُ بردَيهِ على التُّهَمِ .

ويتردّد عفاف الرضي في كثير من قصائده ، فهو لا يعرف الفحشاء الاّ بوصفها على حَدّ قوله :

وأُعرِضُ عن كأسِ النَّديمِ كأنّها وميضُ غمامٍ غائِرِ المُزنِ خُلَّبُ
ولا أعرفُ الفحشاءَ الاّ بوصفِها ولا أنطِقُ العوراءَ والقلبُ مُغضَبُ[2]

هكذا كان الفتى في صدر شبابه ، وللهوى فتون وللشباب جنون . وقد دعته النقابة الى الشدّة والحزم ، فلا هدنة مع المنكر ، ولا تهاون في تطبيق حدود الشّرع ، وكان شديداً على قومه لتحمد سيرته ، وذلك في قوله لهم :

وفَطَمتكُم بالزَّجرِ عن عاداتِكُم ورَدَدْتُ مُنكركُم إلى المعروفِ
عَفُّ السَّريرةِ لم تُلَطَّ لريبةٍ يوماً عليَّ مغالقي وسُجوفي[3] .

٤ ـ عزّة نفسه :

انّ اباء الشريف وعزّة نفسه يبدو لنا بوضوح لو استعرضنا مسيرة

= لفت عفافه نظر احسان عباس فرأى : أن الرضي جمع الى صفاته الكريمة عفّة لسانية تنأى به عن المهاترة والمجون والسّباب ، وتلك أمور متفشّية في بني زمانه . . . **الشريف الرضي** ص/٩٥ .

(١) القواذف : اسم أطلق على مجموعة القصائد التي نظمها الرضي في فترة اعتقال والده . **ديوان الرضي** ٢/٣٨٨ .

(٢) المصدر نفسه ١/١٠٨ .

(٣) المصدر نفسه ٢/١٤ .

حياته ، وديرانه فلا نجد أثرا لمثل قول : « مدحه في عيد كذا ، فوصله بصلة سنّيةٍ . . . وهنّأه في وقعة كذا فأجازه بمكافأة . . . »[1] . بينما نجد هذه المكافآت مثبتة في سيرة معظم الشعراء البارزين ، كما أننا لا نجد في شعره طلبا أو استرفادا ، لأن الرضي يحمل نفسا عظيمة ، لم تتصاغر تصاغر غيره من الشعراء ، فتقف بباب الخلفاء والملوك للحصول على الجزاء والعطاء .

ويكفي أن نذكر من شعر الرضي بعض « الحجازيات » التي أخرجته عن مناهج الغرام المعروف ، ولا عجب بذلك فقد طغت خصائصه الخُلقية من عفّة واباء وأنفة وترفّع وشمم على سلوكه العملي وطبعته بميسم خاص . وتتّفق أقوال المؤرخين ، على عدم قبوله صلة ألّا من أبيه ، وأنه كان يقنع من الخلفاء والسلاطين بالاحترام وصيانة الجانب واكرام الأتباع[2] .

ولم نجد في أخباره أنه قصد خليفة أو ملكا أو غيرهما ، لينال رِفده ويحصل على جائزته ، حتى أنه رفض أن يكون شاعرا حيث قال مخاطبا أباه : « وعُلاكَ لا يرضى بأنّيَ شاعرُ » ، كما وعد بتجنّب الشعر وقوله اذا وصل الى آماله وحقّق أهدافه بقوله :

وما قَولي الأشعارَ الّا ذريعةٌ الى أملٍ قد آنَ قَوْدُ جَنيبِهِ

---

(١) عبد الحسين الحلّي . مقدّمة **حقائق التأويل** ٥٦/٥ ـ بينما نجد المتنبي على سبيل المثال وقد وَزَنَ شعره بذهب الممدوحين .

(٢) ابن عنبة . **عمدة الطالب** ص/٢١٠ ، حتى ان ابن أبي الحديد قال : لم يقبل من أحد صِلة ولا جائزة حتى انه ردّ صِلات أبيه . . . **شرح نهج البلاغة** ٣٣/١ . وقد نقل عنه : الخوانساري في **روضات الجنات** ٥٤٧/٦ ، وابن معصوم في **الدرجات الرفيعة** ٤٦٦ .

وانـي اذا مـا بـلَّغَ اللهُ مُـنـيَـتـي ضَمِنتُ له هَجرَ القريضِ وحَوبِهِ[1]

وقد ردّ الرضي الكثير من العطايا والهِبات[2] .

وموقف العزّة هذا أسهم في رفع مكانته في الـدولة ، وأسبـغ عليه أرفع المناصب ، وهو في العشرين . ومن يتّصل بقصر الخلافة وسـدّة المُلك على هـذا النحو لا بـدّ أن تجرى عليـه الأرزاق دون أن يسألهـا بشعره أو نثره . وقد أعلن الرضي باباء ـ امـام الطائـع لله ومنذ اتصـاله به ـ أنه لا يبغي مالا ولا ثروة . وانّما :

أُريـدُ الكـرامـةَ لا المَكـرُمـاتِ ونَيلَ العُلا لا العَطايا الجِساما[3] .

وتمرّ بنا في بعض شعر الرضي ملامح تجعل المرء حائرا بين هذا الابـاء المعلن في جلّ قصـائده ، وبين هـذه الملامـح التي تـدلّ على ضعف الـرضي أحيانـا أمام بعض الخلفـاء والملوك والوزراء . وبعض هذه الملامح تبدو لنا في السنوات الأولى من تاريخه السياسـي ، فقد خاطب الطائع لله وهو ابن سبع عشرة سنة بقوله :

---

(١) ديوان الرضي ١/١٣٥ ـ الحوب : الأثم .

(٢) مرّ بنا قصة شيخه أبي اسحاق بن أحمد الطبري الـذي منحه داره ، ولم يقبلهـا الرضي الاّ مُكرَهاً راجع الفصل الثالث ص/١٢٢ حاشية/٢ . وقصة الوزير أبي غـالب فخر الملك الذي علم ، أن الرضي أنجب ولدا فأرسل له ألف دينار ، قائلا انها للقابلة ، فردّها الرضي ومعها اعتذار لطيف من عدم القبول للمـال . وقد مـرّت بنا مـع شيء من التغيير في قصة « دار العلم » ص٢١٨ ح١ . وقد أوردها ابن أبي الحـديد في شرح نهج البلاغـة ١٢/١ ، وتصوّر لنـا هذه الحـادثة جـانب عفّة الـرضي وابائـه وتـرفّعه عن قبـول شيء من انسان ولـو كان مسؤولا . كـما تمتزج الأنفـة هنا بقنـاعة النفس ونزاهة المطلب .

(٣) ديوان الرضي ٢/٣٢٣ .

أُنظُر اليَّ ببعضِ طَرفِكَ نظرةً يَسمو لها نظري ويُعرِبُ مِقوَلي [1]

أظن أنّ هذا الخضوع دفعته اليه رغبته في أن يبدأ طريقه السياسي . وكان لهذه الحالات ما يبرّرها في رأي الرضي ، لأن مطامحه كانت تدفعه الى مواقف يضطر فيها لمداراة خليفة أو ملك أو وزير . كما أنّ قسوة الارهاب التي كانت تعيشها بغداد في ظل بني بويه ، والتي لم يسلم منها الخلفاء أنفسهم ، جعلته يحني الرأس لهم في قوله معتذرا اليهم حينما أشيع ، أنه متوجّه الى مصر . فأحبّ أن ينفي التهمة عنه وأن يثبت ولاءه لهم :

أآل بُويهٍ ما نرى الناسَ غيركُمُ ولا نَشتَكي للخَلقِ أولاكُمُ فَقدا
نرى مَنعُكُم جوداً ومَطلُكُم جَداً واذلالُكُم عزّاً وامراكم شَهدا [2] .

ومهما يكن من أمر فقد كانت عزّة نفسه سمة بارزة في سلوك حياته وفي مختلف فنونه الشعرية . فقد كان مركزه ومركز والده النقيب ، ومكانة بيته تحتّم عليه هذا الجوّ من الحرص البالغ على سمعته ، والمحافظة على شرفه ، وترفّعه عمّا يؤاخذ عليه .

٥ ـ تشدّده في عقاب الجاني من الطالبيّين :

يُنسب للرضي أيام نقابته الافراط والتشدّد في معاقبة الجاني من آل أبي طالب . لأن الطالبيين يومئذ يراهم الملوك ، ويراهم الناس كافة فئة ممتازة بالشرف وبالأباء ، وبالانتماء الى الرسول ، لذلك ميّزتهم النقابة عن مشاركة الجماهير بالقوانين العامة .

---

(١) ديوان الرضي ٢/١١٨ . قال يشكر الطائع سنة ٣٧٦/٩٨٦ .
(٢) ديوان الرضي ١/٤٠١ .

فكان الرضي يستكبر الصغير من أخطائهم ، ويعاقبهم عليه بنسبة ما هم عليه من العظمة تمسّكا بالأنفة والعزّة ، ورفعا لهم عن مساواة سَفَلة الأخلاق من غيرهم ، وكفّا لهم عن اقتراف الجرائم ، لذلك كان يحضّ أباه على القسوة ، والشدّة على الباغي من أقربائه عقابا على بغيه ، ومن ذلك قوله :

والعَفوُ مَكرُمةٌ فان أغرى بها مُتغافلٌ قال الرجالُ : مُغَفَّلُ[1] .

ويدلّنا هذا على أنّ أعمال القسوة أحيانا ليست من شراسة الأخلاق ، ولا تكون منافية للحلم ، اذا كان الغرض منها تأديب المذنب ومعاقبته ، ليرتدع غيره عن ارتكاب الأخطاء[2] .

---

(١) ديوان الرضي ، ٢/١٥٨ .

(٢) ومن الأمثلة على تشدّده : أنّ امرأة علويّة ، جاءته تشكو اليه زوجها ، بأنه يقامر بما يتحصّل له من حرفة يمتهنها ، على الرغم من أنه ذو عيال ومكثر ، وشهد لها من حضر الصدق ، فاستحضر الرضي زوجها ، وأمر به ، فبُطح وضُرب ، والزوجة تنظر اليه ، وتنتظر أن يكفّ عن الضرب اكتفاء بما نال منه ، ولكن الأمر زاد حتى بلغ مائة خشبة . فخافت المرأة على زوجها أن يموت من الضرب ، وصاحت بالشريف قائلة : وايتم أولادي . كيف تكون صورتنا اذا مات ؟ فزجرها الرضي قائلا : أظَنَنْتِ أنَّكِ كنتِ تشكينه للمعلّم ؟ .
ذكر هذه الحادثة كل من : آدم متز في **الحضارة الاسلامية** ١/٤٨٥ . وابن عنبة في **عمدة الطالب** ص/٢١١ ـ ومحمد عبد الغني حسن في **الشريف الرضي** ص/٥٥ .

الفصل الخامس
مؤلّفات الشريف الرضي

كان عمر الرضي قصيرا حافلا بالأعمال المجيدة ، فهو يؤلّف ويدرّس في مدرسته « دار العلم » . وقد أنفق شطرا كبيرا من عمره بولاية امارة الحجّ التي لا تتّفق مع التأليف ، وأهلك الشطر الآخر بالنظر في المظالم وفي أمور النقابة . ولا ننسى انصرافه لنظم الشعر في الأعياد والمناسبات المختلفة من مراث وتهان ، ومعاتبات ، فضلا عن زياراته المتكرّرة للملوك والخلفاء والوزراء للشّفاعة وقضاء ذوي الحاجات . فكيف تمّت له تلك التآليف والتّصانيف الكثيرة التي تحتاج الى وقت طويل وتفرّغ كلّي ؟

يجيبنا عن هذا التساؤول ذكاؤه المتوقّد واستيعابه السّريع لثقافة عصره . فقد علمنا أنه ابتدأ بنظم الشعر الجيّد وهو ابن عشر سنين ، أو بعد أن جاوزها قليلا[1] ، وأنه تلقى علم النحو على ابن السيرافي ، وهو دون العاشرة فأتقن أصوله[2] ، وأنه حفظ القرآن بمدّة يسيرة[3] . لم

---

(١) الثعالبي . **يتيمة الدهر** ، ٣/١٣١ .

(٢)ابن خلكان . **وفيات الأعيان** ، ٢/٧٨ . عبد الحسين الحلّي . مقدمة **حقائق التأويل** ، ٥/٨٥ .

(٣) ابن خلكان ، المصدر نفسه نقلا عن ابن جني ، ويقول صاحب **عمدة الطالب** : لأنه =

تمنعه هذه العوائق كلها من الانصراف الى التأليف والتدريس . وسنعرف قيمة مؤلفاته في هذا الخضمّ الزاخر بالمصنّفات في شتّى العلوم ، سواء أكان ذلك في الأدب والنحو واللغة والفقه والحديث والكلام وغيرها .

والحق أن مؤلفات الرضي كانت تحتل مكانا ساميا ومميّزا بين تصانيف النصف الثاني من القرن الرابع الهجري[1] .

وسنذكر هذه المؤلفات بعد الأشارة الى مصادر ورودها ، مع تعريف بالكتب المطبوعة والواصلة الينا ، للتنبيه على أهميّتها ، علما أننا سنفصّل القول في بعضها في الباب الثاني من هذه الرسالة[2] .

وسنرتّبها حسب حروف الهجاء لتعذّر تنظيمها حسب التسلسل الزمني لتأليفها فبعضها مؤرّخ وبعضها الآخر بدون تاريخ .

وهذا بيان بمؤلفاته مرتب حسب حروف الهجاء :

١ ـ **أخبار قضاة بغداد** .

٢ ـ **تعليق خلاف الفقهاء** .

٣ ـ **تعليقه على « ايضاح أبي علي الفارسي »** .

= حفظه على الكِبَر . وأعلن ابن أبي الحديد في **شرح نهج البلاغة** ، ١٣١/١ : أن الرضي حفظ القرآن بعد أن جاوز الثلاثين بمدّة يسيرة .

(١) أطراها الكثير من المؤرخين في كتب السيرة وفي فهارس المصنّفين مثل عبارة « يتعذّر وجود مثله » عن كل كتاب من كتب الرضي ـ عبد الحسين الحلّي . **مقدمة حقائق التأويل** ، ٨٩/٥ . نقلا عن ابن خلكان .

(٢) سندرس : **نهج البلاغة** ، **وتلخيص البيان** ، **والمجازات النبوية وحقائق التأويل** ، **ورسائله** .

٤ ـ تلخيص البيان عن مجازات القرآن .
٥ ـ الجيّد من شعر أبي تمّام .
٦ ـ الحسن من شعر الحسين .
٧ ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل .
٨ ـ خصائص الأئمة .
٩ ـ ديوان شعره .
١٠ ـ رسائله .
١١ ـ الزيادات في شعر أبي تمّام .
١٢ ـ الزيادات في شعر أبن حجّاج .
١٣ ـ سيرة والده الطاهر .
١٤ ـ فضائل أمير المؤمنين .
١٥ ـ مختصر أمثال الرضي .
١٦ ـ ما دار بينه وبين أبي اسحاق الصابي شعرا .
١٧ ـ مجازات الآثار النبوية .
١٨ ـ مختار شعر أبي اسحاق الصابي .
١٩ ـ معاني القرآن .
٢٠ ـ نهج البلاغة .

١ ـ أخبار قضاة بغداد :

لم يصل الينا ولا نعرف عنه شيئا غير الاسم ، ولم يذكره الرضي في مؤلفاته ، ولم يشر الى تاريخ تأليفه أحد من المؤرخين وعلماء الرجال . ذكره كل من : ابن عنبة والصفدي والخوانساري والحلّي ، والأميني[1] .

---

(١) ابن عنبة ، عمدة الطالب ، ص/٢٠٨ . الصفدي . الوافي بالوفيات ، ٢/٣٧٥ . =

٢ ـ تعليق خلاف الفقهاء :

لم يصل الينا أيضا ، ولا نعرف تاريخ تأليفه ، ولم يذكره الرضي . وقد ذكره : النجاشي والخوانساري ، وابن معصوم ، والحلّي والأميني ودائرة المعارف الاسلامية[١] .

٣ ـ تعليقه على « ايضاح » أبي علي الفارسي :

لا نعرف عنه غير الاسم ، لأنه لم يصل الينا وقد ذكره كلّ من : النجاشي والخوانساري وابن معصوم والحلّي والأميني ومحسن الأمين ، وعبد الفتاح الحلو[٢] .

٤ ـ تلخيص البيان عن مجازات القرآن :

ألّفه الرضي سنة ٤٠١ / ١٠١٠ ، ابتدأ تصنيفه في يوم الخميس لعشر ليال بقيت من شعبان ، وفرغ منه في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال[٣] ، فاستغرق في تأليفه نحو ثلاثة وخمسين يوما .

= الخوانساري . **روضات الجنات** ، ٥٤٨/٦ . نقلا عن عمدة الطالب . عبد الحسين الحلّي . مقدمة **حقائق التأويل** ، ٩٢/٥ . عبد الحسين الأميني ـ **الغدير** ، ١٩٩/٤ .

(١) النجاشي . **الرجال** ، ص/٢٨٣ . الخوانساري . **روضات الجنات** ، ٥٥٠/٦ . ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ، ص/٤٦٧ . عبد الحسين الحلّي ، مقدمة **حقائق التأويل** ، ٩٢/٥ . الأميني ، **الغدير** ، ١٩٩/٤ . **دائرة المعارف الاسلامية** ، ٢٨٤/١٣

(٢) النجاشي . **الرجال** ، ص / ٢٨٣ . الخوانساري . روضات الجنات ، ٥٥٠/٦ . ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ، ص/٤٦٧ . عبد الحسين الحلّي . مقدمة **حقائق التأويل** ، ٩٢/٥ . الأميني . **الغدير** ، ١٩٩/٤ . محسن الأمين . **أعيان الشيعة** ، ١٧٤/٤٤ . عبد الفتاح الحلو . مقدمة **ديوان الرضي** ، ٩٣/١ .

(٣) الشريف الرضي : **تلخيص البيان** ، ص/٢٨٨ .

ذكره الرضي في (**مجازات الآثار النبوية**)[1] وفي كتاب (**حقائق التأويل**)[2] . كما ذكره النجاشي وابن خلكان الذي وصفه بأنه نادر في بابه[3] ، والصفدي وابن عنبة وابن العماد والخوانساري حيث نقلا عبارة ابن خلكان ، وابن معصوم والأميني وقد نقلا عن النجاشي[4] .

وقد ذكر ابن حجّة الحموي أن الشريف الرضي عمل كتابا سمّاه (**مجاز القرآن**) ومات قبل استيفائه[5] . ولعلّ الأمر اختلط عليه ، فان مجاز القرآن المعروف بتلخيص البيان تام كامل ، أما الذي يمكن أن يقال انّ الرضي مات قبل استيفائه فهو حقائق التأويل .

ويذكره البعض بمجازات القرآن ، وفي (**كشف الظنون**) ، سمّاه (**المجازات للسيّد الرضيّ**) ولم يزد على ذلك . وسنتحدّث عنه بالتفصيل في الباب الثاني .

٥ ـ الجيّد من شعر أبي تمّام :

لا نعرف عنه شيئا ، ولم يذكره الرضي في مؤلفاته ، وقد تفرّد

---

(١) في الصفحات : ٢ ـ ٣ ـ ٩ ـ ١٤٥ ، وقال عنه وعن كتابه **المجازات النبوية** ، في ص/٣ : « انهما عرينان لم أسبق الى قرع بابهما » .

(٢) الشريف الرضي . **حقائق التأويل** ، ١٥٣/٥ .

(٣) ابن خلكان . **وفيات الأعيان** ، ٤١٦/٤ . حيث قال : « وصنّف كتابا في مجازات القرآن فجاء نادرا في بابه » .

(٤) النجاشي . **الرجال** ، ص/٢٨٣ . الصفدي : **الوافي بالوفيات** ، ٣٧٥/٢ . ابن عنبة . **عمدة الطاب** ، ص/٢٠٧ .

(٥) **خزانة الادب** ، ص/٥٣٢ . وقد ذكره عبد الفتاح الحلو في مقدمة **ديوان الرضي** ، ٩٤/١ .

الخوانساري بذكره[1] .

٦ ـ الحسن من شعر الحسين :

وهو ما انتخبه الرضي من شعر أبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن حجّاج ٣٩١ / ١٠٠٠ ، وكان من أصدقاء الرضي ، وقد اختاره الرضي وجمعه قبل وفاة ابن حجّاج ، لأن الشاعر مدحه على صنيعه[2] . وقد ذكره النجاشي باسم (**الجيّد من شعر ابن الحجّاج**) ، وذكر أيضا باسم (**اختيار شعر ابن الحجّاج**) ، و (**انتخاب شعر ابن الحجّاج**) و (**التنظيف من السخيف**)[3] كما ذكره آغا بزرك الطهراني باسم (**انتخاب الحسن من شعر الحسين**)[4] .

وذكره الشيخ الأميني في الغدير[5] وعبد الفتاح الحلو في تحقيق ديوان الرضي نقلا عن أبي اسحاق الصابي[6] ، وابن الجوزي في وفيات سنة

---

(١) الخوانساري . **روضات الجنات** ، ٦/ ٥٥٠ .

(٢) مر بنا تعريف مفصّل لعلاقة الرضي بابن ،جّاج ، راجع الفصل الثالث ، ص ١٧٠ .

(٣) **دائرة المعارف الاسلامية** ، ١٣/ ٢٨٤ ، مادة شريف .

(٤) آغا بزرك الطهراني . **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ، ٢/ ٣٥٨ و ٧/ ١٦ . وزاد قائلا : ويقال له : « انتخاب الحسن » ـ انتخب فيه شعر ابن الحجّاج مرتّباً على الحروف في ثمانية أجزاء . يوجد منها الجز السادس من حرف العين الى حرف القاف بخط قديم ، والجزء الأخير من حرف الميم الى آخره . وقد كتبه صاحبه عن نسخة خط عمرو بن اسماعيل في (٩٢٠) في مكتبة السّماوي .

(٥) قال : « انتخب الرضي فيه شعر ابن الحجّاج ، وهو من شعراء القرن الرابع ، ويسمى هذا الكتاب في دائرة المعارف الاسلامية « التنظيف من السخيف » ورتّبه على الحروف ، وكان ذلك في حياة الشاعر ابن الحجّاج ، وله في ذلك شعر يمدح فيه الشريف . . . » الأميني . **الغدير** ، ٤/ ١٩٩ .

(٦) لمّا توفي ابن الحجّاج سنة ٣٩١/ ١٠٠٠ ذكر الصابي أبو اسحاق : « . . . وتفرّد بفنّ =

٣٩١ هـ[١] . وورد ذكره أيضا عند النجاشي والصفدي وابن عنبة[٢] .

٧ ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل :

ألّفه الرضي سنة ٤٠٢ / ١٠١١[٣] ، ولم يعثر منه الاّ على الجزء الخامس ، قيل انه يتمّم عشرة أجزاء[٤] ، ذكره الرضي في (**المجازات النبوية**)[٥] وكان يحيل عليه في موضع فيسميه حقائق التأويل ، ويصفه بالكبير وفي موضع آخر يهمل التسمية ويعبّر عنه بالكتاب الكبير في متشابه القرآن ، وهذه النعوت تنطبق على المسمّى بحقائق التأويل ، لأنه كبير ، ولأنه في المتشابه خاصة ، ولأن الرضي نفسه سمّاه باسمه الكامل في مقدمة (**تلخيص البيان**)[٦] .

ومن التسميات التي أطلقها عليه أيضا : (**كتابنا في علوم القرآن**)

= من السخف لم يسبقه اليه سابق ، وكان مع تعاطيه هذه الطريقة مطبوعا في غيرها ، وقد اختار الرضي أبو الحسن الموسوي من شعره السليم قطعة كبيرة في غاية الحسن والجودة والصنعة والرّقة » عبد الفتاح الحلو . مقدمة **شرح ديوان الرضي** ، ١/ ٩٥ .

(١) وذكره ابن الجوزي حيث قال : « تفرّد بالسخف الذي يدل على حساسة النفس وقد أفرد أبو الحسن الرضي من شعره ما خلا من السخف وهو شعر حسن » المنتظم ٧ / ٢١٦ .

(٢) النجاشي ، **الرجال** ، ص/٢٨٣ . الصفدي . **الوافي بالوفيات** ، ٢/ ٣٧٥ . ابن عنبة . **عمدة الطالب** ، ص/٢٠٨ .

(٣) النسخة التي طُبعتْ كُتبتْ سنة ١١٣٨/٥٣٣ ، وقد نَسختْ من نسخة عليها خط المؤلف وتاريخ تأليفه سنة ٤٠٢ هـ ، عبد الفتاح الحلو . مقدمة **تحقيق ديوان الرضي** ، ١/ ٩٨ نقلا عن كاشف الغطاء . **الشريف الرضي** ، ١٢٠ .

(٤) فانه يكون بالقياس الى كتاب « التبيان » في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي ١٠٦٧/٤٦٠ ، أكبر حجما وأغزر مادة وأتم فائدة وأعم نفعا . عبد الحسين الحلو . مقدمة **حقائق التأويل** ، ٥/ ٩١ .

(٥) الشريف الرضي . **المجازات النبوية** ، الصفحات : ١ ـ ٣ ـ ٩ ـ ١٤٥ .

(٦) الشريف الرضي . **تلخيص البيان** ص/١١٠ .

و (**تـأويل القـرآن**)[1] . والواقـع أن هذه التسميـات المختلفة للكتـاب أوقعت المؤرخين في الخطأ والوهم ، فاعتبره بعضهم كتابـين[2] وبعضهم الآخر ظنّه ثلاثة كتب[3] .

وقد ذكره أكـثر من ترجم الشـريف وجميعهم مطبقـون على تقـريظه وتفخيم نعوته حتى قيل عنه : « يتعذر وجود مثله » .

وذكـر هذا الكتـاب النجاشي المعـاصـر للرضي ، واختصـر اسمـه فسمّاه (**حقائق التنزيل**)[4] . كـما ذكره الخـطيب البغدادي ومـدحه ولم

---

(١) الشريف الرضي . **المجازات النبوية** ، ٤٤ و ٢٧ .

(٢) من الذين ظنّوا أن هذه التسميات للكتـاب عبارة عن كتـابين : الصفـدي ـ في **الوافي بـالوفيـات** ، ٢/٣٧٥ . فقال : « ولـه . . وكتاب في معـاني القرآن ، والمتشـابـه من القرآن » وسبب هذا الخطأ ، أنّ من سبق الصفدي ، كالخطيب البغـدادي ، يقول : « وصنف كتابا في معاني القرآن يتعذّر وجود مثله » فظن الصفدي أنـه غير المتشـابه ، وهما كتاب واحد .
وكارل بروكلمان الذي ذكر : « ان الشريف الـرضي ألّف كتابـين في تفسير القـرآن ، ولكنّ ذكرهما تـأخر عن شهـرته في الشعـر » . **تاريـخ الأدب العربي** ٢/٦٢ ، وذكـر نسخة الكونتوري ١٠١٥ : مشهد ٣ : ٣٨ رقم ١١٨ .

(٣) أمّـا من اعتقـد أنّ هـذه التسميـات المختلفـة تمثّـل ثـلاثـة كتب للرضي في القـرآن : الخوانساري الذي يقول : « للرضي تفسيرين آخرين غير التفسير الكبير الذي هو على كبر تبيان الشيخ الطوسي ، ذكرهما النجـاشي وغيره ، أحـدهما : حقـائق التنزيـل ، والآخـر حقائق التـأويل » . **روضـات الجنّات** ، ٦/٥٥٠ . وهـذا خطأ : فقـد عـدّ التفسير كتابا ، وحقائق التـأويل كتـابا ، وحقـائق التنزيـل كتابـا . ولكن النجاشي لم يذكر غير حقائق التنزيل ، وقد سبق القول أنـه اختصر « حقـائق التأويـل في متشابـه التنزيل » الى « حقائق التنزيـل » . وقد اختلط الأمـر ايضا عـلى ابن معصوم ، فـذكر للرضي كتـاب « المتشابـه في القـرآن » وكتـاب « حقـائق التنـزيـل » وكتـاب « تفسـير القرآن »» . **الدرجات الرفيعة** ، ص/٤٦٧ .

(٤) النجاشي . **الرجال** ، ص/٢٨٣ .

يسمّه وعنه نقل ابن خلكان[1] . وذكره ابن عنبة وسمّاه (**المتشابه**)[2] ، ويقال له : (**حقائق التنزيل ودقائق التأويل**) وسنتحدّث عنه بالتفصيل في الباب الثاني .

٨ ـ خصائص الأئمة :

ذكره الرضي في مقدمة (**نهج البلاغة**) فقال : « فاني كنت في عنفوان السّن وغضاضة الغصن ، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة ـ عليهم السلام ـ يشتمل على محاسن أخبارهم ، وجواهر كلامهم ، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب ، وجعلته امام الكلام ، وفرغت من الخصائص التي تخصّ أمير المؤمنين عليّا ، عليه السلام ، وعاقَت عن اتمام بقيّة الكتاب محاجزات الزمان ، ومماطلات الأيام »[3] .

كما ذكره مرة ثانية في تعقيبه على قول علي : « تخففوا تلحقوا » فانه قال : « وقد نبّهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها »[4] .

وذكره النجاشي ، وابن عنبة وسمّاه (**الخصائص**) والخوانساري

---

(١) الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** ، ٣٤٦/٢ ، وانما قال : « قال : أحمد بن عمرو ابن روح ، وصنّف كتابا في معاني القرآن يتعذّر وجود مثله » .
وزاد عليه ابن خلكان قوله : « دلّ على توسّعه في علم النحو واللغة » ، **وفيات الأعيان** ، ٤١٦/٤ . ونقل ابن العماد قول ابن خلكان .

(٢) ونقل عن ابي الحسن العمري قوله : « شاهدت مجلدا من تفسير القرآن منسوبا اليه (الرضي) مليحا حسنا ، يكون بالقياس في كبر تفسير أبي جعفر الطبري أو اكثر » .
ابن عنبة ، **عمدة الطالب** ، ص/٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٣) ابن أبي الحديد . مقدمة **شرح نهج البلاغة** ، ١٩/١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص/٤٨ .

وابن معصوم وحاجي خليفة والأميني[1] . وهذا الكتاب الذي توقّف فيه الرضي عند خصائص أمير المؤمنين وعاقته الأيام عن اتمامه ، كان يشتمل على فصل يتضمّن محاسن ما نقل عن علي بن أبي طالب من الكلام القصير واستحسنه الناس ، فسألوا الرضي أن يؤلف كتابا يضمّ كلام علي من خطب وكتب ومواعظ وآداب ، فأخرج كتاب (**نهج البلاغة**) سنة ٤٠٠ / ١٠٠٩[2] . ويبدو أن الناس شغلوا بنهج البلاغة عن (**خصائص الأئمة**) فلم يشتهر شهرته ، ولم يسر سيره . ذكر الخوانساري أنه موجود في زمانه (١٢٢٦ / ١٨١١ ـ ١٣١٣ / ١٨٩٥)[3] .

وكان شروعه في تأليف الكتاب سنة ٣٨٣ / ٩٩٣ والأسف أنه لم يتمّ الكتاب بجميع مقاصده ، لاشتغاله بجمع كتاب (**نهج البلاغة**) ، كما صرّح بذلك في أول النهج ، وانما خرّج من الخصائص أبوابا وفصولا

---

(١) النجاشي . **الرجال** ، ص/٢٨٣ . ابن عنبة . **عمدة الطالب** ، ص/٢٠٧ . ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ، ص/٤٦٧ . حاجي خليفة . **كشف الظنون** ، ص/١٩٩٢ . الخوانساري . **روضات الجنات** ، ٥٤٨/٦ . نقلا عن عمدة الطالب . الأميني . **الغدير** ، ١٩٨/٤ ، وعبد الحسين الحلّي مقدمة **حقائق التأويل** ، ٨٩/٥ .

(٢) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ١٩/١ .

(٣) حيث قال : « انّ كتاب الخصائص المنسوب الى سيدنا الرضي هو كتاب خصائص الأئمة ، الذي ينقل عنه في البحار كثيرا ، وهو الآن موجود أيضاً مثل سائر كتبه الأربعة المتقدّمة عليه في عبارة العمدة » .
الخوانساري . **روضات الجنات** ، ٥٥٠/٦ . والكتب الأربعة التي يعنيها هي : **المتشابه في القرآن** ، **مجازات الآثار النبوية** ، **نهج البلاغة** ، **تلخيص البيان عن مجازات القرآن** .

من خصائص علي بن أبي طالب ، ولم يمهله الأجل لاتمام الخصائص[1] .

وقد أورد آغا بزرك الطهراني وصفا للكتاب مستمدّا من ديباجة الرضي الذي أعلن الباعث على تأليفه ، وذكر موضوعاته ، ثم أشار الطهراني الى مخطوطات الكتاب والمكتبات التي رآه فيها[2] .

وذكر محمد رضا آل كاشف الغطاء أنّ ابن طاوس والمجلسي ينقلان عنه وشكّك في صدق نسبة الكتاب للرضي لأن أسلوبه يخالف أسلوب الرضي[3] .

---

(١) آغا برزرك الطّهراني . الذريعة ، ١٦٢/٧ .

(٢) قال الطّهراني : « كان عند شيخنا المحدّث النوري ، ورأيت في مكتبة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء نسخة كتابتها حدود سنة ١٠٧٠/١٦٥٩ ، قال في ديباجته : كنت ـ حفظ الله عليك دينك ، وقوّى في ولاء العترة يقينك ـ سألتني أن أصنّف لك كتابا يشتمل على خصائص أخبار الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم ، وعلى ترتيب أيامهم ، وتدرّج طبقاتهم ، ذاكرا أوقات مواليدهم ومدد أعمارهم ، وتاريخ وفياتهم ، ومواضع مقابرهم ، وأسامي أمهاتهم ، مختصرا من فضل زياراتهم ، ثم موردا طرفا من جوابات المسائل التي سئلوا عنها ، واسْتُخْرِجَتْ أقاويلهم فيها ، ولمعا من أسرار أحاديثهم ، وظواهر وبواطن أعلامهم ، ونبذا من الصّحاح في النص عليهم . الى أن ذكر في سبب التأليف أنّ الباعث على تأليفه هو تعيير بعض علينا بعدم تأليف لنا في هذا الفصل الموضوع . ونسخة الشيخ شير محمد الهمداني المعاصر في النجف منتسخة ومن نسخة الشيخ هادي ، ورأيت في طهران نسخة أخرى في مكتبة سلطان العلماء ونسخة في مكتبة راجة قيض آباد ، كما في فهرسها المخطوط .
المصدر نفسه ، ١٦٣/٧ .

(٣) ذكر محمد رضا آل كاشف الغطاء : « في مكتبتنا نسخة خطّية حديثة الخطّ كتب عليها : كتاب الخصائص للشريف الرضي . وذكر مؤلفها في الديباجة أنها تشتمل على خصائص الأئمة الاثني عشر (ع) الّا أنني أشك في صدق النسبة فان مَنْ مارس مؤلفات الشريف يجزم بأنها ليست من ذلك الأسلوب الذي يخبّره قلم الشريف » . =

والى مثل هذا الاتجاه ذهب الحلّي الذي أعلن عن وجود نسخ في العراق باسمه تشبهه في المنهج ، ولكن لم تصحّ نسبتها[1] . ويذكر صاحب الغدير أن عنده نسخة من (**خصائص الأئمة**) ويعجب ممّا قاله الحلّي[2] .

وقد طُبع الكتاب سنة **١٣٦٩ / ١٩٤٩**[3] ، وقد أرسلت في طلبه الى طهران ولم يُتَح لي الحصول عليه حتى الآن .

٩ ـ ديوان شعره :

ذكره النجاشي وابن الأثير وابن خلّكان[4] ، وقد عُني بجمع ديوان

= عبد الفتاح الحلو . مقدمة **ديوان الشريف الرضي** ، ١٠٠/١ . نقلا عن كاشف الغطاء . **الشريف الرضي** ، ص/١١٦ ـ ١١٧ .

(١) قال الحلّي : « ونقل منه السيد ابن طاوس الحسني الداودي في كتابه ، « الطُّرَف » أحاديث فضل علي ، وكذا العلاّمة المجلسي في كتاب « بحار الأنوار » ، فانه نقل عنه كثيرا ، بنحو يظهر منه أنه وقف عليه ، وتوجد في العراق نسخ باسمه تشبهه في المنهج ، ولكن لم تصح نسبتها . عبد الحسين الحلّي ، مقدمة **حقائق التأويل** ، ٨٩/٥ ـ ٩٠ .

(٢) ويعقّب الأميني على كلام الحلّي هذا بقوله : « عندنا منه نسخة ، وقد شرح فيها بعض كلمات أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وذكر اسمه في غير موضع واحد ، والعجب عن العلامة الحلي وكلامه حوله ، قال : توجد في العراق نسخ باسمه تشبهه في المنهج ، لم تصح نسبتها . عبد الحسين الأميني . **الغدير** ، ١٩٤/٤ .

(٣) طُبع في المطبعة الحيدرية بالنجف ، ابن عنبة ، **عمدة الطالب** ، حاشية ص/٢٠٧ ، كما ذكر عبد الزهراء الحسيني في **مصادر نهج البلاغة** ، ص/١٢٣ ، أنه طُبع في النجف سنة **١٣٦٩/١٩٤٩** .
وينقل احسان عباس عن السيد حسن صدر الدين في ترجمته للرضي من كتاب « تأسيس الشيعة لفنون الاسلام » أنّ الخصائص من الكتب التي عرفت وشاعت ، مثله في ذلك مثل نهج البلاغة . احسان عبّاس . **الشريف الرضي** ، ص/٩٦ .

(٤) النجاشي . **الرجال** ، ص/٢٨٣ . ابن الأثير . **الكامل** ، ٢٦١/٩ . ابن خلكان . =

الرضي جماعة وأجود ما جمع الذي جمعه أبو حكيم الخَبْري[1] .

وذكره الشيخ الأميني قائلا : وله ديوان شعره السّائر المطبوع . وقد أنفذ الصاحب بن عبّاد الى بغداد من ينسخ له ديوان الرضي وكتب اليه بذلك سنة ٣٨٥ / ٩٩٥ ، وهي سنة وفاة الصاحب ، وعندما سمع الشريف به أنفذ يمدحه بقصيدة منها قوله :

بيني وبينكَ حُرمتانِ تَلاقَتا نَثري الذي بكَ يَقتدي وقَصيدي[2]

وأنفذت تقيّة بنت سيف الدولة التي توفيت سنة ٣٩٩ / ١٠٠٨ ، من مصر من ينسخ ديوان الشريف الرضي لها ، وهي لا ترى هديّة أنفس منه يوم حُمل اليها .

ويُعرب ذلك عن عناية الشريف بشعره وجمعه في حياته ، ولعلّ جمعه كجمع أخيه الشريف المرتضى على ترتيب سِنيّ نظمه[3] .

وقد أشار بروكلمان الى ديوان الرضي ومخطوطاته في مختلف مكتبات العالم ، والى أقسامه المتفرّقة في الغزل والحجازيات والرثاء ، والى

= **وفيات الأعيان** ، ٤١٦/٤ . وقال : وديوان شعره كبير يدخل في أربعة مجلدات ، ونقل ذلك عنه ابن العماد والخوانساري .

(١) ابن خلّكان . **وفيات الأعيان** ، ٤١٦/٤ . وقد نقل هذه العبارة كل من ابن معصوم والخوانساري وابن العماد . وابو حكيم الخبري (بالباء الساكنة) نسبة الى خبْر ناحية بشيراز ، وكان أبو حكيم هذا يعرف العربية ويكتب الخط الحسن توفي سنة ١٠٨٣/٤٧٦ ، وقد جاء عند جرجي زيدان . في **تاريخ آداب اللغة اللغة العربية** (بالياء) الخيري ولعله تحريف طباعي . عبد الحسين الحلّي مقدمة **حقائق التأويل** ، ٩٣/٥ . محمد عبد الغني حسن . مقدمة **تلخيص البيان** . ص/٩٩ .

(٢) **ديوان الرضي** ، ٢٩٠/١ وقد مدح الرضي شرّاحه وطالبيه .

(٣) الأميني . **الغدير** ، ١٩٩/٤ .

الاختيارات المختلفة من شعره[1] .

واختلف عدد أجزائه بين مؤرّخ وآخر[2] . وقد عُنِيَ الرضي بتأريخ قصائده وذكر المناسبات التي نظمها فيها ، ويشتمل الديوان على أشعاره في كل سنة بين ٣٧٤ / ٤٠٥ هـ وقد طبع الديوان في الهند وبيروت

---

(١) ما ذكره بروكلمان من مخطوطات وأجزاء للديوان في مختلف مكتبات ومتاحف العالم ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/٥٤٨٣ (الطبعة الأولى) ، ١/٧٩٤ ، (الطبعة الثانية) أنّ ديوان الرضي يقع في أربعة أجزاء مرتبا على حروف الهجاء وتوجد مخطوطاته في : برلين ٧٥٩٩ ـ ٧٦٠٠ المتحف البريطاني أول ١٩٤١٠ ٢٥٧٥٠ ، المخطوطات الشرقية في المتحف البريطاني ٧٧٥٠ وهذا الأخير يساوي رقم ٥٨ في فهرست المتحف البريطاني الثالث .

والقسم الأول ومن هذه النسخة من ترتيب عبد الله بن ابراهيم الخَبْري ، المتوفي ١٠٨٣/٤٧٦ . وفي القاهرة أول ٤ : ٢٤٦ ، القاهرة ثاني ٣ : ١٣٣ ، كمبردج ثالث ٥٤٩ ، باريس أول ٦٢٢٨ ، ٦٤٤٠ ، اسكوريال ثاني ٣٤٩ .

ويوجد باب الغزل في شعره في الأسكوريال ثاني ٣٤٩ . وتوجد اشعاره الحجازيات في المكتبة الظاهرية بدمشق ٨٥ رقم ٥ ، ٢٠ .

وتوجد اختيارات مختلفة من شعره في : برلين ٧٦٠١ ـ ٧٦٠٢ ليدن أول ٦٣٧ (وهو مخطوط غير كامل بعنوان : انشراح الصدر) .

وله أشعار متفرقة في برلين ٧٦٠٣ ـ ويوجد رثاؤه لأبي اسحاق الصابي في : جوتا ٢٦ ورقة ١٥١ ألف .

ونشر ديوان الشريف الرضي في بومباي ١٨٨٨/١٣٠٦ (بعنوان نخبة الأخبار) ونشر في السنة نفسها في بغداد ، وفي بيروت ١٣٠٧ ـ ١٣١٠ هـ في جزأين يشتمل أولهما على ترجمة الشريف من كتاب عمدة الطالب لابن عنبة مع تعليقات لأحمد عباس الأزهري ، ويشتمل الثاني على تعليقات لمحمد سليم اللبابيدي . كارل بروكلمان . **تاريخ الأدب العربي** ، ٢/٦٢ ، ط ٢ .

(٢) هو أربع مجلدات عند ابن خلّكان وابن العماد وحاجي خليفة ، وثلاث مجلّدات عند الصفدي .

ومصر[1] ، وسيأتي الكلام عليه بالتفصيل في الباب الثالث ، حيث سندرس أغراض الرضي الشعرية .

١٠ ـ رسائله :

ذكرها ابن عنبة والصفدي فهي تقع في ثلاث مجلّدات[2] . ونقلا عن ابن النديم في (**الفهرست**) ذكر الأميني ومحمد عبد الغني حسن عنه أنّ كتاب رسائله الذي جمعه أبو اسحاق الصابي ، وكان معاصرا له يقع في ثلاث مجلّدات ، وهذا الكتاب مطوّي في أحناء الغيب[3] .

أمّا قضية أنّ الصابي جمع رسائل الرضي ، فذلك وَهْمٌ وقع فيه ابن النديم ، وتبعه عليه الأميني ومحمد عبد الغني حسن ، ذلك أن الرضي كان في الخامسة والعشرين من عمره حين توفي أبو اسحاق . ولم يكن له في هذا الوقت من المكاتبات ما يقوم بكتاب ، فقد كانت صلاته بالخلفاء والملوك والوزراء تسلك أول الطريق ، وكان الرضي حفيّا بمن يصنع له شيئا كهذا ، كما فعل مع أستاذه ابن جنّي حين شرح بعض قصائده ،

---

(١) أعيد طبعه في بيروت سنة ١٩٦٢ ، ، في دار صادر ودار بيروت ، ثم في دار بيروت منفردا سنة ١٩٨٢ م ولم يظهر منه الاّ جزء واحد في ٤٨٠ ص حتى قافية الباء .
كما طبع قسم من الديوان في كتابين صغيرين يقعان في ٣٣٦ ص ، وهما مرتّبان على القوافي حسب حروف الهجاء وينتهيان عند حرف « الرّاء » وقد طُبع الجزءان في دار الفكر ، بيروت ، بشرح وتحقيق الاستاذ كامل سليمان سنة ١٩٥٦ .

(٢) ابن عنبة . **عمدة الطالب** ، ص/٢٠٨ . الصفدي . **الوافي بالوفيات** ، ٣٧٥/٧ .
لكن الخوانساري زاد في نقله عن ابن عنبة قوله : « الى أبي اسحاق الصابي » فقال : « كتاب رسائله الى أبي اسحاق الصابي في ثلاث مجلّدات » . **روضات الجنات** ، ٥٤٧/٦ ـ ٥٤٨ .

(٣) الأميني . **الغدير** ، ١٩٩/٤ . محمد عبد الغني حسن ، **مقدمة تلخيص البيان** ، ص/١١٠ .

فلو أن صديقه الصابي جمع رسائله حتى ذلك الوقت لاتّضح هذا من علاقته به ، ولأثنى على جهوده وشكره لكن الذي حدث هو أن بعض الناس جمع ما تبادله الرضي والصابي من الشعر والنثر ، وأطلق على هذا المجموع اسم (**نسخ المكاتبات من النظم والنثر**) الجارية بين الشريف الرضي رضي الله عنه وبين أبي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي[1] .

ولم يصل الينا من المجلّدات الثلاث ، التي ضمّت رسائل الرضي الاّ فصول قصيرة ، جاءت في (**الدرجات الرفيعة**)[2] . وقد نشرت مجلة (**العرفان**) بصيدا بعضا منها[3] . وفصول قصيرة أخرى في (**جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام**) للشَّيْزَري[4] ، والرسائل المتبادلة بينه وبين الصابي في (**رسائل الصابي والشريف الرضي**) .

ولو وصلت الينا رسائل الرضي وأُزيل عنها النقاب لدلّتنا على ذخيرة أدبية رائعة في فن الرسائل . ولكان الشريف لا يقل شأنا عن أمراء الرسائل في عصره أمثال : الصاحب بن عبّاد والصابي والخوارزمي وغيرهم . وسنتناول في الباب الثاني (رسائل الصابي والرضي) .

١١ ـ الزّيادات في شعر أبي تمّام :

ذكره النجاشي وابن معصوم والخوانساري وسمّاه (**الزيادات من**

---

(١) عبد الفتاح الحلو . مقدمة **ديوان الرضي** ، ١٠٣/١ ، نشر بالكويت سنة ١٩٦١ باسم « رسائل الصابي والشريف الرضي » . بتحقيق محمد يوسف نجم .

(٢) ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ، الصفحات من ٤٧٥ ـ ٤٧٨ . وقد ساقها ابن معصوم لأنّ انشاءه ورسائله قليلة الوجود .

(٣) كاشف الغطاء . **الشريف الرضي** ، ص/١١٨ .

(٤) مخطوط (مصوّر بمعهد المخطوطات عن النسخة الوحيدة بليدن) كتاب ١٥ ، فصل ١٠ عبد الفتاح الحلو . مقدمة **ديوان الرضي** ، ١٠٣/١ .

شعر أبي تمّام) ، وذكره الأميني والحلّي ودائرة المعارف الاسلامية ومحسن الأمين[1] .

١٢ ـ الزيادات في شعر ابن حجّاج :

ذكره النجاشي والأميني والحلو[2] .

١٣ ـ سيرة والده الطاهر :

ذكره الحلّي في مقدمة حقائق التأويل : وهو مجموع يشتمل على مناقبه ومآثره وما تمّ على يده من اصلاح عام . ألّفه سنة ٣٧٩ / ٩٨٩ ، وذلك قبل وفاة والده باحدى وعشرين سنة ، وقد شاخ أبوه يومئذ ويقال : انه كفّ بصره . وقد ذكر الرضي هذه السيرة في قصيدة هنّأ بها أباه في عيد الفطر من تلك السنة ومنها قوله :

لمّا نظرتُ إلى عُلاك غريبةً ... ومُضَيَّعٌ راعي المناقبِ مُهمَلُ
أحرَزتُها متوغّلاً غاياتِها ... والمجدُ ملءُ يدِ الذي يَتوغَّلُ
في سيرةٍ غرّاء تَستَضوي بها ... الدنيا ويَلبِسُها الزمانُ الأطولُ[3] .

وذكره ابن عنبة ، والصفدي ، وابن معصوم ، والخوانساري ، والأميني[4] .

---

(١) النجاشي . الرجال ، ص/٢٨٣ . ابن معصوم . الدرجات الرفيعة ، ص/٤٦٧ . الخوانساري . روضات الجنات ، ٦/٥٥٠ . الأميني . الغدير ، ٤/١٩٩ . دائرة المعارف الاسلامية ، ١٣/٢٨٤ . محسن الأمين . أعيان الشيعة ، ٤٤/١٧٤ .

(٢) النجاشي . الرجال ، ص/٢٨٣ . الأميني . الغدير ، ٤/١٩٩ . عبد الفتاح الحلو . مقدمة ديوان الرضي ، ١/١٠٤ .

(٣) ديوان الرضي ، ٢/١٥٩ . عبد الحسين الحلّي . مقدمة حقائق التأويل ، ٥/٩١ .

(٤) ابن عنبة . عمدة الطالب ، ص/٢٠٧ ـ ٢٠٨ . الصفدي . الوافي بالوفيات =

وذكر احسان عبّاس أن الرضي بدأ حياتـه في التأليف بكتـابة سيـرة أبيه سنة ٣٧٩ هـ ، وعمره يومئذ عشرون عاما ، وهي محـاولة لا نعـرف عنها شيئا ، الاّ أنـه كان ممتـلىء النفس بشخصية أبيـه معجبا بهـا ، وأنه جعل تلك السيرة جامعة لمناقب والده[١] . فكـانت هذه السيـرة باكـورة مؤلّفاته .

١٤ ـ فضائل أمير المؤمنين :

ربما كان كتابا في سيرة علي بن أبي طـالب ، تفرّد بـذكره آغـا بزرك الطهراني ، وذكر أن السيد هاشم التَّوبَلي ينقل عنه في كتبه[٢] .

١٥ ـ مختصر أمثال الرضي :

ذكره احسان عبّاس قائلا : وقد وجدتُ من الكتب المنسوبة له كتابا عنـوانه (**مختصـر أمثال الشـريف الـرضي**) لابن عمـر الاربـلي ، قـال مختصره في مقدّمته : « وبعد فـاني وقفتُ على مجمـوع من الشعر مـوسوم بالأمثال ، منسوب الى اختيار الشريف الرضي الموسوي ـ رحمـه الله عليه وصلواته على آبائه الطاهرين ـ فاغترفتُ من احسانه واتّبعتُه في استحسانه غـير أنّ الهمم كانت في زمـانه عالية ، والأمم بجواهـر الآداب حاليـة ، ومن شـوائب الشّـواغـل خـاليـة ، والآن قـد قصُـرت الهمم والآمـال ، وحـالت الشّواغـل والأحوال ، فـاجتنيتُ من ثمار غصـونـه ، واجتَلَيتُ محاسن من أبكاره وعونه » . وعلى هامش الكتاب عناوين منهـا : امضاء

= ٣٧٥/٢ . ابن معصوم . **الدّرجات الرفيعة** ، ص/٤٦٧ . الخوانسـاري . **روضات الجنات** ، ٥٤٨/٦ . الأميني . **الغدير** ، ١٩٩/٤ .

(١) احسان عبّاس . **الشريف الرضي** ، ص/٩٨ .

(٢) آغا بزرك الطهراني ، **الذريعة** ، ٢٥٦/١٦ . ط النجف .

العزيمة ـ في مدح الصبر ـ الأناة والرفق ـ اصطناع المعروف عند غير أهله ـ اكرام النفس ـ كتمان السّر ـ ذمّ الشّر ـ واجتنابه ـ ذمّ العجز والتّواني . . . الخ[1] .

ويظهر من كلام احسان عبّاس أنه رأى الكتاب، ولكنه لم يذكر طبعته وتاريخه ، ولم تشر اليه المراجع التاريخية أو المصادر القديمة ولا كتب الرجال . ويبدو لي استنادا الى ما ذكره بروكلمان[2] ، أنّ هذا الكتاب هو مختارات شعرية مأخوذة من ديوان الرضي ، وتشتمل على شعره في الحِكَم والأمثال على غرار كتاب (**انشراح الصدر في مختارات من الشعر**)[3] . لأن انشراح الصدر هذا ، ليس الاّ منتخبات من شعر الرضي اختارها بعض الأدباء كما يذكر حاجي خلَيفة في (**كشف الظنون**) وهو يتحدث عن ديوان الرضي[4] .

١٦ ـ ما دار بينه وبين أبي اسحاق الصابي من الرسائل شعراً :

هكذا جاء ذكره عند النجاشي والأميني والحلّي [5] ، أمّا عند ابن

---

(١) احسان عبّاس . **الشريف الرضي** ، ص/٩٩ وذكره عبد الفتاح الحلو في مقدمة **ديوان الرضي** ، ١٠٦/١ . وشكّك بصحة نسبته للرضي قائلا : انه اختيارات من شعر الشعراء في أغراض شتى ، وقد نسبه الأربلي للرضي .

(٢) ذكر بروكلمان أنه يوجد مختصر أمثال الشريف الرضي لمجد الدين محمد ابن أحمد الاربلي المتوفي ١٢٧٨/٦٧٧ . في القاهرة ثاني ٣ : ٣٤٢ ـ **تاريخ الأدب العربي** ، ٦٢/٢ .
وذكر الحلو في حاشية ص ١٠٦ أنه مصور بمعهد المخطوطات برقم ٧٥١ أدب عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٥٠٠ أدب .

(٣) ذكره للرضي جرجي زيدان . في **تاريخ آداب اللغة العربية** ، ٢٥٧/٢ .

(٤) حاجي خليفة . **كشف الظنون** ، ٥١٣/١ ، ط . مصر .

(٥) النجاشي . **الرجال** ، ص/٢٨٣ . **الأميني الغدير** ، ١٩٩/٤ . وعلّق عليه الحلّي . =

معصوم فهو : ما دار بينه وبين أبي اسحاق من الرسائل ثلاث مجلّدات[1] . وهو كتاب الرسائل الشعرية والنثرية المتبادلة بينه وبين الصابي ، وقد أشرنا اليه سابقا[2] .

١٧ - مجازات الآثار النبويّة :

ذكره الرضي في (**نهج البلاغة**)[3] وفي (**تلخيص البيان**)[4] . وهو يشتمل على بيان وجوه المجاز والاستعارة ، والكشف عن مواقع النّكت البلاغية والطرف البيانية في ٣٦١ حديثا نبويا[5] وقد ألّفه بعد تلخيص البيان سنة ٤٠١ / ١٠١٠ .

ذكره الحلّي ، وأطراه ، فهو من كتب الرضي الشهيرة ، وله نسخ في العراق قديمة الخطّ ، وهو كتاب فذّ في بابه[6] . كما ذكره بروكلمان فقال : كتاب المجازات النبوية ، سمّاه ابن خلّكان : (**مجازات القرآن**) يوجد مخطوطا في فهرس مكتبة براون ١٣٧ رقم ٢ ، وطبع في بغداد سنة ١٣٢٨ / ١٩١٠ . مع ترجمة للمؤلف مأخوذة من كتاب (**تأسيس**

= يعني بذلك الرسائل الشعرية الموجود كثير منها في ديوانه لا رسائل النّثر . عبد الحسين الحلّي . مقدمة **حقائق التأويل** ، ٥/٩١ .

(١) ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ، ص/٤٦٧ .

(٢) راجع ، **رسائل الرضي** . ص/٢٤٣ .

(٣) عبد الفتاح الحلو . مقدمة **ديوان الرضي** ، ١/١٠٤ . نقلا عن **نهج البلاغة** ، ص/٤٦٧ .

(٤) الشريف الرضي . **تلخيص البيان** ، ص/١٦٧

(٥) محمود مصطفى . مقدمة **المجازات النبوية** ، ص/٤ . محمد عبد الغني حسن . مقدمة **تلخيص البيان** ، ص/٩٨ .

(٦) عبد الحسين الحلّي . مقدمة **حقائق التأويل** ، ٥/٩٠ .

الشيعة الكرام لفنون الاسلام) ، بقلم حسن صدر الدين[1] .

كما ذكره النجاشي ، وابن عنبة ، والصفدي ، وابن معصوم ، والخوانساري والأميني[2] . وسنتحدّث عنه بالتفصيل في الباب الثاني .

١٨ ـ مختار شعر أبي اسحاق الصابي :

ذكره النجاشي ، وابن معصوم ، والأميني ، والحلّي والخوانساري ، ومحسن الأمين[3] .

١٩ ـ معاني القرآن :

ذكره ابن شهراشوب ومدحه بقوله : « يتعذر وجود مثله »[4] وقد نقل عنه كل من الأميني الذي نقل كلمة النّسابة أبي الحسن العمري المتقدمة[5] ومحمد عبد الغني حسن[6] .

---

(١) كارل بروكلمان . **تاريخ الأدب العربي** ، ٦٢/٢ . كما طُبع الكتاب قبل هذه الطبعة في العراق سنة ١٣٢٤/١٩٠٦ . ثم طبع في مصر بتحقيق محمود مصطفى سنة ١٣٥٦/١٩٣٧ . وطبع أيضا بمصر بتحقيق طه الزّيني سنة ١٣٨٧/١٩٦٧ .

(٢) النجاشي . **الرجال** ، ص/٢٨٣ . ابن عنبة . **عمدة الطالب** ، ص/٢٠٧ . الصفدي . **الوافي بالوفيات** ، ٣٧٥/٢ . ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ، ص/٤٦٧ . الخوانساري **روضات الجنات** ، ٥٤٨/٦ . الأميني . **الغدير** ، ١٩٩/٤ .

(٣) النجاشي . **الرجال** ، ص/٢٨٣ . ابن معصوم . **الدّرجات الرفيعة** ، ص/٤٦٧ ه الأميني . **الغدير** ، ١٩٩/٤ . عبد الحسين الحلّي . مقدمة **حقائقالتأويل** ، ٩٢/٥ . الخوانساري . **روضات الجنات** ، ٥٥٠/٦ . محسن الأمين . **أعيان الشيعة** ، ١٧٤/٤٤ .

(٤) رشيد الدين بن شهرا شوب . **معالم العلماء** ، ص/٤٤ .

(٥) راجع ص٢٣٧ ، حاشية ٢ ، والأميني . **الغدير** ، ١٩٩/٤ .

(٦) نقل محمد عبد الغني حسن عبارة ابن خلكان : « صنّف الرضي كتابا في معاني =

أمّا بروكلمان فقد أكد ضياع كتاب (**معاني القرآن**) للشريف الرضي[1] .

ويبدو لنا ان هذا الكتاب هو (**حقائق التأويل في متشابه التنزيل**) بعينه ، لأن النعوت والأسماء المختلفة التي أطلقت عليه من قبل الرضي ، ومن قبل المؤرخين فيما بعد ، دفعت الكثيرين الى الاعتقاد بأنّ للرضي عدّة كتب في القرآن ، وقد أشرنا الى ذلك سابقا في حديثنا عن كتاب (**حقائق التأويل**)[2] ، وقلنا أن هذه التسميات المختلفة : المتشابه ـ حقائق التنزيل ـ حقائق التأويل وكتاب التفسير ـ ثم معاني القرآن ، هي لكتاب واحد اسمه الكاملَ : (**حقائق التأويل في متشابه التنزيل**) .

٢٠ ـ نهج البلاغة :

وهو مختار من كلام علي بن أبي طالب ، ذكره الرضي في (**حقائق التأويل**)[3] ، وفي (**تلخيص البيان**)[4] ، كما ذكره خمس مرّات في (**المجازات النبوية**)[5] . وقد أشرنا سابقا[6] في الحديث عن كتاب

= القرآن ، يتعذّر وجود مثله ، دلّ على توسّعه في علم النحو واللغة » . ثم قال : « لا نستطيع الجزم اذا ما كان هذا الكتاب هو بعينه « حقائق التأويل » أم كتابا غيره . محمد عبد الغني حسن . مقدمة « **تلخيص البيان** » ، ص/١٠٠ .

(١) كارل بروكلمان . **تاريخ الأدب العربي** ، ٢/٦٣ .

(٢) راجع ص/٢٣٦ .

(٣) الشريف الرضي . **حقائق التأويل** ، ٥/١٦٧ .

(٤) الشريف الرضي . **تلخيص البيان** ، ص/١٧٨ .

(٥) الشريف الرضي . **المجازات النبوية** ، الصفحات : ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٦٧ ـ ١٩٩ ـ ٢٥١ .

(٦) راجع ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(**خصائص الأئمة**) أن (**نهج البلاغة**) فصل من ذلك الكتاب ، جمع فيه الرضي خصائص الامام علي سنة ٤٠٠ / ١٠٠٩ . وقد اشتهر الكتاب شهرة واسعة وترجم الى عدّة لغات ، وشرح عدّة شروح . أشهرها : شرح ابن أبي الحديد المعتزلي ٦٥٥ / ١٢٥٧ ، وشرح موجز للشيخ محمد عبده . وقد ذكره للرضي : النجاشي ، ابن عنبة ، ابن أبي الحديد ، ابن معصوم ، الصفدي ، الأميني ، الحلّي ، محسن الأمين ، وآغا بزرك الطهراني[١] ، بينما نسبه آخرون لشقيقه المرتضى[٢] . وسنتحدّث عنه بالتفصيل في الباب الثاني .

وهناك كتابان ينسبان خطأ الى الشريف الرضي وهما :

١ ـ أوصاف ألف غلام وغلام[٣] :

نسب هذا الكتاب خطأ الى الرضي ، وقد ساق الى هذا الخطأ وهم

---

(١) النجاشي . **الرجال** ، ص/٢٨٣ . ابن عنبة . **عمدة الطالب** ، ص/٢٠٧ . ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ١/ ١٠ . ابن معصوم . **الدرجات الرفيعة** ص/٤٦٧ . الصفدي . **الوافي بالوفيات** ، ٢/ ٣٧٥ . الأميني . **الغدير** ، ٤/ ١٩٩ . عبد الحسين الحلي . مقدمة حقائق التأويل ، ٥/ ٨٩ . محسن الأمين . **أعيان الشيعة** ، ٤٤/ ١٧٥ . آغا بزرك الطهراني . **الذريعة** ، ٧/ ١٦٢ .

(٢) ذكره ابن خلكان في ترجمة المرتضى ، **وفيات الأعيان** ، ٣/ ٣١٣ . وعنه نقل اليافعي في **مرآة الجنان** ، ٣/ ٥٥ . ونسبه الذهبي للمرتضى في **ميزان الاعتدال** ، ٣/ ١٢٤ وعنه نقل ابن حجر العسقلاني في **لسان الميزان** ، ٤/ ٢٢٣ .
وقد جزم بروكلمان بأن الكتاب للمرتضى ، عندما قال : وينسب الى الشريف الرضي كتاب « نهج البلاغة » ، والصحيح انه من جمع أخيه الشريف المرتضى ؟ **تاريخ الأدب العربي** ، ٢/ ٦٣ ـ ٦٤ .

(٣) من هذا الكتاب نسخة في مكتبة دير الاسكوريال باسبانيا برقم ٤٦١ ، وتوجد منها مصوّرة في معهد المخطوطات . عبد الفتاح الحلو ، مقدمة **ديوان الرضي** ، ١/ ١٠٧ .

حصل من تشابه في الاسماء ، اذ يوجد في نسب صاحب الكتاب لفظتا الرضي والموسوي . وقد جاء في مقدمة الكتاب : « قال الشريف ابن الشريف دفتر خُوان الطوسي العادلي علي بن محمد بن الرضي بن محمد الحسيني الموسوي[1] ، وقد أكثر الناس بعد الثعالبي النّيسابوري ، صاحب اليتيمة ، في معارضة كتابه الذي ألّفه في وصف مائتي غلام من أقوال الشعراء ، وقد نظمتُ كتابا في وصف مائتي غلام ومائتي جارية ، واشتهر في كتبي المتقدّمة ، ولم أسمع أنّ احدا قبلي تعدّى مائتين نظما فقط . وحين رأيت ميل الناس الى محاسن الغلمان ، قلت هذا الكتاب في أوصاف ألف غلام وغلام ، ولا شريك لي فيه » . وجاء في ختام الكتاب : « كَمُلت ثلاثة ألاف بيت وثلاثة أبيات . قال الشريف ابن الشريف دفتر خوان الطوسي العادلي ، قائل هذا الكتاب : هذا كتاب ألف غلام وغلام ، الذي غَرَّتني بقوله خزعبلات الشباب الرائق ، وأغرتني بنظمه ترهات باكورة الصبا المفارق . . . والحمد لله وحده . . . »[2] .

٢ ـ طيف الخيال :

ذكره البغدادي في (**ايضاح المكنون**)[3] على أنه للرضي ، وفي (**هديّة العارفين**) مرة على أنه للرضي[4] ، وأخرى على انه

---

(١) أبو الحسن ابن دفتر خوان هذا أديب شاعر ، ولد بحماة سنة ١١٩٣/٥٨٩ ، ورد اربل من بغداد وتوفي سنة ١٢٥٧/ ٦٥٥ . عمر كحّالة ، **معجم المؤلفين** ، ١٩٧/٧ .

(٢) عبد الفتاح الحلو . **محقّق ديوان الشريف الرضي** ، ١٠٧/١ .

(٣) البغدادي . **ايضاح المكنون** ، ص/٨٩ .

(٤) البغدادي . **هديّة العارفين** ، ص/٦٠ .

للمرتضى[1] . وذكر الأميني أن كتاب (**طيف الخيال**) مجموعة تنسب للرضي ، ثم قال : « أقول هو من تأليف الشريف المرتضى ، لا له »[2] . وقد أكّد هذا الاعتقاد بروكلمان استنادا الى (**دائرة المعارف الاسلامية**)[3] . وقد فصل القول في هذه المسألة حسن كامل الصَّيرفي في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب ، وأثبتَ نسبته للمرتضى[4] .

١ ـ تأريخ مؤلفات الرضي :

استنادا الى ما تقدّم من مؤلفات الشريف الرضي ، سنحاول ترتيب مؤلفاته المؤرّخة حسب التسلسل الزمني لتأليفها . وسنشير الى الكتب الواصلة الينا ، والتي اطّلعنا عليها .

١ ـ (سيرة والده الطاهر) :

ألّفه سنة **٣٧٩ / ٩٨٩** . لم يذكر أحد من المؤرّخين وكتّاب السيرة طبعه أو مخطوطه ، ولم يشر أحد من المحققين الى مكان وجوده .

٢ ـ (خصائص الأئمة) :

بدأ بتأليفه سنة **٣٨٣ / ٩٩٣** . ذكر بعض المؤرّخين طبعه ، ورآه بعضهم الآخر ، ونقل عنه بعض المؤلفين ، وقد شكّك بصحة نسبته

---

(١) البغدادي هدية العارفين ، ص / ٦٨٨ .

(٢) الأمين . **الغدير** ، ١٩٩/٤ .

(٣) أما كتاب **طيف الخيال** ، الموجود في الاسكوريال ثاني ٣٤٨ فهو من تصنيف أخيه المرتضى ، أنظر كرنكو في **دائرة المعارف الاسلامية** ، ٣٥٤/٤ . ويوجد أيضا في بوهار ٤١٣ .

كارل بروكلمان . **تاريخ الأدب العربي** ، ٦٤/٢ .

(٤) حسن كامل الصيرفي . **مقدمة تحقيق كتاب طيف الخيال** ، ص/٣٨ ـ ٣٩ .

للرضي كل من : عبد الحسين الحلّي ، وكاشف الغطاء لمخالفته أسلوب الرضي . ولم نطّلع عليه ، لعدم تمكّننا من الحصول عليه .

٣ ـ (الحسن من شعر الحسين) :

جمعه قبل وفاة ابن الحجاج سنة ٣٩١ / ١٠٠٠ ، ولم نعرف سنة تأليفه ، ولم يذكر أحد من المترجمين للرضي طبعه أو مكان وجود نسخه .

٤ ـ (نهج البلاغة) :

جمعه سنة ٤٠٠ / ١٠٠٩ ، طبع عدّة مرات وقد وصل الينا .

٥ ـ (تلخيص البيان) :

ألفه سنة ٤٠١ / ١٠١٠ ، طبع عدّة مرات وقد اطّلعنا عليه .

٦ ـ (المجازات النبوية) :

ألفه سنة ٤٠١ / ١٠١٠ ، بعد تلخيص البيان ، وهو موجود وقد وصل الينا .

٧ ـ (حقائق التأويل) :

ألّفه سنة ٤٠٢ / ١٠١١ ، كتاب شهير في تفسير القرآن والمتشابه من الآيات ، ضاعت بقية أجزائه ، ولم يصل الينا الّا الجزء الخامس .

٨ ـ (ديوان الرضي) :

جُمع قبل وفاته سنة ٤٠٦ / ١٠١٥ ، لأن القصيدة الأخيرة فيه ، هي رثاء صديقه أحمد بن علي البتّي ، الذي توفي في حياة الرضي سنة ٤٠٥ / ١٠١٤ . طبع عدّة مرّات ، وهو موجود لدينا .

٩ ـ (رسائل الصابي والشريف الرضي) :

جمعها بعض الناس ، ولم يعرف تاريخ جمعها . نشر في الكويت سنة ١٩٦١ م بتحقيق محمد يوسف نجم ، وقد وصل الينا . كما وصلت الينا بعض الفصول من رسائل الرضي وانشائه التي نُشرت في (الدّرجات الرفيعة) ومجلة (العرفان) . فالكتب الواصلة الينا : ستة كتب .

أما سائر كتب الرضي ، فلا نعرف عنها سوى أسمائها ، ومَدحِها وإطرائها من قبل المؤرخين وكتب الرجال التي تَرجمَت للرضي .

٢ ـ تصنيفها حسب الموضوعات :

يستخلص المرء من مؤلفات الرضي أنّ محور اهتمامه انصبّ بشكل خاص على : الشعر والسّيرة والبلاغة . فقد كان شاعرا بارزا في القرن الرابع الهجري وحظي الشعر بمكانة هامة في مؤلفاته . كما كانت البلاغة سمة مميّزة لنثر الرضي ، وخاصة فيما يتعلق بالقرآن والحديث ، وكلام الامام علي . وقد شغلت كتب السيرة حيّزا مهما من مؤلفاته . واستنادا الى عدد الكتب التي ألّفها في كل موضوع من الموضوعات يمكن تصنيف مؤلفاته حسب العناوين التالية :

أ ـ في الشعر :

يمثل هذا القسم الجزء الأكبر من مؤلفاته :

١ ـ ديوان شعره والمنتخبات المتفرّعة عنه :
مختصر أمثال الرضي ـ وانشراح الصدر في منتخبات من الشعر .

٢ ـ الجيّد من شعر أبي تمّام .

٣ ـ الزّيادات في شعر أبي تمّام .

٤ ـ الحسن من شعر الحسين .
٥ ـ الزّيادات في شعر ابن حجّاج .
٦ ـ ما دار بينه وبين أبي اسحاق شعرا .
٧ ـ مختار شعر أبي اسحاق الصابي .

ب ـ في السّيرة :

١ ـ أخبار قضاة بغداد
٢ ـ خصائص الأئمة .
٣ ـ سيرة والده الطاهر .
٤ ـ فضائل أمير المؤمنين .

ج ـ في البلاغة والبيان :

١ ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن .
٢ ـ مجازات الآثار النبوية .
٣ ـ نهج البلاغة .

د ـ في الرسائل :

١ ـ كتاب رسائله .
٢ ـ رسائل الصابي والشريف الرضي .

هـ ـ في التفسير :

١ ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل .
٢ ـ معاني القرآن .

و ـ في الفقه :

١ ـ تعليق خلاف الفقهاء .

ز ـ في النحو :

١ ـ تعليقة على ايضاح أبي علي الفارسي .

وبعد ، فلست أدري كيف جمع الرضي بين هذه الكثرة من المؤلفات القيّمة ، وبين انشاد الشعر بشكل غزير ومتواصل ، حتى بلغ ديوانه أربع مجلّدات كما مرّ بنا ؟ كيف يتّفق له ذلك وخواطر الشعراء واحساسهم المرهف لا يسمح لهم بالجلوس مطوّلا للبحث والتأليف العلمي الجّاد الرّصين ؟ ويزداد العجب حين نعلم أنّ الرضي قضى وهو في السابعة والأربعين من عمره . وكانت حياته مسرحا لصراع سياسي واجتماعي عنيف ، لا تسمح له بالانصراف للدرس والتأليف والبحث ومناقشة الآراء .

تلك هي عبقرية الشريف الرضي ، الذي جمع في شخصه مهارات ، وملكات عديدة : في الشعر والنثر والترسّل .

لقد كافح طيلة حياته لتحقيق أمانيه السياسيّة ولمّا خاب مسعاه في هذا المجال ، حقّق مبتغاه في ميادين العلم والشعر والتأليف ، وتبوّأ مقاما عاليا بين شعراء عصره وأدبائه ، حتى غدا من أمراء الشعر والبيان والعلم والفقه في القرن الرابع الهجري .

الباب الثاني

الشريف الرضي

ناثرا

الشريف الرضي ناثرا

يعتبر الرضي شاعرا وكاتبا ومترسّلا ، وهو في نثره أمير من أمراء البلاغة والبيان . ومن سوء حظّ الأدب العربي أنه فقد كثيرا من مؤلفات الرضي النثرية ، لا سيّما رسائله ، فلو بقيت لكانت كنزا ثمينا ، وثروة أدبيّة ولغويّة لا يستهان بها .

ومهما يكن من أمر فان مؤلفات الرضي التي وصلت الينا ، تدلّ دلالة ساطعة على أن الرضي الناثر ، لايقلّ شأنا عن الرضيّ الشاعر .

وسنحاول في هذا الباب أن نحدّد مكانته الأدبيّة والعلميّة من خلال مؤلفاته النثرية ، التي احتلت مكانة عظيمة بين مؤلفات القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، فعدّت كتبه في البلاغة دررا نادرة الوجود[1] ، لما اشتملت عليه من موضوعات مبتكرة ، وأسلوب بلاغي كساها أبهى الحلل .

لقد كانت البلاغة سمة الرضي حين نثر وحين شعر ، فوقف أمام

---

(١) عبد الحسين الحلّي ، مقدمة **حقائق التأويل** ، ٢/٥ ، أشار المترجم الى قول ابن جنّي استاذ الرضي : « صنّف الرضي كتابا في معاني القرآن الكريم يتعذّر وجود مثله » .

ثلاثة مصادر تدفّقت منها البلاغة العربية ، فنهل منها ، واستخرج كنوزها ، وهي : **القرآن الكريم** ، **والسّنة النبوية** ، **وكلام الامام علي بن أبي طالب** .

كانت مهمّة الرضي في القرآن والحديث استخراج وجوه البيان : من مجازات واستعارات ، والكشف عن ضروب البلاغة والفصاحة فيهما . أمّا كلام الامام علي فقد سعى الشريف الى جمع مختاره ، بعدما رأى كلامه يدور على أقطاب ثلاثة : « أولهما : الخطب والأوامر ، وثانيهما : الكتب والرسائل ، وثالثهما : الحكم والمواعظ . . . »[1] .

وسنبدأ هذا الباب بتمهيد يتعلق برسائل الرضي ، لأنه موضوع مستقلّ وقائم بذاته ، ولم نخصّه بفصل نظرا الى نقص المادّة وقلّتها[2] .

وسندرس في هذا الباب ثلاثة فصول ، نتناول فيها :

(**نهج البلاغة**) ودور الرضي في جمعه ، نظرا الى أهميّته ، وما دار حوله من نقد وتعليقات مختلفة ، ونظرا الى الجدل القائم حول هويّته وصحة اسناده ، ثم نتناول بلاغة الشريف وبيانه ، من خلال كتابيه : (**تلخيص البيان**) عن مجازات القرآن ، (**والمجازات النبوية**) .

وتفسير الرضي للقرآن الكريم ، من خلال كتابه : (**حقائق التأويل في متشابه التنزيل**) . وسنختم هذا الباب بخلاصة تبيّن الخصائص العامة لنثر الرضي ، ومميّزاته الأسلوبية في مؤلفاته النثرية .

---

(١) ابن أبي الحديد . مقدمة **شرح نهج البلاغة** ، ١٦/١ .

(٢) توجد بعض الفصول من رسائل الرضي في كتاب **الدّرجات الرفيعة** ، ص/٤٧٥ ـ ٤٧٧ وبعض الرسائل المتبادلة بينه وبين الصابي في كتيّب : **رسائل الصابي والشريف الرضي** .

تمهيد : الرضي المترسّل :

انّ القدر الذي بين أيدينا من رسائل الرضي الطويلة والقصيرة ، لا يمكننا من الحكم في نثره وتطوّره ، ومكانته في عصره حكما مفصّلا ، ولكنّه يتيح لنا رؤية بعض ملامح انشائه ، الى أن يعثر على رسائله الضائعة ، التي ذكر أنها تقع في ثلاث مجلّدات[1] . وقد درسنا شذرات يسيرة من رسائله القليلة وهي عبارة عن أسطر معدودة لا تشكل مادّة غزيرة أو موضوعات مستقلة كي تمكّن القاريء من الحكم عليها ونقدها معنى ومبنى . وقد حاولنا في هذا التمهيد الكشف عن مضمون ما تيسّر لنا من رسائله وأسلوبه فيها .

انّ الكشف عن رسائل الرضي ودراستها بتعمّق أمر مهم ، لتبيان مقدرته النثرية في الترسّل ، ولاستخلاص أسلوبه الانشائي .

ولكن لم يصلنا من المجلدات الثلاث التي ضمت رسائل الرضي ، الّا فصول قصيرة جاءت في (**الدّرجات الرفيعة**) ، ونشرت مجلّة (**العرفان**) بعضا منها . وهي فيما نظن فقرات من رسائله الطويلة ، وليست رسائل مستقلّة ، لأنّ كل رسالة منها لا تستقلّ بغرض ، وانما هي نماذج من انشاء الرضي[2] .

وقد وصلتنا فصول قصيرة أخرى في (**جمهرة الاسلام ذات النثر**

---

(١) ذكر ذلك كل من : ابن عنبة، **عمدة الطالب** ، ص/٢٠٨ . الصفدي . **الوافي بالوفيات** ، ٢/٣٧٥ . تم نقل الخوانساري . في **روضات الجنات** ، ٦/٥٤٨ . والأميني . في **الغدير** ٤٠/١٩٩ ، ما قاله ابن عنبة .

(٢) نصّ على ذلك ابن معصوم في **الدرجات الرفيعة** ، ص/٤٧٥ ، وقد ساقها ابن معصوم لأن انشاء الرضي ورسائله قليلة الوجود .

والنظام) للشّيزري[1] . والرسائل المتبادلة بينه وبين الصابي في (**رسائل الصابي والشريف الرضي**) .

وقد رتّبنا هذه الرسائل حسب موضوعاتها ، لأن موضوع الرسالة هو المبرّر لأنشائها ، والمحدّد لطبيعة العلاقة بين الكاتب والمرسل اليه . وقد راعينا في تصنيفها العامل التاريخي ، والتسلسل الزمني لوجود الوزراء والأصدقاء الذين عاصرهم الرضي ، وتبادل معهم تلك الرسائل . وقد قسّمنا هذا التمهيد الى قسمين :

موضوعات رسائل الرضي ، فخصائصه في الترسّل .

أ ـ موضوعات رسائل الرضي :

تدور رسائل الرضي حول الموضوعات التالية : التهنئة والتعزية والعتاب وطلب العهود ونقد الشعر .

١ ـ رسائل التهنئة :

كتبها الى ثلاثة من الوزراء الذين عاصرهم ، وكتب الرابعة الى صديقه الصابي . أما الوزراء فهم : أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكّار ٣٨١ / ٩٩١ ، وأبو القاسم علي بن أحمد الأبرْقوهي ٣٨٢ / ٩٩٢ ، وأبو نصر سابور بن أردشير ٣٨٦ / ٩٩٦[2] .

ـ الرسالة الأولى :

يهنيء الرضي فيها صديقه الوزير الحكّار بما صار اليه من العودة الى العلياء ، ونجاته ممّا ألمّ به ، ولعله يعني العزل عن الوزارة ثم العودة

---

(١) عبد الفتاح الحلو . مقدمة ديوان الرضي ، ١٠٣/١ .

(٢) راجع في ترجمة هؤلاء الوزراء ، ص ١٢٦ و ١٢٧ .

اليها ، وقد بدأ رسالته بتبيان برمه بالليل والنهار ، وسخطه بواقع الأقدار ، لعجزه عن الوصول اليه لمرضه وعلّته ، وكان أمله أن يبادر اليه ليقوم بالواجب نحو تهنئته بنجاته ممّا أصابه ، ويذكّره بما يفعله الزمان بعظام الرجال من تقلّب أحوالهم في الخير والشرّ وأن العواقب دائما لمن يصبر ، ويبشّره بالأجر على ما أصابه ، وزيادة النعمة ويحمد الله على جعل محنته محنة أدب ، لا محنة غضب ، ونكبة استصلاح لا نكبة اجتياح ، ويصفه بالعلم والأدب[1] .

الرسالة الثانية :

يهنيء الرضي فيها الوزير الأبر قوهي بالنجاة من حادث ، ربما كان سياسيا ، وقد ذكر في أولها ما بينهما من علاقات الاخاء وغرائس الصفاء ، وقلقه عليه من هذا الحادث ، وتوالي سؤاله عنه في مدّته ، والدعاء له ، حتى عاد الى وطنه محفوفا بالسلامة ، ثم يصف سروره الخالص بعودته وسلامته[2] .

ـ الرسالة الثالثة :

وجّهها الى الوزير سابور بن أردشير ، يهنئه بعودة الوزارة اليه ، في المرة الرابعة ، ويذكر في أولها أنّ هذه نعمة شملت الناس عموما وشملته خصوصا ، وأن خلوّ الوزارة منه كان غمّة على الخاصة والعامة ، ويدعو الله أن يديم عليه هذه المنّة ولا ينقله عنها الاّ الى ما هو أجلّ منها ، ويصف كفايته ، وما وصل اليه من تدبير الوزارة أربع مرّات ، ممّا لم

---

(١) عبد الفتاح الحلو . مقدمة ديوان الرضي ، ١٠٩/١ ، نقلا عن جمهرة الاسلام ، الكتاب ١٦ ، الباب الثاني .

(٢) المرجع نفسه ، ١١٠/١ .

يحصل عليه أحد في ذلك الزمان ، ثم يذكر ما جمع الله فيه من الخلال الحميدة ، ويدعو الله أن يتمّ له ما خوّله ، ويعينه على ما قلّده[1] .

ـ الرسالة الرابعة :

وجّهها الرضي الى صديقه الحميم أبي اسحاق الصابي ، وهي ردّ منه على تهنئة له بعيد الفطر ، وجّهها اليه الصابي سنة ٣٨٤ / ٩٩٤ ، فقد ذكر الرضي فيها أنه سعد بهذه التهنئة من بين التّهاني كلّها ، لما يعلمه من أنها تهنئة صادرة من قلب غير متقلّب ، ويدعو الله له بطول البقاء ، ويواسيه عن علّته بأنه أرسى لنفسه على طول الزمن مجدا ، ويقبل عذره في نيابة الرسالة عن حضوره لتهنئته ، ويطلب منه الصبر ، لأن الزمن لا يُطالب بالمناصفة ويصف مكانه العظيم من قلبه ويشكره على ما أرسله اليه من الشعر ، ويذكر ردّه عليه[2] .

٢ ـ رسائل التعزيّة :

كتب الشريف الرضي الى أبي اسحاق الصابي يعزّيه عن ابنه أبي سعيد سنان وقد توفي ، وهو أسنّ أولاده ، أنفذها اليه بعد أن لقيه

---

(١) عبد الفتاح الحلو مقدمة ديوان الرضي ، ١/١١٠ . نقلاً عن **جمهرة الاسلام** ، الكتاب السابع ، الباب السادس .

(٢) محمد يوسف نجم . **رسائل الصابي والشريف الرضي** ، ص/٩٨ . جرى تبادل هذه الرسائل بالشعر والنثر بين سنة ٣٧٦/٩٨٦ و ٣٨٤/٩٩٤ ، وقد زيد عليها ما نظمه الشريف في رثاء صاحبه وصفيّه نثرا وشعرا ، وكان آخر ما قاله فيه قصيدته التي أنشدها حين اجتاز بقبره سنة ٣٩٣/١٠٠٢ ومطلعها :

لولا يَذمُّ الرَّكْبُ عندَكَ موقفي ... حيَّتُ قبرَكَ يا أبا اسحاقِ

ديوان الرضي ، دار بيروت ، ٢/٧٥ .

بنفسه معزّيا ، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ٣٨٠ / ٩٩٠[١] .

وهي رسالة فريدة عبّر فيها الرضي عن خلاصة حبّه لصديقه ، وحدبه وأشفاقه عليه ، وذكر فيها أنه عاد من تعزيته وقد أضيف الى حزنه على الشاب قلقه على ما صار اليه حال صديقه من الحزن والحرقة ، ثم يذكّره بما لا ينساه من الصبر ، وما يعرفه من تقلّب الأيام ، والاعتبار بمن مضى من القرابة والخلّان ، وأنّ المرء سائر الى مصيره ، فَلِمَ كلّ هذا الحزن ؟ وفي الأيام خلف من الغائب ، ويسأل الله أن يزيد سروره بمن بقي من أولاده ، وأن يبارك فيهم . وقد لجأ الرضي في هذه الرسالة الى ايراد الحجج المنطقيّة في أكثر من موضع[٢] ، رغبة منه في أن يصل بصديقه المفجوع الى اقتناع يصرف عنه الحزن .

٣ ـ رسائل العتاب :

وجّه الرضي رسالة في العتاب الى أحد أصدقائه ، يذكر فيها شوقه اليه ، ويعتب عليه لتأخر مكاتباته ، ويذكّره بما بينهما من عهود ، وبما مضى لهما في ربيع الأيام وشباب الدنيا ، ويبيّن عذره في شدّة لومه ، لتبدّل حاله ، فقد كان خصيصا به ، وكان أقاربه يعلمون خبره عن طريق الرضي ، ثمّ انقلب ذلك الى ضدّه ، ويذكّره بالعودة قبل أن

---

(١) المرجع نفسه ، ص/٦٣ .

(٢) ومن حجج الرضي المقنعة : « . . فالتفاتاً الى ورائك واعتباراً بقربائك . هل أبقى الزمان على آبائك فَيُبقي على أبنائك ؟ أم هل نُضربَ عن أصولك فَتأْمُلُ أن يُضرب عن فروعك . . وأنت العارف بأن الانسان وديعة مُسلّمة وعارية مُسْتَرْجَعةٌ . . » . محمد يوسف نجم . **رسائل الصابي والشريف الرضي** ، ص ٦٥ .

يحول بينهما الزمان ، كما فعل في سلبه صديقه الحميم أبا اسحاق الصابي ، ثم يصف صداقته له ، ولواعجه في فراقه ، ومكانته الأدبيّة والسياسيّة ، وما دار بينهما ، وما رثاه به ، ويدعو الله أن يحفظ مهجة صديقه ، وأن يثني عطفه نحوه[1] .

وفي موضع آخر يعتب الرضي على بعض الوزراء ، أو من هم في موقع المسؤولية ، وقضاء الحاجات ، لتردّدهم في قضاء حاجة يطلبها ، ويشكو من طول الانتظار ، ويلومهم لأنّ رسوله قد تعبت قدماه من كثرة التّردد مذكّرا بالوعود وأهميّة انجازها ، فمن عادة الكريم أن لا يخلف في وعده ، وأن يفي بعهده . وكثيرا ما يتظلّم الرضي بسبب الهجر والقطيعة ، فهو يخاطب بعض أصدقائه داعيا ايّاه الى الابتعاد عن القطيعة والهجر ، لأنه يستعطفه استعطاف الشّارد ، ويداريه مداراة الولد والوالد ، بل مداراة الناظر الرّامد ، وذاك الصديق ماض في البعد والقطيعة[2] .

٤ ـ رسائله في طلب العهود :

كتب الرضي الى أبي اسحاق الصابي رسالة سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ ، يطلب فيها : كتابة عهد له بتقليد نقابة الطالبيّين ، والنظر في أمور المساجد ، واستخلافه عن والده في النظر في المظالم ، والحجّ بالناس .

---

(١) المصدر نفسه ، ص/١٠٣ ، وهي رسالة طويلة ورائعة ١٠٣ ـ ١١٢ ، يصف الرضي في نهايتها ما أصابه من القلق والمرض بسبب موت صديقه الصابي ، لما كان بينهما من لطيف المودّة والألفة ، ويذكر محاسنه وينـدب فضائله فكأنّ الرضي يرثيه نثرا ، كما رثاه شعرا .

(٢) ابن معصوم . **الدّرجات الرفيعة** ، ٤٧٥ ـ ٤٧٧ ، فصول صغيرة من انشاء الرضي ، لا يتجاوز الفصل أحياناً أربعة أسطر .

وفي سنة ٣٨١ / ٩٩١ كتب له رسالة ثانية يطلب منه فيها انشاء عهد ثان له بتقليد عمل له من الخليفة العباسي الطائع ، بعد أن خلع عليه السّواد[١] ، وزاد في اكرامه ، بتكليفه أعمالا أخرى لم يحدّدها ، ولم يتمّ أمره[٢] .

ولم يكتب الرضي الى الصابي لقصور يعرفه فيه ، وانما أراد أن يوضّح له أمرين :

الأول : الحفاظ على مكانة أبيه وتعظيمها ، فقد كانت القضيّة عظيمة الأهميّة لأن الطائع لله ولّى أبا أحمد النقابة والحجّ والمظالم ، في أوائل سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ ، ثم ولّى ولده النقابة في رمضان من السنة نفسها ، والأمر يقتضي في كتابة المرسوم كياسة لا بدّ ان ينبّه الرضي صديقه الصابي اليها ، زيادة في الحيطة وتبرئة النفس .

والثاني : رغبة الرضي في اسباغ مظاهر التكريم عليه في هذين المرسومين ، وقد أشار على صديقه الصابي بالاطالة في مواطن خاصة ، يرى فيها اظهار الكرامة والرّفعة .

٥ ـ نقد الشّعر :

نظم الصابي أبو اسحاق أبياتا تدور حول موضوع حفظ السّر ، ردّا على أبيات ، رواها أبو نصر بشر بن هارون[٣] ، حول الموضوع نفسه ،

---

(١) جلس له الطائع جلوساً خاصاً واستقبله في داره ، وأجلسه قريباً من سريره ، وخلع عليه الأبراد السّود ، فقيل هو أول من طالبي خُلع عليه السّواد . أنظر قصيدة الرضي في مدح الطائع بهذه المناسبة في ديوانه ، ٢/٥٢٤ ، ومطلعها : « الآنَ أعْربتِ الظّنون » ، وراجعص/ ٨٠ من هذه الرسالة .

(٢) رسائلالصابي والشريف الرضي ، ص/٧٣ و ٧٧ .

(٣) أبو نصر بشر بن هارون الكاتب النّصراني ، ذكر الرضي في رسالته أنه صديقه ، =

فأرسل الصابي رسالة الى الرضي ، طلب منه فيها أن يحكم بين النّظمين ، فأجابه الرضي برسالة طويلة ، مقارنا بين معاني الشّاعرين ، مفضّلا شعر الصابي ، لما اشتمل عليه من معان مبتكرة ، لم يسبق اليها ، واستعارات مستعذبة . وتطلعنا هذه الرسالة على آراء الرضي النّقدية التي تتناول المبنى والمعنى[1] .

ب ـ خصائص الترسّل عند الرضي :

قسم النثر في ذلك العصر الى قسمين واضحين : سمي أحدهما السلطانيّات : وهي المكاتبات الرسميّة التي تصدر من عامل الى عامل ، أو من خليفة الى عمّال ، وهكذا .

وقسم يسمّى الاخوانيّات : وهو ما يصدر من صديق الى صديق ،

= حيث قال في جواب رسالة الصابي : « وأنا بتوفيق الله أبدأ بذكر البيتين اللّذين أنشدهما صديقنا وشيخنا أبو نصر بشر بن هارون ، أدام الله عزّه » .

أنظر في ترجمته الباخرزي ، **دمية القصر** ، ١/٣١٥ .

(١) ومن آراء الرضي النقدية التي أوردها في تفضيله شعر الصابي على البيتين اللّذين أنشدهما أبو نصر بشر بن هارون : « . . . لقد سلكت مبرّزاً طريقهما ، في جودة المعاني ، وصحةّ المباني ، وسلاسة الألفاظ ، وسلامة الصدور والأعجاز ، وتناسق الكلام وتمازج النظام » . أمّا عن معاني الشاعر الآخر فقال : « معنى مطروق في النظم والنثر جميعا . وقد كثُر تجاذُب الشعراء أهدابه ، وقرعُهم أبوابه . . . » . وجاء في نهاية الرسالة ص/٩٣ قول الرضي : « وقد أجبتُ ، أبدأ الله مولاي ورئيسي الشيخ ، بما سمح به خاطر البديهة ولم أنتظر به خواطر الرّوية . وحكمتُ بما لم أعدِل فيه عن العدل ولم أزُغ عن جوادِّ الحقّ ، ولم أمِلْ على الأول متحاملا ، ولا ملتُ مع الآخر مجاملاً ، ولكني قضيتُ قضاء من يده مغموسةٌ في هذه الصناعة ، وهو موسِرٌ من هذه البضاعة . . . » .

محمد يوسف نجم . **رسائل الصابي والشريف الرضي** ، ص/٨٢ ـ ٩٣ .

أو من أستاذ الى تلميذ ، أو من تلميذ الى استاذ في المسائل الخاصة[1] . وكانت رسائل الرضي من النوع الثاني . فجلّ رسائله اخوانية ، تكاد تذوب وجدا ورقّة وهذا الأمر يرتبط الى حدّ بعيد باخلاصه ووفائه لأصدقائه من الوزراء والكتّاب والشعراء .

ففي رسائل التهنئة نلمح العلاقات الوثيقة بين الرضي وأصدقائه ، وما يشعر به نحوهم من الولاء والاخاء . ومن المعاني التي تتردّد كثيرا في هذه الرسائل ، أنها تهنئة بنعمة جاءت بعد نقمة، أو بتولية بعد عزل ، كما يلاحظ كثرة الدعاء فيها بدوام النعمة واضطرادها . انّ الالحاح على هذه المعاني يدلنا بوضوح على نمط العلاقات الانسانية والاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر .

من هنا تبرز قيمة رسائل الرضي كوثائق تاريخية وأدبيّة تطلعنا على نوع العلاقة بين الخليفة والوزير ، أو بين الملك البويهي ووزرائه . وتعطينا صورة واضحة عن أساليب النثر والانشاء المتّبعة في تلك الحقبة ، وخاصة الكتابة الدّيوانية التي كان رائدها الصابي صديق الرضي الحميم . أما أبرز خصائص هذه الكتابة فهو استعمال السّجع ، فقد كان الصابي شيخا لهذه الصناعة اللفظية ، وقد التزم السجع تقريبا في معظم كتاباته ، سواء كانت رسائل سلطانية أم اخوانية .

تأثّر الرضي بأسلوب صديقه الصابي ، لكنه يتلطّف باستعمال السّجع فهو لا يلجأ اليه ولا يتكلّفه . والرسائل التي بين أيدينا خير شاهد على ذلك ، فتشيع فيها ظاهرة الموازنة بين السّجع والأزدواج ، وقلّما يكتب لأحدهما الغلبة على الآخر .

---

(١) أحمد أمين . ظهر الاسلام ، ٢/١٢٤ .

فبينما يلجأ الى السّجع في قوله : « وبينما هذه الدنيا ترضعنا درّتها وتصرّح لنا عن زبدتها ، وتلحفنا فضل جناحها ، وتغرّنا بركود رياحها ، اذ به يعود إلى المراوحة بين السّجع والمزاوجة فيقول : وتغذّينا بما نستمرئه برهة ونستمرّه مدّة ، ونستحليه أوانا ونستوبيه آونة ، حتى تعطف علينا عطف الضروس ، وتضرحنا ضرح الشموس ، وتريق ما حلبت من النّعيم ، بضروب ما جلبت من الهموم »[1] .

وقد يعمد الرضي الى تضمين رسائله بعض شعره كما فعل في ختام رسالته لسابور بن أردشير ، أو تضمينها شعر غيره ، كما فعل في رسالته الى الحكّار[2] .

وتكثر الجمل الدعائيّة في رسائل الرضي ، مثل دعائه بطول البقاء والعزّ والتمكّن . . . وقد يتداخل الدعاء في الكلام بما يفصل بين أجزائه[3] .

---

(١) محمد يوسف نجم . **رسائل الصابي والشريف الرضي** ، ص/٦٧ . وقد تنبّه لهذه الحقيقة زكي مبارك في **النثر الفنّي في القرن الرابع الهجري** ، ٢١/١ حيث أعلن : « الشريف الرضي يسلك مسلك (التوحيدي أبو حيّان) فيسجع قليلاً ويزاوج كثيراً » . وأسلوب التوحيدي شبيه الى حدّ ما بأسلوب الصابي .

(٢) حيث ضمّن قول القائل : وللدّهر في صُمِّ الصِّلاب نصيبُ .
وضمّن قول الآخر: كل حبس يهون عند الليالي بعد حبس الأرواح في الأجساد **جهرة الإسلام**، الباب الثاني. وفيه رسالته النقدية التي حكم فيها للصابي بتفوّقه في موضوع حفظ السّر ضمّن الكثير من الابيات للمتنبي ، والحارث بن خالد المخزومي ، وأشجع السُّلمي . **رسائل الصابي والشري الرضي** ، ص/٨٧ و ٨٩ .

(٣) مثل قوله للوزير سابور بن أردشير : « فان رأى سيدنا الوزير ـ أدام الله علوّه ـ أن يأمر ـ أعلى الله أمره ـ باجابتي . . . » .
جهرة الاسلام ، الباب السادس .

لقد التزم الرضي في نثره حدود عصره ، فلم يكن متنوّعا كما هو الحال في شعره ، بل أخذ نفسه بنوع واحد من الكتابة .

من خلال ما تقدم هل يمكننا ان نجعل الرضي من كتّاب الرسائل ؟ يرى زكي مبارك أنّ الرضي لم يكن من كتّاب الرسائل القصار أو الطّوال [1]، لقد غلب الشعر عليه ، وضاعت جملة نثره ، ولم يبق من نثره بقايا كافية لتعيين مذهبه في أساليب الانشاء[2] .

انّ الثروة التي أثرت عن الرضي في التأليف ذات مكانة كبيرة ، بين مؤلفات القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، ولكنّ تأليف الكتب يختلف عن انشاء الرسائل ، لأن المؤلف يتّخذ أسلوبا في التعبير يغاير أسلوب النثر الفنّي . فالشريف كاتب بلا جدال ، ولكنّ طريقته في التعبير طريقة علميّة لا فنيّة .

والرضي شاعر بارز قبل كل شيء ، وحياته الشعرية هي ثروته الباقية على الزمان ، ويمكن القول أنّ عبقريته الشعرية جنت عليه ، فخفّ ميزانه في الحياة العلمية بالقياس الى بعض معاصريه ، ومنهم أخوه المرتضى الذي أتى بأمور فريدة في الفقه والتوحيد ، ولم يشتهر بالشعر ، كشهرته في الفقه والعلم .

وان ضاعت معظم رسائل الرضيّ ، ولم يبق منها الاّ شيء يسير ، لا يعتبر كافيا لتعيين مذهبه في الانشاء ، فاني أرى من خلال كلام المترجمين له أنّ رسائله النثرية تقع في مجلدات ، وأنّ فنّ الترسّل

---

(١) زكي مبارك ، **عبقرية الشريف الرضي** ، ٢٠٤/١ .

(٢) زكي مبارك . **النثر الفنّي في القرن الرابع الهجري** ، ١٢١/١ . حيث أعلن : لم أعقد له فصلاً في هذا الكتاب ، لأنّ الشعر غلب عليه ، وضاعت جملة نثره.

شيء كان يمارسه وله به عناية[1] . وقد تأثر كما مرّ بنا بأسلوب صديقه الصابي ، اذ كان يؤثر طريقته في النثر . ولكنّ الشعر الذي امتلك حياته غلب عليه ، وهذا الأمر لا ينفي كون الرضي من كتّاب الرسائل ، والبقيّة اليسيرة من رسائله الموجودة لدينا خير شاهد ، وأصدق دليل على صحّة ما نقول . أضف إلى ذلك شهادة معظم المترجمين له حيث اتفقوا على كونه شاعراً وكاتباً ومترسّلاً .

---

(١) كان الرضي علما من اعلام النثر في عصره ، احسان عباس . **الشريف الرضي** ، ص/٥٩ . قال عن نثره صاحب دمية القصر : « وان نَثَرَ جُمِدَ منه الأثر ، ورأيتَ هناك خرزات من العقد تَنْفضّ ، وقطرات من المزنِ ترقّص » الباخرزي ، **دُمية القصر** ، ١/٢٧٤ .

الفصل الأول
نهج البلاغة ودور الرضي في جمعه

انّ كتاب نهج البلاغة اختيار من كلام علي بن أبي طالب في جميع فنونه ومتشعّبات غصونه ، من خطب وكتب ومواعظ وآداب . وهو جزء من تراثنا ، نال شهرة واسعة في الأوساط العلمية والأدبيّة ، وعلق اسمه في أذهان الخاصة والعامة ، واستعان به الخطباء والوّعاظ بكلامهم ، وانصرف فريق كبير من العلماء والأدباء الى شرحه والتعليق عليه . من هنا ندرك دور الرضي وفضله في التنبّه الى قيمة الكتاب وجمعه .

وسندرس في هذا الفصل أصل نهج البلاغة وتنوّع موضوعاته ، والاهتمام بخطب علي وأقواله قبل عصر الرضي (**المجاميع السّابقة**) ، ومسألة جامع نهج البلاغة . ثم منهج الرضي في جمع نهج البلاغة ، ومسألة الشكّ في نسبة النهج الى علي بن أبي طالب .

وأخيرا قيمة كتاب نهج البلاغة ، وفضل الشريف الرضي في جمعه وتحقيقه .

أ ـ أصل نهج البلاغة وتنوّع موضوعاته :

أنه تراث فكري وأدبي وديني جليل ، يتميّز بتنوّع موضوعاته : الله ، خلق العالم والملائكة ، والقضاء والقدر . . . ، ويشتمل على كثير

من الأفكار التي تتصل بشؤون الحياة الاجتماعية ، والتربية والأخلاق وحسن التصرّف ، وفكرة الوسط ، وقضايا الدنيا والآخرة ، والتّنجيم والمرأة ، وغيرها من المسائل المتنوّعة .

وتدل هذه الأبحاث أنّ الامام علي بن أبي طالب لم يكن فيلسوفا ، أو عالما ينظر الى الأشياء بمنظار المدقّق والمحلّل ، ولكنه كان صاحب نظرات دينيّة وأخلاقية ،وتشريعية وحياتية ، علّمته الظروف الصعبة التي رافقت حياته والتجارب العديدة ، الايمان والتقوى والورع ، وخشية الله ، وحبّ الخير والناس وساعد على ذلك كله المثل العليا التي طالما أحبّها الامام علي ، ودافع عنها وقضى في سبيلها .

والكتاب أصلا فصل من كتاب (**خصائص الأئمة**) كما صرّح الرضي في مقدمة النهج[1] ، اذ أخرج من الخصائص أبوابا وفصولا ، تتعلق بمزايا علي ابن أبي طالب وخصائصه ، وفي الفصل الأخير منه ، أورد الكلمات القصار له . فعنّ له أن يكتب جميع ما صدر عنه من الخطب والكتب والكلمات ، فاشتغل بجمع نهج البلاغة الى أن فرغ منه سنة ٤٠٠ / ١٠٠٩ ، ولم يمهله الأجل لاتمام كتاب الخصائص[2] .

ويقسم (**نهج البلاغة**) الى ثلاثة أقسام رئيسيّة هي :

الخطب والأوامر ، فالكتب والرسائل ، فالحكم والمواعظ .

١ ـ الخطب والأوامر :

أدرج الرضي في هذا القسم مائتين واثنتين وأربعين خطبة وكلاما ، وقد تنوّعت تلك الخطب بتنوّع المناسبات والظروف التي قيلت فيها ، أو

---

(١) الشريف الرضي . مقدمة **نهج البلاغة** ، ١٥/١ .

(٢) آغار بزرك الطّهراني . **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ، ٢٥٦/١٦ .

بالنسبة للأشخاص والأمكنة والظروف السياسيّة التي دفعت الامام علي الى القائها .

ويمكن تصنيفها بحسب الأمكنة والمناسبات السياسية البارزة ، أو بالنسبة لبعض الأشخاص الذي كانت لهم علاقة معيّنة بمواضيع تلك الخطب والكلمات ، مع مراعاة التسلسل التاريخي .

- خطب تتعلّق بيوم الشّورى[1] .
- خطب تتعلّق بطلحة والزّبير[2] .
- خطب موقعة الجمل وما أسفر عنها من نتائج[3] .
- خطب صفّين مع معاوية ونتائجها[4] .

---

(١) حدَثتْ قصة الشُّورى لمّا طُعن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين لو استَخْلفتَ ؟ فجعل الشورى في ستّة من الصحابة هم : علي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله . ابن الأثير . **الكامل** ، ٣٤/٣ . أنظر هذه الخطب عند ابن أبي الحديد **شرح نهج البلاغة** ، ١٦٢/١ - ١٨٤ - ١٩٧ .

(٢) اشتركا بموقعة الجمل في البصرة مع عائشة أم المؤمنين ضد علي بن أبي طالب فقتلا سنة ٦٥٦/٣٦ . ابن الأثير . **الكامل** ، ١١٣/٣ .

(٣) جرت هذه الموقعة قرب البصرة بين الخليفة الرابع علي من ناحية وطلحة والزبير وعائشة من ناحية ثانية عندما رفضوا بيعة علي وأخذوا يطالبون بدم عثمان ، فانتصر عليهم الامام سنة ٦٥٦/٣٦ . ومن خطبته عند مسيره الى قتالهم : « انّ آخر هذا الأمر لا يصلح الّا بما صَلُحَ به أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح الله أمركم . . » ابن الأثير . **الكامل** ، ١١٤/٣ .

(٤) جرت هذه الموقعة بين علي من ناحية ومعاوية وعمرو بن العاص من ناحية ثانية وفيها ظهر الخوارج الذين أنكروا التحكيم ، وقد جرت سنة ٦٥٧/٣٧ . ومن خطب الامام فيها : « . . . وقدّموا الدّارع وأخّروا الحاسر وعضّوا على الأضراس فانه أنْبى للسيوف . . » ابن الأثير . **الكامل** ، ١٥٠/٣ .

ـ خطب النهروان وقتال الخوارج[1] .

ويمكن تسمية خطب الحروب (الجمل ، صفّين ، والنّهروان) بالملاحم لأنّ الامام ألقاها في أوقات الحرب ، وفي حثّ أصحابه على القتال .

ـ خطب في ذمّ الدنيا والتّحذير منها ، وتنفير الناس من الاقبال عليها[2] .

ـ خطب الأعياد والمناسبات الدينية[3] .

٢ ـ الكتب والرسائل :

أدرج الرضي في هذا الباب ثمانية وسبعين كتابا ووصيّة تصنّف على النحو التالي :

١ ـ كتب الى قضاته ككتابه الى شريح بن الحارث[4] .

٢ ـ كتب الى أمراء جيوشه : كمالك بن الأشتر ، وزياد بن النضر وشريح بن هاني[5] .

٣ ـ كتب الى عمّاله وولاته : كعبد الله بن عبّاس ، وسهيل بن

---

(١) جرت الموقعة بين الامام علي والخوارج الذين خرجوا عن طاعته يوم صفّين ، وفيها انتصر عليهم وشتّت شملهم سنة ٦٥٧/٣٧ . ابن الأثير . **الكامل** ، ١٧٢/٣ . ومن خطبة له في تخويف أهل النهروان : « فأنا نذيرٌ لكم أن تصبحوا صَرعى بأثناء هذا النهر . . » ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ٢٦٥/٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ٩١/٢ و ١٥٦/٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ٣/٤ و ٢٢١/٧ و ٢٤٤/٨ .

(٤) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ٢٧/١٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ٣٢/١٤ و ٩٨/١٥ و ١٣٩/١٧ .

حنيف الأنصاري ، وزياد بن أبيه[1] .

٤ ـ كتب الى أهل الكوفة قبل فتح البصرة وبعدها[2] .

٥ ـ كتب الى معاوية وعمرو بن العاص[3] .

٦ ـ كتاب الى أهل مصر ، لمّا ولّى عليهم الأشتر النّخعي[4] .

٧ ـ وصايا الى الجيوش قبل مسيرها الى القتال ، وصايا الى أصحابه وعسكره قبل لقاء العدو[5] .

٨ ـ وصايا لمن يستعمله على الصدقات ، ووصايا الى عمّاله على الخراج[6] .

٩ ـ وصيّة الى ابنيه : الحسن والحسين ، لما ضربه ابن ملجم[7] .

٣ ـ الحكم والمواعظ :

أورد الرضي في هذا الباب أربعمائة وثمانين حكمة ومثلا وموعظة . أما الموضوعات التي تدور حولها هذه الحكم والأمثال ، فتتلخّص بالعناوين التالية :

ـ الأخلاق :

البخل ، الجبن ، الفقر ، الزهد ، الشجاعة ، الورع ، ذم

---

(١) المصدر نفسه ، ١٨/٢٨ و ١٨/٦٠ و ١٨/٥٢ و ١٥/١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٧/١٤٠ ٧

(٣) الكتب التي ارسلها الامام الى كل من معاوية وعمرو بن العاص كثيرة نذكر منها على سبيل المثال عند ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ١٥/٧٩ و ١٥/١١٧ و ١٦/٦ و ١٦/١٣٢ و ١٦/١٥٣ و ١٦/١٦٠ و ١٧/١٢ ـ ١٤ . . .

(٤) المصدر نفسه ، ١٧/١٥١ ـ ٢٢٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ١٥/٨٩ و ١٥/١٠٤ ـ ١١٤ .

(٦) المصدر نفسه ، ١٥/١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٨ ـ و ١٧/١٩ ـ ٢٠ .

(٧) المصدر نفسه ، ١٥/١٤٣ و ١٧/٥ ـ ٦ .

الدنيا ، طلب الآخرة ، العفو عند المقدرة ، الأصدقاء ، شكر النّعم ، المعصية ، الحذر ، الايمان ، الكفر ، العاقل ، والأحمق ، العفاف ، الحقّ والباطل ، الصّدقة . . .

ـ العلم والأدب :

العقل ، الحكمة ، العمل ، الأدب ، طلب العلم ، الحثّ على العمل . .

ب ـ الاهتمام بخطب الامام علي وأقواله قبل عصر الرضي :

ذكر صاحب (الذّريعة)[1] ، أنّ الكثير من الكتب قد ألّفت في خطب علي بن أبي طالب ، وقد دوّنت هذه الكتب خطب الامام التي كان يخطب بها على المنابر في الجمع والأعياد ، وغيرها في أيام خلافته ، وحتى في زمن عثمان وقبله ، وقد حفظت هذه الخطب وأودعت في كتب الأصحاب التي ألّفوها في هذا الموضوع ، وقد ابتدأوا بالتأليف من عصره ، فأول من جمع خطبه زيد بن وهب الجهيني الذي شهد صفّين[2] ، ثم توالى تدوين خطبه قرنا بعد قرن حتى وصلت النّوبة الى الشريف الرضي في النصف الأخير من القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، فأطّلع الرضي على تلك الكتب في المكتبات الشخصية والعمومية[3] ، وكانت كلها في بغداد ، وفي متناوله مثل مكتبة أخيه المرتضى ، ومكتبة سابور بن أردشير المؤسّسة للشيعة في كرخ بغداد ، ولا يحصى ما فيها من كتبهم .

---

(١) الشيخ آغا بزرك الطهراني . **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ، ١٩١/٧ .

(٢) أبو سليمان زيد بن وهب الجهيني الكوفي توفي سنة (٨٠ و ٩٦ هـ) (٦٩٩/٧١٤ م) آغا بزرك . **الذريعة** ١٨٩/٧ . عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٣٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٩٣/٧ .

كانت الخطب الواصلة الى المؤرّخ اليعقوبي[1] ، ومن بعده الى المسعودي[2] أربعمائة ونيّفا وثمانين خطبة [3] .

لقد كانت خطب الامام علي ووصاياه ورسائله معروفة مشهورة لدى العلماء والمؤرخين والأدباء ، حتى قال الجاحظ : « وهذه خطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مدوّنة محفوظة ، مخلّدة مشهورة ، وهذه خطب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم »[4] .

نستنتج ممّا تقدّم أن كلام الامام علي قد جمع قبل عصر الرضي ، في مجاميع معيّنة ، أو في ثنايا المؤلفات المتنوعة ، أو استعمل في كلام الأدباء والخطباء[5] . ولكن تلك المجموعات التي ضمّت كلام علي قد ذهبت مع الزمن ، كما ذهب سواها من تراثنا العربي ، ولم يبق منها الّا الأسماء ومنها :

---

(١) ابن واضح اليعقوبي مؤرخ مشهور توفي سنة ٢٩٢/٩٠٤ ومن مؤلفاته (مشاكلة الناس لزمانهم » وفيه روى : « وحفظ الناس عنه الخطب ، فانه خطب بأربعماية خطبة ، حُفظت عنه ، وهي التي تدور بين الناس ويستعملونها في خطبهم » .
عبد الزهراء الخطيب . **مصادر نهج البلاغة وأسانيده** ، ٤٦/١ . عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٢٩ .

(٢) المسعودي مؤرخ شهير وصاحب كتاب (مروج الذهب) توفي سنة ٣٤٦/٩٥٧ ، وممّا قال : « والذي حفظ الناس من خطبه في سائر مقاماته ، أربعماية ونيّف وثمانون خطبة ، يوردها على البديهة ، وتداول الناس ذلك عنه قولا وعملاً » . المسعودي . **مروج الذهب** ، ٤٣١/٢ .

(٣) الشيخ عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٢٩ .

(٤) أبو عثمان الجاحظ توفي سنة ٢٥٥/٨٦٨ ومن أشهر مؤلفاته : « **البيان والتبيين** » و « **الحيوان** » و « **البخلاء** » . الجاحظ . **البيان والتبيين** ، ١٧٤/١ .

(٥) عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٢٨ ـ ٢٩ .

ـ كتاب خطبة علي كرّم الله وجهه لهشام بن محمد بن السّائب الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤ / ٨١٩[١] .

ـ كتاب خطب علي ـ عليه السلام ـ وكتبه الى عمّاله . لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله المدائني ٢١٥ / ٨٣٠[٢] .

ـ كتاب خطب أمير المؤمنين . لأبي هاشم عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن ٢٥٢ / ٨٦٦[٣] .

ـ كتاب خطب الامام علي . لأبي أحمد ابن عبد العزيز بن يحي ابن عيسى الجلّودي الأزدي البصري ٣٣٢ / ٩٤٣[٤] . . .

---

(١) من كبار النّسابين وقيل : انّ وفاته كانت سنة ٨٢١/٢٠٦ ـ ابن الأثير . **الكامل** ، ١٩٦/٥ .

(٢) ذكر ابن الأثير أنّ وفاته كانت سنة ٨٣٩/٢٢٥ ، وله ثلاث وتسعون سنة وله كتب في المغازي وأيام العرب وكان بصريا فأقام بالمدائن فنُسب اليها . ابن الأثير . **الكامل** ، ٢٦٢/٥ . أما ابن النديم . في **الفهرست** ، ص/١٤٧ ، فقد ذكر أن وفاته كانت سنة ٨٣٠/٢١٥ .

(٣) النجاشي . **الرجال** ، ص/١٨٦ . عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٣١ .

(٤) ذكر النجاشي أنّ الجلّودي هذا كان من شيوخ البصرة وأخباريها ، وله ما يقرب من ثلاثمائة مؤلّف ، وقد عدّ من مؤلفاته أحد عشر كتابا تدور حول : رسائل الامام وكلامه وخطبه . وذكر أن كتابه في خطب الامام علي بقي بين أيدي العلماء حتى أوائل القرن التاسع . . . النجاشي . **الرجال** ، ص/١٨٠ ـ ١٨١ .
ومن هذه المجموعات التي ضمّت خطب علي وكلامه نذكر أيضا : (خطب أمير المؤمنين) المروية عن الامام الصادق المتوفي عام ٧٦٥/١٤٨ . وهو أحد الأئمة الاثني عشر ومن كبار الفقهاء واليه ينسب المذهب الشيعي فيقال المذهب الجعفري . آغا بزرك . **الذريعة** ، ١٩٠/٧ .
وكتاب (خطب أمير المؤمنين مع شرحها) لقاضي القضاة لدى الفاطميين أبي حنيفة النعمان المصري المتوفي سنة ٩٧٣/٣٦٣ وقد صنّف كتب كثيرة منها : كتاب ابتداء =

تدل هذه المؤلفات بوضوح على العناية والاهتمام الذي حظي به كلام الامام علي ، وتؤكد أنّ ما اختاره الرضي في (**نهج البلاغة**) هو غيض من فيض ، وهو بعض ما كان مدوّنا ومحفوظا ومشهورا بين الناس .

ج ـ مسألة جامع نهج البلاغة :

نهج البلاغة كتاب جمع فيه الشريف الرضي أبلغ ما أُثر عن علي بن أبي طالب من خطب ورسائل ومواعظ وحكم . ونسبة جمع هذا الكتاب الى الرضي وهو ما شاع بين جمهور المؤلفين والنّقاد ، من شيعة وغيرهم قديما وحديثا . غير أنّ هذا الأمر قد دار حوله الجدل ، فرأى بعض العلماء أنّ الذي جمعه ليس أبا الحسن الرضي ، وانما هو أخوه أبو القاسم المرتضى . وقد يكون ابن خلّكان (٦٨١ / ١٢٨٢) ، هو من أوائل من أثار الشكّ حول هويّة جامع نهج البلاغة ، فقد قال : ـ بعد أن ذكر الكتاب في ترجمة المرتضى ـ « وقد اختلف الناس هل هو جمعه (يعني المرتضى) ، أم جمع أخيه الرضي . . . »[1] .

وقد تبعه بعد ذلك كلّ من : الذهبي (٧٤٨ / ١٣٤٨) ، واليافعي (٧٦٨ / ١٣٦٧) ، وابن كثير (٧٧٤ / ١٣٧٣) ، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢ / ١٤٤٨)[2] .

= الدعوة ، وكتاب في فقه الشيعة . ابن الأثير . **الكامل** ، ٥٨/٧ ـ ٥٩ . عبد الزهراء الخطيب . **مصادر نهج البلاغة وأسانيده** ، ٦٥/١ .

(١) ابن خلّكان . **وفيات الأعيان** ، ٤١٦/٣ . وقد أثار الشك حول النصوص ذاتها التي حواها نهج البلاغة ، فرأى : « أنه ليس من كلام علي ، وانما الذي جمعه ونسبه اليه هو الذي وضعه ، والله أعلم » .

(٢) الذهبي . **ميزان الاعتدال** ، ١٢٤/٣ . اليافعي . **مرآة الجنان** ، ٥٥/٣ . ابن كثير =

ومن المحدثين : بروكلمان ، وجرجي زيدان ، ويوسف سركيس ، والبستاني صاحب دائرة المعارف[1] ، وغيرهم من متقدّمين ومتأخرين ، فبعضهم نقل شكّ ابن خلكان في جامع النهج ، وبعضهم الآخر جزم بأنّ جامع النهج هو المرتضى . وهناك من زعم أن الشريفين قد اشتركا بوضع ما يبلغ أكثر من ثلث النهج ، كما صرّح بذلك محبّ الدين الخطيب ، اذ اعتبر أنّ ما فيه من تعريض بالصحابة هو من وضع الشريفين[2] .

ولكنّ الأدلة تثبت أن ما في النهج من تعريض ببعض الصحابة ، كالشقشقية وبعض الخطب الأخرى ، قد رواه المحدّثون الذين كانوا قبل عصر الشريفين ، بل حتى قبل أن يولدا .

فقد ذكر ابن الحديد ، بعد أن شرح الخطبة الشقشقية رواية عن أستاذه أبي الخير مصدق بن شبيب الواسطي[3] (٦٠٥ / ١٢٠٨) أنه قال له سنة ٦٠٣ / ١٢٠٦ : « قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله بن

= الدمشقي . **البداية والنهاية** ، ٣/١٢ و ٥٣/١٢ . ابن حجر العسقلاني . **لسان الميزان** ، ١٤١/٥ .

(١) بروكلمان . **تاريخ الأدب العربي** (الترجمة العربية) ٦٤/٢ ، ولست أدري كيف جزم بروكلمان بأن الكتاب للمرتضى ؟ ونقل عنه : جرجي زيدان في **تاريخ آداب اللغة العربية** ، ٢٨٨/٢ و ١٩٥/١ . البستاني . **دائرة المعارف** ، ٤٥٩/١٠ .
يوسف سركيس . **معجم المطبوعات العربية والمعرّبة** ، ص/١١٢٤ .

(٢) محب الدين الخطيب . **الخطوط العريضة** ، ص/٢٢ ، نقلا عن الشيخ عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٢٢ .

(٣) مصدق بن شبيب بن الحسين الصلحي الواسطي قدم بغداد وقرأ على ابن الخشّاب ذكره القفطي في **أنباه الرواة** ، ٢٧٤/٣ . وابن أبي الحديد . في **شرح نهج البلاغة** ، ٢٠٥/١ .

أحمد المعروف بابن الخشّاب (٥٦٧ / ١١٧١) هذه الخطبة . . . فقلت له : أتقول أنها منحولة ؟ فقال : لا والله ، واني لا أعلم أنها كلامه ، كما أعلم أنك مصدق ، قال : فقلت له : ان كثيراً من الناس يقولون انها من كلام الرضي ـ رحمه الله تعالى ـ فقال : أنّى للرضي وغير الرضي هذا النفس ، وهذا الأسلوب ؟ قد وقفنا على رسائل الرضي ، وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور ، وما يقع من هذا الكلام في خلّ ولا خمر ، ثم قال : والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنّفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة ، ولقد وجدتها ، مسطورة بخطوط أعرفها ، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب ، قبل أن يخلق النّقيب أبو أحمد والد الرضي »[1] .

وهناك براهين قاطعة تثبت أنّ جامع النهج هو الشريف الرضي ، فقد اتّفق معظم العلماء والمحقّقين والمؤرخين من شيعة وسُنّة أنّ الكتاب من جمعه ، وأن تلامذة الرضي قد نسبوا جمع النهج اليه بالتّواتر الى زماننا هذا[2] .

ثم أنّ الرضي نفسه ، في مقدمة النهج صرّح بذلك حين عرض لكتابه (**خصائص الأئمة**) ـ الذي هو من تأليفه بلا تردّد بين المؤرخين ـ قال :

« ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام ، يشتمل على محاسن أخبارهم ، وجواهر كلامهم . . . وسألوني بعد ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على المختار من كلام مولانا أمير المؤمنين عليه

---

(١) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ١/٢٠٥ ، ط . الحلبي .
(٢) عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٢٣ .

السلام ، في جمع فنونه ، ومتشعّبات غصونه ، من خطب وكتب ومواعظ وأدب . . . ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة . . . »[1] . ولقد أعلن الرضي بوضوح في مؤلفاته الأخرى أنّ كتاب نهج البلاغة له في : الجزء الخامس من (**حقائق التأويل في متشابه التنزيل**)[2] ، وفي (**المجازات النبوية**) في عدّة مواضع[3] ، وذكر أيضا في (**تلخيص البيان عن مجازات القرآن**)[4] . وما دامت هذه الكتب صحيحة النسبة ، (**فنهج البلاغة**) من جمعه لا من جمع أخيه المرتضى[5] .

لقد بلغ عدد شروح نهج البلاغة بالعربية والفارسية ما ينيف على سبعين شرحا[6] ، ولم يشك أحد من هؤلاء الأعلام الذين شرحوا النهج ، بصحة جمع الكتاب من قبل الشريف الرضي . ولم تقف الدراسات الحديثة أمام ما أثير من شبهات حول الكتاب ، وأجمع هذه الدراسات احاطة هو ما قدّمه الأستاذ امتياز علي عرشي في بحثه المعنون بـ (**أستناد نهج البلاغة**)[7] وقد أثبت فيه أنّ جامع الكتاب هو الرضي

---

(١) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ١/١٧ .

(٢) الشريف الرضي . **حقائق التأويل** ، ٥/١٦٧ .

(٣) الشريف الرضي . **المجازات النبوية** ، الصفحات : ٣٩ - ٤٠ - ٦٠ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٨٨ - ١٨٩ - ٢٨٤ .

(٤) الشريف الرضي . **تلخيص البيان** ، ص/١٧٨ .

(٥) احسان عباس. **الشريف الرضي** ، ص/٤٨ .

(٦) الأميني . **الغدير** ، ٤/١٦٩ ، حيث أحْصى خمسة وسبعين شرحاً له .

(٧) نشرته مجلة **ثقافة الهند** ، في كانون الأول سنة **١٩٥٧** م ، نقلاً عن مجلة **كتاب الشعب** ١/٦ .

لا المرتضى معتمدا على عدّة براهين[1] .

بعد كل ما تقدّم نعتقد انّ مسألة الحسم في الخلاف حول جامع النهج صار أمراً سهلاً ، فهذه الأدلّة والبراهين تثبت بما لا يدع مجالا للشكّ ، أنّ جامع نهج البلاغة هو الشريف الرضي .

د ـ منهج الرضي في جمع نهج البلاغة :

يحتوي كتاب نهج البلاغة على المختار من كلام علي بن أبي طالب . لأن غاية الشريف الكبرى هي تفضيل الأفصح والأبلغ من كلام أمير المؤمنين علي . فكان الرضي في جمعه أشبه بالجوهريّ الحاذق الذي يختار أنفس الجواهر وأثمن اللآلىء ، لذلك لم يراع في اختياره التّتالي والتناسق ، وانما أخذ ما يتلاءم مع غايته التي جمع النهج لأجلها من

---

(١) من البراهين التي ذكرها ما يلي :

١ ـ ما ذكره النجاشي ـ وهو معاصر للشريفين ـ في كتاب (الرجال) أنّ مؤلف نهج البلاغة هو الشريف الرضي .

٢ ـ في مقدّمة نهج البلاغة اشارة الى أن جمعه كان بعد تأليف كتاب (خصائص الأئمة) ، وكذلك في بعض خطب الكتاب اشارة الى كتاب الخصائص ، وقد عدّ النجاشي كتاب خصائص الأئمة من مؤلفات الرضي .

٣ ـ ذكر النجاشي وغيره من المؤرخين : أنّ للشريف الرضي تفسيرا عنوانه (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) ، وكتاب (مجازات الآثار النبوية) وكتاب (تلخيص البيان عن مجازات القرآن) ، وفي هذه الكتب اشارات واضحة الى نهج البلاغة .

كل من شرح نهج البلاغة ينسب تأليف الكتاب وجمعه الى الشريف الرضي . والنجاشي الذي استند الكاتب اليه هو : احمد بن علي ، أبو العباس (٤٥٠/١٠٥٨) مؤرخ امامي وكان بغداديا ، وكتابه (الرجال) فهرست في تراجم علماء الشيعة واسماء مصنفاتهم ابن الأثير . **الكامل** ، ٨/٨٥ . محمد أحمد عاشور ومحمد ابراهيم البنّا تحقيق وتعليق على **شرح نهج البلاغة** ، للشيخ محمد عبده ص / ٦ .

محاسن كلام علي ومن النّكت البيانيّة التي اشتمل عليها[1] .

لذلك نجد في الكتاب مواضع خالية من التلاحم والانسجام بين فصولها . وقد نبّه الشارح ابن أبي الحديد على ذلك في عدّة مواضع من الكتاب[2] .

وتمشّيا مع خطته المذكورة ، نراه يوزع الخطبة الواحدة في كتابه الى عدّة فصول ، ويورد كل فصل منها في موضع مستقلّ[3] . كما أنه قد يكرّر الكلام الواحد ، أو الخطبة الواحدة ، لوجود رواية أخرى تختلف عن الأولى وهذا ما أشار اليه الرضي أيضا في مقدمته : « وربّما جاء في هذا الاختيار اللفظ المردّد ، والمعنى المكرّر ، والعذر في ذلك أنّ رواية كلامه (عليه السلام) تختلف اختلافا شديدا . . . »[4] .

وربما تجاوز الرضي ذلك فاختار من خطب متعدّدة فصولا ، أوردها بنسق خطبة واحدة ، أو اختار فقرات من عدّة خطب وأوردها فصلا

---

(١)ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ١ / ١٦ حيث صرح الرضي في المقدمة : « وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصولٌ غير متّسقة ومحاسن كلم غير منتظمة لأني أورد النكت واللمع ولا أقصد التتالي والنّسق » .

(٢) كما ذكر عند شرح قوله : (وانما سمّيتْ الشّبهة شبهة) ، وعند شرح قوله : (فقمت بالأمر حين فشلوا) ، وعند شرح قوله : (حتى يظن الظّان أنّ الدنيا) .
عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٥٤ ـ ٥٥ .

(٣) وهذا ما صنعه في عدّة خطب ، ومنها الخطبة التي أولها : (انّ الله بعث محمداً (ص) نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل) .
عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٥٥ .

(٤) ويتابع الرضي قائلا : « . . . وربما اتّفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ، ثم وجد بعد ذلك في رواية موضوعاً في غير موضعه الأول ، أما بزيادة مختارة ، أو لفظ أحسن عبارة . . » هذا ما أعلنه الرضي في مقدمته .
ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ١/ ١٧ .

واحدا مستقلاً ، وهذا ما فعله في أكثر من موضع[1] .

ولم تكن غاية الرضي فيما اختاره من كلام الامام علي ، تحقيق سند ما رواه ، ولا تصحيح رواية ما اختاره ، بقدر اهتمامه بما ينسجم مع وجهته البيانيّة التي امتاز بها ، ووضع كتابه هذا لأجلها ، على غرار ما فعله في كتابيه : (**تلخيص البيان في مجازات القرآن**) و (**المجازات القرآنية**) . لذلك أورد في النهج ما وجده أمامه في مؤلفات المؤرّخين والأدباء والمحدّثين ممّا نقلوه عن الامام علي ونسبوه اليه ، من دون أن يسند ، وعذره في ذلك أنه لم يكن بعمله هذا راويا بمعنى الرّواة ، ولا محدّثا على طريقة المحدّثين الذين يدوّنون الأحاديث والروايات بأسانيدها المتّصلة . وانما كان أديبا ، له حسّ أدبي فريد ، تغريه روائع البلاغة والبيان ولا يلوي على شيء آخر .

هـ ـ مسألة الشّك في نسبة مضمونه الى علي بن أبي طالب :

لقد ثارت الشكوك حول نسبة مضمون نهج البلاغة الى الامام علي ابن أبي طالب ، وقد مرّ بنا ان عددا من المؤرخين القدامى والمحدثين توجهوا بسهام الشك نحو جامعه ومضمونه[2] . ولهذه القضية خطرها لأنها تثير مسألة أمانة جامع النهج ، الشريف الرضي .

تطرح في هذا المقام مشكلتان : الأولى : بلاغة الامام علي ، والثانية : أمانة الرضي .

فقد اتفق خصوم الامام وأنصاره على بلاغته وعلمه وفطنته[3] . أمّا

---

(١) عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٥٦ .

(٢) راجع ص ٢٨٣ و ٢٨٤ من هذا الفصل مع الحواشي (مسألة جامع نهج البلاغة) .

(٣) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ١/ ٨ .

أمانة الشريف الرضي فيصعب التشكيك فيها ، نظرا الى ما عرفناه عنه من أخلاق حميدة امتاز بها طوال عمره[1] . فان دراسة حياة الرضي تجعلنا نخرج منها بنتيجة واضحة ، هي أنه كان له من أمانته العلمية وتثبّته في النقل ، وبعده عن التعصّب المذهبي ، وكان له من سماحته وأخلاقه السّامية ما يجعله فوق مستوى الغمز واللّمز في نقله ، ويستحيل الصاق تهمة الوضع والكذب فيما ينسبه في نهج البلاغة الى جدّه علي ، فهو في ذلك فوق التّهم والظنون . وما علينا لكي ندرك هذه الحقيقة الاّ أن نراجع ما كتبه عنه المؤرخين وعلماء الرجال والأدباء الذين أجمعوا على اكباره واحترامه وتوثيقه ، لما توافر فيه من خصال العالم النّافذ البصيرة ، وروح الأديب العظيم الأمانة .

ويبدو أنّ الرضي اتّهم بالوضع بدافع العصبيّة المذهبيّة ، لأن في النهج أقوالا تمسّ الصحابة مثل ما ورد في الخطبة الشّقشقية ، وهي خطبة أثبتها كثير من أدباء عصر الرضي . وممّن رواها قبل عصر الرضي : رئيس المعتزلة في عصره ، أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبّائي (٣٠٣ / ٩١٥) ، والحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (٣٩٥ / ١٠٠٤) في كتاب (**المواعظ والزّواجر**) ، والصدوق بن بابوية القمّي في كتاب (**معاني الأخبار**) ، والشيخ المفيد في كتاب (**الارشاد**)[2] .

---

(١) راجع الباب الأول ، الفصل الرابع ، الصفحات : ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٢) السيد بحر العلوم . **الرجال** ، ٣٦/٣ . وعبد الله نعمة . **مصادر مصادر نهج البلاغة** ، ص/١٣١ ـ ١٣٢ .

وقد أكّد هذه الحقيقة ابن أبي الحديد في آخر شرحه للشقشقية[1] . وأورد السيّد هبة الدين الشّهرستاني طائفة من الأعلام الذين أوردوا في كتبهم الخطبة الشقشقية مروية عن الامام علي ، قبل أن يوجد الرضي[2] . فلا يمكن بعدما تقدّم أن ينسب هذا الكلام او شيء منه الى الرضي . ويكفي لازالة الشكّ والغموض حول هذه المسألة أن نقارن بين أسلوب النهج ، وأسلوب الرضي في رسائله النثرية ، فاذا استعرضنا خطبة من نهج البلاغة ، وشيئا من رسائل الرضي وجدنا فرقا شاسعا بين الديباجتين ، واختلافا بيّنا في الأسلوبين ، فالرضي يسجع قليلا ويزاوج كثيرا ، ويغلب عليه الطابع الشاعري والتأنق اللفظي ، ونرى شعار التوليد عليه ظاهرا . بينما نرى أسلوب النهج وما حواه من الخطب والكلام مغايرا لأسلوب الرضي . فاذا سبرنا ما في الكتاب ، وتعمّقنا في فهم معانيه أدركنا أنّ كلماته تصدر عن ذي دهاء في السياسة وخبرة في الأدب ، وعصمة في التقوى ، وعن نظرات فلسفية ثاقبة تدل على مقام ديني وعلمي رفيع ، فلا يستطيع الرضي أو غيره من بلوغ تلك الدّرجات . وقد تنبه لهذه الحقيقة ابن أبي الحديد قديما[3] ومحمد

---

(١) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ٦٩/١ ، حيث يقول : « . . . ووجدتُ انّا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي ، امام البغداديينّ من المعتزلة ، وكان في دولة المقتدر ، قبل أن يخلق الرضي بمدّة طويلة . . » وقد مرّ بنا ص ٢٨٤ ، رواية أستاذ ابن ابي الحديد مصدق بن شبيب الواسطي الذي قرأ الشقشقية على ابن لخشّاب ، وابن الخشّاب هذا من علماء اللغة والنحو والتفسير ، ومن الشعراء والأدباء توفي سنة ٥٦٧/١١٧١ .
أنظر الهادي آل كاشف الغطاء ، **مدارك نهج البلاغة** ، ص/٢٠٠ .

(٢) السيد هبة الدين الشهرستاني . **ما هو نهج البلاغة** . نقلا عن عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/١٣٢ .

(٣) حيث أعلن : « . . . وأنتَ اذا تأمّلت نهج البلاغة وجدتُه ماءً واحداً ، ونفساً واحداً =

عبده[1] ومحمد محي الدين عبد الحميد حديثا[2] .

وسنتناول فيما يلي حجج الشّاكين ، وردود المثبتين .

١ ـ حجج الشّاكين :

يرى بعض الدّارسين[3] أنّ ما ورد في كتاب نهج البلاغة لا يمثّل أدب الامام ، محتجا بما يلي :

١ ـ خلوّ الكتب الأدبيّة والتاريخية التي ظهرت قبل الرضي من كثير ممّا في نهج البلاغة .

٢ ـ ما ورد في بعض خطب الكتاب من دقائق الأفكار التي لا تناسب عصر الامام ، وكذلك اطالة الكلام الى حدّ لم يعرف في ذلك الوقت ، كما في عهد الأشتر النخعي ، ثم ما يوجد في الكتاب من

= وأسلوباً واحداً . . » لبن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ٢/٥٤٦ .

(١) « وليس في أهل هذه اللغة الاّ قائل بأن كلام الامام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيّه ، وأغزره مادّة ، وأرفعه أسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني . . » محمد عبده . مقدمة **نهج البلاغة** ، ١/١١ ـ ١٤ .

(٢) محمد محي الدين عبد الحميد ، شرح وتحقيق **نهج البلاغة** ، ١/٦ ، حيث ذكر : « . . ليس من شكّ عند أحد من أدباء هذا العصر ، ولا عند أحد ممّن تقدّمهم في أن ما تضمّنه الكتاب جارٍ على النهج المعروف عن أمير المؤمنين ، موافق للأسلوب الذي يحفظه الأدباء والعلماء من كلامه الموثوق بنسبته اليه . . » .

(٣) من هؤلاء الشّاكين نذكر على سبيل المثال : الذهبي في (**ميزان الاعتدال**) ، وابن تيميّة في (**منهاج السنّة**) ١/١٣ ، وأحمد امين في (**فجر الاسلام**) ، ص/١٤٨ ـ ١٤٩ . ومحمد كرد علي . في (**الاسلام والحضارة العربية**) ، ٢/٦١ (حيث ينقل عن ابن تيميّة) . ومحمد سيد الكيلاني في (**أثر التشيّع في الأدب العربي**) ، ص ٥٦ ، وغيرهم .

السّجع والتنميق اللّفظي ، علما أنّ هذه الصناعة اللفظية لم تعرف الّا في العصر العباسي . فضلا عمّا تردّد في الكتاب من أسلوب صوفي ، واستعمال ألفاظ كالوصيّ والوصاية ، ومصطلحات علميّة ، لم تعرف الّا في أزمان متأخّرة .

٣ ـ ما في النهج من قول جارح يمسّ بعض الصحابة ، مثل ما ورد في الشقشقية .

٤ ـ دقّة الوصف والمعاينة العلميّة ، كوصف الطاووس والجرادة والنملة ، واستعمال الاحصاءات العدديّة[١] . وهذا من آثار التأثّر بالتعريب ، ولم يكن معروفا او مألوفا في عصر الامام .

هذا مجمل ما يحيط بنهج البلاغة من شكوك ، وقد تصدّى لها فريق من العلماء ينقضونها ، ويدعمون آراءهم بالحجج والبراهين المضادّة ، لاثبات صحة الكتاب .

٢ ـ ردود المثبتين :

١ ـ أمّا بالنسبة لخلوّ الكتب الأدبية والتاريخية التي ألّفت قبل الرضي من كثير ممّا في النهج ، فان الواقع ينفي هذا الشكّ نفيا تاما ، فهناك مجامع اشتملت على عدد كبير من خطب الامام ورسائله ، كتبت قبل عصر الرضي ، وأكثرها يروي خطب الامام ورسائله بالأسانيد ، وقد أوردنا بضعة اسماء لتلك المؤلفات[٢] . وقد ذكر الرضي بعض المصادر

---

(١) كقوله : « الاستغفار على ستّة معان» و « الايمان على أربع دعائم » و « الصبر على أربع شعب » .

(٢) راجع ص ٢٨٠ و ٢٨٢ من هذا الفصل (مجاميع ألفت قبل عصر الرضي) .

التراثيّة التي تروي كلام علي وخطبه ، وقد سبق تأليفها زمن الرضي[1] .

وكان عبد الزّهراء الخطيب قد أحصى (١٠٩) مصادر مؤلفة قبل سنة ٤٠٠ / ١٠١٠ ـ وهي سنة جمع الشريف للنهج ـ قد استشهدت بكلام علي بن أبي طالب وخطبه ورسائله[2] ، ولم تبد أيّ شكّ في صحّة هذه النصوص للامام علي .

وعندما نقف على مؤلفات الرواة القدماء[3] الذين ذكروا شيئا من كلام علي وخطبه نزداد يقينا أن هذا الشكّ بعيد عن الجدّية والموضوعية[4] .

٢ ـ انّ الطّول والقصر في الخطبة والعهد والرسالة يرتبط بمناسبة الكلام ، وقد عرّف العلماء البلاغة : بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فالكاتب يوجز أو يسهب وفقا للظروف التي يكتب فيها رسالته . وقد تنبّه زكي مبارك لأسلوب الامام علي ، فالمناسبات التي يطيل فيها ، عندما يكتب عهدا يبيّن فيه ما يجب على الحاكم في سياسة

---

(١) روى الرضي عن بعضها مصرّحا باسمه : كالبيان والتبيين للجاحظ ، والمغازي لسعيد ابن يحي الأموي ، والمقتضب للمبرّد ، وتاريخ الطبري . . .

(٢) عبد الزهراء الخطيب الحسيني . مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ١/ ٢٧ ـ ٣٧ .

(٣) ومن جملة أولئك الرواة : المفضّل الضبيّ ١٦٨/ ٧٨٠ . نصر بن مزاحم ٢٠٢/ ٨١٤ القاسم بن سلام ٢٢٣/ ٨٣٥ ـ الجاحظ ٢٥٥/ ٨٦٨ ـ الزبير بن بكّار ٢٥٦/ ٨٦٩ المبرّد ٢٥٨/ ٨٧١ ـ ابن قتيبة ٢٧٦/ ٨٨٧ ـ البلاذري ٢٧٩/ ٨٩٠ ـ والطبري ٣١٠/ ٩٢١ . . .

(٤) محمد حسن آل ياسين . نهج البلاغة لمن ، ص/ ٤٠ . الهادي آل كاشف الغطاء . مدارك نهج البلاغة ، ص/ ٢٢٠ . عبد الله نعمة . مصادر نهج البلاغة ، ص/ ٦٨ .

القطر الذي يرعاه ، ويوجز حين يكتب الى بعض خواصّه في شأن معين لا يقتضي التّطويل[1] . وانّ عهد الامام علي للأشتر حين ولّاه مصر ، هو مجموعة قوانين وأحكام سنّها لبيان : علاقة الحاكم بالمحكوم ، وبالولاة وبالقضاة وبالقوّاد والعمّال ، وبالتجّار والصنّاع ، والجنود ، وبالرعيّة بشكل عام ، ومن هنا اقتضى بيانها هذا الطّول وهذا الاسهاب[2] .

ولم يكن السجع والازدواج جديدا في ذلك العصر ، فهو أسلوب القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، فقد روى المحدّثون والمؤرخون سجعا وازدواجا في كلام النبيّ ، وكلمات بعض الصحابة[3] ، وقد سار الجميع على هدى القرآن وتأثروا بأسلوبه[4] .

ولم يكن الامام متصوّفا ، بل كان زاهدا يحثّ على ترك الدنيا والاستسلام لشهواتها وملذّاتها ، والانسياق خلف المطامع والأهواء ، ذلك كله يعكس معاني القرآن والحديث في الزهد الاسلامي والقائم على العمل في كلّ ما يقرّب من الله والآخرة .

وان كلمة الوصيّة ومشتقّاتها قد تكرّرت في القرآن الكريم عدّة مرات[5]

---

(١) زكي مبارك . **النّثر الفنّي** ، ١/٥٨ .

(٢) ذكر الشيخ عبد الله نعمة في كتابه : **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٩٧ ، مجموعة من الرّواة الذين رووا عهد الامام علي للأشتر النخعي ومنهم : الأصبغ بن نباتة وهو من خاصّة الامام ، وابن شعبة الذي كان موجودا قبل ولادة الرضي ، وأبو حنيفة النعمان في كتابه **دعائم الاسلام** .

(٣) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ١/١٢٨ .

(٤) زكي مبارك . **النثر الفني** ، ١/٦٩ .

(٥) في سورة البقرة ، /١٨٢ ، والنساء /١١ و١٢ والمائدة /١٠٦ وغيرها .

كما تكرّرت في كلام النبيّ مرّات أيضا[1] . وقد استعملها الجيل الأول من المسلمين بمعناها الخاص الذي نعنيه[2] .

٣ ـ وأمّا القول بأنّ كلمات الذم التي وردت في الخطبة الشقشقية والتي تمسّ بعض الصحابة لا يليق صدورها عن رجل مثل علي في دينه وعلمه وتقواه ، يخالف الواقع من عدّة وجوه : فقد عدّدنا طائفة من الرّواة الذين رووا الخطبة الشقشقية قبل عصر الرضي[3] .

ان المنافسة السياسية التي ظهرت بين الصحابة بعد وفاة الرسول أدّت الى خصومات شديدة بين المسلمين ، كالتي ظهرت يوم السّقيفة بين المهاجرين والأنصار ، حتى أدّى ذلك الى التهديد بالقتل وشهر السلاح ، والشّتم والسبّ ، ولا ننسى نقمة المسلمين على الخليفة عثمان وبخاصة المهاجرين حتى قالت السيّدة عائشة : « اقتلوا نعثلا قتله الله »[4] .

لذلك مدح الامام علي من يستحق منهم ، فقد روى الرضي في النهج كلمة الامام علي في مدح الخليفة عمر بن الخطاب[5] ، كما ذكر ذمّ علي لبعض الصحابة ، الذين شهروا السلاح في وجهه ، وأعلنو الحرب عليه ، وكان منهم من يودّ قتله وسفك دمه .

---

(١) منها ما أعلنه الرسول يوم الدار : « هذا أخي وخليفتي من بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا » . عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/١١٧ . ومنها ما أعلنه في اجتماع الأنذار عندما قال النبيّ : « فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم ؟ فأحجم القوم عنها جميعا ، فقام علي فقال : أنا يا نبيّ الله . . » **تاريخ** الطبري ، ٢/٣١٩ . ابن الأثير . **الكامل** ، ٢/٤١ .

(٢) محمد حسن آل ياسين . **نهج البلاغة** . لمن ، ص ٤١ .

(٣) راجع الصفحات : ٢٨٤ و ٢٩١ من هذا الفصل .

(٤) عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٧٠ .

(٥) حيث قال : « لله بلا عمر ، فقد قوم الأود ، وأقام العمد . . » . عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٧٢ .

لذلك لا يحمل الذم لبعض الصحابة على الشّك في صحّة انتساب ، الكلام اليه ، خصوصا وأن هذه التعريضات تعبير عن المرارة والحرمان اللذين يشعر بهما ، ويشكو الحيف والغبن ، ويبدي تظلّمه ، وشعوره بالألم في تلك الحقبة[1] .

٤ ـ انّ الوصف الدقيق والتأمل العميق لم يكن في يوم من الأيام مقصورا على فئة من الناس ، ولا غرابة أن يستخلص الامام علي العبرة من خلق الطّاووس للدلالة على عظمة الخالق وحكمته . أمّا متى شاهد الطاووس ، فقد رآه بالكوفة ، « وكانت عاصمة الخلافة ، وتجبى اليها الثمرات ، وتأتي اليها هدايا الملوك من الآفاق »[2] .

لقد تأمّل الامام هذا الطائر بدقّة ، وعاينه معاينة العالم ، وخرج من ذلك كله بما ذكره في خطبته الواردة في نهج البلاغة ، وقد أشار في خلالها الى معنى الملاحظة الفاحصة المبيّنة على المشاهدة العميقة والرؤ ية الدقيقة فقال :

« أحيلك من ذلك على معاينة . . »[3] . لقد كان الامام علي في ذلك كله ، دقيق الملاحظة بأكثر ممّا كان عليه أهل عصره .

أمّا القول : بأنّ التقسيمات العددية الواردة في النهج تبعث على الشك ، لأنها لم تعرف الاّ بعد أن نقلت الفلسفة اليونانية الى العربية وبعد أن دوّنت العلوم[4] ، فهو مخالف للواقع تماما ، فقد ورد في

---

(١) محمد حسن آل ياسين . **نهج البلاغة** . . لمن ، ص/٤٢ .

(٢) ابن أبي الحديد . **شرح نهج البلاغة** ، ٢/٤٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ١/٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

(٤) أورد هذا الشك أحمد أمين في **فجر الاسلام** ، ص/١٤٩ .

المأثور من كلام النبي محمد : « ثلاثة لا يكاد يسلم منهن أحد . . »[1] ، « أوصاني ربّي بتسع وأنا أوصيكم بها . . »[2] .

وورد عن الخليفة أبي بكر : « ثلاث فعلتهنّ ووددت أنّي تركتهنّ وثلاث تركتهنّ ووددت أني فعلتهنّ ، وثلاث وددت أني سألت رسول الله عنهنّ ، فأمّا الثلاث . . . »[3] ، وورد عن الخليفة عمر : « النساء ثلاث »[4] ، « والانسان لا يتعلّم العلم لثلاث ، ولا يتركه لثلاث . . . »[5] .

الى كثير من أمثال ذلك ، ممّا هو مروي عن الصحابة والتابعين وغيرهم ، فهل ذلك كلّه لا يعني تقسيمات عددّية ؟ أم أنّ الرضي هو الذي وضعه ونحله الى جدّه ، الامام علي ؟ .

ويبدو أن الشك في نهج البلاغة ، أو دعوى انه منحول ليس بجديد ، بل انه كان قبل عصر شارح النهج أبن أبي الحديد في أوائل القرن السابع الهجري ، القرن الثالث عشر الميلادي ، فقد قال الشارح المذكور : « انّ كثيرا من أرباب الهوى يقولون انّ كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث ، صنعه قوم من فصحاء الشيعة ، وربما عزوا بعضه الى الرضي أبي الحسن وغيره . . »[6] .

---

(١) ابن عبد ربه . العقد الفريد ، ٢/٣٠٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢/٤١٧ .
(٣) الطبري : في تاريخه ، ٣/ ٤٣٠ ـ ٤٣١ .
(٤) محمد حسن آل ياسين . نهج البلاغة . . . لمن ، ص/٥٠ .
(٥) المرجع نفسه ، ص/٥٠ .
(٦) ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة ، ٢/٥٤٦ . عبد الله نعمة مصادر نهج البلاغة ، ص/ ٤١ .

و ـ قيمة نهج البلاغة :

يعتبر نهج البلاغة عند العلماء والمفكرين والأدباء احدى الذّخائر الاسلامية بعد كتاب الله ، والسّنة النبوية ، ومن المصادر الأدبية والفكرية والدينيّة التي احتلت مركزا مرموقا في المكتبة العربية ، بل ترجم الى عدّة لغات أجنبية ، ودارت حوله دراسات وتعليقات مختلفة قديما وحديثا ، وقد حفظه الكثير من العلماء ورجال الفقه كما يحفظون القرآن[1] ، وكثرت الشروح حوله ومنهم من شرحه وترجمه الى الفارسية نظما ونثرا[2] .

ولا ننسى ما أحدثه الكتاب من ضجّة في الأوساط العلمية والأدبية والفكرية ، فانبرت الأقلام تفنّد موضوعاته ، وتشكّك في بعض خطبه وعهوده وشحذت الهمم للدفاع عنه واثبات صحّة هويته ، وألّفت الكتب العديدة التي تبحث في مصادره وأسانيده . فقد شغل المؤرخين والنقّاد منذ ظهوره الى يومنا هذا ، وانشطر الأدباء بين مؤيّد ومخاصم له[3] ، وفتح باب النقد على مصراعيه ، وكان لنشره فضل كبير على الفصحاء والخطباء ، فقد اقتدوا به ، وعلى منواله نسجوا ، والى ذلك أشار الرضي في مقدمته[4] .

---

(١) **الشيخ الأميني** . **الغدير** ، ٤/١٧٠ ، نقلا عن ابن الجوزي في **المنتظم** ، وابن كثير في **تاريخه** .

(٢) الشيخ الأميني . **الغدير** ٤ / ١٧١ حيث ذكر أنّ من شرّاحه ميرزا محمد علي الأنصاري القمّي الذي ترجمه نظماً ونثراً بالفارسية في عدة مجلّدات . وقد ذكر النوري في مستدرك الوسائل ٣ / ٥١٠ «أن العالم المحدث الجليل السيد عبد الله بن السيد محمد رضا بشر الحسيني شرحه بما يقرب من أربعين ألف بيت ٣٢٠٠٠ .

(٣) عبد المسيح محفوظ . **الشريف الرضي** ، ص/٣ .

(٤) الشريف الرضي . **مقدمة نهج البلاغة** ، ١/٨ ، ذكر الرضي أن الامام علي : =

فندرك من ذلك كله فضل الرضي ، ونقدّر جهوده ، فلولاه لفقد الأدب العربي والفكر العربي معظم أقوال علي وخطبه ، كما فقد الكثير من التراث القديم . وسنذكر فيما يلي : شروح النهج وقيمه الأدبية والدينيّة والتاريخيّة .

١ ـ شروح النّهج :

لقد رزق هذا الكتاب حظوة يندر ان يظفر بها كتاب سواه من كتب الأدب العربي ، فقد طبع مرارا في بيروت ومصر والشام وايران والعراق ، وشرحه كثير من العلماء والمفكّرين ، وطبعت شروحه المختصرة والمطوّلة[١] .

وتبلغ شروح نهج البلاغة بالعربية والفارسية والهندية أكثر من أربعين شرحا[٢] ، بينما يزيد هذا العدد عند مؤلف آخر الى أكثر من خمسين شرحا[٣] أمّا الأميني فقد أحصى أكثر من سبعين شرحا[٤] ، و ١٠١ شرحا عند عبد الزهراء الخطيب[٥] .

ومن أشهر هذه الشروح وأوفاها ـ

ـ شرح عز الدين بن أبي الحديد المدائني ٦٥٥ / ١٢٥٧ ، فهو

= « مشرع الفصاحة ومواردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه ـ عليه السلام ـ ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب . . . » .

(١) مقدمة الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد . **نهج البلاغة** ، ١٠/١ .

(٢) الهادي آل كاشف الغطاء . **مدارك نهج البلاغة** ، ص/٢٢٧ .

(٣) هبة الدين الشّهرستاني . **ما هو نهج البلاغة** ، ذكر ذلك الشيخ صبحي الصالح في **نهج البلاغة** ، ١٢/١ .

(٤) الشيخ الأميني . **الغدير** ، ١٨٥/٤ .

(٥) عبد الزهراء الخطيب . **مصادر نهج البلاغة وأسانيده** ، ٢٤٨/١ .

موسوعة ثقافية ، شرع في تأليفه في شهر رجب من سنة ٦٤٤ / ١٢٤٦ ، وأتمّه في آخر صفر سنة ٦٤٩ / ١٢٥١ ، وكان فقيها أصوليا معتزليا ، كما كان أديبا ناقدا . ويعدّ هذا الشرح من ذخائر اللغة العربية ، ففيه فوائد أدبيّة ولغوية وتاريخيّة وفقهيّة لا يستهان بها ، ويرجع ذلك الى طاقة الشارح الضخمة والى ما كان يتمتّع به من حسّ أدبي وعلمي فريد[١] .

وتعتبر نسخة محمد أبو الفضل ابراهيم التي تقع في عشرين جزءا طبعة علمية ممتازة لشرح ابن أبي الحديد ، رجع فيها المحقّق الى نسخ مخطوطة مصورة عن أصولها المحفوظة في مكتبة المتحف البريطاني ، ومكتبة الفاتيكان ، والمكتبة الظاهرية . . . وقد استغرقت طباعة الكتاب نحوخمس سنوات (١٩٥٩ ـ ١٩٦٤) .

ثم شرح الشيخ محمد عبده المتوفي سنة ١٣٢٣ / ١٩٠٥ ، وهو شرح موجز ومفيد ، لأنّ عشرات الطبعات استندت الى النّص الذي أثبته ، واكتفت بالشرح الذي اقتبسه وانتقاه[٢] .

وكان من شارحيه المعتزلي والأشعري ، والحنفي والشافعي ، والشيعي والزّيدي وغيرهم ، كما اهتمّ به : الفيلسوف والمتكلّم ، والمحدّث والفقيه ، والمؤرّخ والأديب واللغوي ، نظرا لقيمة الكتاب الأدبيّة والدينيّة والتاريخيّة .

---

(١) زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي** ، ١/٢٢٥ .

(٢) طبع نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده طبعات عدّة في مصر وبيروت وغيرها ، نذكر منها : طبعة الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد في القاهرة ١٣٢١/١٩٠٣ ، وطبعة عبد العزيز سيد الأهل في بيروت ١٣٠٣/١٨٨٥ م .
ولعل أقدم طبعة لنهج البلاغة ، طبعت في تبريز سنة ١٢٤٧/١٨٢٩ طبع حجر ، كما ذكر يوسف سركيس في **معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة** ، ص/١١٢٥ .

٢ ـ قيمته الأدبيّة :

نهج البلاغة مصدر من مصادر الأدب والبلاغة ، العربية ، نهل منه الكثير من أدباء اللغة ومفكريها ، قديما وحديثا . قديما استعان به أدباء العربية كعبد الله بن المقفّع[١] ، وعبد الحميد الكاتب[٢] ، وابن نباتة صاحب الخطب[٣] ، وغيرهم من الكتّاب والبلغاء فاقتدوا به ، وزيّنوا خطبهم ومؤلفاتهم بنماذج من أمثاله وحكمه وخطبه .

وعدّ الكتاب وثيقة أدبيّة وثروة لغوية ، تؤرّخ اللغة في ذلك العهد ، كما كان جمع الكتاب خدمة كبرى أدّاها الرضي الى اللغة والأدب والسياسة والأخلاق . ونهج البلاغة موسوعة أدبية بلاغية ، غني بتراكيبه ومفرداته ، بليغ في معانيه وأسلوبه ، فخطبه الحماسية تهزّ المشاعر وتثير النفوس ، وحكمه ومواعظه جوامع كلم قصيرة يسهل حفظها والتمثّل بها في المواقف المتشابهة .

ومن فوائده أيضا ظهور الشروح والتعليقات والتفسيرات المختلفة

---

(١) عبد الله بن المقفّع ١٤٢/٧٥٤ ـ قال حسن السندوبي : « والظّاهر ان ابن المقفع قد تخرّج في البلاغة على خطب الأمام علي ، ولذلك كان يقول : شربت من الخطب ريّا ولم أضبط لها رويّا ، ففاضت ثم فاضت ، فلا هي نظاما وليس غيرها كلاما » . **البيان والتبيين** ، ١/١٠٩ .

(٢) عبد الحميد الكاتب قتل سنة ١٣٢/٧٤٤ ـ قال : « حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع (يعني علي بن أبي طالب) ففاضت ثم فاضت » ، وقيل له : ما الذي خرّجك في البلاغة ؟ قال : خطب الأصلع . عبد الله نعمة . **مصادر نهج البلاغة** ، ص/٢٦ . نقلا عن **ثمار القلوب** للثعالبي ، ص/١٧٩ .

(٣) ابن نباته الخطيب من أساتذة الرضي توفي سنة ٣٧٤/٩٨٥ ـ قال : « حفظت من الخطابة كنزا لا يزيده الانفاق الّا سعة ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب » . ابن ابي الحديد ـ **شرح نهج البلاغة** ، ١/٨ .

لـه ، وخاصـة شرح ابن الحـديد ، ففيـه فوائـد لغويـة وأدبية وتـاريخيّـة وفقهيّة ، واشتمل على معان دقيقة وأفكار متنوعة غذّت النفوس والعقول على السّواء .

٣ ـ قيمته الدينيّة :

وكما كان نهج البلاغة مصـدرا كبيرا من مصـادر الأدب والبلاغـة ، كذلك هو مصدر للفقه والزهد ، والعقائد وآراء الفرق الكـلامية . فهـو من هـذه الناحيـة غنيّ بأصـول التوحيـد والكلام الاسـلاميّين ، واحـد الروافد الكبيرة للفكر الاسلامي في جميع جوانبه الاجتمـاعية والأخـلاقية والدينيّة وغيرها .

ويمثل كذلك الكثير من آراء الشيعة واتجاهاتهم المذهبيّة تمثيلا صريحا واضحا ، وخاصة حو مسألة الخلافة ، ومكانة أهـل البيت وعصمتهم ، والتوحيد وتنـزيه الخـالق ، وصفاتـه والعدل ، والجبـر والاختيار ومـا الى ذلك من أفكار فلسفية ودينيّة .

وتأتي قيمة الكتاب في الدرجة الأولى بعد القـرآن وأحاديث النبي ، ليس بالنسبة للحياة الدينيّة في التشيّع وحسب ، بل بالنسبة لما في التشيّع من فكر فلسفي . ويمكن اعتبار نهج البلاغة منهـلا من أهم المناهـل التي استقى منها المفكرون الشيعة[1] .

فقد أثار هذا الكتاب اهتمام المفكرين مسلمـين وغيرهم ، فعكفـوا على شرحه وتفسيره ، على اختلاف نزعاتهم ومـذاهبهم ، لأن المعرفـة لا تعرف المذاهب والهويات .

---

(١) محمـد حسن ال يـاسـين . **نهج البـلاغـة لمن** . . . ، ص/٦٥ . نقـلا عن هنـري كوربان . **تاريخ الفلسفة الاسلامية** ؛ ص/٨٠ .

وقد اشتمل الكتاب على قواعد أخلاقية : كالزهد والعبادة والتقوى ، والوعظ ، والنصح والارشاد ، ففي هذا الكتاب « حاجة العالم والمتعلّم ، وبغية البليغ والزاهد ، ويمضي في أثنائه من الكلام في التوحيد والعدل ، وتنزيه الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن شبه الخلق ، ما هو بلال كل غلّة ، وجلاء كل شبهة »[1] .

٤ ـ قيمته التاريخية :

نجد في كلام الامام علي المروي في النهج انعكاسات حيّة لما كان يعانيه المجتمع الاسلامي في تلك الفترة من أحداث كثيرة في الدين والعقيدة والسياسة والأخلاق وغيرها .

لذلك رأيناه يعالج تلك المشاكل في كثير من خطبه وكلامه بمنطق المعلم المرشد ، وبروح المؤمن المدرك . لذا رأينا هذا النوع من كلامه قد استبدّ بكثير من صفحات نهج البلاغة ، وخاصة الرسائل والخطب السياسيّة فقد سجّلها المؤرّخون ورووها ، وبالأخص الخطب المتبادلة بين الامام علي وبين خصومه السياسيين ، وكذا الخطب التي يحرّض فيها أتباعه على الثبات في المعارك ، فقد كانت الظروف السياسيّة حادّة وصعبة .

وأدت الخلافات الى حرب الجَمل وصفّين والنّهروان ، وحادثة مقتل الخليفة عثمان ، وما رافقها من أحداث مختلفة . وكانت الفترة التي عاشها الامام حافلة بضروب الأحداث السياسية الضّخمة ، ذات الآثار البعيدة في تاريخ الاسلام ، كأحداث السّقيفة وأحداث الشّورى ،

---

(١) نهج البلاغة ، مقدمة الرضي ، ٢٢/١ .
بغية : ما يبتغي ـ الغلّة : العطش ـ بلالها : ما تبلّ به وتروى .

وغيرها مما تقدّم ، ذلك كله ترك في نفسه صدى مريرا ، برز في طائفة كبيرة من خطبه ورسائلة وكلماته . وعكست تلك الأحداث حقيقة المحنة التي عاشها طوال حياته .

من هنا نجد في الكثير من خطبه وعهوده ورسائله ترجمة عملية للأحداث التي جرت في أيامه ، وعاش في ظلالها ، كما نجده صاحب شخصية واحدة ، يوم كان محكوما ، ويوم كان حاكما ، في السلم وفي الحرب ، فهو : موّجه مخلص يأمر بالخير والحق والعدل ، وهذا هو الاطار الأساسي الذي يدور فيه كلامه ، حين يندّد ويتوعّد ويهدّد ، وحتى حين يخطب في الحرب ويأمر بخوض المعركة ، وحتى حين يغلب وينتصر .

وتتجلّى قيمة الكتاب بشكل خاص كوثيقة تاريخية تصوّر النضال السياسي في مطلع العصر الأموي ، ونشوء الأحزاب السياسيّة ، والفرق الدينية المختلفة وقضية الخلافة وما تركته من شقاق في صفوف الأمة الأسلامية ، وتصور كذلك ما فهمه العرب من أصول السياسة والمعاش وتدبير الملك في أعقاب عصر النبوّة .

ونهج البلاغة أشهر مجموعة حفظت من عصر الخلفاء ، تؤرّخ للحياة السياسيّة والأدبية والفكرية في تلك الحقبة . من هذه الخصائص كلها ندرك فضل الرضي وقيمة عمله في خدمة الأدب واللغة والأخلاق بجمع أصول ذلك الكتاب الفريد[1] .

---

(١) زكي مبارك . عبقرية الشريف الرضي ، ١/٢٢٥ .

الفصل الثاني

بلاغة الرضي وبيانه من خلال (تلخيص البيان) و (المجازات النبوية)

كان الرضي في باب البلاغة من الروّاد في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، في كتابيه الشهيرين : **تلخيص البيان عن مجازات القرآن** و **مجازات الآثار النبوية** . وكانت مهمته في القرآن والحديث هي الكشف عمّا فيهما من وجوه البيان وضروب البلاغة والفصاحة . لقد تحقّق للقرآن الكريم الاعجاز ، مع أن ألفاظه لم تخرج عمّا ألفه العرب من ألفاظ ، وما دار في لغتهم من كلمات وتحقّق للحديث النبوي ذلك المقام البلاغي ، لأن الرسول أوتي الحكمة وجوامع الكلم .

وجد الرضي نفسه أمام مصدرين مهمّين من مصادر البلاغة العربية ، فصرف جهوده واهتمامه لخدمة هذين الكتابين الثمينين عند المسلمين والعرب ، وتتبعهما تتبّع دارس لهما مفتون بهما ، ليكشف عمّا في كل منهما من جمال التعبير ، وروعة البيان ، وسحر البلاغة . وتلك خدمة جليلة من الرضي للبيان العربي ، لأنه مهّد الطريق ـ بتلك الدراسة البلاغية للقرآن والحديث ـ لمن جاء بعده من علماء البلاغة النظريّين[1] .

---

(١) زكي بمارك . **عبقرية الشريف الرضي** ، ٢٠٧/١ حيث يرى : « أن الرضي قد مهّد =

وقد ألّف الرضي كتاب (**تلخيص البيان**) قبل كتاب (**المجازات النبوية**) ، فاستحسنه الناس لأنه سلك فيه محجّة لم تعرف ، وطرق أبوابا لم تطرق ، فرغبوا اليه أن يؤلف لهم على مثاله ما يكون لحديث رسول الله مفصحا عن فصاحته ، مبيّنا عن دقائق اشارته[1] . وقد ألّفه الرضي سنة ٤٠١ / ١٠١٠ ، وضمّنه ما في القرآن من استعارات على حسب ترتيب السّور .

وسنقسّم هذا الفصل الى مبحثين : الرضي و (**تلخيص البيان**) ، الرضي و (**المجازات النبوية**) .

= السبيل لعبد القاهر الجرجاني ، فعبد القاهر تلميذ الشريف في الميادين البيانية ، وليس كتاب (**دلائلا ل الاعجاز**) الّا خطوة ثانية بعد كتاب (**المجازات النبوية**) . وان كان الجرجاني أقدر من الرضي على الافاضة والاستقصاء » .

(١) الشريف الرضي . **مقدّمة المجازات النبوية** ، ص/٣ .

المبحث الأول : الشريف الرضي وكتاب « تلخيص البيان » .

أ ـ قضية المجازات في القرآن قبل الرضي :

نتناول قضية المجازات في القرآن قبل الرضي ، لنحدّد نقطة انطلاق الرضي ، ثم نبيّن موقف الشريف الرضي من مجازات القرآن ، وقيمة الكتاب .

١ ـ القرآن بين الحقيقة والمجاز :

لم يكن قبول فكرة المجاز في القرآن الكريم أمرا سهلا عند المسلمين جميعا ، فهم مجمعون ـ على اختلاف مللهم ونحلهم ـ على وقوع الحقيقة فيه . والحقيقة عندهم هي كل لفظ بقي على موضوعه دون تقديم وتأخير فيه . أما المجاز ـ المقابل للحقيقية ـ فمعظم المسلمين مقرّون بوقوعه في القرآن الكريم ، ولا ينكره الّا القليل[1] . واعتقاد هؤلاء أنّ المجاز غير الحقيقة ، فهو كذب ، والقرآن منزّه عن الكذب ، كما أنّ

---

(١) ومن هؤلاء : **الظاهرية** : الذين يأخذون بظاهر الكتاب والسنّة ، وابن القاصّ من الشافعية ، وابن خويز منداد من المالكية ، وابن حزم الأندلسي .
محمّد عبد الغني حسن . **مقدّمة تلخيص البيان** ، ص/٥٥ .

المتكلّم لا ينصرف عن الحقيقة الى المجاز الاّ اذا ضاقت بـه الحقيقة ، أو عجز عن التعبير بها فيستعير ، وذلك محال على الله تعالى القادر المنزّه عن العجز .

هذه هي حجج المنكرين لوقـوع المجاز اللغـوي والعقلي في القـرآن الكريم . وقد ردّ على هذه المسألة جماعة من علماء المسلمين[1] . وأوردوا حججا وبراهين قاطعة في هذا المجـال : ـ فلو كان المجـاز كذبـا ، لكان أكثر كلامنا فاسدا .

ـ ولـو سقط المجاز من القـرآن ، لـذهب منـه شـطره الحسن ، لان المجاز أبلغ من الحقيقة . والظاهرية[2] ينكرون وقوع المجاز في القرآن ، الاّ ما كان منه مشهورا ، وكـانت القرينـة واضحة معلنـة عنه ، كـاشفة

---

(١) ومن الذين ردّوا على المنكرين : ابن قتيبة أبو محمّد عبـد الله بن مسلم ٢٧٦/٨٨٩ ، الـذي يقول بحـرارة في كتابـه : تأويـل **مشكل القـرآن** ص ٧٥ : « ولو كـان المجـاز كذبا . . . كـان كلامنـا فـاسدا ، لأنّـا نقول : نبت البقـل وطالـت الشجـرة ، وأينعت الثمـرة ، وأقام الجبـل ، ورخص السّعر ، ونقـول كان هـذا الفعل منـك في وقت كذا وكذا ، والعقل لم يكن وانما كوّن » . المصدر نفسه ص ٥٦ . وجلال الدين السيوطي ٩١١/١٥٠٥ ، حيث يقول : « وهذه شبهة بـاطلة . . . فقد اتفق البلغـاء عـلى أنّ المجاز أبلغ من الحقيقـة ، ولو وجب خلوّ القـرآن من المجـاز وجب خلوّه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيـرها » . السيـوطي . **الاتقان في علوم القـرآن** ، ٢/٣٦ .

(٢) الظاهرية : هم أتباع داود بن عـلي الظاهـري ٢٧٠/٩٢٤ ، وعذرهم في انكـار وقوع المجاز في القرآن ، تمسّكهم بظاهر الكتاب والسنّة ، كما يدل على ذلك اسمهم . وقـد جرى ابن حزم الاندلسي ٤٥٦/١١٠٤ مجرى الامام داود الظاهري في الأخذ بـالمجاز المشهور الواضح وعدم التأويل فيه ، فان المجاز لا يخرج الكلام عن الدلالـة الظاهـرة الواضحة المبيّنة ، ما دامت له قرينة واضحة . أنـظر كتاب الشيـخ محمّد أبـو زهرة . **ابن حزم حياته وعصره** ، ص/٢٢٦ .

له ، فاذا غمض المجاز ، أو خفيت القرينة فانهم لا يأخذون بـه ، لأنهم يتمسّكون بظاهر الكتاب والسنّة[1] .

٢ ـ أبو عبيدة ومجازات القرآن :

لعلّ أول كتاب وأقدمه في مجازات القرآن هو الذي صنّفه أبو عبيدة[2] ، وبهذا العنوان . والمتفحّص لكتابه يرى بوضوح أنه يعني بالمجاز تفسير المعنى للألفاظ القرآنية . فأبو عبيدة يتناول القرآن كلّه سورة سورة ، فيعرض ما في كل سورة من الألفاظ يشرحها لغويّا ، ويفسّر غريبها ويقيم اعرابها ، ذاكرا من الشعر العربي الفصيح ما يؤيّد المعنى الذي ذهب اليه . فالمجاز عنده هو تفسير المعنى من غير النظر الى الاصطلاح البياني ، الذي لم يظهر في القرن الثاني الهجري ، ولفظة « المجاز » عنده لا يمكن أن توضع اصطلاحا في مقابل « الحقيقة » ، كما فعل البيانيون في تقسيم الكلام الى حقيقة ومجاز ، وهي تساوي عنده طريق الجواز الى فهم اللفظة القرآنية ، فأبو عبيدة يفسّر ألفاظ القرآن على طريقة اللغويّين لا البيانيين . انّ المجاز البيانيّ المقابل للحقيقة لم يكن في حسبانه وهو يصنّف في مجازات القرآن ، وأن عنوان الكتاب قد يوهم القاريء بأنه أوّل من ألّف في المجاز البياني للقرآن .

لذلك فكتاب أبي عبيدة أقرب الى تفسير غريب القرآن منه الى الكشف عن وجوه البيان فيه بالمعنى الذي يريده علماء البيان ، بل هو

---

(١) محمد عبد الغني حسن . **تلخيص البيان** ، ص/٥٦ .

(٢) هو معمر بن المثنى ٢٠٩/٨٦٥ ، ترك طائفة من الكتب زادت على المائة ، كما عدّها صاحب **الفهرست** ، ابن النديم ص ٥١ . وقد طبع كتابه « **مجاز القرآن** » طبعة محقّقة ، وهو من كبار اللغويين والنحويين .

معجم لمعاني القرآن[1] . فهو يصرّح في مقدّمة كتابه بمقاصده قائلا :

« فلم يحتج السّلف ولا الذين أدركوا وحيه الى النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يسألو عن معانيه ، لأنهم كانوا عرب الألسن ، فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه ، وعمّا فيه ممّا في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص . وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الاعراب ، ومن الغريب والمعاني »[2] .

وسنقدّم بعض الأمثلة من كتاب أبي عبيدة لتأكيد ما ذهبنا اليه . من ذلك رأيه في مجاز قوله تعالى ﴿ **عذاب أليم** ﴾ : « أي موجع من الألم وهو في موضع مفعل ، قال ذو الرمّة :

وَيرفع في صدور شمردلاتٍ يصكّ وجوهَها وَهجٌ أليمُ » .

أو كقوله في تفسير ﴿ **في طغيانهم يعمهون** ﴾[3] أي بغيِّهم وكفرهم ، يقال : رجل عمِهٌ وعامِهٌ : أي جائر عن الحق[4] .

٣ ـ الجاحظ ومجازات القرآن :

لعلّ الجاحظ[5] هو أول من استعمل المجاز في القرآن الكريم بالمعنى المقابل للحقيقة ، على نحو يقرب من استعمال البيانيين

---

(١) محمد عبد الغني حسن . **تلخيص البيان** ، ص/٧ .

(٢) أبو عبيدة . **مجازات القرآن** ، ص/٨ . سورة آل عمران ، ٣/٧٧ .

(٣) سورة البقرة ، ٢/١٥ .

(٤) الشّمردلة : الطويلة من كل شيء . المصدر نفسه ص / ١٠ .

(٥) هو ابن عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، الملقّب بالجاحظ ٢٥٥/ ٨٦٨ ، من أشهر مؤلفاته : « الحيوان ، » « البيان والتبيين » ، و « البخلاء » . . .

المتأخرين ، وبهذا يكون أبو عثمان أول مصنّف عربي استعمل لفظتي المجاز والاستعارة بمعنى يتّفق مع قصد البلاغيين المحدثين . فنراه في مواطن متفرّقة من كتابيه : (**الحيوان ، والبيان والتبيين**) يشير الى المجاز والاستعارة . لذلك يعدّ الجاحظ أول رائد للبلاغة العربية ، بمعناها الاصطلاحي الذي أخذ يتطوّر مع الزمن حتى بلغ قمّته على يد الجرجاني والسّكاكي وابن الأثير وغيرهم من اعلام البلاغة الفنيّة[1] . ومن أوائل اللمع البيانية عند الجاحظ قوله في (**الحيوان**) : (باب آخر في المجاز والتشبيه بالأكل ، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **انّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾ ، وقوله عزّ اسمه : ﴿ **أكّالون للسُّحْتِ** ﴾ ، وقد يقال لهم ذلك وان شربوا بتلك الأموال الأنبذة ، ولبسوا الحلل ، وركبوا الدّواب ، ولم ينفقوا منها درهما واحدا في سبيل الأكل . وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **انما يأكلون في بطونهم نارا** ﴾ وهذا مجاز آخر)[2] .

وقال الله تعالى : ﴿ **إن الله مُبتليكُم بنهرٍ ، فَمن شرب منه فليس منّي ، ومَن لَم يَطْعَمْه فانه منّي** ﴾[3] . يريد : لم يذق طعمه . فالمجاز عند الجاحظ هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له ، على سبيل التوسّع من أهل اللغة ، ثقة من القائل بفهم السامع . أما لفظة الاستعارة التي

---

(١) عبد القاهر الجرجاني ٤٧١/ ١٠٧٨ وهو مؤلف « أسرار البلاغة » في علم البيان و « دلائل الإعجاز » في علم المعاني ، السّكاكي ٦٢٦/ ١٢٢٨ وكتابه المشهور « مفتاح العلوم » ، ضياء الدين بن الأثير ٦٣٧ / ١٢٣٩ صاحب : « المثل السائر » و « البرهان في علم البيان » .

(٢) الجاحظ . الحيوان ، ٥/ ٢٥ ـ سورة النساء ٤/ ١٠ .

(٣) سورة البقرة ٢/ ٢٤٩ .

يكـرّرها الـرضي في كـل آيـة فيهـا مجـاز ، فقـد كـان الجـاحظ أول من استعملها بمعنى تسمية الشيء باسم غيره اذا قام مقامه .

هذه اللفتات البيانية الوجيزة كانت الأساس الـذي بني عليه صـرح البيان العربي . ولكنّ هذه اللّمع البيانية عند الجاحظ لا نراها من الكثرة بحيث تكوّن مذهبا بيانيا قائما بذاته ، وانما كـانت معالم طـريق لمن جاؤا بعده ، فقد أفاد منها بشكل خاص تلميذه ابن قتيبة[1] .

٤ ـ ابن قتيبة ومجازات القرآن :

توسّع ابن قتيبة في نظرته الى الاستعارة والمجاز أكثر من الجـاحظ ، فخـطا بـاللمـع البيـانيـة خـطوة وسّعت دلالات كثـير من الألفـاظ والاصـطلاحات التي أخـذت تظهـر بعد ذلـك بـالتـدريـج في علوم البلاغة[2] .

فهـو يعقد في كتـابه (**تـأويـل مشكـل القـرآن**) بـابـين : أولهـما في المجاز ، وثانيهما في الاستعارة ، فيتحدّث عن المجاز في القـرآن ، ويكثر من الأمثلة التي يخرجها بشكل مجازي ، ولا يكتفي بالقرآن وحده ، وانما يتحدّث عن الانجيل أيضا[3] .

---

(١) وقـد أشار إلى هـذا التتلمـذ عـلى الجـاحظ في كتـابـه « عيـون الأخبـار » في أكـثر من موضع ، حيث يقول : « وفيما أجاز لنا عمـرو بن بحر من كتبـه » . وقد تحـدث عن ألفاظ القرآن في كتابه : تأويل مشكل القرآن .

(٢) فنراه يقول في كتابه ، تأويل مشكل القرآن ص /١٥ ـ ١٦ : « وللعـرب المجازات في الكلام ، ومعناها طرق القول ومآخذه ، ففيها الإستعارة والتمثيل ، والقلب والتقديم والتأخير ، والحذف والتكرار ، والإخفاء والإظهار ، والتعريض والإفصاح ، والكنـاية والإيضاح ، ومخاطبة الواحـد مخاطبـة الجميع ، والجميـع خطاب الـواحد ، والـواحد والجمع خطاب الإثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص . . . » .

(٣) فينكر من يرون من النصارى أبوّة الولادة في قول المسيـح : « ادعوا أبي ، وأذهب إلى =

والحق أن الاشتغال بالقرآن الكريم ودراسته وتفسيره كان سببا قويّا لظهور هذه المجادلات حول المجاز والاستعارة ظهورا مميزا ،. لأن عصر ابن قتيبة شهد تطوّرا كبيرا في علم الكلام ، فاشتدّ الجدل والنقاش بين المتكلّمين[1] ، حول الله وصفاته ، وأفعاله وذاته ، وفي العدل والجبر والاختيار ، فاختلفوا في تفسير آيات الله البيّنات ، فمنهم من يقول بالكلام على وجه الحقيقة ، ومنهم من يفسّر على سبيل المجاز[2] . أمّا الباب الذي عقده ابن قتيبة للاستعارة في كتابه ، فهو لا يقلّ فائدة عن باب المجاز ، وتكاد ألفاظه تتّفق مع ما استعمله البيانيّون فيما بعد[3] .

= أبي » ، ويفسّر هذا القول تفسيراً مجازياً قائلاً : « ولو كان المسيح قال هذا في نفسه خاصة دون غيره ، ما جاز لهم أن يتأوّلوه هذا التأويل في الله ـ تبارك وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً ـ مع سعة المجاز فكيف وهو يقوله في كثير من المواضع لغيره ؟ كقوله حين فتح فاه بالوحي : « إذا تصدّقت فلا تعلم شمالك بما فعلت يمينك ، فإن أباك الذي يرى الخفيّات يجزيك به علانية ، وإذا صلّيتم فقولوا : يا أبانا الذي في السماء . ليتقدّس اسمك ، وإذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير أبيك » . . .

ابن قتيبة . تأويل مشكل القرآن ، ص / ٧٦ .

(١) لقد اتسع المجاز والإستعارة في هذا العصر بسبب تطوّر علم الكلام ، وتميّز عصر ابن قتيبة بظهور طائفة من المتكلّمين من أمثال :

أبي الهذيل العلاّف ٢٣٥/٨٤٩ ، وأبي علي محمّد به عبد الوهاب الجبائي ٣٠٣/ ٩١٥ . محمد عبد الغني حسن . مقدّمة تلخيص البيان ، ص /٨ .

(٢) مثل قوله تعالى في سورة النساء ٤/ ١٦٤ : ﴿وكلّم الله موسى تكليماً﴾ فمنهم من يقول بالحقيقة لا على سبيل المجاز ، بدليل توكيد الفعل بالمصدر تكليماً . ومنهم من يقول بالكلام على وجه المجاز ، وابن قتيبة يورد الكلام على سبيل الحقيقة ، لأن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ، ولا تؤكد بالتكرار ، فأكد بالمصدر معنى الكلام ، ونفى عنه المجاز .

ابن قتيبة . تأويل مشكل القرآن ، ص / ٨٢ .

(٣) فمن أقواله : « فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة ، إذا كان المسمّى بها =

فقد كشف الاستعارة في عشرات الآيات القرآنية ، ولعلّ الرضي في كتابه (**تلخيص البيان**) تأثّر بابن قتيبة ، فسار على طريقته ، ولكن بشكل موسّع ومنهج مميّز ، فلم يأت المجاز والاستعارة عنده لمعا متفرّقة في ثنايا كتابه ، بل كان « تلخيص البيان » يعبّر عن هدف واحد ، فقد ألفه لغرض واحد ، وهو متابعة المجازات والاستعارات في كلام الله سورة سورة وآية آية ، وهذا ما سنفصّله في الصفحات التالية .

ب ـ الشريف الرضي ومجازات القرآن :

١ ـ كتاب (تلخيص البيان) وصحّة نسبته للرضي :

ظلّ هذا الكتاب مفقودا ما يقرب من عشرة قرون حتى وجد محمد المشكاة[1] مخطوطة بالية لكتاب يبحث في آيات القرآن الكريم بعنوان **الاستعارة** . فأدرك أنّ هذه النسخة هي للشريف الرضي ، لأن المؤلف يحيل على كتاب له اسمه (**حقائق التأويل**) ، لأن هذا الأخير من الكتب المشهورة للرضي .

ولم تكن الاحالة على كتاب الحقائق في هذه المخطوطة هي وحدها التي كشفت النقاب عن حقيقة صاحب الكتاب ، فهناك بعض المواضع التي يشير فيها المؤلف الى كتابه الآخر(**مجازات الآثار النبوية**) ، ولا

= بسبب من الأخرى ، أو مجاوراً لها ، أو مشاكلاً ، فيقولون للمطر سماء لأنه من السماء ينزل . . » .

المصدر نفسه ص /١٠٢ .

(١) نشر الأستاذ محمد المشكاة ـ المدرّس في جامعة طهران ـ هذه المخطوطة المصوّرة بإيران سنة ١٣٦٩/ ١٩٤٩ ، وألحق بها فهارس إضافية ـ وكتب لها مقدّمة في بضع صفحات ، كما كتب حسين علي محفوظ مقدّمة للكتاب في ثماني صفحات . وقد حقّق الكتاب وقدّم له ، وعلّق عليه محمد عبد الغني حسن ١٩٥٥ .

شك أن المجازات النبوية من الكتب المعروفة للرضي . فضلا عن كثير من الأدلّة والبراهين القاطعة التي تؤكد بأن هذه المخطوطة هي للرضي ، وبالتالي هي كتاب (**تلخيص البيان عن مجازات القرآن**) . لأن المؤلف يتحدّث فيها عن المجازات والأستعارات في القرآن الكريم[1] . ويذكر عددا من شيوخه الذين قرأ عليهم[2] .

٢ ـ مقارنة بمن سبقه في التأليف : بمجازات القرآن

نقارن بين أبي عبيدة والرضي من ناحية ، وبين ابن قتيبة والرضي من ناحية ثانية ، فنأخذ أمثلة للمقارنة والموازنة . فنتناول عددا من الآيات القرآنية ونتتبّع شرحها وتفسيرها والتعليق عليها لنتعرّف على الطريقة التي سلكها كل واحد من هؤلاء الثلاثة ، ثم نستخلص النتائج .

---

(١) فالرضي يقول عن مجازات سورة الرحمن ٥٥/ ٣١ ﴿سنفرغ لكم أيها الثّقلان﴾ (وقد كان والدي الطاهر الأوحد ذو المناقب أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ سألني عن هذه الآية في عرض كلام جرّ ذكرها ، فأجبته في الحال بأعرف الأجوبة المقولة فيها) .

(٢) يقول الرضي في معرض حديثه عن استعارات سورة النحل : (وكان شيخنا أبو الفتح عثمان بن جني ـ رحمه الله ـ يقول . . .) وفي مجازات سورة طه : (وهو ما سمعته من شيخنا أبي الفتح النحوي عفا الله عنه . . .) وفي معرض حديثه عن استعارات سورة الكهف يذكر شيخه المعتزلي الأصولي قائلاً : (وفيما علقته عن قاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد ـ أدام الله توفيقه ـ عند قراءتي كتابه الموسوم (بتقريب الأصول) .
محمد عبد الغني حسن . مقدّمة تلخيص البيان ، ص / ٢٠ ـ ٢١ .

١ ـ بين أبي عبيدة والشريف الرضي :

رأي أبي عبيدة في مجاز قوله تعالى : ﴿ **وَأُشْرِبوا في قلوبهم العجلَ** ﴾[١] :

(سُقوهُ حتى غلب عليهم ، أُشربوا في قلوبهم العجل : حب العجل) .

رأي الرضي في الآية نفسها : (. . وهذه استعارة ، والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة في حبّ العجل ، فكأنها تشرّبت حبّه ، فمازجها ممازجة المشروب ، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ . وحذف حب العجل لدلالة الكلام عليه ، لأن القلوب لا يصحّ وصفها بتشرّب العجل على الحقيقة[٢] .

يقول أبو عبيدة في تأويل قوله تعالى : ﴿ **ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولةً الى عُنُقِكَ** ﴾[٣] :

(مجازة في موضع قولهم : لا تمسك عمّا ينبغي لك أن تبذل من الحق ، وهو مثل وتشبيه) .

في حين أن الرضي يقول في مجاز هذه الآية : (وهذه استعارة . وليس المراد بها اليد التي هي الجارحة على الحقيقة ، وانما الكلام الأول كناية عن التّقتير ، والكلام الآخر عن التبذير . وكلاهما مذموم ، حتى يقف كل منهما عند حدّه ، ولا يجرى الّا الى أمده ، وقد فسّر هذا القول سبحانه : ﴿ **والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾[٤] .

---

(١) سورة البقرة ، ٢/٩٣ .

(٢) محمد عبد الغني حسن . مقدّمة لتخيص البيان ص/ ٤٦ .

(٣) سورة الإسراء ، ١٧/ ٢٩ .

(٤) سورة الفرقان ٢٥/٦٧ . محمّد عبد الغني حسن . تلخيص البيان ، ص ٤٧ .

وأبو عبيدة يقول في تأويل قوله تعالى : ﴿ حَتّىَ يَتَبَيّنَ لَكُمُ الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ ﴾[1] : (الخيط الأبيض هو الصبح المصدق ، والخيط الأسود هو الليل ، والخيط هو اللون)[2] .

في حين أن الرضي يقول في بيان مجازها : (وهذه استعارة عجيبة والمراد بها على أحد التأويلات : حتى يتبيّن بياض الصبح من سواد الليل ، والخيطان ههنا مجاز ، وانّما شبّهها بذلك لأن خيط الصبح يكون في أول طلوعه مستدقّا خافيا ، ويكون سواد الليل منقضيا مولّيا ، فهما جميعا ضعيفان ، الاّ أنّ هذا يزداد انتشارا ، وهذا يزداد استتارا)[3] .

ومثال آخر حتى تجرى الموازنة الى مداها ، وهو قول أبي عبيدة في تفسير قوله تعالى : ﴿تولِجُ اللّيلَ في النهارِ ﴾[4] : (تنقص من الليل فتزيد في النهار ، وكذلك النهار من الليل)[5] .

أما رأي الرضي في مجاز هذه الآية الكريمة فهو : (وهذه استعارة . وهي عبارة عجيبة جدّا ، عن ادخال هذا على هذا ، وهذا على هذا . والمعنى : أنّ ما ينقصه من النهار يزيده في الليل ، وما ينقصه من الليل يزيده في النهار . ولفظ الايلاج ههنا أبلغ ، لأنه يفيد ادخال كل واحد منهما في الآخر ، بلطيف الممازجة ، وشديد الملابسة)[6] .

---

(١) سورة البقرة ٢/١٨٧ .

(٢) أبو عبيدة . مجازات القرآن ، ص /٦٨ .

(٣) محمّد عبد الغني حسن . مقدّمة تلخيص البيان ، ص/ ٤٨ .

(٤) سورة آل عمران ٣/ ٢٧ .

(٥) أبو عبيدة . مجازات القرآن ، ص / ٩٠ .

(٦) فنقص هذا من ذاك هو المعنى المشترك المردّد بين أبي عبيدة والرضي . أما الوجه البلاغي الدقيق فيكمن في التعبير بلفظ الإيلاج بدلاً من لفظ الإدخال ، وهنا تتجلّى بلاغة الرضي في التفاتة إلى إيحائية اللفظ ومدلوله الدقيق .

٢ ـ بين أبن قتيبة والشريف الرضي :

لننظر كيف يوضّح ابن قتيبة مجاز آية من القرآن ، وكيف يتناول الرضي هذه الأية بعينها ، ويكشف عن المجاز فيها .

رأي ابن قتيبةٍ في مجاز قوله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لكمُ أيُّها الثّقَلانِ ﴾[١] :) ﴿لله تبارك وتعالى لا يشغله شأن عن شأن . ومجازه : سنقصد لكم بعد طول التّرك والامهال . وقال قتادة : قد دنا من الله فراغ لخلقه ، يريد أنّ الساعة قد أزفت وجاء أشراطها)[٢] .

ويقول الرضي في مجاز هذه الآية : (وهذه استعارة . وقد كان والدي الطاهر الأوحد ذو المناقب أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ سألني عن هذه الآية في عرض كلام جرّ ذكرها ، فأجبته في الحال بأعرف الأجوبة المقولة فيها ، وهو أن يكون المراد بذلك : سنعمد لعقابكم ، ونأخذ في جزائكم على مساويء أعمالكم ، وأنشدته بيت جرير كاشفا عن حقيقة هذا المعنى ، وهو قوله :

ألآنَ وقدْ فَرِغتُ الى نُميرٍ فهذا صرتَ لها عذابا ؟

فقال : فرغت الى نمير ، كما يقول : عمدت اليها ، فأعلمنا أنّ معنى فرغت ههنا معنى عمدت ، وقصدت . ولو كان يريد الفراغ من الشّغل لقال : فرغت لها ، ولم يقل فرغت اليها . وقال بعضهم : انما قال سبحانه : سنفرغ لكم ، ولم يقل سنعمد . لأنه أراد : أي سنفعل

---

(١) سورة الرحمن ٥٥/ ٣١ .

(٢) ابن قتيبة . تأويل مشكل القرآن ، ص /٧٧ .

فعل من يتفرّغ للعمل من غير تمجيع فيه[1] ، ولا اشتغال بغيره عنه ، ولأنه لمّا كان الذي يعمد الى الشيء ربّما قصر فيه لشغله معه بغيره ، وكان الفارغ له ـ في الغالب ـ هو المتوفّر عليه دون غيره ، دللنا بذلك على المبالغة في الوعيد من الجهة التي هي أعرف عندنا ، ليقع الزّجر بأبلغ من الألفاظ ، وأدلّ الكلام على معنى الايعاد .

وقال بعضهم : أصل الاستعارة موضوع على مستعار منه ، ومستعار له ، فالمستعار منه أصل ، وهو أقوى ، والمستعار له فرع ، وهو أضعف ، وهذا مطّرد في سائر الاستعارات . فاذا تقرّر ذلك كان قوله تعالى : ﴿ سنَفْرُغُ لَكُم أيُّها الثَّقلانِ ﴾ من هذا القبيل .

فالمستعار منه ههنا ما يجوز فيه الشغل وهو أفعال العباد ، والمستعار له ما لا يجوز فيه الشغل ، وهو أفعال الله تعالى ، والمعنى الجامع لهما الوعيد ، الاّ أنّ الوعيد بقول القائل : سأتفرّغ لعقوبتك أقوى من الوعيد بقوله : سأعاقبك من قبل أنه كأنما قال : سأتجرّد لمعاقبتك ، كأنه يريد استفراغ قوته في العقوبة له ، ثم جاء القرآن على مطرح كلام العرب ، لأن معناه أسبق الى النفس ، وأظهر للعقل . والمراد به تغليظ الوعيد ، والمبالغة في التحذير . . .)[2] .

رأي ابن قتيبة في بيان المجاز في قوله تعالى : ﴿ يَومَ نَقُولُ لجهنّمَ هَلِ امتلأتِ ، وتقولُ هَلْ مِنْ مَزيدٍ ﴾[3] . قال ابن قتيبة : (وليس

---

(١) التّمجيع في العمل : هو عدم أخذه مأخذ الجدّ .
محمّد عبد الغني حسن . مقدّمة تلخيص البيان ، ص / ٥١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص / ٥٢ .
(٣) سورة ق ، ٥٠/ ٣٠ .

يومئذ قوله منه لجهنّم ، ولا قول من جهنم . وانما هي عبارة عن سعتها)[1] . وقد ساق هذه الآية في باب المجاز .

أمّا الرضي فانه قال في هذه الآية : (وهذه استعارة . لأن الخطاب للنار ، والجواب منها في الحقيقة لا يصحّان . وانما المراد ـ والله أعلم ـ أنّها فيما ظهر من امتلائها ، وبان من اغتصاصها بمنزلة الناطقة بأنه لا مزيد فيها ، ولا سعة عندها ، وذلك كقول الشاعر :

امتلأ الحَوضُ وقال قَطْني مهلاً رويدًا . قد مَلأتَ بَطني .[2]

ولم يكن هناك قول من الحوض على الحقيقة ، ولكنّ المعنى : أنّ ما ظهر من امتلائه في تلك الحال جار مجرى القول فيه ، فأقام تعالى الأمر المدرك بالعين ، مقام القول المسموع بالأذن . وقيل المعنى : انّا نقول لخزنة جهنّم هذا القول ، ويكون الجواب منهم على حدّ الخطاب . ويكون ذلك قبيل : ﴿ **واسْألِ القَريةَ** ﴾[3]، في اسقاط المضاف واقامة المضاف اليه مقامه . وذلك كقولهم : « يا خيل الله اركبي » . والمراد : يا رجال الله اركبي . وعلى القول الأول يكون مخرج هذا القول لجهنّم ، على طريق التقرير لاستخراج الجواب بظاهر الحال ، لا على طريق الاستفهام والاستعلام ، اذ كان الله سبحانه قد علم امتلاءها قبل أن يظهر ذلك فيها . وانما قال سبحانه هذا الكلام ليعلم الخلائق صحّة وعده .

اذ يقول تعالى : ﴿ **لأملأنّ جهنّمَ من الجنّةِ والناسِ**

---

(١) ابن قتيبة . تأويل مشكل القرآن ، ص ٧٩ .

(٢) قال قطني : أي حسبي . محمد عبد الغني حسن . تلخيص البيان ، ص/ ٥٤ .

(٣) سورة يوسف ١٢ / ٨٢ .

أجمعينَ ﴾[1] . والوجه في قوله تعالى في الحكاية عن جهنّم : ﴿ هَلْ مِنْ مَزيد ﴾ بمعنى : لا من مزيد فيّ . وليس ذلك على طريق طلب الزيادة ، وهذا معروف في الكلام ، ومثله قوله ـ عليه السلام ـ ﷺ : « وَهَلْ تَرَكَ عَقيلٌ لنَا مِنْ دار ؟ » : أي ما ترك لنا دارا)[2] .

٣ ـ استنتاج :

ـ أبو عبيدة :

مجازه مختصر ، لا يتعدّى تفسير المعنى وشرح مفرداته . فهو قصير النّفس يوجز كثيرا في تأويل اللفظة القرآنية ، فلا يزيد كلمة توضّح المعنى ، أو تؤيده بشواهد من أشعار العرب ، أو توثّقه برأي بعض المفسّرين السابقين له[3] . ويمضي في كتابه على هذا النمط من الايجاز .

وقد يكون له عذره في هذا المجال ، فهو لغويّ ، بل امام من أئمة النحو واللغة ، ولم يكن هدفه اظهار المجاز والاستعارة في القرآن الكريم .

---

(١) سورة هود ١١/ ١١٩ .

(٢) حديث نبوي ، قاله الرسول : يوم فتح مكة ، حين مضى الزّبير بن العوّام برايته حتّى ركّزها عند قبّة رسول الله ، وكان معه أم سلمة وميمونة . وقيل : يا رسول الله . ألا تنزل منزلك من الشّعب ؟ فقال : وهل ترك عقيل لنا منزلاً ؟ وكان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل رسول الله ومنزل أخوته . محمّد عبد الغني حسن . تلخيص البيان ، ص / ٤١ . نقلاً عن المقريزي في ، امتاع الأسماع ، ١/ ٣٨١ .

(٣) يبلغ إيجاز أبي عبيدة إلى حدّ وضع اللفظة المفسّرة مكان اللفظة المفسّرة كقوله في تفسير سورة آل عمران ١٥٦/٣ ﴿ ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ﴾ الحسرة : الندامة ـ « فإذا عزمت » : الآية ، ١٥٩ . أي إذا أجمعت ﴿ وما كان لنبيّ أن يغلّ ﴾ الآية/ ١٦١ : أن يخان . ﴿ لو نعلم قتالاً ﴾ الآية/ ١٦٧ . أي : بو نعرف قتالاً . ﴿ فادرؤا =

ـ ابن قتيبة :

يتوسّع قليلا بما يناسب عصره ، ويفهم المجاز على أنه مقابل للحقيقة ، ويعقد في كتابه (**تأويل مشكل القرآن**) بابين : للمجاز والاستعارة . ولكنّ أبحاثه البلاغية في المجازات والاستعارات القرآنية ظلّت في حدود الايجاز ، ولم يلجأ الى حشد الشواهد المختلفة ، لتوضيح مقصده ولا غناء معانيه ، وبقيت تعليقاته لمعا متفرّقة في ثنايا كتابه ، شأن الجاحظ في اشاراته البيانية المنثورة في كتبه ، فلم تأخذ ذلك المنهج الكامل الذي سلكه الرضي في « تلخيص البيان » ، ولم تكن البلاغة غايته المنشودة .

ـ الشريف الرضي :

أمّا الرضي فقد أفاض وتوسّع في بيانه ، وأطال الشرح في تعليقاته ليتّضح المراد ، فجاءت مادته أغزر ، كبيان المجاز في قوله تعالى : ﴿ **يوم نقول لجهنّم هل امتلأت** . . . ﴾ فأظهر أنّ اغتصاص جهنّم بأهلها ، كان بمنزلة النطق منها ، اذ لا زيادة فيها ولا سعة عندها ، كما أيّد ذلك المجاز بقول الشاعر : امتلأ الحوض . فان الحوض لا يتكلّم وكذلك جهنّم ، ولكن ما يظهر من امتلاء الاثنين جرى مجرى النطق منهما . ثم أبان بعد ذلك أنه يجوز أن يكون المراد بالقول لجهنّم هو القول لأهلها ، فكان الله تعالى قال : يوم نقول لأهل جهنّم ، وهذا المجاز جائز لغة ، وهو الذي سمّاه البيانيّون اصطلاحا فيما بعد ، بالمجاز الذي علاقته المحلّية ، لأن جهنّم محلّ لأهلها ، فكأنه ذكر المحلّ وأراد الحالّ .

= **عن أنفسكم** ﴾ الآية/ ١٦٨ . أي : ادفعوا عن أنفسكم . . . أبو عبيدة . مجازات القرآن ، ص ١٠٢ .

على أن هذه الأنواع من المجاز والاستعارة لم يتعرّض لها الرضي وهو يكشف عن مجازات القرآن كشفا تطبيقيا بلاغيا ، لأن تلك المسمّيات والمصطلحات لم تكن قد وضعت ، أو عرفت بعد في عصر الرضي .

من خلال ما تقدّم نرى بوضوح أنّ الرضي يدعم وجهة نظره ـ في حديثه عن المجازات والاستعارات القرآنية ـ بشواهد متنوّعة : من الآيات القرآنية المشابهة للمعنى الذي يؤ ولّه، الى الأحاديث النبويّة،والأشعار العربية الفصيحة لفحول الشعراء ، التي تتناسب مع ما يرمي اليه ، فضلا عن توسّعه وتشعّبه في شرح المجازات القرآنية ، حتى لا يترك مجالا لسائل ، أو زيادة لمستزيد .

ويبدو لنا الرضي في (**تلخيص البيان**) أديبا وشاعرا مطبوعا ، فنجد عنده ذوق الأديب ، ورقّة الشاعر ، ونراه بليغا يلتمس مواطن البلاغة والاعجاز في القرآن الكريم بحسّ البليغ الناقد ، أكثر من فقه اللغوي وعلم النحوى .

والمقارنة بين الثلاثة تهدف الى اظهار مدى التطوّر في النظرة الى تأويل القرآن ، والكشف عن مجازه ، ووجوه اعجازه ، فالرضي يمدّ في حبل البيان ، ويمزج في ذلك بين التطوّر البلاغي الذي صار اليه في عصره ، وبين ذوقه الأدبي الخاص الذي اكتسبه بفضل ثقافته الأدبية والشعرية بشكل خاص . فكانت البلاغة عنده تطبيقا عمليا ، لا أبحاثا نظرية جافة ، وقد شملت القرآن الكريم بأجمعه .

خلاصة :

تناول الرضي في كتابه كل آية فيها مجاز وفق ترتيبها من السورة

التي هي فيها ، وهكذا فعل في القرآن كلّه بحسب ترتيب السّور في المصحف ، ولم يتعرّض للآيات التي ليس فيها مجاز ، بل أسقطها من السورة .

واذا خلت السورة من المجاز جملة ، يشير المؤلف الى ذلك قائلا : « وليس في هذه السورة شيء من غرض كتابنا هذا » ، أو « لم نجد في هذه السورة شيئا من المعنى الذي قصدنا اليه » . كما فعل في سورتي « **عبس** »و « **الانفطار** » . . .

ج ـ قيمة الكتاب :

كان (**تلخيص البيان**) أول كتاب كامل ألّف في غرضه ، وهو متابعة المجازات والاستعارات في القرآن سورة سورة ، وآية آية . فلم يأت المجاز عند الرضي عرضا في خلال الكتاب ، أو بابا من أبواب مصنّف ، كما مرّ بنا عند أبي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة . ولأن اعجاز القرآن في ألفاظه وأساليبه ومعانيه من الحقائق الثابتة عند المسلمين ، وقد عجز بلغاء العرب وفصحاؤهم عن محاكاته ، فهو بحاجة الى ناقد بصير ، وصيرفيّ خبير ليكشف النقاب عن أسراره البلاغية ، ويميط اللّثام عن مجازاته ، ويزيل الشّبه الناجمة من سوء فهمها .

والأستعارات القرآنية بحاجة لاظهار حقيقتها ، لأنّ ظاهر اللفظ لم يقصد ، وانما قصد غيره لعلاقة[1] .

---

(١) مثل قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساق** ﴾ سورة القلم ٦٨/ ٤٢ . لم يقصد ظاهر الكلام من الكشف عن السوق حقيقة ، (وإنما المقصود أنه يكشف عن شدّة من الأمر ، أو عن أمر عظيم ، وأصل هذا أنّ الرجل إذا وقع في أمر عظيم ، يحتاج إلى معاناته والجدّ فيه شمّر عن ساقه . فاستعيرت الساق في موضع الشدّة) . ابن قتيبة . تأويل مشكل القرآن ، ص / ١٠٣ .

من هنا نفهم ونقدّر قيمة الجهد الذي بذله الشريف الرضي في ادراك كنه هذه الأسرار البلاغيّة . وقيمة الكتاب : أدبية ولغويّة ودينيّة . ممّا يدلّ على نهج الرضي في البلاغة والبيان قوله : « انّ الألفاظ خدم للمعاني ، لأنها تعمل في تحسين معارضها ، وتنميق مطالبها »[1] .

ولقد خدم الشريف الرضي اللغة باستعماله هذا الفيض الغزير من الألفاظ الفصيحة ، والعبارات والتراكيب البليغة ، والأمثلة التي تدلّ على قدرته اللغوية ، وحسن استعمال تلك التراكيب كثيرة[2] . ولقد أظهر الرضي براعة في التمييز الدقيق بين معاني هذه الألفاظ ، فهو واسع الاطلاع على العربية عليم بأسرارها[3] . وقد بدا لنا ناقداً أديبا ولغويا دقيقا ، فقدّم لنا شواهد شعرية كثيرة لفحول الشعراء : (كالنابغة الذبياني ، وامريء القيس ، وعنترة ، وطرفة ، وجرير ،

---

(١) في معرض تعليقه على المجاز في قوله : ﴿**والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم**﴾ سورة الحشر ٥٩/ ٩ .
يقول الرضي : « والمعنى أنهم استقرّوا في الايمان ، كاستقرارهم في الأوطان . وهذا من صميم البلاغة ولباب الفصاحة ، وقد زاد اللفظ المستعار ههنا معنى الكلام رونقاً . ألا ترى كم بين قولنا : استقرّوا في الايمان ، وبين قولنا تبوّؤا الايمان ؟ . . . » محمّد عبد الغني حسن . الشريف الرضي ، ص /٨٢ .

(٢) مثل : أخذت المرأة قناعها : أي لبسته . وأخذت هذا الأمر باليد : أي بالسلطان وأعطيته رجلاً بريشة : أي بكسوته . وأكلت الضبع القوم : أي نهكتهم سنة الجدب . . . محمّد عبد الغني حسن . مقدّمة تلخيص البيان ، ص / ٣٧ ـ ٣٨ .

(٣) ومن الفوائد اللغوية التي نلمسها في تعليقات الرضي قوله في مجاز قوله تعالى : ﴿**ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى**. . .﴾ سورة الأنعام ٦/١٦٤ . يقول : (وزَر ، يزرُ وزراً ، إذا حمل . والإسم : الوزر ، ومن ذلك أخذ اسم الوزير ، لأنه حامل الثّقة عن الأمير) . الشريف الرضي . تلخيص البيان ، ص / ٣٥ .

والفرزدق ، وعمر بن أبي ربيعة . . .) ، الذين يحتجّ بشعرهم من الناحية اللغوية ، فلم يذكر شاعرا واحدا من المولّدين على كثرتهم ، فوقف بالاحتجاج عند العصر الأموي .

وقد ذكر الرضي في كتابه في مقامات الاستشهاد ستة أحاديث نبويّة صحيحة الاسناد[1] دل بعضها على قيمة تاريخية فريدة ، فحديث الرسول : « وَهَلْ تَرَكَ لَنا عَقيلٌ مِنْ دارٍ » ، قاله النبيّ يوم فتح مكّة ، ولم تذكره كتب التاريخ والسّيرة والمغازي[2] .

وبمثل هذا الخبر النبوي نستطيع القول : أنّ (**تلخيص البيان**) قد ذكر من انباء فتح مكة ـ على الايجاز ـ ما لم تذكره أكثر المراجع التاريخيّة وأقدمها تدوينا لحوادث الرسول . وكذلك كان شأنه حين ذكر قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إنّكم تَموتونَ كَما تَنامون ، وَتُبعثون كما تَستيقِظون » . فهذا الحديث النبوي البليغ هو من خطبة للرسول ، وهي أول خطبة ألقاها بمكّة حين دعا قومه الى الاسلام[3] .

كما أورد الرضي في كتابه أيضا كثيرا من الآيات على قراءات للأئمة

---

(١) الأحاديث النبويّة هي : ١ ـ اللهم اشدد وطأتك على مضر . ٢ ـ أنا بريء من كلّ مسلم مع مشرك لا تراءى ناراهما . ٣ ـ أنا بريء من كلّ مسلم يقيم بين أظهر المشركين . ٤ ـ وهل ترك لنا عقيل من دار (مرّ بنا الحديث ص ٣٢٣ ح / ٢) .
٥ ـ انكم تموتون كما تنامون ، وتبعثون كما تستيقظون . ٦ ـ نعوذ بالله من الحور بعد الكور ـ (الحور : النقصان والكور : الزيادة) .
محمد عبد الغني حسن . تلخيص البيان ، ص / ٣٩ ـ ٤٠ .

(٢) ذكر هذا الحديث النبوي ، محمد المشكاة نقلاً عن الطوسي في تفسير التبيان ٢/ ٦١٤ ، ط . طهران .

(٣) روى هذه الخطبة بكاملها ابن الأثير . الكامل ، ٢/ ٢٧ .

السبعة[1] . وهذه القراءات كلّها صحيحة غير شاذّة لأنها رويت عن القرّاء بالتواتر .

ونورد بعض الأمثلة للآيات التي أوردها الرضي على بعض القراءات السبعة : ذكر الرضي قراءة « رياشا » بدل « ريشا » في قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدم قدْ أنزَلنا عَليكُمْ لباساً يُوارى سَوآتِكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير** ﴾[2] . وفي قوله تعالى : ﴿ **يَمددكم رَبّكم بخمسة آلاف من الملائِكَةِ مسَوّمين** ﴾[3] . يروي الرضي « مُسَوِّمين » بكسر الواو المشدّدة ، و « مُسوّمين » بفتحها . وفي قوله تعالى : ﴿ **فاجمَعوا أمركم** ﴾[4] ، من الجمع بدلا من « فاجمعوا » من الاجماع . وفي قوله تعالى : ﴿ **فالِقُ الاصباح وجاعلُ الليل سكناً** ﴾[5] . وفي قراءة ثانية : ﴿ **فالِقُ الاصباح وَجَعَل الليل سكنا** ﴾ .

وروى الرضي قوله تعالى : ﴿ **يخادعونَ الله والذين آمنوا وما يُخادعون إلاّ أنفُسَهُم** ﴾[6] وفي قراءة ثانية : « وما يخدَعون » . . .

ولا شك أن هذه القراءات هي من خصائص الكتاب المتنوّعة .

---

(١) وهم : ابن عامر ١١٨/ ٧٣٦ ـ ابن كثير ١٢٠/ ٧٣٧ ـ عاصم بن أبي النجود ١٢٧ / ٧٣٧ ـ عاصم بن أبي النجود ١٢٧/ ٧٤٤ ـ أبو عمرو بن العلاء ١٥٤/ ٧٧٠ ـ حمزة بن حبيب الزيّات ١٥٦/ ٧٧٢ ـ نافع بن عبد الرحمن ١٦٩/ ٧٨٥ ـ الكسائي ١٨٩/ ٨٠٤ .
محمّد عبد الغني حسن . مقدّمة تلخيص البيان ، ص / ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) سورة الأعراف ٧/ ٢٦ .

(٣) سورة آل عمران ٣/ ١٢٥ .

(٤) سورة يونس ١٠/ ٧١ .

(٥) سورة الأنعام ٦/ ٩٦ .

(٦) سورة البقرة ٢/ ٩ .

المبحث الثاني : الشريف الرضي والمجازات النبوية

أ ـ كتاب (مجازات الآثار النبوية) .

نتناول في هذا المبحث مادة الكتاب ، ومنهج الرضي فيها ، وأخيرا قيمة الكتاب .

تناول الرضي في كتابه ثلاثماية وواحدا وستين حديثا (٣٦١) من أحاديث الرسول[١] . جمعت كثيرا من جوامع الكلم . وهي مختارات من حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) اشتملت على مجاز طريف ، أو كناية دقيقة . ولم يكتف الشريف الرضي بسرد هذه الأحاديث ، بل شرحها ، وأبان عن بلاغتها ، وتتبّعها متنقّلا من : تحقيق لغوي ، الى تطبيق على علم البلاغة ، الى سياق الشاهد من كلام العرب .

و (**المجازات النبوية**) من كتب الرضي القيّمة[٢] ، ألّفه سنة

---

(١) محمود مصطفى . مقدمة المجازات النبوية ، ص /٣ .

(٢) طبع الكتاب في المرة الأولى في بغداد بمطبعة الآداب سنة ١٣٢٨ / ١٩١٠ ، وفي المرّة الثانية في مصر ، بتحقيق محمود مصطفى بمطبعة الحلبي سنة ١٣٥٦ / ١٩٣٧ ـ وهذه الطبعة اعتمدنا عليها كمصدر في دراستنا .

٤٠١ / ١٠١٠ ، بعد كتاب (**تلخيص البيان**) الذي استحسنه الناس ، فطلبوا من الرضي أن يؤلف لهم كتابا على غراره ، « يشمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله ، اذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة ، ولمع البيان الغريبة ، وأسرار اللغة اللطيفة ، يعظم النفع باستنباط معادنها ، واستخراج كوامنها . . . »[١] .

أمّا المصادر التي اعتمد الرضي عليها في كتابه فهي : كتب غريب الحديث المعروفة ، وأخبار المغازي المشهورة ، ومسانيد المحدّثين الصحيحة ، مضافا اليها ما أتقنه رواية ، أو ما حصّله اجازة عن شيوخه[٢] .

وهو ينقل بشكل خاص عن الغريب المصنّف ، كغريب الحديث لأبي عبيدة ، وابن قتيبة ، وعن مغازي الواقدي ، وطبقات ابن سعد . . .[٣] .

ومنهجه في كتابه هو الاختصار ، فقلمه يكفّ عن الافاضة في جوانب من الحديث لا تتّصل بباب الاستعارات والمجازات ، وشيوخه الذين يروى عنهم في هذا الكتاب ، هم الذين يروى عنهم في (**تلخيص البيان**) . ولم يحاول أن يتحدّث عن مشتبه الأخبار في الحديث ، لأن أبا علي محمد بن عبد الوهاب الجبّائي استقصى هذا المعنى في كتابه الموسوم بشرح الحديث ، وتعاطى ذلك غيره من أهل العدل[٤] .

وقد اعتذر في نهاية الكتاب بكثرة الأشغال وبواهظ الأثقال .

---

(١) مقدّمة الشريف الرضي . المجازات النبوية ، ص ١٩ .
(٢) مقدّمة الشريف الرضي . المجازات النبوية ، ص / ١٩ .
(٣) احسان عباس . الشريف الرضي ، ص / ٥٤ .
(٤) مقدّمة الشريف الرضي . المجازات النبوية ، ص / ٢١ .

ب ـ منهج الرضي في كتابه :

١ ـ رواية الحديث ونقده :

لم يكتف الرضي بذكر الحديث النبوي حسب رواياته المختلفة ، بل كان متشدّدا ، غاية التشدّد ، فوضع شروطا لقبول الخبر الآحادي ، فقد انتشر في عصره (**علم الرجال**) أو علم (**نقد الحديث**) ، وهو علم يبحث في أحوال الرّواة من حيث الوثاقة والصدق . وظهرت آثار نقد الحديث ، فرفضت أكثر الأحاديث ، وبخاصة ما ظهرت فيه روائح الغلوّ أو التشبيه ، أو الجبر ، كما انتهت به الى الطعن في أخبار الآحاد غير الموثّقة . وكان الرضي ينقد ويفحص بدقّة كل حديث نبوي يسعى الى شرحه واستخراج مجازه . وقد اكتسب معرفة جيّدة بالتعديل والتجريح ، فهو مثلا لا يرضى خبر الآحاد الاّ أن يكون راوية عدلا[١] ، ثم أضاف شرطا آخر فقال : « وأقول أنا : ومن شرط قبول خبر الآحاد أن يعرى الخبر المروي من نكير السلف . . . »[٢] .

وعندما تعرّض لحديث الرؤية[٣] طعن في سنده ، لأن رواية قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلّي ، كان منحرفاً عن أمير المؤمنين علي، ويقال : انه كان من الخوارج ، وذلك يقدح في عدالته ، ويوجب تهمته في روايته . فقد كان رمي في عقله قبل

---

(١) وضع هذا الشرط شيخ الرضى ، قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد المعتزلي ، وقد أخذ به الرضي وزاد عليه شرطاً ثانياً . الشريف الرضي . المجازات النبوية ، ص / ٤٥ ـ ٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ٤٥ ـ ٤٦ .

(٣) الحديث هو : « ترون ربّكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامّون في رؤيته » ترتيبه (٢٧) المصدر نفسه ، ص / ٤٥ .

موته ، وكان مع ذلك يكثر الرواية فلا يعلم هل روى هـذا الخبر في الحال التي كان فيها سالم التمييـز ، أو في الحال التي كـان فيها فـاسد المعقول ، وكل ذلك يمنع من قبـول خبره وقـد نقل نكـير جماعـة من السلف على راوي هذا الخبر[1] .

٢ ـ مناسبة الحديث :

حرص الرضي بعد رواية الحديث النبوي عـلى ذكر المنـاسبة او الحادثة والظروف التي دعت الرسـول لاطلاق الحـديث فرأينـا عدداً من الأحاديث تشير إلى غزوات الرسول [2] ، أو إلى وصايا ، أوصى بهـا قوّاده وأصحـابه[3] ، أو تشـير الى تشـريعـات ونـظم اسـلاميـة معيّنة[4] .

---

(١) الشريف الرضي . المجازات النبوية ، ص / ٤٧ .

(٢) مثل قوله (ص) : « هذه مكّة قد رمتكم بأفلاذ كبدها » قاله الرسول : عنـد خروجـه إلى بدر للقتال ـ أو مثل قوله (ص) « هذا جبل يحبّنا ونحبّه » قالـه الرسـول : عندمـا نـظر إلى جبل أحـد يوم انصـرافه من غـزوة خيبر . وقـوله : « الآن حمي الـوطيس » أطلقه يوم حنين .

(٣) كقوله : « واعلموا أنّ الجنّة تحت البـارقة » : من وصيّـة وصّى بها أسـامة ابن زيـد لمّا أرسله إلى مؤتـة . ومن ذلك قـولـه (ص) للضحّـاك بن سفيـان الكـلابّي وقـد بعثـه مصدّقاً : « خذ من حواشي أموالهم » .

(٤) تشكّـل هذه التشـريعات الـدينية القسم الأكـبر من أحاديث الـرسـول في « المجـازات النبوية » وهذه بعض الأمثلة : القواعد التي نصّ عليها صلح الحـديبية بـين الرسـول وبـين قريش في الكتـاب المعقود بينهـما ومنه : « لا اسـلال ولا اغلال وان بيننـا عيبـة مكفوفة » .
الشريف الرضي . المجازات النبوية ، ص / ١٠٩ . ومن ذلك قوله (ص) للشـارب في آنيـة الذهب والفضـة : « إنّما يجـرجر في بـطنـه نـار جهنّم » المصـدر نفسـه ص / ١١٤ .

٣ ـ ذكر وجه البيان في الحديث :

ثم يذكر الرضي وجه البيان في الحديث النبوي قائلا : هذا الكلام مجاز ، كقوله لرجل قيل له : انه نام عن الصلاة حتى أصبح : « ذاكَ رَجُلٌ بَالَ في أذنِهِ الشَّيطانُ »[١] . أو هذا الكلام من محاسن الاستعارات ، وبدائع المجازات في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« إنّ الاسلام بدأ غَريبا وَسَيَعودُ غَريبا » ، لأنه جعل الاسلام غريبا في أول أمره تشبيها بالرجل الغريب الذي قلّ أنصاره وبعدت دياره . . .[٢] .

٤ ـ شرح الحديث والتعليق عليه :

ثم يشرح الرضي الحديث ، ويذكر المعاني المحتملة لتفسيره ويتوسّع في شرحه واستقصائه ، ويذكر أقوال غيره وتعليقاته ، ثم يشير الى استنباطه لتأويلات لم يسبق اليها ، وشروح مبتكرة[٣] . وبعد ذلك يلجأ الى حشد المزيد من الشواهد المختلفة :

- يستطرد الى ذكر أحاديث نبوية مشابهة لما يشرحه ويعلّق عليه .
- ويستشهد أحيانا بآيات قرآنية تتّصل بالمعنى الذي يؤ وله .
- يستأنس أحيانا بأقوال شيوخه وما رواه عنهم .
- يذكر أقوالا لعلي بن أبي طالب مشابهة للأحاديث التي يشرحها

---

(١) الشريف الرضي . المجازات النبوية ، ص / ٨٤ .
(٢) المصدر نفسه ص / ٣٤ .
(٣) المصدر نفسه الصفحات : ٢٩ ـ ٤٠ ـ ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥ .

ويشير الى ورودها في (**نهج البلاغة**)[1] .

- وأخيرا يستشهد بأشعار عربية فصيحة لفحول الشعراء الجاهليين والاسلاميين متوقّفا عند العصر الأموي ، دون تسمية هؤلاء الشعراء .

وسنقدم نموذجا من شرح الرضي وتعليقاته على حديث نبوي ، لتوضيح الطريقة التي سلكها الرضي في كتابه[2] .

ج ـ قيمة الكتاب :

دلّ الشريف الرضي في هذا الكتاب على ملكة قوية في النقد ، سواء في نقده للأحاديث المرويّة عن الرسول ، أو في التفاتاته البلاغية ، وتعليقاته اللغوية ، ممّا يبعث على الظنّ أن المؤلف قد أخذ نفسه بالمران

---

(١) المصدر نفسه الصفحات : ٤٠ ـ ٦٠ ـ ٦١ ـ ١٠٥ ـ ١٥١ ـ ١٥٨ .

(٢) ففي مجاز قوله (ص) : « وَيْلٌ لأَقْمَاعِ القول ، وَيْلٌ لِلْمِصرِّينَ » يقول الرضي : وفي هذا الكلام مجاز واستعارة ، لأنه (ص) عنى به الذين يكثرون استماع الأقوال واختلاف الكلام . . . فيكون ذلك ثالماً في دينهم وقادحاً في يقينهم ، فشبّه آذانهم بالأقماع التي يفرغ فيها ضروب القول افراغ المائعات . وهذه من أحسن العبارات عن هذا المعنى ، لأن الآذان هي الطرق التي يوصل منها إلى الصدور ، والأنقاب التي يدخل منها على القلوب ، فهي أبواب موصلة وطرق مبلّغة ، وقد حمل بعض العلماء هذا الحديث على تأويل غير مشبه لفحوى اللفظ ، لأنه قال : المراد بذلك الذين تتكرّر المواعظ على أسماعهم ، وهم مع ذلك مصرّون على المعاصي ، وموضعون في طرق المغاوي ، وهذا القول وإن كان سائغاً ، فإنّ الأشبه بظاهر الكلام أن يكون على ما قدّمت القول فيه من ذمّ يجعل سمعه مساغاً للأقوال المختلفة ، والأنباء المتضادة ، ويكون قوله (ص) : المصرّين تماماً لهذا المعنى المراد ، ومبالغة في وصف هؤلاء المذمومين بكثرة استماع الأقوال فيكون ذلك من قولهم : أصرّ الفرس أذنيه إذا نصبهما للتوجّس ؛ لأنه يقال : أصرّ أذنيه وصرّ بأذنيه . وهذا التأويل لم أعلم أحداً سبقني إليه .

الشريف الرضي . المجازات النبوية ، ص / ٢٩ .

على هذا النوع من التأليف ، دفعه اليه اظهار محاسن كلام جدّه رسول الله ، وقد أولع الرضي بهذا النوع من البيان والبلاغة خدمة للدّين ، وتدليلا على عظيم مقام رسول الله في البلاغة .

و (**المجازات النبوية**) كتاب اشتمل على قيم متعدّدة : ففيه كلام في المجاز والاسناد العقلي ، وكلام في آراء المعتزلة والشيعة ، واشارات تاريخية الى غزوات الرسول ومواقفه الخطابية ، ووصايا لأصحابه ، وجوامع كلم نبويّة ذَهَبَتْ مذهب الأمثال ، ومواعظ وحكم تعمّق ايمان الانسان وتدفعه نحو عمل الخير ، وفيه شعر لفحول الشعراء القدماء مرّ به المؤلف . وكانت غاية الرضي في هذا الكتاب اتباع نهج الاختصار والانحراف عن طريق الاكثار والاطناب[1] .

وتتجلّى أهميّة الكتاب بشكل خاص بقيمتين : **١ ـ قيمة أدبية ولغوية ، ٢ ـ وقيمة دينية** .

١ ـ قيمته الأدبية واللغوية :

انّ الأحاديث النبوية التي عالجها الرضي في كتابه ، كانت أمثلة عملية سعى الى تطبيق علم البلاغة والبيان عليها من : مجاز واستعارة ، وتشبيه ، وتمثيل وكناية .

فمن تطبيقاته البيانية قوله عند شرح حديث الرسول وتأويله : « فإنّي أرجو ألاّ يطلع الينا نِقَابَها »[2] لما تذاكر الناس عند امر الطاعون وانتشاره في الامصار والأرياف ، ويعني بالنقاب : نقاب المدينة ، والنقاب : جمع نقب ، وهو الطريق في الجبل : وفي هذا

(١) الشريف الرضي . المجازات النبوية ،ص / ١٣١ .
(٢) الشريف الرضي . المجازات النبوية ، ص / ٣٣ ـ ٣٤ .

الكلام استعارة حسنة ، لأن النبي أقام هذا الداء المسمّى بالطاعون في تغلغله إلى البلاد المنيعة وذهابه بالأعلاق الكريمة مقام الجيش المغير الذي يهجم على الحصون والدير . ومن أحسن التمثيل وأوقع التشبيه أن تشبّه أسباب الموت وطوارق الدهر بالجيش الهاجم .

ألاّ يطلع الينا نقابها .(وهو يريد نقاب المدينة ولم يجر لها ذكر) ، وقول الرسول هذا من الفصاحة العجيبة لأنه أقام علم المخاطبين بها مقام تصريحه بذكرها ، وكان أبو الفتح ابن جني يسمّي هذا الجنس شجاعة الفصاحة ، لأن الفصيح لا يكاد يستعمله الاّ وفصاحته جريّة الجنان ، غزيرة المواد[1] . فالبلاغة عند الرضي تطبيق عملي على الأحاديث النبوية ، وليست مجرّد اشارات نظرية لا علاقة لها بالنّص . فأصبح الكتاب ضالّة البلاغي ، وتلك من قيم الكتاب المهمّة .

والرضي دقيق في الاستعمال اللغوي ، متمرّس بالشواهد اللغوية والنحوية ، فهو يذكر اللفظة ويشرحها ، ويورد جمعهاوأفرادها(كما رأينا في النّقاب) ، أو كما في قوله : طلع فلان الثنية اذا أوفى عليها وقرع ذروتها[2] . ومن تحقيقاته اللغوية قوله في شرح كلمة « لا تَنكل » في الحديث النبوي : « مَضَرُ صَخْرةُ الله التي لا تَنْكل »[3] . لا تَنْكل : لا تتزحزح ، وذلك مأخوذ من قولهم : نكلتُ عن الأمر أنكل ، نكولا اذا تأخرتُ عنه ، ومنه قيل للّجام نكلٌ لأنه يؤخّر به المركوب اذا أجمح ،

---

(١) الشريف الرضي ، المجازات النبوية ص / ٣٣ - ٣٤ .
(٢) المصدَر نفسه ، ص / ٣٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص / ٣٦ .

ويحبس به اذا انطلق . . .[1] . هذه أمثلة قليلة من الفوائد اللغويّة التي يجنيها مطالع هذا الكتاب .

ولدعم حججه وبراهينه حشد الرضي كثيرا من الآيات القرآنية التي تتّفق مع المعنى الذي يرمي اليه ، فضلا عن تعليقات شيوخه وآراء الامام علي ، التي تذهب مذهب الأمثال مثل : « تَخَفَّفوا تَلْحَقوا » . أو ، « أَلاَ وَانَّ الدُنيا قَدْ ارْتَحَلَتْ مدْبِرةً ، وَانَّ الآخرةَ قَدْ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلةً »[2] ، وقد ذكر الرضي في كتابه كثيرا من جوامع الكلم النبوية[3] .

٢ ـ قيمته الدينية والتاريخية :

لعلّ قيمة الكتاب الدينية والتاريخية أظهر من قيمته الأدبية واللغوية ، فالرضي سعى الى خدمة الأحاديث النبوية بنقدها وتمحيصها باستعماله « علم نقد الحديث » ، فالأحاديث التي جمعها في كتابه صحيحة النسبة للرسول ، ورواتها ثقة وصادقون .

وتتضمّن هذه الأحاديث تشريعات ونظما اسلامية متنوّعة ، وعهودا ووصايا لأصحاب النبي ، كما تتضمّن حثّا على فعل الخير والتقوى ، ودفعا لاجتناب الشرّ والضلال[4] . كما تدل بعض الأحاديث النبوية على

(١) الشريف الرضي . المجازات النبوية ، ص / ٣٦ .

(٢) المصدر نفسه . الصفحات : ٤٠ و ١٥١ . ويروى هذا الكلام مع بعض التغيير في ألفاظه من خطبة للرسول .

(٣) من هذه الكلمات القصار المعبّرة والتي تتردّد على كل لسان : « إنّ من البيان لسحراً » « المجازات النبوية ، ص / ٩٤ . « إياكم وخضراء الدّمن » ص / ٦١ ـ « مات حتف أنفه » ، ص / ٦١ ـ « والآن حمي الوطيس » ص / ٤٤ . . .

(٤) ومن أمثلتها : قوله (ص) : « اليد العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى » (أراد باليد العالية : =

المعارك الاسلامية التي خاضها الرسول والمسلمون في سبيل اعلاء كلمة الحق ، ونشر الدين الحنيف ، ومن هذه المواقع : (غزوة بدر ، خيبر ، حُنين ، مُؤتة ، تبوك ، غزوة بني المصطلق ، صلح الحديبيّة . . .) .

من كل ما تقدّم تتجلّى بوضوح قيمة هذا الكتاب ، فالمطالع له يخرج بفوائد جمّة : من تحقيق لغوي ، الى تطبيق على علم البلاغة ، الى سياق الشاهد من الآيات القرآنية ، وسياق الشاهد من أشعار العرب ، الى تمعّن في معاني الأحاديث النبوية التي تمثّل دستوراً في الأخلاق وحُسن التصرّف ، في الدين وفي الدنيا .

= يد المعطي ، وباليد السافلة يد المستعطي) ـ الشريف الرضي . المجازات النبوية ، ص /٣٧ . ومن قوله في الصدقة أيضاً : « أطعموا الله يُطعِمُكم » ، المصدر نفسه ، ص / ١٥٨ . وقوله : « ذاك رجلٌ لا يتوسّد القرآن » (وهذا القول يحتمل معنيين : أحدهما مدح ، والآخر ذم) ـ المصدر نفسه ص /٤٠ ـ ٤١ ، فمعنى المدح أنه لا ينام عن قراءة القرآن ، فهو كالوسادة له ، ومعنى الذّم : أنه غير حافظ للقرآن . وقيل هذا الحديث في شريح الحضري . وفي حثّه على الصوم واماتة الشهوات يقول الرسول : « خصّاء أمتي الصّيام » . قيل هذا الحديث في عثمان بن مظعون ، لّما أراد الاختصاء والسياحة ـ المصدر نفسه ص / ٣٧ ـ ومن قوله في الحث على الصيام أيضاً : « الصَّوْمُ جَنَّةٌ والصَّدَقَةُ تُطْفِىء الخطيئةُ » ـ المصدر نفسه ص /١٤٤ .
وفي أهمية التقوى يقول الرسول : « أوثق العُرى كلمة التَّقوى » ـ المصدر نفسه ص / ١٠٧ . كذلك في حثّه على صلة الرّحم يقول : « بلّوا أرحامكُم ولو بالسلام » ـ المصدر نفسه ص / ٨٤ . ومن وصايا الرسول : « لا تُغالوا بمُهور النِساء . . . » المصدر نفسه ص / ١٤٠ ـ وعن الحسد يقول : « الحَسَدُ يَأكُلُ الحَسَناتِ كَمَا تأكُلُ النارُ الحَطَب » . المصدر نفسه ص / ١٦٨ . وفي تحذيره من الخمر يقول : « الخمرُ أم الخبائث ، وَمَنْ شَرِبَها لَمْ يَقْبَلِ الله منه صلاةً أرْبَعِينَ يَوْماً . . . فَإنْ ماتَ وَهِيَ في بَطْنِهِ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَةً» المصدر نفسه ص / ١٨٢ .

الفصل الثالث
الرضي وتفسير القرآن

سنعرّف في هذا الفصل بكتاب الرضي (**حقائق التأويل في متشابه التنزيل**) . ثم ننتقل الى دراسة منهج الرضي فيه ، ونسعى الى مقارنته (**بأمالي**) شقيقه المرتضى ، وأخيرا نبيّن قيمة الكتاب من مختلف الوجوه .

أ ـ (كتاب حقائق التأويل في متشابه التنزيل) :

تكلّم الشريف الرضي فيه عن حقائق القرآن وتأويله ، وكشف فيه عن غرائبه واعجازه ، وأظهر غوامضه وأسراره ، واستنبط آراء لم يسبق اليها .

وقد استغرق الشريف الرضي في تأليفه وقتا طويلا[1] ، لأنّ ابن

---

(١) واعترف الرضي بذلك في قوله : « إنّ كتابنا هذا قد بعدت أوائله من أواخره وانفرج ما بين أعناقه وروادفه ، ونزحت مسافات الكلام فيه نزوحاً يحتمل التكرير تجديداً للفائدة . . . وقد طال بنا الزمان في تأليفه بعوائق عارضتنا بحواجزها ، وقواطع زاحمتنا بمناكبها : من تقلّب أحوال واشتغال ببواهظ أثقال . . » ثم يعتذر بهذا التطاول في الزمن ، وبطول الكتاب نفسه عمّا فيه من تكرار ، وما حدث له من تطوّر في الآراء ، خلال تلك المدة .
الشريف الرضي . حقائق التأويل ، ٥ / ١٦ .

جنّي ـ استاذ الرصي ، المتوفي سنة ٣٩٢/١٠٠١ رأى الكتاب وقرّظه بعبارة مشهورة : « ألف الرضي كتابا في معاني القرآن يتعذّر وجود مثله »[١] ، بينما انتهى تأليفه سنة ٤٠٢/١٠١١ .

والكتاب يجمع بين فضيلتي العلم والأدب ، وهو خاص بمتشابه التنزيل[٢] ، كما يدل عليه اسمه ، فالمؤلف يعقد لكل آية من المتشابه مسألة قائمة بذاتها ، فكان هذا الكتاب مجموعة مسائل متنوّعة ، ولكلّ مسألة استقلالها العلمي وفائدتها الخاصة .

وقد ضاع الكتاب ولم يبق منه الاّ الجزء الخامس ، يبدأ هذا الجزء بالآية السابعة من سورة آل عمران ﴿ **هُوَ الذي أنزَلَ عَليكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحكماتٌ هُنَّ أمُّ الكِتابِ وأُخرُ مُتَشَابهاتٌ** ﴾ .

وينتهي الى الآية الثامنة والأربعين من سورة النساء ﴿ **انّ الله لا يغفرُ أن يُشرك به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء ومن يُشرك بالله فقد افترى اثما عظيما** ﴾ . فهو يشتمل على سبع وثلاثين مسألة ، وعلى سبعة وعشرين فصلا .

---

(١) ابن خلكان **وفيات الاعيان** ٤ / ٤١٦ .

(٢) المتشابه من الآيات : ما يقع فيها اشكال واختلاف بين العلماء في تفسيرها وتأويلها ، يقول الرضي : « من صفة المتشابه ألاّ يقتبس علمه من ظاهره وفحواه ، بل يجب ردّه إلى ما ورد من المحكم . . « فالحكم هو الأصل في القرآن ، وعلى ضوء الأصل يفسّر المتشابه لإزالة الإشكال والغموض وعدم الأخذ بظاهر اللفظ مثل : ﴿**رَبَّنا لاَ تُزِغْ قلوبَنا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنا**﴾ سورة آل عمران ٣ / ٨ . « فهذه الآية متشابهة ، والأخذ بظاهر اللفظ يؤدي : إلى أنّ الله سبحانه يُضلّ عن الإيمان . . . والمُحكم الذي ورد بهذا المعنى قوله : ﴿ **فلمّا زاغُوا أزاغَ الله قُلُوبَهُم** ﴾ سورة الصّف ٦١ / ٥ . فالزّيغ الأول معصية والثاني حسن » **حقائق التأويل** ، ٥ / ٢٣ .

وقد ذكره أكثر من ترجم للشريف الرضي ، وجميعهم مُطبقون على مدحه ، وتفخيم نعوته ، وأُطلقت عليه تسميات مختلفه منها : كتاب المتشابه ، والكتاب الكبير ، وتفسير القرآن ، ومعاني القرآن ، ودقايق التنزيل . .[1] .

ولا ريب أن الكتاب من أشهر الكتب التي وصلتنا مؤلفة في هذا الموضوع ، ومن أكثر كتب الرضي الواصلة الينا نضجا واشراقا ، وأحفلها بالرأي ، اذ تظهر فيه شخصية الرضي قوية كالعهد بها في (**تلخيص البيان**) فهو يناقش الآراء ، ويردّ على المخالفين بثقة وقدرة وبيان[2] .

---

(١) لقد فصّلنا القول في هذه الأسماء ، في حديثنا عن مؤلفات الرضي، راجع ص / ٢٣٥ و ٢٣٦ .

(٢) أما نسخ الكتاب الثلاثة فتعود في أصلها إلى النسخة القديمة الموجودة في المكتبة الرضوية الموقوفة بطوس في إيران ، ويرجع تاريخها إلى ما بعد المؤلف بقرن وربع قرن تقريباً ، نقلها كاتبها على نسخة قرئت على الرضي وعليها خطّه ، ويعود تاريخها إلى ى ٢١ رجب سنة ٥٣٣ / ١١٣٨ .
وقد أشاع هذه النسخة في العراق ، وفي الأوساط العلمية الميرزا حسين النوري المتوفي سنة ١٣٢١ / ١٩٠٢ ، وكان من أشهر علماء الشيعة الإمامية .
في اتقان الحديث والرجال ، ومن أشهر مؤلفاته « مستدرك الوسائل » وهو من المراجع التي اعتمدنا عليها .
ونسخة الميرزا النوري من أشهر نسخ الكتاب ، وعنها نُقلت : نسخة الهادي آل كاشف الغطاء التي حقّقها بعناية ، ووضع لها فهارس دقيقة ، ونسخة الشيخ محمد السمّاوي ، ثم نسخة محسن القزويني المؤرخة سنة ١٠٩٧ /١٦٨٥ .
وقد بذل الشيخ النوري جهوداً كبيرة للحصول على النسخة ، فبعد نسخها عاد بها الى العراق ، فطبع الكتاب في منتدى النشر في العراق ، وشرحه محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، وقدّم له الشيخ عبد الحسين الحلّي مقدمة جامعة مفيدة ترجم فيها الرضي ، ويقع الكتاب في ٣٩٢ صفحة .

ب ـ منهج الرضي في كتابه :

يختصّ الكتاب بموضوع المتشابه في القرآن ، فهو يشرح الآيات المتشابهة على ضوء الأصل ، أي الآيات المُحكَمة ، والمبدأ الأساسيّ الذي اتخذه الرضي لنفسه في هذا الكتاب ولا يحيد عنه هو : ردّ المتشابه من الآي الى المُحكم منها[1] .

ويتمثّل منهج الرّضي في كتابه بتسلسل الأمور التالية :

١ ـ عرض المسألة ، أو الآية التي يسأل عنها ، ويُقسّم المسألة أحيانا الى عدد من الفصول يتناول كلّ فصل جانبا من شرح الرضي وتعليقاته[2] .

٢ ـ استعراض أقوال العلماء : (علماء الكلام ـ وآراء أصحاب المذاهب ـ وعلماء النحو واللغة)[3] . كما أورد في مسألة قوله تعالى حاكياً عن امرأة عمران : ﴿ **فلمّا وضعتها قالت ربِّ انّي وَضَعتها أنْثَى والله أعلمُ بما وضَعتُ وليسَ الذَّكرُ كالأُنثى . .** ﴾[4] .

تتلخّص المسألة فيمن يشكّ بأنّ الذكر ليس كالأنثى ، بدأ الرضي بشرح مناسبة الآية وظروف نزولها ، فامرأة عمران ، عندما حَملت بمريم اشترطَت ما في بطنها بالنّذر ، فكان ذلك منها بعد القعود واليأس من الولد ، فنذَرت ان تجعل ولدها سادناً يخدم بيت المقدس طلبا للقربة ، وكان لا يجوز لخدمة بيت المقدس الاّ الذكر . . .

---

(١) الشريف الرضي . حقائق التأويل ، ص / ٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص / ٨٣ و ٨٧ ، حيث أُلْحِقَ بالمسألة فصلاً يتناول الخلاف في قراءة ﴿**والله أعلَمُ بما وَضَعَتْ**﴾ بالتاء المضمومة وبالتاء الساكنة .

(٣) مسألة : (ليس الذكر كالأنثى) . حقائق التأويل ، ص / ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) سورة آل عمران . ٣/ ٣٦ .

ثم أخذ يستعرض آراء العلماء والفقهاء حول قصور النساءعن منازل الرجال في كثير من الأحكام ، فعرض لمسألة الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي حول شهادة النساء في عقود النّكاح ، فالشافعي لا يجيز شهادة النساء ، وأبو حنيفة يخالفه في ذلك ويجيز انعقاد النكاح بشهادة رجل وامرأتين ، وقد أيّد الرضي في هذه المسألة وجهة نظر أبي حنيفة واستشهد برأي شيخه أبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي ، ثم أورد دليلاً قاطعاً بذكر قوله تعالى : ﴿ **واسْتَشْهِدوا شَهِيدَينِ مِنْ رِجالِكُمْ ، فَإنْ لَمْ يَكونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وامرأتانِ . .** ﴾[1] . ونقل مسألة نحوية عن أبي الحسن الأخفش حول قول العرب للمرأة : « هذه شاهدي ، وقد تقول هذه شاهدتي » . وأبدى رأيه قائلا : « قلت أنا : وفي قولهم للمرأة : شاهدى ، سرّ لطيف من لطائف أسرار لغة العرب ، وهو أنهم أرادوا بذلك : تتميم نقيصة معناها باجراء صفقة المذكر عليها ، تشبيها لها به . . »[2] .

٣ ـ ثم يناقش الرضي الآراء السّابقة ويعلّق عليها منتقدا المخالفين : (هذا الرأي غير سديد ، أو هذا تعسّف وتكلّف ، أو هذا القول غير مرضي عندي . . .)[3] ، مستحسنا بعض الآراء مثنيا عليها : (هذا

---

(١) سورة البقرة . ٢/ ٢٨٢ .

(٢) الشريف الرضي . حقائق التأويل ، ص / ٨٦ .

(٣) الشريف الرضي . حقائق التأويل ، ٥/ ٣٩ ، حيث هاجم الفرّاء عندما فسّر : أن المراد بمَثَلَيكُم في الآية : ﴿ . . . **وأُخْرَىٰ كَافِرَة يَرُونَهُم مِثْلَيهم** . . . ﴾ ومن سورة آل عمران ، ١٣/٣ : ثلاثة أمثالكم « فهذا القول عندي غير سديد . . ولا اعتبار بما هذى الفرّاء . . » .

وكذلك في الصفحة ٤٥ ، حيث هاجم من فسّر المراد بقوله تعالى : ﴿**في منامك**﴾ إنما هو في عينيك ، فعبّر بالمنام عن العين لأن بها يكون النوم . فهذا قول ظاهر =

قول حسن ، أنا أذهب اليه واتّبع نهجه فيه . .)[1] .

٤ ـ كثيرا ما يستشهد الرضي بآيات قرآنية مشابهة للتي يشرحها ويعلّق عليها ، ثم يدعم رأيه بما سمعه من شيوخه ، وتعليقاتهم ، ويكثر بشكل خاص الاستشهاد بآراء شيخيه (ابن جنّي ، وقاضي القضاة عبد الجبار ابن أحمد المعتزلي) ، وقلّما تخلو مسألة من رأي هذا الأخير ، فكأن الرضي يستأنس بآرائه ، ويفضّلها على سواها من الآراء والتعليقات . . . ويورد رأيه دائما في نهاية المسألة أو الفصل[2] .

فنرى الرضي يوافق المعتزلة على عدد كبير من مبادئهم وآرائهم مثل (مبدأ الحسن والقبيح ، ومبدأ الوعد والوعيد ، وفكرة الثواب والعقاب ، ومسألة خلق الجنّة والنار . .)[3] . ويعود السبب في ذلك الى كثرة نقله عن المعتزلة ، وتأثّره بهم ، وتعضيده لرأي شيخه قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد المعتزلي ، وبالتالي الى تدرّج معتقده من الارجاء ، الى القول بالوعد والوعيد[4] .

= التعسّف ، شديد التكلّف ، لا ينبغي أن يُعتمد عليه ، ولا يُلتفت إليه . . وانظر أيضاً . حقائق التأويل ، ص / ٦٥ ، و ٩٢ .

(١) المصدر نفسه ، ص / ٥٢ . حيث استحسن قول أبي علي الجبائي ، ص/١٦٥ حيث يوافق رأي المبرّد ويتّبع نهجه في النحو .

(٢) المصدر نفسه الصفحات : ٢٢ و ٤١ و ٥٩ و ٦٨ و ١١٦ و ١٥٦ و ١٧٧ و ١٨٤ و ٢٠٤ و ٢٢٤ و ٢٣٤ و ٢٦٢ .

(٣) انظر في مبدأ الحسن والقبيح وفكرة الثواب والعقاب ، حقائق التأويل ، ص / ٥٥ ، ٥٦ . وفي مبدأ خلق الجنة والنار ص / ٢٤٥ . ومن المبادىء التي ينقلها عن المعتزلة : فكرة الميزان وخلاصته : ان الأعمال يستحيل أن توزن ، فلذلك يُجعل الضياء في إحدى كفتي الميزان ، وتُجعل الظلمة في الكفة الأخرى .

(٤) حقائق التأويل ، ص / ١٧ .

٥ ـ فضلا عن الشواهد القرآنية وأقوال شيوخه ، يسوق الرضي في بعض المسائل والفصول شواهد شعرية لفحول الشعراء ويعلّق عليها .

كما يورد في كل مسألة تعليقات لغوية ونحوية (كاعراب بعض الكلمات)[١] ، وبلاغية (كذكر تشبيه أو استعارة أو مجاز)[٢] .

ثم يذكر ابتكاره واستنباطه لآراء وتأويلات لم يُسبق اليها[٣] .

---

(٢) اعراب مثنى وثُلاث ورُباع ، فهي كلمات غير منصرفة ، لأنه اجتمع فيها علّتان من العلل المانعة للصرف . . الشريف الرضي . حقائق التأويل ، ص / ٣٠٦ .

(٣) كمعنى ازاغة القلوب من الله تعالى على سبيل المجاز ، المصدر نفسه ، ص / ١٩ .

(٤) يقول الرضي : « فمن ذلك ما تنبّه عليه خاطري منذ ليال ـ وقد بلغتُ من وظيفة التلاوة الى السورة التي يذكر فهيا الشورى وهي (حَمَ عَسَقَ) ، وذلك في قوله تعالى في آخر هذه السورة ﴿**لله مُلْكُ السّموات والأرض يَخلق ما يشاءُ يَهبُ لِمَنْ يَشاء إناثاً وَيَهبُ لِمَنْ يَشاءُ الذّكور**﴾ الآية / ٤٩ ، فانظر إلي لطيف فرقه تعالى بين الإناث والذكور ، بأن جعل الإناث نكرة والذكور معرفة ، فقال (إناثاً) ثم قال : (الذكور) لأنهم أعرف سمات وأعلى طبقات ، وهذا من لطائف الحكمة وشرائف البلاغة ولعلّي أن أورد في أثناء هذا الكتاب ، مما لا أعلم سابقاً سبقني إلى استنباطه ولا رامياً رمى قبلي في أغراضه . . .» . الشريف الرضي . حقائق التأويل ، ص / ١٠٣ . ومن استنباط الرضي قوله أيضاً : في تعليقه على معنى قوله تعالى : ﴿ **قل لو كُنْتُم في بيوتِكُم لبَرَزَ الذين كُتِبَ عَلَيْهُمْ القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ . . .** ﴾ سورة آل عمران ، ٣ / ١٥٤ .

« أن تكون المضاجع عائدة إلى الذين قُتلوا ، لا إلى الذين قتلوا ، ويكون ـ في ذكره تعالى ـ القتل الذي هو مصدر ـ وقد قدّرنا أنه واقع على المفعولين ههنا دون الفاعلين . دلالة على أنّ هناك مقتولين ، فَحَسُنَ لذلك ان يقول (إلى مضاجعهم) ويرّد الضمير فيها إليهم .

وهذا قول لي ، ولم يمض لأحد من العلماء . . . » .

المصدر نفسه ، ص / ٢٦٩ .

وخير مثال على تعليقاته النحوية وابتكاره في هذا المجال مسألة **الواو الزائدة في القرآن** : ومن سأل عن معنى قوله تعالى : ﴿ **انّ الذين كفروا وماتُوا وهُم كُفّارٌ فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهبا ولو افتدى به . .** ﴾[1] .

فقال : وجه الكلام أن يقول : « لو افتدى به » ، بغير واو ، فما معنى دخول الواو ههنا ، والكلام غير مضطرّ اليها .

فالجواب : أنّ في ذلك أقوالا للعلماء : فمنها ـ وهو أضعفها ـ أن تكون الواو هنا مقحمة كاقحامها في قوله تعالى: ﴿ **حتى إذا جاؤُوها وفُتحَت أبوابُها** ﴾[2] والمراد به فتحت أبوابها .

وأقول : انّ لأبي عبّاس المبرّد مذهبا في جملة الحروف المزيدة في القرآن ، أنا أذهب اليه وأتّبع نهجه فيه ،وهو: اعتقاد ان ليس شيء من الحروف جاء في القرآن الا لمعنى مفيد ، وذلك أنّ الزيادات والنقائص في الكلام تكون في الشعر . أما في النثر فالزيادات لا تكون الّا عيّا . . . وهذه منزلة ترفّع عنها كلام الله ، وهي من معجزات القرآن . .

وفي القرآن موضعان آخران[3] جاءت فيهما هذه الواو التي قُدّر أنّها

---

(١) سورة آل عمران ، ٣/ ٩١ .

(٢) سورة الزّمر ، ٣٩/ ٧٣ .

(٣) الموضع الأول ، في قوله تعالى : ﴿**فلمّا ذَهَبوا به وأجْمَعُوا أنْ يَجْعَلُوهُ في غَيَابَةِ الجُبِّ وَأوْحَيْنَا إليه لَتُنَبِئنهُم بأمْرِهِمْ هذا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ سورة يوسف ، ١٢/ ١٥ ، فالتأويل هنا : (حتى إذا ذهبوا به . .) كالتأويل في آية سورة الزمر تماماً ، فخفي هذا الموضع عن الإستشهاد به .

والموضع الثاني ، في قوله تعالى : ﴿**فَلَمَّا أسْلَمَا وَتلَّهُ للجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ اَنْ يَا إبْرَاهيمُ قد صُدِّقَتْ الرُؤيَا . . .** ﴾ . =

مزيدة ، ما رأيت أحدا ينبّه عليهما ، وانما عثرت أنا بهما عند الدرس ، لأن العادة جرت بي في التلاوة أن أتدبّر غرائب القرآن وعجائبه . . .[1] .

ج ـ مقارنة (بأمالي) المرتضى :

يطرح الرضي المسائل في (**حقائق التأويل**) على غرار طريقة المرتضى في (**الأمالي**) . فهناك تشابه ، بل تطابق في عرض بعض المسائل وفي الاجابة عنها مثل : ـ تأويل الآية الثامنة من سورة آل عمران ﴿ **رَبّنا لا تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْدَ إذْ هَديتَنَا وَهبَ لنا من لَدُنكَ رَحمَةً إنّكَ أنْتَ الوَهّابُ** ﴾ .

فالمرتضى ينقل تأويل قاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبّار بن أحمد المعتزلي **٤١٥ / ١٠٢٤** دون تسميته . لكنّ الرضي يورد أقوال كثير من العلماء ، ومن جملتهم قاضي القضاة ، ومنه عرفنا أنّ المرتضى ينقل تفسيره[2] . كما نقل المرتضى جواب أبي علي الجبائي محمد بن عبد الوهّاب **٣٠٦ / ٩١٨** ، وقد أشار الرضي الى طريقته في تأويل هذه الآية والرّجلان من شيوخ المعتزلة .

ونشير هنا الى ايجاز المرتضى في تأويله وتعليقاته ، بعكس الرضي الذي يستطرد كثيرا فيلجأ الى مباحث مختلفة في غرضه لهذه المسألة ، فهو

= سورة الصافات ، ٣٧/ ١٠٥ . فلم يكن بعد قوله تعالى : (فلمّا) ما يجوز أن يكون خبراً لها ، فالمواضع الثلاثة إذن متساوية » .
الشريف الرضي . حقائق التأويل ، ص / ١٧٠ ، ١٧١ .

(١) الشريف الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ١٧٠ .

(٢) المرتضى ، الأمالي ، ٢/ ٢٦ .

يتحدّث عن المحكم والمتشابه ، ثمّ تطوّر معتقده (ففي أول الكتاب يقول بالأرجاء ، وفي وسطه ونهايته يقول بالوعيد) ، ثمّ يستشهد بعدد كبير من الآيات ، ويردّ المتشابه فيها الى المحكم ، ثم يشرح معنى الزّيغ في اللغة (فاذا هو العدول عن الشيء ، ويستشهد بشعر للبيد بن ربيعة ، وينتقل بعد ذلك الى بحث نحويّ ممتع ، فيتحدّث عن أفعل التفضيل في الألوان والعيوب ، ويدعم رأيه بأقوال شيخه وصديقه ابن جنّي .

وانتقل في نهاية المسألة الى ذكر الخوارج ، فقد رُوي عن بعض الصّحابة في قوله تعالى : ﴿ **فلمّا زاغُوا أزاغَ الله قُلوبهُم** ﴾[1] ـ وهي الآية المحكمة ـ فهم المقصودون في هذه الآية . وذكر أخيرا أنّ الخروج من قصّة الى قصة في الآية الواحدة كثير في القرآن . وانهى المسألة على غرار شقيقه المرتضى : (وفي ما ذكرناه من ذلك بلاغ ومقنع بتوفيق الله تعالى)[2] . هذا هو منهج الرضي في كتابه .

هذا التقارب والتّشابه بين الكتابين مردّه الى أنّ الشريفين درسا معا ، على شيوخ مشتركين ، فتلقّيا معلومات واحدة وخاصة على :

أبي عبد الله المرزباني ٣٨٤ / ٩٩٤ ، والشيخ المفيد ٤١٣ / ١٠٢٢ ، وأبي الحسن عبد الجبّار بن أحمد المعتزلي ٤١٥ / ١٠٢٤ .

أضف الى ذلك أنّ المرتضى أملى مجالسه في طريق الحجّ سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣ ومعه أخوه الرضي والوزير الحسن بن حمد بن أبي الرّيّان .

---

(١) سورة الصّف ، ٦١/ ٥ .

(٢) الشريف الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ١٥ .

ويبدو أن هذه المجالس أملاها المرتضى في أزمنة مختلفة متعاقبة ، وقد فرغ منها سنة ٤١٣ / ١٠٢٢ . وقد تنقّل فيها من موضوع الى موضوع ، ومن غرض الى آخر ، اختار بعض آي القرآن الكريم الذي يثار حول تأويله اشكال ، فعالج التأويل على طريقة أصحابه من المعتزلة ، أو أصحاب العدل كما كان يسمّيهم ، وأيّد أقواله بما دار على ألسنة العرب من نصوص الشعر واللغة ، واختار طائفة من الأحاديث النبوية التي يختلف العلماء في تأويلها ، وحاول تفسيرها ، مستعينا بشواهد الشعر واللغة . ثم عرض لمسائل كلامية دار الجدل حولها[1] . واختار أيضا بعض الموضوعات التي عالجها شعراء العربية في الجاهلية والاسلام ، فوازن بينها ونقدها في كثير من الأحيان .

بدأ المرتضى باملاء (**أماليه**) قبل أن ينتهي الرضي من (**حقائق التأويل**) ، لأن الرضي ينقل تعليقات شقيقه المرتضى أحيانا في ثنايا كتابه دون ذكر الاسم .

هذه الأسباب جعلت الكتابين متشابهين في منهج البحث ، وفي مناقشة المسائل ، وحشد الأدلّة والشواهد المختلفة ، وان غلب الطابع العلميّ والفقهي على « أمالي » المرتضى ، فقد طغى الطابع الأدبي والبلاغي واللغوي على « حقائق التأويل » .

د ـ قيمة الكتاب :

يمثّل هذا الكتاب صورة واضحة لثقافة الرضي وشمولها مختلف ميادين المعرفة ، ويدلّ بشكل خاص على عناية الرضي بالقرآن الكريم

---

(١) مثل رؤية الله ، وخلق أفعال العباد ، وإرادة الله للقبائح ، والقول بوجوب الأصلح . . .

وتمرّسه في : « تدبّر غرائبه وعجائبه وخفاياه وغوامضه ، فلا أزال أعثر فيه بغريبه وأطّلع على عجيبه ، وأُثيرُ منه سرّا لطيفا ، وأُطلع خبيّا طريفا . . . »[1] .

من هنا ندرك أن ادامة النظر في القرآن كانت له ديدنا ومنهجا . ولا ريب في أنّ الكتاب من أعظم تصانيف الرضي الباقيّة على مرّ الزمن ، ومن أدلّها على عقيدة الرضي ومنهجه الكلامي ، وقوّة عارضه في مناقشة الآراء ، وفي ردّه على المخالفين في ثقة ومنطق ، وفي ابتكاره لأفكار وآراء طريفة لم يسبق اليها .

والشريف الرضي يفتخر بهذا المصنّف وينعته بالكتاب الكبير في متشابه القرآن ، وهذا النعت ينطبق عليه ، لأنه كبير ، فقد قيل : انه في كبر تفسير أبي جعفر الطوسي ٤٦٠ / ١٠٦٧ (عشرة أجزاء) ، ويختصّ بموضوع المتشابه .

ولقد أشارت معظم المصادر الى مكانة الكتاب ، وأبرزت قيمته ، ووصفته بأنه نادر في بابه ، وقد دلّ على توسّع الرضي في علم النحو واللغة .

وقد جمع الكتاب قيماً متعددة ومزايا فريدة بشكل خاص معرض لأقوال : علماء الكلام ـ وفقهاء المذاهب ، أئمة النحو واللغة .

وتتجلى قيمة الكتاب بثلاث اتجاهات متداخلة ومتشابكة فيما بينها وهي :

١ ـ قيمة لغوية ونحويّة .

---

(١) الشريف الرضي . حقائق التأويل ، ص / ١٧٠ .

٢ ـ قيمة دينيّة وعلمية .

٣ ـ قيمة تاريخية .

١ ـ قيمته اللغويّة والنحويّة :

عرض الشريف الرضي في كتابه لجملة من آراء النحويين واللغويّين وتعقّب المخالفين لرأيه في أمور لغوية ونحويّة دلّت على تبصّره بدقائق اللغة وحسن استعمالها ، كما فعل في مناقشته لرأي الامام الشافعي : (حكي عن الشافعي قوله في تأويل : (ذلكَ أدْنَى ألاّ تعولوا)[1] ، وهم فيه ، وخالف أهل اللسان في الذهاب اليه ، وذلك أنه قال : (ألاّ تعولوا) ههنا معناه ألاّ يكثُر من تعولون . وهذا خطأ بيّن ، لأنّ الأمر لو كان على ظنّه لكان وجه الكلام : (ألاّ تعولوا) أي : تكثروا عيالكم . . . وأورد الكثير من الأمثلة : مثل قولهم : أمشى الرجل ، اذا كثرت ماشيته ، وأثرى : اذا كثر ماله فصار كالثرى كثرة ، وكذلك يقال : أعال الرجل اعالة ، اذا كثر عياله . . .) .

ثم استشهد ببيت من الشعر :

وَمـا يَـدري الفَقـيرُ مَـتَى غِنـاهُ وَمَـا يَـدري الغَنيُّ مَـتَى يَعيـلُ

ثمّ تعقّب الشافعي أيضا في كثير من المعاني والاستعمالات اللغوية ، فأظهر ضعفها وأبان عن وجه الخطأ فيها ، كقول الشافعي : « ان الواو توجب الترتيب » ، فأجاب الرضي : ولم يقل ذلك أحد من علماء العربية ، بل أجمعوا كلهم على أنها توجب الاشتراك والجمع . وقد

---

(١) سورة النساء ، ٤/ ٣ .

(٢) الشريف الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ٢٩٥ . متى يعيل : أي يفتقر ، ويقال : علت العيال عولاً ، إذا قمت بهم .

أخطأ الشافعي خطأ فاحشا في بعض كلامه : « لي ثوب يسوى كذا » . لأنه يقال : يساوي كذا ، ولا يقال يسوى . وقال أيضا : « وانّ معنى قولهم أَشْليتُ أي أَغريتُ » ، وهذا خلاف كلامهم لأنّ الاشلاء عندهم الدعاء ، قال الشاعر :

أَشليتُ عَنزى وَمسَحتُ قَعبي : أي دَعَوتها لأحتَلبَها . .[1]

ومن المسائل النحوية التي ذكرها الرضي ، مسألة التفضيل في أفعال العيوب والألوان .

فمن تعليقاته : فأمّا قوله تعالى : ﴿ **فهُوَ في الآخرة أعمَى** ﴾[2] فلا يجوز أن يكون أفعل من عمى العين ، لأن هذا الجنس ممّا لا يقع التزايد فيه ، فلا يقال : هذا أعمى من هذا ولا هذا أعور من هذا ، من أجل أنّ هذه العيوب والألوان خلق في الجسد بمنزلة اليد والرجل وسائر الأعضاء المباينة للاحداث والافعال ، ولأن الألوان والعيوب أفعالها في الأصل على أكثر من ثلاثة أحرف[3] ، وكان شيخنا وصديقنا أبو الفتح

---

(١) ويعترف الرضي بمكانة الإمام الشافعي قائلاً : والشافعيّ وإن كان له موضع من العلم لا ينكر وحق فيه لا يدفع ، فليس ينبغي أن يعجب من وهمه ، فيما يجري هذا المجرى من لغة العرب ، ومصارف لسانها ومواقع بيانها ، فإنّ ذلك لا يسلم منه إلاّ من أوغل في تلك المضائق ، وثبّت قدمه على تلك المزالق . . الشريف الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٢) سورة الإسراء ، ١٧ / ٧٢ .

(٣) لأننا نقول في الألوان : احمرّ ، واحمارّ ، وابيضّ وابياضّ ، وفي العيوب : اعورّ واعوارّ ، بالتشديد فتبلغ بالزيادة ستة أحرف أو خمسة . ولا يجوز أن يقال : هذا افعل من هذا إلاّ في أفعال التعجب . الشريف الرضي . حقائق التأويل ، ص / ٢٩ ، ٣٠ .

النحـوي يقـول : « أمّـا قـولهم عـور وحـول فـالأصـل فيـه أعـوّر وأحولّ . . »[1] .

وتحدّث الرضي عن (كان) ومواضعها الأربعة نقـلا عن شيخه أبي الحسن علي بن عيسى النحوي قال لي في القراءة عليه : انّ لكان أربعـة مواضع : احـدهـا أن تكـون مستقلّة بالفـاعل ، غـير مفتقرة الى الخبـر نحـو : (كان الأمـر ، أي حدث ووقـع . والثاني أن تكـون ممنوعـة من الحدث مفتقرة الى الخبر ، نحو : (كان زيد منـطلقا) ، والثـالث ، أن تكـون زائدة ، مثـل قولهم : (زيـد ـ كان منـطلق) ، و (مـا ـ كـان ـ أحسن زيـدا) ، والـرابـع ، أن تكـون كصـار ، تقـول : (كـان زيـد منطلقا) ، أي صارت حالـة هذه . .[2] . كـما ذكر الفـرق بين الـلاّئي والـلاّتي ، وعرض لقـول ابن جنّي في هذا المجـال : انّ اللاّتي والـلاّئي جميعـا جمعـان للتي ، الاّ أنّ الـلاّتي للجمـع القليـل والـلاّئي للجمـع الكثـير . .[3] . ثم عرض لمسـألة الـوقف ، أو العطف في الآيـة ﴿ **وَمَـا يَعلمُ تـأويلَهُ إلاّ الله والـراسخـون في العلمِ** ﴾[4] ، هـل الـواو حـرف عطف أم واو ابتداء ؟ فقـد اختلف العلماء في هذه القضيّـة ، فمن جعل الوقف عند اسم الله تعـالى ، أخرج العلماء عن أن يعلمـوا كنه التـأويل وحقيقته . .[5] ، أما الرضي فيقف في ذلك عـلى منزلـة وسطى وطـريقة

---

(١) لأن العور والحول أدخل في باب الخلقة من الألوان . فالرضي ينقـل هنا رأي استـاذه ابن جني ، المصدر نفسه ، ص / ٣٠ .

(٢) الشريف الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ٢٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص / ٣٠٤ .

(٤) سورة آل عمران ٣٠/ ٧ .

(٥) نقـل الرازي في تفسيـره : أنّ أبا عـلي الجبائي يقـول بالـوقف في الآية وأن الـواو واو الإبتـداء ، وعنه نقـل المرتضى في (الأمـالي) ، وهذا النقـل لا ينافي مـا ذهب إليـه المؤلف .

مثلى ، فلا يخرج العلماء عن أن يعلموا شيئا من تأويل القرآن ، ولا يعطيهم منزلة العلم بجميعه[1] .

ذكر الرضي اختلاف العلماء (المبرّد والزّجاج) في موضع كان من قوله تعالى : ﴿ **إنّه كانَ فَاحشَةً وَمَقتاً** ﴾[2] .

يقول المبرّد : يجوز أن تكون (كان) زائدة ، ويكون المعنى انه فاحشة ومقت .

وخطّأه الزّجاج في ذلك وقال : لو كانت زائدة في الآية لم ينصب خبرها والدليل على ذلك هذا البيت :

فكيفَ اذَا حَلَلْتَ بِدارِ قَومٍ وَجيرانٌ لنا كانوا كِرام

فانّ (كان) لمّا كانت زائدة فيه لم تعمل[3] . وأمّا الرضي فقد وافق رأي استاذه ابن جني[4] .

ومن تعليقاته اللغوية معنى القيام في قوله تعالى : ﴿ **الاّ ما دُمتَ عليهِ قائماً** ﴾[5] فالقيام المراد في هذه الآية الدّوام على اقتضاء الدين ، وأصله من السكون ، ومنه الحديث : « لا يَبولنّ أحَدُكُمْ في الماءِ

---

(١) الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ٨ .

(٢) الشريف الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ٣٢٠ . والآية من سورة النساء ، ٤/ ٢١ .

(٣) الشريف الرضي حقائق التأويل ، ص / ٣٢٠ . والآية من سورة النساء ٤٠/ ٢١ .

(٤) يقول ابن جني : (كان) هنا مثل كان في قوله تعالى : ﴿**وكان الله غفوراً رحيماً**﴾ أو ﴿**وكان الله عليماً حكيماً**﴾ فدخلت كان لتدلّ على أن هذا الأمر من قبل هذه الحالة كان كذا ولم يحدث الآن . . المصدر نفسه ، ص / ٣٢١ .

(٥) سورة آل عمران ، ٣/ ٧٥ .

الدائم » ، أي ؛ الساكن . وللقيام في لغة العرب معنى آخر ، وهو أن يريدوا به تحقّق الشيء وصحّته وبلوغ غايته ، فمن ذلك قولهم ، قد قامت السّوق ، أي استحرّ بيعها ، وبلغت غايتها ، وكذا قولهم : قد قامت القيامة ، أي : قد تبيّن أمرها وصحّ ، وظهر ووضح . .[1] .

ومن تعليقاته النحوية الطريفة التذكير والتأنيث في قوله تعالى : ﴿ **يا مريم انّ الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح** . . ﴾[2] . فأما قوله تعالى : (بكلمة منه اسمه المسيح) ، ولم يقل : اسمها فانه حمل الكلام على المعنى لا على اللفظ ، فذكّر لأن معنى الكلمة ههنا مذكّر وهو : عيسى ، أو الشيء ، أو الولد ، أو الشخص . . .[3] .

ومن غرائب القرآن وبدائعه وعجائبه وغوامضه التذكير على المعنى ، كذلك عندما فرّق بين الذكور والاناث ، فجعل الذكور معرفةوالاناث نكرة[4] .

والأمثلة كثيرة ، ونكتفي بهذا القدر ، للدلالة على الفوائد اللغوية ، والنحوية التي عالجها الرضي في كتابه ، وبالتالي على قدرة الرضي اللغوية والنحويّة .

٢ ـ قيمته الدينيّة والعلمية :

عرض الرضي في كتابه آراء الفقهاء ، وأصحاب المذاهب المختلفة

---

(١) الشريف الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ١٣٠ ، ١٣١ .
(٢) سورة آل عمران ، ٣/ ٤٥ .
(٣) الشريف الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ١٠٠ .
(٤) فصّلنا القول في هذه القضية ، ص ٣٤٧ حاشية / ٣ . وراجع في الصفحة نفسها أيضاً . رأى الرضي بالنسبة للأحرف الزائدة في القرآن .

لمسائل دار الجدل حولها مثل : (حُكم الجاني خارج الحَرَم وداخله) . وقد اختلف الفقهاء فيمن جنى في غير الحرم ثم لجأ اليه ، فقال أهل العراق (أبو حنيفة وأصحابه أبو يوسف ومحمد بن الحسن وزفر ، والحسن بن زياد اللؤلؤي) : اذا قتل في غير الحرم ثم دخله لم يقتصّ منه ما دام فيه ، ولكنه لا يبايع ولا يشاري ولا يطعم ولا يسقى ، الى أن يخرج من هناك فيقتصّ منه ، وان قتل في الحرم قتل فيه ، وان جنى فيما دون النفس في الحرم أو في غيره ثم دخله ، اقتصّ منه فيه .

وأهل العراق يعتمدون في هذا الرأي على ما روي عن (ابن عبّاس ، وابن عمر ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وطاوس ، والشعبي) : فيمن قتل ثم لجأ الى الحرم : أنه لا يقتل[1] .

أمّا أهل المدينة (مالك والشافعي) فيقولون : يقتص منه في الحرم في ذلك كلّه .

أمّا رأي الرضي فيتلخّص بما يلي : كلّ حقّ وَجَبَ عليه (أي الجاني) فيما دون النفس أُخذَ به ، وان لجأ الى الحرم[2] .

كما تصدّى الرضي للمشبّهة والمجسّمة ، ودعا الى تأويل الآيات وعدم حمل القول على ظاهره ، فيجب ردّ المتشابه الى المحكم ، لأنّ من صفة المتشابه ألاّ يُقتبس علمه من ظاهره[3] . وقد مرّ بنا اختلاف

---

(١) المعروف عند علماء الإمامية أنه لا يقتصّ من الجاني في الحرم مطلقاً سواء جني بما يوجب حدّاً أو قصاصاً ، نعم يضيّق عليه في المطعم والمشرب ، حتى يخرج من الحرم فيؤخذ بجنايته . محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، حقائق التأويل ، ص / ١٩٤ .

(٢) الشريف الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ١٩٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص / ٢٣ . راجع ص ٣٤٢ حاشية / ٢ .

الشافعي وأبي حنيفة حول شهادة النساء في عقود النّكاح في تأويل قوله تعالى : ﴿ **وليس الذكر كالأنثى** ﴾[1] .

تحدّث الرضي عن مسألة التقيّة ، فاورد رأي الشيعة الامامية فيها ، وعرض لاختلافه معهم في تطبيقها ، وقد وردت في قوله تعالى : ﴿ **لَا يَتَّخِذ المؤمِنونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دونِ المؤمِنِينَ وَمَنْ يفْعَل ، ذَلِكَ فَلَيسَ مِنَ الله في شَيءٍ إلّا أنْ تَتَقوا مِنْهم تُقاةً** ﴾[2] . هذا الاستثناء : (الّا أن تتقوا منهم تقاة) أباح في هذه الحال وعند الخوف من الكافرين اظهار موالاتهم قولا باللسان ، لا عقدا بالجنان .

يقول الرضي : انّ من أُكره على الكفر فلم يفعل حتى قُتل ، انّه أفضل ممن اظهر الكفر بلسانه وان أضمر الايمان بقلبه . . . انّ اعطاء التقيّة رخصة ، وأن الافضل ترك اظهارها ، وكذلك الحال في كل أمر فيه اعزاز للدين ، فاقامة المرء عليه حتى يقتل أفضل من الأخذ بالرخصة في العدول عنه حتى يسلم[3] .

وتتجلى القيمة الدينية للكتاب بكشفه عن سبب نزول بعض الآيات ، أين نزلت وفيمن نزلت ، ويدخل ذلك كلّه في علم أسباب النزول ، ومن الأمثلة التي ذكرها الرضي :

---

(١) راجع ص / ٣٤٥ .

(٢) سورة آل عمران ، ٣/ ٢٨ .

(٣) وأعطى أمثلة على ذلك : أسر المشركون بمكة حبيب بن عدي وطالبوه بإظهار كلمة الكفر أو العرض على القتل ، فلزم الحنفيّة ، ولم يعط التقيّة حتى قتل على ذلك ، وكان عند المسلمين أفضل من عمّار بن ياسر حين أعطى التقية . . . الشريف الرضي . حقائق التأويل ، ص / ٧٦ .

في قوله تعالى : ﴿ إنّ الذين كَفَروا بعد ايمانهم ثمَّ ازدادوا كُفرا لَنْ تُقبَلَ توبَتَهُم وأُولئك همُ الضّالـون ﴾[1] . فمعنى قولـه : (ازدادوا كفرا) ، قيل : انّ هذه الآية نزلت في اليهود ، لأنهم كانوا يبشّـرون بنبوّة محمد من خلال بعض الأوصاف والسّمات ، فلما ظهر الـرسول كذّبه أعداء الله حسدا له ونفاسة على العرب بمثله[2] . وقيل : انّ اليهود كفروا بعيسى وما أنزل عليه ، ثم ازدادوا كفرا بمحمد .

وفي آية (رؤ ية الموت)[3] كان سبب نزول هذه الآيـة أن قومـا من أصحاب النبي ـ ممن لم يشهدوا بدرا ـ كانوا يتمنون يوما مثل يوم بدر يستدركون فيه ما فاتهم من شرف المسعاة فلما استنهضوا للجهـاد يوم أحد نكص بعضهم وفرّ بعضهم[4] .

ثم عرض لمسائل كلاميـة ، أقيمت حولهـا المناظـرات ، ودار حولهـا الجـدل في تلك الفترة مثـل : الجنّة والنـار مخلوقتان الآن أم تخلقـان بعد فناء العباد ؟[5] ، مسألة رؤ ية الموت ، وتفسير الرؤ ية[6] ، مسألـة الجبر والاختيار في أفعال الانسان[7] ، رأي المرجئة والمعتزلة في مسألـة مرتكب الصغائر والكبائر[8] .

---

(١) سورة آل عمران ، ٣/ ٩٠ .

(٢) الشريف الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ١٦٣ .

(٣) الآيـة وهي : ﴿وَلَقَـدْ كُنْتُمْ تَمَنّـونَ المَـوْتَ مِنْ قَبْـلِ أَنْ تَلْقـوه فقـدْ رَأَيْتُمُـوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ سورة آل عمران، ٣/ ١٤٢ .

(٤) الشريف الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ٢٥٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ٢٤٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص / ٢٤٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ص / ٢٦٦ .

(٨) المصدر نفسه ، ص / ٣٦١ .

كما أظهر لنا اختلاف القرّاء في قراءة عدد من الألفاظ في بعض الآيات ، ومسألة الوقف أو العطف في بعضها الآخر ، ومن أمثلة ذلك : (قراءة « وضعتُ » بضم التاء وسكونها) في قوله تعالى : ﴿ **والله أعلمُ بما وضَعتُ** ﴾[1] . كما اختلف القرّاء بقراءة : ﴿ **لما آتَيْتُكُمْ من كتاب وحكمة** ﴾ بكسر اللاّم وفتحها[2] ، وقراءة ﴿ **لو تُسَوّى بهم الأرضُ** ﴾ مضمومة التاء خفيفة السين ، أو مفتوحة مشدّدة السين تَسّوَى)[3] .

واختلافهم في قراءة « تَرَوْنَهُمْ » بالياء وبالتاء[4] . كما قريء قوله تعالى : ﴿ **الاّ أن تتّقوا مِنْهُمْ تُقاةً** ﴾ أو « تقيّة »[5] . وقد مرّ بنا مسألة العطف ، أو تركه في قوله تعالى : ﴿ **وما يَعْلَمُ تأويلَهُ الاّ الله والرَّاسِخونَ في العِلْمِ . . .** ﴾[6] .

ترجع قيمة ما عرض له الرضي في هذه المسائل من تأويل الآيات الى أنّها تعدّ صورة لتفسير القرآن الكريم عند علماء الاعتزال ، ممّا لم يصل الينا من كتبهم الاّ القليل النادر .

---

(١) سورة آل عمران ٣٠/ ٣٦ ، قرئت (وضعت بضم التاء لعبد الله بن عامر ولأبي بكر بن عيّاش عن عاصم ، ولبقيّة السبعة بتسكينها ، وكان أبو علي الفارسي يقول قراءة وضعت بتسكين التاء أجود . الشريف الرضي . حقائق التأويل ، ص / ٨٧ .

(٢) قرئت لما باللاّم المكسورة لحمزة بن حبيب،لأنها لام الإضافة،ولما (مفتوحة) لباقي القرّاء السّبعة لأنها لام الابتداء ،المصدر نفسه ،ص / ١٤٥ .سورة آل عمران ،٣/ ٨١ .

(٣) سورة النساء ٣٠/ ١٣ حقائق التأويل ، ص / ٣٤ .

(٤) قرأ أهل المدينة والبصرة عن أبي عمرو : ترونهم بالتاء، والباقون بالياء ـ سورة آل عمران ٤ / ٤٢ حقائق التأويل ص / ٣٤ ـ

(٥) سورة آل عمران ٣١ / ٢٨٠ ، حقائق التأويل ، ص / ٧٤ .

(٦) راجع ص / ٣٥٥ ، سورة آل عمران، ٣/ ٧ .

٣ ـ قيمته التاريخية :

تتجلى القيمة التاريخيّة للكتاب بتأريخه لبعض الأحداث الحاصلة وبذكره لأخبار بعض الأشخاص والقبائل ، وبعرضه لمسألة الأقدمية بين بيت المقدس ومكة (مسألة أوّل بيت وضع للناس)[١] . ﴿ **انّ أول بيت وضع للناس الّذي ببكة مباركا وهدى للعالمين** ﴾[٢] . وقيل انّ هذه الآية نزلت على سبب ، وذلك أنّ اليهود قالوا : « بيت المقدس أعظم قدرا من الكعبة ، لأنه مهاجر النبيّين . وقرارة الصّدّيقين » . فنزلت الآية ﴿ **انّ أَولَ بيتٍ . . .** ﴾ . وجاء في الخبر : (أنه أصاب بني اسرائيل على عهد داود طاعون أسرع فيهم وذهب بعامتهم ، فخرج داود بالناس الى موضع بيت المقدس ، فدعا الله سبحانه أن يرفع عنهم ذلك الموتان ، فاستجيب له ، فاتخذ ذلك الموضع مسجدا تبرّكا به وتعظيما له) .

هذا الخبر يدل على سبب بناء بيت المقدس ، وزمن بنائه ، والبيت الحرام في مكة أقدم وضعا من بيت المقدس ، اذ كان بانيه ابراهيم واسماعيل ، بينما بنى بيت المقدس داود وأتمّه سليمان ، وبين داود وسليمان وبين جدّهما ابراهيم قرون خالية وأمم كثيرة .

وأورد الرضي خبر الآية التالية : ﴿ **إنّ الذين كَفَروا بَعْدَ ايمانِهِمْ ثمَّ ازدَادوا كُفراً لَنْ تُقبلَ تَوْبَتُهُم وأولئك هُمُ الضّالّونَ** ﴾[٣] . روي أنّ هذه الآية نزلت في قوم ارتدّوا مع الحارث بن سويد بن الصّامت

---

(١) الشريف الرضي ، حقائق التأويل ، ص / ١٧٤ .
(٢) سورة آل عمران ، ٣/ ٩٦ .
(٣) سورة آل عمران ، ٣/ ٩٠ .

الأنصاري ولحقوا بمكّة ، ثم راجع الحارث الاسلام ووفد الى المدينة ، فتقبّل النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) توبته ، فقال من بقي من أصحابه على الرّدّة : (نقيم بمكة ما أردنا فاذا صرنا الى أهلنا رجعنا الى المدينة ، وأظهرنا التّوبة ، فقبلت منّا كما قبلت من الحارث قبلنا) ، لذلك قال سبحانه : ﴿ **وأولئك هُمُ الضّالّون** ﴾[1] .

وانّنا نجد لدى استعراض أقوال العلماء في تأويل آية من الأيات كثيرا من الأخبار والأسماء التي كانت لها صلة بحوادث تاريخيّة مع النبيّ وأصحابه ، كالآية التي نزلت يوم أحد عندما أصيب النبيّ بجبهته ﴿ **ليسَ لكَ من الأمرِ شيءٌ** ﴾[2] .

وبهذه المسائل المتنوّعة ، والفصول المختلفة ، والمباحث الجليلة ، واستعراض أقوال العلماء والفقهاء وأئمة النحو واللغة ، وتأويل الكثير من الآيات المتشابهة ، التي تثير الجدل والأشكال عند علماء التفسير ، اجتمع للكتاب فوائد جليلة ومميّزات كبيرة ، وعدّ الرضي من كبار العلماء والفقهاء كما كان من كبار الشعراء ، وهذا ما سنبيّنه في الفصول التالية .

---

(١) حقائق التأويل ، ص / ١٥٧ .

(٢) سورة آل عمران ٣٠/ ١٢٨ . قال الزّجاج : هذه الآية نزلت يوم أُحُد بعد مصاب النبي بما أصيب به وقوله ـ وهو يمسح الدّم عن وجهه ـ « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبّيهم وهو يدعوهم الى ربّهم » . فنزلت الآية ، حقائق التأويل ، ص / ٢٣٢ .

خلاصة : خصائص الشريف النّاثر :

يبدو الشريف الرضي الناثر عالما أديبا ، فهو واسع الأفق ، غزير الثقافة ، متعدّد المواهب ، يكتب في الفقه والتوحيد والنحو والبيان .

ولا ننسى أنّ الرضي كان اماما من أئمة الدين ، لذلك كان بصيرا بكل المذاهب ، متضلّعا بعلوم الفقه والنحو واللغة ، مؤمنا بمباديء الاعتزال مشاركا في الجدل الكلامي ، والمساجلات التي دارت في حلقات العلم والمساجد في تلك الآونة ، فحاجج الخصوم ، وبلغ الغاية في كتاب (**حقائق التأويل**) . وأتى بالغرائب في ميادين الفكر والعقل ، حتى صحّ القول بأنه تفرّد بآراء لم يسبق اليها .

والآثار الباقية له تشهد بمكانته وتمرّسه في الاشتغال بالقرآن والحديث وكلام الامام علي بن أبي طالب .

كان الرضي متنوّع الثقافة ، جريئا بانتقاده ، وله توجيهات لكلام من سبقوه تشهد بأنه تناول حياة التأليف بالنقد والتمحيص والتهذيب .

أمّا اسلوب الشريف النثري ، فكان غاية في البساطة ، فلم يلجأ الى الزّخرف والتعقيد ، وقد حرص على الجمع بين السّجع والازدواج ، وبين الرّقة والجزالة في شرح أغراض القرآن والحديث النبوي ، ولكنه

يميل الى الاستطراد أحيانا حيث تتشابك عنده المسائل والموضوعات . كما أنه كان قويّ الحجّة ، فيلجأ الى حشد الشواهد المختلفة وخاصة الشعرية منها ، لاقناع القاريء ، بوجهة نظره وبصحّة اعتقاده . وكان مولعا ـ في معظم مؤلفاته ـ بشرح الدقائق اللغويّة والبلاغية ، لذلك كان فصيح الألفاظ ، خبيرا بالاستعمال اللغوي ، بصيرا بوجوه البيان ، متمرّسا بالتأليف وخاصة في القرآن واعجازه .

ولعلّ أهم خصائص الرضي في مؤلفاته النثرية هي طغيان العقلية العلمية على النزعة المذهبيّة ، فقد اهتم بدراسة معظم المذاهب ، ونشأ في بيئة دينية عريقة . ذلك كله ساعد على الاهتمام بشرح خصائص البلاغة القرآنية والبلاغة النبويّة .

الجزء الثاني

غير قابل للإعارة

الباب الثالث

الشريف الرضي شاعرا (أغراضه الشعرية)

[illegible]

تمهيد :

كان نبوغ الرضي مبكّرا ، فقد قال الشعر بعد أن جاوز العشر من سنوات عمره بقليل[1] ، وشعره وثيق الصلة بأطوار حياته ، ونوازع شخصيّته ، ودخيلة نفسه . ولقد اختال الرضي بشعره وزهي به حتى بلغ حدّ الاسراف في الزهو والاختيال في حديثه عن شعره ، وفي ديوانه مواضع كثيرة تشهد بذلك[2] .

وقد جمع الرضي في شعره بين الاكثار والاجادة في معظم الأغراض[3] . وسنقسّم هذا الباب الى خمسة فصول ، تتناول الفنون الشعرية التي عالجها الرضي في ديوانه ، وسنرتّب هذه الأغراض حسب الحيّز الذي تشغله في الديوان ، فنتناول : المدح والتهنئة ، فالرثاء والتعزية ، فالفخر والحماسة ، فالنسيب والحجازيات ، وأخيرا سائر الأغراض : من وصف وبكاء للشباب ، وذمّ للمشيب ، وعتاب وشكوى وذمّ للزمان ، وهجاء ، وحكمة ومثل ، وزهد .

---

(١) الثعالبي . يتيمة الدّهر ٣ / ١٣٦ .

(٢) زكي مبارك . عبقرية الشريف الرضي ١ / ٧٠ .

(٣) عبد الفتاح الحلو . تحقيق ديوان الرضي ١ / ١١٣ ـ

وسنعرض في نهاية الباب لخصائص شعر الرضي وميزاته العامة من حيث معانيه وأغراضه . وقبل أن نبدأ بالفصل الأول ، سنشير في مقدّمة صغيرة الى (**ديوان الرضي**) ، نذكّر فيها : بجمعه وتحقيقه والزّيادات التي طرأت عليه ، وطبعاته المختلفة ومخطوطاته .

ديوان الرضي :

نال شعر الرضي اعجاب الأدباء والنقّاد ، فقد أرسل الصاحب اسماعيل بن عبّاد المتوفّي سنة **٣٨٥ / ٩٩٥** ، الى بغداد من نسخ له ديوان الرضي ، كما بلغ من حرص المعاصرين للرضي على استنساخ ديوانه أنّ تقيّة بنت سيف الدولة الحمداني المتوفّاة سنة **٣٩٩ / ١٠٠٨** - أنفذت من مصر الى العراق من نسخ لها ديوان الشريف الرضي بكامله .

يؤكد ذلك كلّه أنّ شعر الرضي كان يجمع في حياته وأنّ كثيرا من قصائد الديوان مقدّم لها بذكر التاريخ الذي قيلت فيه ، ومناسباتها ، وربّما كان هذا العمل من صنع الرضي نفسه . ويرجّح صاحب (**الغدير**) أنّ الرضي كان يجمع ديوانه بنفسه ، وأن جمعه له كجمع أخيه المرتضى لديوانه على ترتيب سنيّ نظمه المتمادية[1] .

ويغلب على الظنّ أنّ هذا من عمل الرضي[2] .

---

(١) الأميني . **الغدير** ٤ / ٢٠٠ .

(٢) ويقوّيه أيضا ما ذكره المرتضى عند تعليقه على قول الرضي :

كان عندي أنّ الرور لطرفي فاذا ذلك الغرور لقلبي

ديوان الشريف الرضي ١ / ١٧٣ .

قال : « ولهذا المعنى بناء لا بد من أن أذكره ، وهو أنني لمّا كنت قلت في جملة قصيدة :

وعهْدي بتمويه عين المحب ينمّ على قلبه الطائر =

فهذا يدلّ على أنّ شعر الرضي كان بين يديه مجموعا في حياته ، وأنه كان يضيف اليه بخطّه في الحاشية ما يبدعه خاطره من معان مبتكرة يلحقها بموضعها الذي يرتئيه من الديوان .

وقد استمرّ الشريف الرضي في صنعه هذا طيلة حياته ، وكانت آخر قصيدة سجّلها مؤرّخة في ديوانه هي رثاؤه لصديقه أحمد بن علي البتّي ، الذي توفّي في شعبان سنة ٤٠٥ / ١٠١٤ ، وبعده بشهور توفي الرضي في محرّم سنة ٤٠٦ / ١٠١٥[1] . وقد اهتمّ عدنان ابن الشريف الرضي بشعر أبيه من بعده ، فأخرج من مسوّداته أوراقا قليلة ، زادها على شعر أبيه ، ثم جاء أبو حكيم الخَبْري[2] المتوفي سنة ٤٧٦ / ١٠٨٣ ، ـ جامع ديوان الرضي ـ فأخذ هذه الأوراق ، وضمّ اليها أبياتا وجدها ، وصنع من ذلك كلّه بابا ألحقه بالديوان سمّاه : (**باب الزيادات**) ويبلغ عدده (٩٣٥) بيتا ، وأكثر هذا الباب أبيات مفردة ومقطوعات صغيرة .

= فلمّا التقينا برغم الرّقا دموّه قلبي على ناظري

عبد الفتاح الحلو . تحقيق **ديوان الرضي** ١ / ١٢٨ .

وذلك على ما أظن سنة نيّف وثمانين وثلاثمائة / ٩٩٠ ، تداول أهل الأدب انشاد هذه الأبيات ، واستغربوا هذا المعنى ، وشهدوا بأنه مستبدأ غير مسبوق اليه . وسمع أخي ـ رضي الله عنه ـ هذه الأبيات ، لأنه قلّما كان يخرج لي شيء من الشعر الا ويسمعه وينشده ، ولا يخرج له ـ رحمه الله ـ طول حياته الا ما ينشدنيه ، فشهد لهذا المعنى بأنه مبتكر مخترع ، وأنه مستحسن مستعذب ، ولم أسمع له ـ رحمه الله ـ طول حياته في هذا المعنى شيئا . ولمّا تصفّحت شعره لاخراج ما يتعلّق بالطيف في هذا الوقت ، وهو سنة نيّف وعشرين وأربعمائة / ١٠٢٩ ، وجدت هذه الأبيات ملحقة بخطّه الذي لا اشك فيه . . . . » . الشريف المرتضى . **طيف الخيال** ، ص / ٩٥ ـ ٩٦ .

(١) مقدمة القصيدة التي يرثي فيها صديقه البتّي . **ديوان الرضي** ١ / ١٧٠ .

(٢) راجع ترجمة الخبري ، ص ٢٤١ ح ١ .

وقد ذكر أبو حكيم في خاتمة هذا الباب أنّ ما اجتمع له أضعاف ما جمعه ابنه عدنان[1] .

وأبو حكيم بصنعه هـذا حفظ لنا الصـورة الأولى للعمل الفني عنـد الشريف الرضي ، حينما كانت تخطر له خاطرة أو يجدّ له معنى فيضمّنه بيتا من الشعر ، ثم يجد لهذا المعنى مكانه في قصيدة يقولها ، فيصنعـه صنعة أخرى ويضمنه فيها .

وقد رتّب الخبريّ الديوان على الأغراض ، فجعـل بابـا للمديـح ، وبابا للافتخار وشكوى الزمان ، وبابا للمراثي ، وبـابا للنسيب ، وبـابا للفنون المتنوّعة .

ورتّب القصـائد في داخـل كـل بـاب عـلى القـوافي حسب حـروف الهجـاء ، وفي باب الـزيادات رتّب الأبيـات حسب القـوافي دون اعتبـار للأغراض .

وحين جاء الناس بعد أبي حكيم رغبوا عن هذا الـطريق ، وعدلـوا عنه إلى ترتيب قصائد الديوان عـلى القوافي حسب حـروف الهجاء ، ولجـأ بعضهم الى اختيـار بعض الأغـراض من الـديـوان ، ورتّب اختياره على القـوافي ، أو أورد قصائـده دون ترتيب (كـاختيار شعـر الرضي في النّسيب ، الذي سمّي « الحجازيات » لأنه يكثر في نسيبه ذكر مواطنه) .

وقـد أشار ارل بـروكلمان الى مـواضع مخـطوطـات ديـوان الـرضي ونسخه في مكتبات العالم[2] . وأورد محقّق ديوان الرضي عبد الفتاح

---

(١) عبد الفتاح الحلو . شرح وتحقيق ديوان الشريف الرضي ١ / ١٢٩ .

(٢) راجع ص ٢٤٢ ـ حيث ذكرنا تلك المواضع .

الحلو نسخ الديوان ومواضعها في المكتبات وأرقامها ، ووصف كل نسخة منها بدقّة ، ممّا يدل على اطلاعه على معظم هذه المخطوطات ، وسنشير بايجاز الى مواضع هذه المخطوطات وأرقامها بالمقارنة مع ما ذكره بروكلمان :

أ ـ في مصر :

١ ـ نسخة في دار الكتب المصرية ، برقم ١٤٠ أدب ، والنسخة من صنعة أبي حكيم الخبري وهي مرتّبة على الاغراض ، وفيها ترجمة للرضي منقولة عن « وفيات الأعيان » . وتقع في ٢٢٥ ص وتشمل الصفحة ٢١ سطرا .

٢ ـ نسخة في دار الكتب المصرية برقم ٥١٨ أدب ، تشمل على الأجزاء : الثالث والرابع والخامس من صنعة أبي حكيم . وتقع في ٢٩١ ورقة ، تشمل الواحدة ٢٥ سطرا .

٣ ـ نسخة في دار الكتب المصرية ، برقم ٨٨٩ شعر تيمور ، وهي مرتّبة على القوافي ومؤرخة بسنة ١٣٠٢ / ١٨٨٤ وهي تشبه نسخة كوبريلي التي ذكرها بروكلمان ، وتقع في ٨٤٨ ص ومسطرتها ٢١ سطرا .

٤ ـ نسخة في دار الكتب المصرية برقم ٧٩١٢ أدب وهي مرتّبة على القوافي ، وتقع في ٧٦٠ ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرا .

٥ ـ نسخة في المكتبة الأزهرية برقم (٢٠١) أباظة ٦٨٠٦ في مجلّدين مؤرخة سنة ١٢٨٨ / ١٨٧١ في ٢٠١ ورقة و ٢٣٣ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا .

٦ ـ نسخة في المكتبة الأزهرية برقم (٦١٤) أباظة ٧٢٠٩ وتضم الجزء الأول في مجلّد سنة ١٢٧٠ / ١٨٥٣ تقع في ٩٩ ورقة مسطرتها ٢١ سطرا .

ب ـ في سوريا :

٧ ـ نسخة في المكتبة الظاهرية برقم ٨٧٥٣ ، وهي مرتّبة على حروف الهجاء ، وتقع في ٢٦٥ ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرا (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الشعر ص ١٦٩) .

٨ ـ نسخة في المكتبة الظاهرية برقم ٨٧٦٨ وهي مرتّبة على حروف الهجاء وهي في ٣٥٧ ورقة ومسطرتها ٣٣ سطرا . (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الشعر ص ١٧٠)[1] .

٩ ـ نسخة في المكتبة الظاهرية برقم (٣٣٣٩) الشعر (٢٠) ، وهي مختارات من شعر الرضي كتبت سنة ١٠٢٦/ ١٦١٧ وتقع في ١٤٩ ورقة ومسطرتها ١٥ سطراً . فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الشعر ص ٣٧١) .

ج ـ في العراق :

١١ ـ نسخة ذُكرت في الكشّاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف ص ١٥٧ وقد كُتِبَتْ سنة ١٣٠٤ / ١٨٨٦ .

١٢ ـ نسخة ذكرت أيضا في الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف ص ١٥٧ وقد كتبت سنة ١٢٨٥ / ١٨٦٨ .

ـ نسخة ذكرت في فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ١ / ١٢٥ نسخة في بغداد سنة ١٢٢١ / ١٨٠٦ .

٤١ ـ نسخة جاء وصفها في فهرس مخطوطات حسن الأَنْكَرْلي المهداة الى مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ص ٥٥ وهي برقم ٥٩ / ١٢١٨١ وقد نسخت سنة ١٣٠٤ / ١٨٨٦[2] .

---

(١) عبد الفتاح الحلو . شرح وتحقيق ديوان الشريف الرضي ١ / ١٣١ ـ ١٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ١٤٣ .

د ـ في السعودية :

١٥ ـ نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنوّرة كتبت سنة ١٠١٠ / ١٦١٠ وتقع في ٢٠٠ ورقة[١] .

١٦ ـ نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة وهي مختارات من شعر الرضي[٢] .

هـ ـ في المغرب :

١٧ ـ نسخة في الخزانة الملكية في الرباط برقم ١/٦٠٢ وهي مختارات من شعر الرضي .

١٨ ـ نسخة في الخزانة الملكية في الرباط برقم ٦٠٤ تتضمّن النصف الأول من الديوان وهي غير مرتبة على القوافي وأكثرها في المديع والافتخار .

١٩ ـ نسخة في الخزانة الملكية في الرباط برقم ٧٢٧٨ .

و ـ في ايران :[٣]

٢٠ ـ نسخة في مكتبة الامام الرضا بخراسان برقم ٤٥٨٤ ، مرتّبة على القوافي وتمثل الجزء الأول من الديوان ، في القرن الثالث عشر .

---

(١) ذكرها الدكتور علي جواد الطاهر في مقال له عن أهم المخطوطات في مكتبة شيخ الاسلام . **مجلة المكتبة (مكتبة المثنى ببغداد)** العدد ٦٨ ، السنة العاشرة ، كانون الثاني سنة ١٩٧٠ م .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) نقل عبد الفتاح الحلو محقّق ديوان الرضي وصف هذه المخطوطات الأربعة الأول عن محمد بحر العلوم **ديوان الرضي** ١ / ١٤٥ .

٢١ ـ نسخة الامام الرضا بخراسان برقم ٤٥٨٥ ، مرتّبة على القوافي ، وتمثّل الجزء الثاني من الديوان .

٢٢ ـ نسخة في مكتبة الامام الرضا بخراسان برقم ٧٦٥٨ ، تضم الديوان كلّه ، وهي مرتّبة على القوافي ، كتبت سنة ٥١٥ / ١١٢١ وهي في ٢٢١ ورقة ومسطرتها ٢٠ سطرا .

٢٣ ـ نسخة في مكتبة سبهسلار بطهران برقم ٢٧٤٧ ، تشتمل على الجزء الأول ، وهي مرتّبة على القوافي .

٢٤ ـ نسخة في مكتبة مشهد ، ذكرها بروكلمان[١] .

٢٥ ـ نسخة من الحجازيات في مكتبة ملي برقم ٢٧ / ١٠ / ٣ ، مع حجازيات الأبْيَوَرْدي كتبت سنة ٦٤٩ / ١٢٥١ .

ز ـ في الهند :

٢٦ ـ نسخة في الجمعية الآسيوية في كلكتّا برقم ٧٣٨ ، وهي تتضمّن الحجازيات من شعر الرضي مرتبة على القوافي ، وهي مؤرخة سنة ٦٣٣ / ١٢٣٥ . وذكر بروكلمان رثاء الرضي للصابي في جوتا ٢٦ ورقة ١٥١ ألف[٢] .

وقد طبع الديوان كاملا خمس مرّات وهي :

١ ـ في مطبعة نخبة الأخبار في الهند في جزء واحد يضم ٥٤٩ ص سنة ١٣٠٦ / ١٨٨٨[٣] . وهو مرتّب على القوافي ـ وأوله قافية الهمزة :

---

(١) بروكلمان . **تاريخ الأدب العربي** (الترجمة العربية) ٢ / ٦٢ .

(٢) المرجع نفسه ص ٦٢ وراجع في معرفة مواضع المخطوطات في المكتبات الأوروبية (المانيا وفرنسا وتركيا واسبانيا وهولندا . . .) ص ٢٤٢ .

(٣) ذكره بروكلمان في **تاريخ الأدب العربي** ٢ / ٦٢ ، وهي الطبعة الاولى من الديوان ونشرت في بومباي . وبمراجعة طبعة بمباي نتبيّن ما يلي : ان هناك قصائد سقطت =

يمدح الطائع ويهنّئه بعيد الأضحى سنة ٣٧٧ / ٩٨٧ ومطلعها :

جَـزاءُ أمـيرِ المـؤمنـينَ ثَـنـائي عـلى نِعَمٍ مـا تَنقـضي وعَـطاءِ

= بأكملها منها : قصيدة (نصافي المعالي والزمانُ مُعانِدُ) التي هاجم فيها المطهّر بن عبد الله وزير عضد الدولة ، وقد قال لأبيه : « كم تدل علينا بالعظام النّخرة » وتقع في ٧٨ بيتا . وقصيدة أُنْظرْ الى الأيام كيفَ تَعودُ) يمدح فيها والده ويهنّئه بردّ أعماله القديمة اليه سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ .

وقصيدة (عَجِبْتُ من الأيام اِنجازِها ووَعْدى) كتبها جوابا عن أبيات بعد وحشة كانت بينه وبين شقيقه المرتضى .

وقصيدة (يا دارُ مَنْ قتَلَ الهوَى بَعْدى) قالها في أبي سعد بن خلف وقد تخلّص من نكبة لحقته . وقصيدة (أسائِلُ سَيْفي أيّ بارِقَةٍ تُجْدى) وقد أنشدها ليهنّىء أخاه المرتضى بولد له . ويبلغ مجموع أبيات هذه القصائد ٣٢٨ بيتا . وهناك قصائد سقطت منها بعض الأبيات كقصيدة (اباءُ أقامَ الدهرُ عنّي وأقْعَدا) وقد مدح بها الصاحب بن عبّاد ولم ينفذها اليه سنة ٣٧٥ / ٩٨٥ .
سقط منها من البيت ١٩ ـ ٧٣ وهو آخر القصيدة .

وقصيدة (أتَرى الهوادِجَ في عِراصِ البيدِ) وهي مدح للصاحب أيضا .
وسقط منها من البيت ١ ـ ٢٢ .
كما أنّ هناك قصيدتين أدمجتا ببعضهما . وتغيّر صدر البيت الأول من قوله :

وشِعْري تَخْتصُّ القلوبُ بحفظِهِ .
الى قوله : هو الشيءُ تَخْتَصُّ القلوبُ بمدحِهِ .
وتشتمل الطبعة على بعض الأخطاء في مقدّمات بعض القصائد مثل : تاريخ قصيدة بسنة ٤٠٨ هـ بينما كانت وفاة الرضي سنة ٤٠٦ هـ .
وكذلك مقدّمة القصيدة التي جاء فيها : « قال يرثي بعض الناس في المحرّم من سنة ٣٨٧ هـ وقيل أنه رثى بها رجلا هاشميا وهي : (ما أقلّ اعتبارنا بالزمان) » .
والصحيح أن الرضي رثى بهذه القصيدة أستاذه وصديقه أبو عبد الله ابن الامام المنصوري وهو من بني العباس وكانت وفاته سنة ٣٩١ هـ وليس كما ذكر ٣٨٧ هـ . . .

وآخره قافية الياء الأبيات الاثنا عشر التي أنكرها الرضي وليست موجودة في ديوانه وانما شهرت عنه ، يمدح فيها الخليفة الفاطمي في مصر ويهاجم الخليفة العباسي القادر ومطلعها :

ما مُقامي على الهوانِ وعِندي مِقْوَلٌ صارمٌ وأنفٌ حَمِيٌّ

وفي أول الديوان ترجمة للرضي نقلا عن عمدة الطالب لابن عنبة ، وتكثر في الديوان الأخطاء المطبعية ، ولم تشكّل أبياته .

٢ ـ في المطبعة الأدبية في بيروت من سنة ١٣٠٧ ـ ١٣١٠ في جزأين يشتملان على ٩٨٦ ص التزم طبع الجزء الأول أحمد عباس الأزهري وشرح ألفاظه ، وطُبع الجزء الثاني بشرح واشراف محمد سليم اللبابيدي . ويشتمل الجزء الأول على ترجمة الرضي من كتاب (**عمدة الطالب**)[1] .

وقد اشتملت الطبعة على تحريف وتصحيف كثير ، ولكنها أفضل بكثير من الطبعة السابقة .

٣ ـ وطُبع في مصر في أربع مجلّدات مرتبة على الاغراض بخمسة أبواب ، حسب ترتيب الخَبْري .

٤ ـ في بيروت (دار صادر ودار بيروت) سنة ١٩٦١ م في جزأين يشتملان على (٦٨٥ و ٦٠١ ص) وهذه الطبعة مأخوذة عن الطبعة البيروتية السابقة ، ولكنها حلّيت بضبط الكلمات ، ووضع عناوين للقصائد ، ووضع فهرس للقصائد في آخر كل جزء يعتمد صدر البيت .

---

(١) ذكر بروكلمان في **تاريخ الأدب العربي** ٢ / ٦٢ أنّ ديوان الرضي نشر في بغداد سنة ١٣٠٦ هـ وقد تفرّد بذلك ، فلم يذكر عبد الفتاح الحلو محقّق الديوان هذه الطبعة .

وفي أول الديوان ترجمة محدثة للرضي تعتمد على ما ذكره الثعالبي وابن خلكان وتشغل الصفحات ٥ ـ ٨ .

٥ ـ طبع ديوان الرضي طبعة حديثة في دار بيروت سنة ١٩٨١ وهي اعادة للطبعة السابقة لأنها تحمل المميّزات نفسها وهذه الطبعة هي المتداولة اليوم ، وهي التي اعتمدْتُ عليها بشكل أساسي في دراستي .

كما طُبعت أجزاء من الديوان ثلاث مرّات هي :

١ ـ ألّف الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد (**شرح ديوان الشريف الرضي**) وأخرج الجزء الأول منه فقط ، نشرته دار احياء الكتب العربية في القاهرة سنة ١٩٤٩ م في ٤٠٩ ص . وانتهى منه الى آخر قافية الباء ، ووعد في آخرها بالجزء الثاني مفتتحا بقافية التاء ولم يصدر الجزء الثاني حتى اليوم . وقد توسّع في شرحه للأبيات ، فوقع في الاستطراد ، واعتمد بشكل رئيسي على طبعة بيروت الأول ، ثم على طبعة الهند .

٢ ـ نشر دار الفكر في بيروت سنة ١٩٥٦ ديوان الشريف الرضي بشرح وتحقيق الاستاذ كامل سليمان في جزأين صغيرين يشتمل الأول على ١٧٥ ص . ويشتمل الثاني على ١٥٩ ص وهو مرتب على القوافي ، وانتهى فيه عند قافية الحاء . ويبدأ الديوان بمقدمة تترجم للرضي نقلا عن أمهات الكتب ، والطبعة جيدة من حيث الشرح والتقديم وتشكيل الأبيات .

٣ ـ حقّق الدكتور عبد الفتاح الحلو ديوان الرضي صنعة أبي حكيم الخبري (مرتّب على الأغراض) ونشر في دار الطليعة في باريس سنة ١٩٧٧ ، ولم ينشر منه الاّ الجزء الأول ، الذي يقع في

٣٨٢ ص وينتهي عند قافية الدال في باب المديح . ويليه الجزء الثاني وأوله بقيّة باب المديح قافية الرّاء . ويشتمل الجزء الأول على مقدّمة شاملة جامعة تترجم للرضي وتقع في ١٧٨ ص .

* * *

الفصل الأول

المدح والتهنئة

للمديح نصيب كبير في ديوان الرضي ، وقد تعاظم قدره في شعره حتى ليربو على ثلث ديوانه ، ويليه الرثاء والفخر والنّسيب والشكوى ثم سائر الأغراض .

ولذلك أسباب طبعا ، فقد كانت صلاته بالخلفاء والملوك والوزراء تبرّر مدحهم واطراءهم . وفي عصر الشريف ازداد تنافس الملوك على بعد الصيت وحسن السّمعة التي تولّد لهم العظمة في النفوس ، فقام بنو بويه ـ الذين لهم صولجان الملك في العراق ـ بترويج الأدب ، وأمدّوا الشعراء بالعطايا ليتهافتوا على مدحهم واظهار فضلهم ، ولقد كان الشريف الرضي غنيّا عن مدحهم لولا تلك النزعات وتقلّب الأوضاع السياسيّة او اضطرابها فلم يجد بدّا من مدحهم ليملك ودّهم من ناحية ويحقّق أهدافه من ناحية أخرى . وربّما جعل الرضي مدائحه سلّما الى المسالمة عند ذوي السلطان ، ودريئة من أذاهم . ومن ممدوحيه من ارتفع الى مقام الأحقّية بالمديح ، فهو يبرز بمدحهم القيم الرفيعة التي يتحلّون بها ، والتي تستحقّ من الشعر التفاتة خاصة كقوله في أبيه :

وغيرُكَ لا أُطريه الاّ تكلُّفا ... وغيرُ جَنيبي عندَ غيرِكَ مُصحِبُ[1]

---

(١) ديوان الشريف الرضي ١ / ٨٣ .

أو في النبي وآله ؛

وما المدحُ الاّ في النبيِّ وآلِهِ يُرامُ وبعضُ القولِ ما يُتجَنّبُ[1] .

تلك هي مدائح الرضي أوحت بها مناسبات واعتبارات خاصة ، أو دفعته لقولها قيم ومعان سامية ، وقد توزّعت مدائح الرضي وتهنئاته بين :

أسرته (والده ، وشقيقه وخاله) والخلفاء العبّاسيّين ، وملوك بني بويه ووزرائهم ، وأصدقائه وشيوخه . .

وسنتناول في هذا الفصل ممدوحي الشريف الرضي فنرتّبهم حسب سنوات وفاتهم ، آخذين بعين الاعتبار التسلسل التاريخي لقصائد الرضي المتعلّقة بكل واحد منهم . ثم نعالج تركيب قصيدة المدح عند الرضي ، ومعانيه المدحية ، وطبيعة مدحه وأبعاده .

أ ـ ممدوحو الرضي :

١ ـ شرف الدولة البويهي ٣٧٩ / ٩٨٩ : هو أبو الفوارس ابن عضد الدولة حكم ما بين (٣٧٦ ـ ٣٧٩ هـ) وقد مدحه الرضي في قصيدة وشكره على ما عمله مع أبيه من الجميل والتّفضل باطلاق سراحه من القلعة التي اعتقله بها عضد الدولة ، وذلك عند دخوله مدينة السلام سنة ٣٧٦ / ٩٨٦ بصحبة النقيب أبي أحمد الموسوي[2] .

٢ ـ أبو القاسم الصاحب اسماعيل بن عبّاد ٣٨٥ / ٩٩٥ :

من كبار الأدباء والشعراء ، وزير مؤيد الدولة البويهي وأخيه فخر

---

(١) ديوان الرضي ١/١١٢ .

(٢) القصيدة في ديوان الرضي ٢ / ١٢٨ ، ومطلعها : أَحْظَى الملوكِ من الأيامِ والدُّوَلِ . . .

الدولة في الرّي ، مدحه الرضي بقصيدتين[1] ، الأولى سنة ٣٧٥ هـ ولم ينفذها اليه ، والثانية كتب بها اليه في المحرم من سنة ٣٨٥ هـ عندما أعجب الصاحب بشعر الرضي وأرسل الى بغداد من ينسخ له ديوانه بكامله ، فشكره الرضي بهذه القصيدة[2] .

٣ ـ أبو الحسين الناصر الصغير خال الرضي ٣٩١ / ١٠٠٠ :

مدحه بقصيدتين : في الأولى[3] يهنّئه بمولودة جاءته ، وقد عتب عليه خاله لهذا البيت الذي أنشده في آخر القصيدة :

اذا مَدحتُك لم أَمنُن عليكَ به فالمدحُ باسمكَ والمَعنى به نَسَبي .

فاعتذر اليه الرضي ومدحه بقصيدة ثانية[4] أشار فيها الى أنه لم يقصد الاّ مشاركته في النسب ، ولم يذكر الرضي تاريخ هاتين القصيدتين .

٤ ـ أبو الفتح عثمان بن جنّي ٣٩٢ / ١٠٠١ :

أحد أئمة النحو والعربية ومن شيوخ الرضي وأصدقائه مدحه الرضي وشكره[5] على تفسير قصيدته الرّائية التي رثى بها أبا طاهر بن ناصر الدولة الحمداني[6] سنة ٣٨٢ / ٩٩٣ .

---

(١) المصدر نفسه ١ / ٢٨٠ ومطلع القصيدة الأولى : اباءُ أقام الدَّهرَ عنّي وأقعَدا . . .

(٢) والثانية في ديوان الرضي ١ / ٢٨٥ ومطلعها : أَثرُ الهوادجِ في عِراص البِيدِ . . .

(٣) المصدر نفسه ١ / ٩٨ ومطلعها : لكلِّ مجتهدٍ حظٌّ من الطَّلبِ . . .

(٤) ديوان الرضي ١ / ٤٦١ ومطلعها : لك السَّوابِقُ والأوضاحُ والغُرَرُ . . .

(٥) المصدر نفسه ٢ / ١٦٦ ومطلعها : أُراقِبُ من طيفِ الحبيبِ وِصالا . . . ولم يذكر تاريخها .

(٦) أما القصيدة الرّائية التي فسّرها شيخ الرضي ابن جنّي فمطلعها : أُلْقي السِّلاحَ ربيعةَ بنَ نزارِ . . . ديوان الرضي ١ / ٤٩٠ .

٥ ـ الخليفة العبّاسي الطائع لله ٣٩٣ / ١٠٠٢ :

أَنِس الرضي كل الأنس بالطائع ، فكان يمدحه بصدق واخلاص ومع أنّ الطائع كان خليفة يستضعفه البويهيون ، فقد رأى فيه رجلا عربيا هو البقية الباقية من مجد بني العبّاس ، وقد أطال الرضي القصائد في مدحه للطائع من سنة (٣٧٤ ـ ٣٨٠ هـ) . فمدحه بخمسة عشرة (١٥) قصيدة في مختلف المناسبات ، سنشير اليها تباعا حسب تسلسلها التاريخي :

١ ـ فأقدم قصيدة مدحه فيها هي الحائية[١] التي نظمها سنة ٣٧٤ / ٩٨٤ .

٢ ـ وفي سنة ٣٧٦ هـ مدحه بقصيدتين : في الأولى مدحه وشكره على ما أسداه لأبيه من الجميل عند دخوله اليه ، بعد عودته من فارس[٢] . وفي الثانية مدحه وشكره أيضا على تكرمة خصّه بها وثياب وورق[٣] .

٣ ـ وكانت سنة ٣٧٧ من أعوام الخصب بين الرضي والطائع فقد مدحه خمس مرات : منها مرّتان في شهر رمضان : الأولى بقدوم الصوم[٤] ، وفي الثانية هنّأه بالمهرجان فمدحه ومدح أصوله من بني العباس[٥] ، وبعد أيام هنّأه بعيد الفطر[٦] .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٢٤٠ .
(٢) المصدر نفسه ٢ / ٣٣٣ .
(٣) المصدر نفسه ٢ / ١١٤ .
(٤) المصدر نفسه ٢ / ١٢٤ .
(٥) المصدر نفسه ٢ / ١١٩ .
(٦) ديوان الرضي ١ / ٢٦٩ .

وفي الرابعة عاتبه ومدحه أيضا[1] ، وفي الخامسة مدحه وهنّأه بعيد الأضحى[2] .

٤ ـ وفي سنة ٣٧٨ مدحه بثلاث قصائد : في الأولى ، مدحه وشكره على مواصلته برّه ويذكر نارا وقعت في بعض دوره[3] ، وفي الثانية شكره أيضا على تواصل الكرامة له[4] ، وفي الثالثة هنّأه بعيد المهرجان[5] .

٥ ـ وفي سنة ٣٧٩ مدحه بقصيدة وعاتبه على تأخير الأذن له في لقائه بمجلس خاص[6] .

٦ ـ وفي سنة ٣٨٠ مدحه وشكره بثلاث قصائد : في الأولى مدحه في ربيع الأول واعتذر فيها عن تأخير المدائح[7] ، وفي الثانية هنّأه بشهر رمضان وطلب منه الاذن في الوصول الى حضرته[8] ، وفي الثالثة هنّأه بعيد الفطر ، واستقبله الخليفة في داره وقعد له قعودا خاصا وقدّم له ملابس النقابة وأكرم أخاه المرتضى أيضا [9] .

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٥٨٦ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ٩ .
(٣) المصدر نفسه ٢ / ٥١٦ .
(٤) المصدر نفسه ٢ / ٣٣٩ .
(٥) المصدر نفسه ١ / ٥١ .
(٦) المصدر نفسه ٢ / ٣١٩ .
(٧) المصدر نفسه ٢ / ٣٤١ .
(٨) المصدر نفسه ٢ / ٤١٦ .
(٩) المصدر نفسه ٢ / ٥٢٤ . والمهرجان : من أعياد الفرس .

٦ ـ أبو علي الموفّق ٣٩٤ / ١٠٠٣ :

الحسن بن محمّد بن اسماعيل وزير بهاء الدولة [١] ، مدحه الرضي بقصيدتين : الأولى قبل سنة ٣٩٠ وعاتبه فيها ، وكان بينهما عقد مصاهرة على بنت الوزير ، ثم انفسخ العقد وكتب بها اليه من فارس [٢] ، وفي الثانية ، مدحه وهنّأه بتلقيبه عمدة الملك وأنفذها اليه بفارس سنة ٣٩٠ [٣] .

٧ ـ النّقيب أبو أحمد الموسوي (والد الرضي) : ٤٠٠ / ١٠٠٩ :

كان الرضي يحمل لأبيه قدرا كبيرا من الاعظام والاكبار ، لذلك كان ينتهز الفرص والمناسبات المختلفة ليقف بين يديه منشدا قصائده ، فقد كان يراه مثاله الأعلى وأنّ منزلته فوق منزلة الخلفاء والملوك ، وأنه أولى منهم بهذا السلطان العريض . وكان يرى أنّ وقوفه أمام خليفة ، أو ملك أمر تقتضيه ظروف السياسة وتحقيق مصالحه ، أمّا السدّة التي يقف أمامها وينشدها أشعاره في المواسم والمناسبات ، فهي سدّة أبيه وارث المجد العلوي ، ومورّثة له من بعده . مدح الرضي أباه بأكثر من ثلاثين قصيدة [٤] ، ولا يمكن احصاؤها بدقّة نظرا لتداخل موضوعات المديح والفخر فيها ، ومن ناحية ثانية فان عددا كبيرا من هذه القصائد غير مؤرّخة ولم تعرف مناسبات انشادها . وقد بذلت جهدا كبيرا في

---

(١) أنظر في ترجمته ، ص ١٢٩ ح ١ .

(٢) ومطلعها : أمانيُّ نَفْسٍ ما تُناخُ رِكابُها . . . **ديوان الرضي** ١ / ٦٩ .

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٤٩٢ .

(٤) يذكر زكي مبارك أنّ الرضي مدح أباه بأكثر من أربعين قصيدة ، وقد أدخل بعض قصائد الفخر في باب المديح . **عبقرية الشريف الرضي** ١ / ١٠٧ .

سبيل تأريخ بعضها وتحديد مناسباتها ، وقد أحصيتُ ثلاثا وثلاثين قصيدة ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : في التوجّع لأبيه وهو سجين ٣٦٩ / ٩٧٩ - ٣٧٦ / ٩٨٦ .

انّ أول قصيدة للرضي في مدح أبيه مطلعها :

مَن لي بِرعْبلَةٍ من البُزلِ تَرمي اليكَ معاقدَ الرّحْل[١] .

وأقدم قصيدة قالها الرضي في التوجّع لأبيه عند اعتقاله سنة ٣٦٩ هي الدّالية[٢] .

وفي سنة ٣٧٤ / ٩٨٤ مدح الرضي أباه بثلاث قصائد[٣] .

وفي سنة ٣٧٥ / ٩٨٥ مدحه بثلاث قصائد أيضا[٤] .

القسم الثاني : ٣٧٦ / ٩٨٦ - ٣٨٠ / ٩٩٠ .

ويطلّ عام ٣٧٦ ، فيخفق قلب الفتى حين رأى أباه بعد الافراج

---

(١) يذكر جامع الديوان أنها من أوّل قوله وهو يتشوّقه فيها ويمدحه ، ثم يصف محلّه من قومه قائلا :

ولأنت مثلُ السيفِ في مُضَرٍ عاذَتْ بقائِمِهِ من الذُّل

ديوان الرضي ٢ / ١٦٤ .

(٢) ديوان الرضي ١/٣٠٥ .

(٣) الأولى في ديوان الرضي ١ / ٢٩٤ ، والثانية في المصدر نفسه ١ / ٤٤٦ ، والثالثة في المصدر نفسه ٢ / ٤٩٥ .

(٤) الأولى في ديوان الرضي ٢ / ٤٩ ، وهي من روائع المديح ومطلعها : يا دارُ ما طَرِبَتْ اليكِ النُّوقُ . . . والثانية في المصدر نفسه ١ / ٤٣٤ ، وهي من طلائع الفرح ، لأنه نظمها وقد توجّه أبوه من فارس بصحبة شرف الدولة ، والثالثة في الفرح ، لأنه نظمها وقد توّجه أبوه من فارس بصحبة شرف الدولة ، والثالثة في المصدر نفسه ١ / ٤٣٨ ، ويذكر فيها خلاص والده وعمّه من القلعة .

عنه ، شاحب اللون ، هزيل الجسم ، وقد نالت منه ظلمات الاعتقال الاعتقال فيمدحه بأربع قضائد : في الأولى : يمدحه وينفذها اليه قبل دخوله بغداد[١] . وفي الثانية يهنّئه بخروجه من القلعة[٢] ، وفي الثالثة يمدحه أيضا[٣] ، ووفي الرابعة يهنّئه بعيد الأصحى ويهاجم المطهّر بن عبد الله وزير عضد الدولة[٤] .

وتدور قصائد القسم الثاني : حول تهنئة أبيه بالخلاص وردّ أملاكه اليه ، وعودة النقابة الى أبي أحمد .

وتتوالى قصائد الرضي في مدح والده ، ففي سنة ٣٧٧ يمدحه بقصيدة ويهنّئه بعيد الفطر[٥] . وفي سنة ٣٧٨ يمدحه بقصيدتين : في الأولى يهنّئه بعيد الفطر[٦] وفي الثانية يهنّئه بعيد الأضحى[٧] .

وفي سنة ٣٧٩ ، يدخل عليه في كل عيد بقصيدة فيمدحه ويهنّئه بقصيدتين ، الأولى تهنئة بعيد الفطر[٨] ، والثانية تهنئة بعيد الأضحى[٩] .

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٣٦٦ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ٧٥ ـ
(٣) المصدر نفسه ١ / ٣٠١ .
(٤) المصدر نفسه ١ / ٢٩٧ .
(٥) المصدر نفسه ١ / ٧٩ .
(٦) المصدر نفسه ١ / ٨٤ .
(٧) ديوان الرضي ٢ / ١٥٠.
(٨) المصدر نفسه ٢ / ١٥٥ .
(٩) المصدر نفسه ٢ / ١٦٠ .

القسم الثالث : ٣٨٠ / ٩٩٠ ـ ٤٠٠/ ١٠٠٩ (سنة وفاة والده) :

وفي هذا القسم نرى الرضي يخلع على أبيه رداء الملوك ، فهو يصنع في كل عيد قصيدة يهنّيء بها أباه ، كما يفعل الشعراء في تحيّة الخلفاء والملوك ، فيمثّل الرضي الشاعر الرسمي لأبيه ، فهو يَمْثُل أمامه في كل مناسبة وينشده حبّه واعجابه بشخصه ، كما يهنّئه بردّ بعض أملاكه عليه .

وفي سنة ٣٨٠ يمدحه بثلاث قصائد : في الأولى يهنّئه بعيد الفطر[١] ، وفي الثانية يهنّئه بعيد الأضحى[٢] ، وفي الثالثة يمدحه ويهنئه بردّ النقابة وامارة الحجّ والنظر في المظالم في جمادي الأولى[٣] .

وفي سنة ٣٨١ يمدح أباه ويهنّئه بعيد الفطر[٤] . وفي السنوات التالية يتابع الرضي تهنئة أبيه في الأعياد والمناسبات الدينيّة بطبيعة الحال ، لأنه لم يؤرّخ لقصائده في هذه الفترة حتى سنة ٣٨٦ / ٩٩٦ حيث يمدحه ويهنّئه بردّ أملاكه عليه[٥] . وفي سنة ٣٨٧ يمدحه بقصيدة ويتألم لبعده في فارس بمهمّة اصلاحية بين بهاء الدولة وصمصام الدولة في شهر رمضان [٦] .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٨٨.
(٢) المصدر نفسه ١ / ٩٣ .
(٣) المصدر نفسه ١ / ٣١٠ .
(٤) المصدر نفسه ٢ / ٤١٩ .
(٥) المصدر نفسه ١ / ٦٠٦ .
(٦) المصدر نفسه ١ / ٢٤٣ .

وفي سنة ٣٩٦ يمدح أباه بمناسبة عيد الغدير ويذكر فيها ردّ أملاكه عليه بأسرها[١] . وهناك تسع قصائد مدحية لم أستطع معرفة سنوات نظمها على وجه الدّقة ويمتزج المدح فيها بالفخر وبأغراض أخرى[٢] .

٨ ـ أبو علي بن أستاذ هرمز عميد الجيوش[٣] ٤٠١ / ١٠١٠ :

أنشد الرضي قصيدة في مدح الصاحب عميد الجيوش ، وكتب بها اليه وقد توجّه من واسط الى بغداد سنة ٣٩٦ / ١٠٠٥[٤] .

٩ ـ بهاء الدولة ٤٠٣ / ١٠١٢ :

للشريف الرضي في بهاء الدولة مدائح كثيرة ، لأن علاقته به كانت متينة وامتدت نحوا من عشرين سنة ، تلك المودّة دفعت الرضي الى التغنّي بشمائل الملك البويهي وخصاله . فقد مدحه بست وعشرين (٢٦) قصيدة توزّعت على النحو التالي :

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٤٢٧ .

(٢) ومطلع الأولى : رأيتُ المُنى نُهْزَةَ الثَّائِرِ . . . في ديوان الرضي ١ / ٤٣١ .
ومطلع الثانية : أما ذُعِرَتْ بِنا بَقرُ الخُدورِ . . . المصدر نفسه ١ / ٤٤١ .
ومطلع الثالثة : بَلاءُ القَلبِ ناظِرُهُ . . . المصدر نفسه ١ / ٤٥٤ .
ومطلع الرابعة : شِيمي لِحاظِكِ عنَّا ظَبْيَةَ الخَمْرِ . . . المصدر نفسه ١ / ٤٥٨ .
ومطلع الخامسة : لا تَرْقُدنَّ على الأذَى . . . المصدر نفسه ١ / ٥٥٤ .
ومطلع السادسة : لو صحَّ أنَّ البينَ يعْشَقُهُ . . . المصدر نفسه ٢ / ٥٤ .
ومطلع السابعة : بِودِّ الرَّدايا أنَّها في السَّوابِقِ . . . المصدر نفسه ٢ / ٥٧ .
ومطلع الثامنة : بيني وبينَ الصَّوارمِ الهِمَمُ . . . المصدر نفسه ٢ / ٣٥٨ .
ومطلع التاسعة : بمَجالِ عَزْمي يُملأُ المَلوانِ . . . المصدر نفسه ٢ / ٥١٢ .

(٣) راجع في ترجمته ، ص / ٩٢ ، حاشية / ٢ .

(٤) ومطلعها : أيا مرحباً بالغيثِ تَسْري بُروقُهُ . . . ديوان الرضي ١ / ٤١٩ .

في سنة ٣٨١ / ٩٩١ مدحه بقصيدة[١] وذكّره بالخدمة التي قدّمها ، والنصيحة التي أسلفها في أيام الفتنة في بغداد وهنّأه بصوم شهر رمضان .

ثم لا نجد قصائد له في بهاء الدولة حتى سنة ٣٨٨ ، حيث مدحه بقصيدتين : في الأولى مدحه وأنفذها اليه وهو بواسط[٢] ، وفي الثانية مدحه ونفى ما قيل عنه من أقوال روّجها الوشاة[٣] . ولم يذكر جامع الديوان قصائد له في بهاء الدولة حتى سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣ حيث مدحه بثلاث قصائد : أنفذ الأولى[٤] اليه وهو في البصرة ، والثانية أرسلها اليه وهو بفارس في شهر صفر[٥] ، والثالثة أرسلها اليه وهو بفارس أيضا في شهر جمادي الآخرة[٦] . وتتسلسل مدائحه بعد ذلك في كل سنة من ٣٩٧ حتى ٤٠٣ سنة وفاة بهاء الدولة . ففي سنة ٣٩٧ مدحه بثلاث قصائد : الأولى في مطلع شهر جمادي الأولى[٧] ، والثانية في الشهر نفسه وقد اعتذر فيها ممّا اتّفق في أمره ، وذلك أن الملك بعث برسائل من البصرة الى بغداد يطلب فيها تولية الرضي النقابة وامارة الحج ، فكان من الاتفاق العجيب أن الصاحب عميد الجيوش قد أسند اليه هذه المهام في اليوم نفسه[٨] ، والثالثة كتبها لبهاء الدولة يمدحه وينتجز وعدا له عليه[٩] .

وفي سنة ٣٩٨ مدحه بثلاث قصائد : الأولى يشكره في المحرم على تلقيبه بالرضي ذي الحسبين[١٠] . وفي الثانية يهنّئه بعيد النيروز[١١] ،

---

(١) المصدر نفسه ١ / ١٣ .
(٢) ديوان الرضي ٢ / ٣٤٦ .
(٣) المصدر نفسه ٢ / ٤٥٤ .
(٤) المصدر نفسه ١ / ٥٩٩ .
(٥) المصدر نفسه ١ / ٥٤٩ .
(٦) المصدر نفسه ٢ / ٥٦٤ .
(٧) المصدر نفسه ٢ / ٩٩ .
(٨) المصدر نفسه ١ / ٥٧٤ .
(٩) المصدر نفسه ٢ / ٢٨٢ .
(١٠) المصدر نفسه ١ / ٥٣ .
(١١) المصدر نفسه ٢ / ٥٤٦ .

وفي الثالثة يتوجّع للمرض الذي أصاب بهاء الدولة ثم شفي منه [1] .

وفي سنة ٣٩٩ / ١٠٠٨ مدحه بقصيدة هنّأه فيها بعيد النيروز[2] .
وفي سنة ٤٠٠ تنهال المدائح على بهاء الدولة فقد مدحه بأربع قصائد : في الأولى هنّأه بالمهرجان[3] ، وفي الثانية شكره وأرسلها اليه بأرّجان في شهر رمضان[4] ، وفي الثالثة مدحه وأنفذها اليه أيضا[5] ، وفي الرابعة طلب الاستعفاء من أعباء النقابة والأعمال التي ناطها به زهدا بها وذلك في ذي القعدة[6] .

وفي سنة ٤٠١ مدحه بقصيدتين : في الأولى هنّأه بعيد النيروز في شعبان[7] ، وفي الثانية شكره على مكاتبته له وكنايته بالشريف الأجلّ[8] .

وفي سنة ٤٠٢ مدحه بثلاث قصائد ؛ في الأولى شكره على رسمه في خدمته في شعبان بمناسبة عيد النيروز[9] ، وفي الثانية شكره على ورود الكتب من حضرة الملك باعداد الخلع الجليلة والحملان له[10] ، وفي الثالثة في المعنى نفسه وذلك في ذي الحجّة[11] . ويطل عام ٤٠٣ /

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ١٣١ .
(٢) ديوان الرضي ٢ / ١٣٥ .
(٣) المصدر نفسه ١ / ٥٧ .
(٤) المصدر نفسه ٢ / ٢٩٧ .
(٥) المصدر نفسه ٢ / ٥ .
(٦) المصدر نفسه ٢ / ٣٠١ .
(٧) المصدر نفسه ٢ / ٤٢ .
(٨) المصدر نفسه ٢ / ٣٠٨ .
(٩) المصدر نفسه ٢ / ١٤٥ .
(١٠) المصدر نفسه ٢ / ١٤١ .
(١١) المصدر نفسه ٢ / ٤٥ .

١٠١٢ فيمدحه الرضي بقصيدتين : في الأولى شكره على تكليفه النظر في أمور الطالبيّين في جميع البلاد بالاضافة الى أعماله في المحرّم [١] ، وفي الثانية مدحه وقد اشتدّ المرض على بهاء الدولة فأرجف عليه الرضي في جمادي الأولى [٢] . وهناك مدحيّتان في بهاء الدولة لم نتوصّل الى تحديد تاريخهما ، أو المناسبات التي قيلت فيهما[٣] . وهناك أبيات من جملة قصائد يمدح فيها آل بويه بشكل عام[٤] .

١٠ ـ أبو غالب فخر الملك[٥] ٤٠٧ / ١٠١٦ :

مدحه بثلاث قصائد ، وقد حدّد تاريخ القصيدة الأولى في شعبان سنة ٣٩٦ / ١٠٠٥[٦] ، ولم يحدّد تاريخ القصيدتين التاليتين ، ولكن سياق الأحداث يثبت أنهما بعد هذا التاريخ لأنه أرسلهما متتاليتين الى فارس ، فقد كان فخر الملك يحارب أعداء الدولة هناك في تلك الفترة [٧] .

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٢٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ١ / ٢٧٧ .

(٣) القصيدة الأولى ومطلعها : ما للبياضِ والشَّعَرْ . ... في ديوان الرضي ١ / ٤١٣ ـ والثانية : أقولُ لِركْبٍ خابطينَ الى النَّدى . . . المصدر نفسه ١ / ٥٥٣ ، وقال جامع الديوان : « مدحه وكتب بها اليه وهو بفارس ، وكانت هذه القطعة خارجة عن الديوان » .

(٤) منها تسعة أبيات من جملة قصيدة في المصدر نفسه ١ / ٤٠١ .

(٥) راجع في ترجمته ، ص / ١٢٩ ح ٣ .

(٦) ديوان الرضي ١ / ٤٢٠ .

(٧) الأولى في المصدر نفسه ١ / ٤٢٣ ، ومطلعها : يا ناشِدَ النَّعْماءِ يَقفُو اثْرَها ، والثانية في المصدر نفسه ٢ / ٣٠٦ ومطلعها : أحَقُّ مَنْ كانَتِ النّعماءُ سابِغةً . . .

١١ ـ أبو سعد علي بن محمد بن خلف[١] ٤١٤ / ١٠٢٣ :

هو من أصدقاء الرضي ، وتدل مدائح الرضي فيه على عمق الصداقة والمودّة المتبادلة بينهما ، وقد مدحه الرضي بأربع قصائد : الأولى مؤرّخة سنة ٣٧٦ / ٩٨٦ ، يهنّئه فيها بالمهرجان[٢] ، أما الثلاث الباقية فلم يحدّد سنوات انشادها ، فقد هنّأه أيضا بالمهرجان في احداها[٣] ، وفي الثالثة مدحه ، وعمّم المدح بآل خلف[٤] ، وفي الرابعة هنّأه بخلع السلطان عليه [٥] .

١٢ ـ سلطان الدولة ٤١٥ / ١٠٢٤ :

مدحه بقصيدتين : في الأولى هنّأه بتسلّم السلطة بعد وفاة أبيه سنة ٤٠٣ / ١٠١٢[٦] ، والثانية كتبها اليه وهو بفارس سنة ٤٠٤ هـ ، وهي آخر قصيدة مدح بها الملوك [٧] .

١٣ ـ أبو نصر سابور بن أردشير[٨] ٤١٦ / ١٠٢٥ :

مدحه بقصيدتين : الأولى سنة ٣٧٦ عند قدومه مع شرف الدولة الى بغداد[٩] . والثانية بدون تاريخ ، ولكن سياق الأحداث يثبت أنها

---

(١) راجع في ترجمته ، ص ١٣٠ ح ٣ .
(٢) ديوان الرضي ٢ / ٥٠٠ .
(٣) المصدر نفسه ١ / ١٠٢ ومطلعها : أَلانَ جَوانِبي غَمْزُ الخُطوبِ . . .
(٤) المصدر نفسه ١ / ٤٠ ، ومطلعها : رَضينَا الظُّبي من عِناقِ الظِّبَا . . .
(٥) المصدر نفسه ١ / ٤٢٥ ومطلعها : قَرّتْ عيونُ المجدِ والفخرِ . . .
(٦) ديوان الرضي ١ / ٦٠٣ .
(٧) المصدر نفسه ٢ / ٩ .
(٨) راجع في ترجمته ، ص ١٢٦ ح ٢ .
(٩) ديوان الرضي ، ١ / ٦١ .

قبل سنة ٣٨٤ ، لأن الرضي حاول مصاهرة الوزير على احدى بناته[١] وقد كتب الصابي عقد الوصلة قبل وفاته ، وقد ساءت العلاقة بين أبي أحمد الموسوي وبين الوزير فكتب الرضي هذه القصيدة وبعث بها اليه وهو بالأهواز مذكّرا بالصلة التي كانت بينهما[٢] .

١٤ ـ أبو منصور بن صالحان[٣] ٤١٦ / ١٠٢٥ :

مدحه بقصيدتين : في الأولى هنّأه بالمهرجان سنة ٣٧٨ / ٩٨٨[٤] ، والثانية بدون تاريخ ، ولكنه ذكر فيها هزيمة باذ الكردي في الجزيرة والموصل ، وقد قتل باذ سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ ، فيعني ذلك أنه مدح الوزير قبل هذه السنة[٥] .

١٥ ـ حمزة بن ابراهيم المنجّم[٦] ٤١٩ / ١٠٢٨ :

مدحه بقصيدتين : الأولى سنة ٣٩٨ / ١٠٠٧ ، وقد هنّأه بالنيروز[٧] ، والثانية بدون تاريخ ، شكره فيها على قضاء حاجة[٨] ، وهي خمسة أبيات .

١٦ ـ القادر بالله ٤٢٢ / ١٠٣٠ :

مدحه بثلاث قصائد : الأولى سنة ٣٨١ / ٩٩١ حين استقرّ في دار

---

(١) راجع زواج الرضي وعقبه ، ص٩٦ .
(٢) ديوان الرضي ١ / ٢٩١ .
(٣) راجع في ترجمته ، ص ١٢٦ ح ٣ .
(٤) ديوان الرضي ٢ / ٣٩٩ .
(٥) المصدر نفسه ١ / ٢٢٢ .
(٦) راجع في ترجمته ، ١٣٠ ح ١ .
(٧) ديوان الرضي ١ / ٦١٣ .
(٨) المصدر نفسه ١ / ١٠٧ .

الخلافة بعد خلع الطائع ، وهنّأه بحلول شهر رمضان [1] ، والثانية سنة ٣٨٢ هـ ، وقد أوصل الحجيج اليه [2] ، والثالثة في سنة ٣٨٣ ، ولم يبق منها الاّ ثلاثة أبيات [3] .

١٧ ـ الشريف المرتضى ٤٣٦ / ١٠٤٤ :

مدحه وهنّأه بقصيدتين ، ولم يؤرّخ لهما ، في الأولى هنّأه بمولودة جاءته [4] ، وفي الثانية هنّأه بقدومه من سفر في الماء [5] .

ب ـ تركيب قصيدة المدح عند الرضي :

تتعدّد الأغراض داخل القصيدة عند الرضي ، لا سيّما في القصيدة المدحية ، فاذا أخذنا قصائده في المدح وجدناها تشمل : المديح ، والوصف ، والفخر ، والحكمة ، والهجاء ، والعتاب ، والنسيب . . .

رأينا أن الرضي مدح أسرته ، والخلفاء العبّاسيين ، وسلاطين بني بويه ووزرائهم ورجالهم ، ثم مدح أصدقاءه وبعض أعيان عصره ،

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٥٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ٢ / ٣٩ .
(٣) المصدر نفسه ١ / ٢٤٦ .
(٤) المصدر نفسه ١ / ٣١٣ .
(٥) المصدر نفسه ١ / ١٠٥ .
قال جامع الديوان : « أنشد الرضي يهنّيء بعض أصدقائه من الرؤساء بقدومه من سفر في الماء » . ولكن عبد الفتاح الحلو ، محقّق ديوان الرضي يؤكد أنها في المرتضى في مقدّمة القصيدة . وممّا يقوّي هذا الظنّ ، أنّ الرضي ناداه في البيت العشرين بكنيته أبي القاسم ، وذكر في البيت السادس والعشرين أنه يساهمه في العلاء ويشركه في النسب .
عبد الفتاح الحلو . ديوان الشريف الرضي ١ / ٢٧٧ .

ولكن معظم مدائحه انحصرت في والده (٢٣ قصيدة) وفي بهاء الدولة (٢٦ قصيدة) ، والخليفة الطائع (١٥ قصيدة) .

سنتناول نماذج مختلفة من قصائده ونحلّلها لنرى كيفية تركّبها :

١ ـ نأخذ بعض القصائد التي مدح بها والده ، لأنها تحتلّ أكبر حيّز في هذا الفن . سنة ٣٧٦ / ٩٨٦ ، مدح أباه وهنّأه بخروجه من القلعة بقصيدة مطلعها :

طُلوعُ هَداهُ اليـنا المَغـيبُ ويـومٌ تَمـزّقَ عنـه الخُـطوبُ[1]

فتقع القصيدة في خمسين بيتا تتوزع أبياتها وتترتّب في تسلسلها على الشكل التالي :

١٤ مديح ـ ٨ فخر ـ ٨ وصف ـ ٧ شكوى ـ ٦ أبيات مفردة ـ ٤ أبيات في ذمّ الزمان ـ ٣ أبيات نصائح وحكم .

ـ وفي سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ مدحه وهنّأه بعيد الفطر وذكر حسن تلافيه للفتنة التي وقعت بين السنّة والشيعة ومطلع القصيدة :

ألاَ حَيّها ربّ العُلى ، مِن غَوارِب تَعرّقـني بين العُـلى والمطالب[2] .

فتتألف القصيدة من أربعة وستين بيتا تتوزّع على النحو التالي :

٢٥ مديح ـ ١٩ فخر ـ ٧ وصف ـ ٦ شكوى ـ ٥ حكمة ونصائح ـ ٢ في ذم الزمان .

ـ وفي السنة نفسها في جمادي الأولى مدحه بقصيدة هنّأه فيها بردّ

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ١ / ١٠١ .

أعماله القديمة وهي : النقابة وامارة الحجّ والنظر في المظالم ، تتألف من ثمانية وثلاثين بيتا ، ومطلعها :

أُنظُر الى الأيام كيفَ تَعودُ والى المعالِي الغُرّ كيفَ تزيدُ[1] .

فتتوزع القصيدة على الشكل التالي :

١٩ مديح ـ ٨ وصف ـ ٦ حكم ونصائح ـ ٥ أبيات مفردة .

ـ وفي سنة ٣٩٦ / ١٠٠٥ مدح والده يوم الغدير بقصيدة ، ذكر فيها ردّ بقيّة أملاكه عليه ، وتقع في تسعة وستين بيتا ومطلعها :

نَطقَ اللّسانُ عن الضّميرِ والبِشرُ عُنوانُ البَشيرِ[2] .

فتتوزع أبياتها على الشكل التالي :

٣٣ مديح ـ ٢٠ وصف ـ ٧ فخر ـ ٧ حكم ونصائح ـ ٢ هجاء .

واذا انتقلنا الى مدائحه في بهاء الدولة ، وجدنا التوزيع نفسه تقريبا .

ـ ففي سنة ٣٨١ / ٩٩١ مدحه بقصيدة هنّأه فيها بشهر رمضان ، تتألف من ستة وستين بيتا ومطلعها :

بَهاء المُلكِ من هذا البهاءِ وضَوءُ المجدِ من هذا الضِّياءِ[3] .

فتتوزّع أبياتها على النحو التالي :

٣٨ مديح وتهنئة ـ ١٠ فخر ـ ٨ عتاب ـ ٥ وصف ـ ٥ نصائح وحكم .

ـ وفي سنة ٣٩٤ / ١٠٠٣ مدحه بقصيدة أنفذها اليه وهو بفارس ،

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٣١٠ .

(٢) ديوان الرضي ١ / ٤٢٧ .

(٣) المصدر نفسه ١ / ١٣ .

تتألف من سبعة وخمسين بيتا ، ومطلعها :

تَمنّىَ رجـالٌ نَيلَهـا وهي شـامِسُ وأينَ من النّجمِ الأكُفُّ اللّوامِسُ ؟[1]

فتتركب من الأبيات التالية :

٢٥ مـديح ـ ١٤ وصف ـ ٩ عتـاب ـ ٧ هجـاء ـ ١ فخـر ـ ١ قَسَم (بيت منفرد) .

ـ وفي سنة ٤٠٢ / ١٠١١ مدحه بقصيدة ، تتألف من خمسة وستّين بيتا ، ومطلعها :

خَـلِّ دَمـعـي وطَـريـقَـه ، أحَـرامٌ أن أُريـقَـه[2] .

فتتوزّع على الشكل التالي :

٢٣ مـديح وشكـر ـ ٢٣ وصف ـ ١٦ نسيب وحجـازيـات ـ ٣ هجاء .

وفي مدائحه للخليفة الطائع لله تتركّب قصائده على نحو مماثل أيضا .

ـ ففي سنة ٣٧٤ / ٩٨٤ مدحـه وذمّ بعض أعدائـه بقصيدة تتـألف من أربعين بيتا ومطلعها :

أَغـارُ عـلى ثَـراكَ من الـرّيـاحِ وأسـألُ عن غَديـرِكَ والمَراحِ[3] ،

فتتوزّع أبياتها على الشكل التالي :

١٦ مديح ـ ٨ فخر ـ ٧ هجاء ـ ٦ وصف ـ ٣ شكوى .

ـ وفي سنة ٣٧٧/ ٩٨٧ مدحه بقصيدة هنّأه فيها بعيـد الأضحى ،

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٥٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٤٥ .

(٣) ديوان الرضي ١ / ٢٤٠ .

تتألف من خمسة وخمسين بيتا ومطلعها :

جَـزاءُ أمـيرِ المؤمنـينَ ثَنـائي ، عـلى نِعَمٍ مـا تنقَضي وعَـطاءِ[1]

فتتركّب من الأبيات التالية :

٢٦ مـديـح ـ ٩ وصف ـ ٦ فخـر ـ ٦ أبيـات مفـردة ـ ٥ نصـائـح وحكم ـ ٣ شكوى .

ـ وفي سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ شكره على الخلع السوداء التي قدّمها لـه ، وهنّأه بعيد الفطر بقصيدة تتألف من واحد وخمسين بيتا ، ومطلعها :

الآن أعـرَبـتِ الـظُّنـونُ ، وعَـلا عـلى الشـكِّ اليقـينُ[2] .

فتتوزّع أبياتها على النحو التالي :

٣٧ مديح ـ ٨ وصف ـ ٤ فخر ـ ٢ هجاء .

ونأخذ قصيدة له في مدحه للخليفة القادر لنرى كيفية تركّبها .

ـ وفي سنـة ٣٨٢ / ٩٩٢ مـدحـه بقصيـدة عنـدمـا أوصـل اليـه الحجيج ، تتألف من اثنين وخمسين بيتا ومطلعها :

لِمَنِ الحـدوجُ تهـزُّهُـنّ الأيـنُـقُ والرَّكبُ يطفو في السَّرابِ ويَغرَقُ[3]

وتتألف من الأبيات التالية :

٣٢ مديح ـ ١٣ نسيب وغزل ـ ٤ وصف ـ ٣ فخر .

من خـلال ما تقـدّم نستنتج أنّ مـدائـح الـرضي متـداخلة الفنـون

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٩ .

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٥٢٤ .

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٣٩ .

والأغراض وتشمل موضوعات مختلفة وتتماثل في تركّبها ، وتتسلسل موضوعاتها على النحو المذكور سابقا .

ج ـ المعاني المدحية عند الرضي :

انّ نفس الشريف الرضي الطّموح وروحه المتوثّبة دفعته في وقت مبكّر الى الاتصال بالخلفاء والملوك ورجال الدولة تمهيدا للحصول على مبتغاه ، فقد كان ينتهز الفرص ويتحيّن لها المناسبات الزمنية كالأعياد والنّواريز ليقدّم التهاني مادحا مطريا وشاكرا .

أمّا أبرز **المعاني المدحية** التي اشتملت عليها قصائد الشريف فهي :

المعاني الخُلُقية : كالشجاعة والكرم والعدل وسداد الرأي ، **المنزلة الاجتماعية والأعمال الاصلاحية ، التهنئة بالأعياد والمناسبات ، والبلاغة وخطرها .**

الشجاعة : عدّد الرضي في عدد كبير من قصائده مآثر أبيه ، فهو شجاع تفتقده السيوف والرماح ، والخيل والفرسان وساحات الوغى ، وعلى سبيل المثال ذكر موقعة له في « بني غُويْث » بطريق مكّة :

ويومَ غُويثٍ والسيوفُ بَوارِقٌ تصَلُّ المنايا والقِسِيُّ رَواعِدُ[1]

كما كان ركب الموسوي يعود من الحجّ سالما ، يوم كانت طريق الحج محفوفة بالمخاطر ، وإلى ذلك أشار الرضي :

حَمى الحجَّ واحتلَّ المظالِمِ رُتبةً على أنَّ رَيْعانَ النَّقابةِ زائدُ[2]

---

(١) من قصيدة نظمها سنة ٣٦٩ / ٩٧٩ ، ديوان الرضي ١ / ٣٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ١ / ٣٠٩ .

وتشتمل مدائح الرضي لبهاء الدولة على كثير من المعاني الخُلقية ، فنعته بملك الملوك ، ورآه شجاعاً مرهوب الجناب له حميّة واباء ، يقود الخيل برشاقة ، انه متمرّس بالحروب ، تخضع له الملوك ، فكأنه الصقر وهم بُغاث من حول سريره :

كأنَّ ملوكَ الأرضِ حولَ سريرِهِ بُغاثٌ وُقوفٌ والقُطاميُّ جالسُ[1] .

ثم مدح الرضي فحر الدين أبا غالب بن خلف فرآه جوادا لا يشقّ له غبار ، يجني الندى والعلا ، كما أنه في صولة الأسود إذا نزل الخطب ، ثم تحمّل اوزار الملك ، فكان شجاعا في مصاولة الأعداء ، فلن يخاف الرضي بعد اليوم لأنه نزيل الليث وجار النّجم ، وطود العلا كقوله :

أيخافُ الخُطوبَ مَنْ كانَ للَّيْـ ـثِ نَزيلاً ، وكانَ للنَّجمِ جارا[2]

كما أعجب الرضي بشجاعة خاله أبي الحسين الناصر الصغير ، فنعته بالليث ، وكثيرا ما استمدّ فخره منه ، ثم ذكر فظله عليه ، وتوقّف عند شجاعته بشكل خاص فهو يردّ السيوف فيثملها :

رَدَّ السُّيوفَ ، فَمَغْلولُ ومُنْثَلِمُ على الرماحِ ومُنآدٌ ومُنْأَطِرُ[3] .

الكرم :

كثيرا ما ينعت الرضي ممدوحيه بالجود والكرم ، والسّماحة والندى ، فوالده مشهور بكرمه ومعروفه كقوله :

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٥٥٠ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ٤٢٣ .
(٣) المصدر نفسه ١ / ٤٦٣ .

لا يَسـألُ الضيفُ عـن منـازِلِـهِ ومنـزلُ البدرِ غـيرُ مُفتقَـدِ[1]

وقد كرّر الرضي تلك المعاني في معظم مدائحه لوالـده ، فناره دائـما موقدة ، وأمواله مدّخرة لقضاء الحاجات ، والضيوف تتزاحم في بيته .

كما أطلق الرضي على بهاء الدولة سلسلة من النعـوت والفضائـل ، وأشـاد بشمائله وخصـاله ، ولا عجب في ذلـك فقد أغـدق بهاء الـدولة نِعمَ التشـريف والتبجيـل عـلى الـرضي ، وواصـل تكـريمـه بـالمناصب والألقـاب حتى غدت العلاقـات بينهـما متينـة جـدّا ، لأن بهـاء الـدولـة كريم اليد معطاء كالبحر والى ذلك أشار الرضي :

فيوم للمكارِمِ والعطايا ويومٌ للحميَّة والاباء
تصوم فلا تصومُ عن العطايا وعن بَذْل الرّغائِب والحباء[2].

وكم له من أيادٍ بيضـاء على الـرضي ، فقد ألبسـه النّعماء فـاذا الرضي غرسه والبهاء غيث لها ، لقد رفع من مقامه كقوله ؛

ألْبستني نعماً على نِعَمٍ ورَفَعْتَ لي علماً على عَلَم
وعَلَوْتَ بي حتى مشَيْتُ على بُسُطٍ من الأعنْاقِ والقِمَمِ[3].

ولم يكتف الـرضي بمدح بهـاء الدولـة ، بـل مـدح البـويهيـين كلّهم وأثنى عليهم ، فهم ينـابيـع النـدى ، وهم الأعنـاق والكـواهـل من الناس ، حتى أن المُلْك وُلد فيهم وغَنِيَ بهم[4] . كـما أسرف الـرضي في

---

(١) من قصيدة نظّمها سنة ٣٧٤ / ٩٨٤ ، المصدر نفسه ١ / ٣٠٣ .
(٢) ديوان الرضي ١ / ١٥ ـ ١٨ .
(٣) المصدر نفسه ٢ / ٣٩٢ .
(٤) كقوله :
أآل بُـوَيهٍ مـا نـرى النـاسَ غيـرَكُمُ ولا نَشْتكي للخَلْقِ لـولاكُمُ فَقْـدا

مدحه للخليفة العباسي الطائع ، واطلاق النعوت عليه حتى بلغ حدود المبالغة ، فهو ينبوع الكرم والسماحة ، فقد خصّه برعايته ، وأسدى لأبيه كثيرا من المعروف عندما ردّ أملاكه المصادرة .

ويتساءل الرضي في عدد من قصائده متى يلقى هذا الخليفة العظيم ، النديّ كالغمام ، المنيع الجانب كالطّود ، فهو أجود من المزن ، وأولى بالفخار من كل الأنام ، ثم أطال في وصف جوائزه وعطاياه .

ورأى الرضي في أبي سعد بن خلف أخا ثقّف المجد أخلاقه ، فهو شهاب في الظلام ، وغيث يعانقه في السحاب ، وبدر ينادمه في السماء ، ثم مدح قومه بني خلف :

بَني خَلَفٍ أنتُمُ في الزَمانِ غُيوثُ العَطاء لُيوثُ الوَغَى[1] .

ثم مدح أبو غالب بن خلف ، فهو كريم كالبحر ، يجني الندى والعُلا ، ويُجير اذا جارت الليالي ، وأكثر الناس سماحا وعطاء ، لقد أحسّ الرضي بأنه أسير نعماه ، كما سمعت الناس الأخبار عن جميله واحسانه .

العدل وسداد الرأي :

أطلعنا الرضي في عدد من قصائده على خصال الخليفة العباسي الطائع وما يمتاز به من عدل وسداد في الرأي ، وهيبة تشبه مواقف أجداده ، فهو أولى بالامامة ، لما يتمتّع به من مواهب وملكات :

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٤٠١ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ٤٢ .

بالطائِع الميمونِ أُنجِحَ مطلبي وعَلوتُ حتى ما يُطاوَلُ مَعقِلي
رأيُ الرّشيدِ ، وهيبةُ المنصورِ في حُسنِ الأمين ونِعمةِ المُتوكّلِ[1] .

وعندما تولّى الخلافة القادر بالله استقبله الرضي بقصيدة شهد فيها أنه جدّد شرف الخلافة العباسية ، وجعله موطّدا للبناء الذي وضع قواعده أبو العباس السفاح كقوله :

شَرفُ الخِلافةِ يا بني العبّاسِ اليومَ جدّدهُ أبو العبّاسِ
بَعثتَ في قلبِ الخلافةِ فرحةً دَخلتَ على الخلفاءِ في الأرماسِ[2]

ثم مدحه بالعدل والمهابة والجلال ، فهو مشرق الوجه بالايمان ، وقد غرس المودّة في قلوب الناس ، بسلوكه وحسن تصرّفه ، ثم مدح أجداده من بني العباس ، انه عظيم من قريش ، جبينه منير كالصباح ، وتبدو عليه سيمياء الملك ، كما أنه عنوان الشجاعة والسّماح[3] .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ١١٤ .

(٢) المصدر نفسه ١ / ٥٤٦ .

(٣) انصرف الرضي عن مدح القادر وأسقطه من حسابه بعد ذلك عندما افتخر عليه وتعالى بالابيات المعروفة :

عَطفاً أميرَ المؤمنينَ فاننا في دَوْحةِ العلياءِ لا نَتَفرَّقُ
ما بينَنا يَومَ الفَخارِ تَفاوُتٌ أبداً كِلانا في المعالي مُعْرِقُ
الّا الخلافةَ مَيَّزْتْكَ فانني أنا عاطِلٌ منها وأنتَ مُطَوَّقُ

ديوان الرضي ٢ / ٣٩ . قصيدة : « لمن الحدوج تهزّهنّ الأينُقُ . . . »

علق الثعالبي على هذه الأبيات قائلا :

« وهذا أسمى ما ورد في الشعر العربي من أدب المنافسة بين المادح والممدوح ، وهذه طريقة لم يسبق اليها ، وما أحسنها في جمع أطراف الاستعطاف والمدح » . الثعالبي . يتيمة الدهر ٣ / ١٣٩ .

كما مدح الرضي خاله الناصر الصغير ، فوصفه بالوقار وحسن الرأي والتدبير .

المنزلة الاجتماعية والأعمال الاصلاحية :

رأى الرضي والده ماجدا جليلا ، وقد تفرّد بالعلياء عن أهل بيته ، وبيته أشرف بيت في بني هاشم لذلك ورث المجد والمعالي ، ثم عدّد فضائله وأعماله المجديدة في الحج والنقابة والمظالم . كما نعته بالوقار والمهابة ، فهو جدير بالخلافة :

اذا ذَكَروهُ للخلافةِ لم تَزَلْ تَطلّع من شَوقٍ اليهِ رِقابُ المَنابِرِ[1]

وهناك عدّة قصائد تشير الى منزلة أبي أحمد الموسوي الاجتماعية ، فقد كان من الزعماء المصلحين ، وقد سجّل ابنه هذه المواقف المشرفة كحسن تلافيه للفتنة التي وقعت في بغداد بين السنّة والشيعة سنة ٣٨٠ / ٩٩٠ ، كقوله :

وخَطْبٍ على الزّوراءِ ألقى جِرانَهُ مَديدِ النّواحي مُدْلَهِمّ الجوانبِ
ولولاكَ عليّ بالجماجِمِ سورُها وخُندق فيها بالدّماء الذّوائبِ[2] .

وقد مرّت بنا مواقف أبي أحمد الاصلاحية[3] ، فقد كان « حمامة السلام » ، ويرجى لتضميد الجراح .

وفي مدائحه لبهاء الدولة نرى أن الرضي علّق مصيره بمصير الملك البويهي ، وندرك ذلك من اشفاقه عليه أثناء مرضه ، وقد تتابعت

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٤٥١ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ٩١ .
(٣) راجع نشاطه واصلاحاته الصفحات : ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ .

مدائحه له ، حتى اذا قضى البهاء ، زالت آمال الرضي بموته ، لأنه كان وليّ نعمته .

ثم يراه راعيا للدين وهاديا له اذا ضلّ طريقه ، يضيء سناه كما يضيء قمر الدّياجي ، وقد ورث العزّ والمجد ، فهو أولى بالعلا ، وأيامه كلّها أعياد للخليقة كقوله :

انْ يَكُنْ عيداً فأيّا مُكَ أَعْيادُ الخَليقَهْ[1] .

وفي مدائحه للطائع ظلّ الرضي أربع سنوات يتمنّى لقاءه ، ويرغب الوصول الى مجلسه ـ ٣٧٦ / ٩٨٦ ـ ٣٨٠ / ٩٩٠ ـ وقد ألحّ الرضي بهذا المعنى بقوّة في معظم مدائحه للخليفة ، لقد أحبّ الرضي أن يستأثر بمودّة الطائع ، وتعمّقت صلته به الى حدّ التصريح بالشكوى من أيامه ، ونفض همومه أمامه ، ان يأنس به فيظهر مكنونات صدره . ولطالما تمنّى أن يصل الى داره ، يدفعنا ذلك الى التساؤ ل ، ماذا يريد الرضي من الطائع ؟ هل يطلب منه مالا ؟ ولماذا يلحّ في الوصول اليه ؟ لقد ترك الناس كلّهم لأجله ، بل ترك في سبيله قوما كرام الأكفّ ، لقد عرفنا الرضي أبيّ النفس عزيزها ، فهو لا يريد مالا ، أو مكافأة ، بل يريد منصبا كما يقول :

أُريدُ الكَرامةَ لا المَكْرُماتِ ونَيْلَ العُلا لا العطَايا الجِساما[2] .

كان الطائع أمل الرضي ، وقد ورث محبّته من أبيه الحسين الذي كان دائم الثناء على الطائع ، فمن والاه رأى الدنيا مزخرفة ، ومن عاداه رآها مظلمة .

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٤٥ .

(٢) ديوان الرضي ٢ / ٣٢٣ .

كانت مدائح الرضي للطائع تفيض بالمحبّة والوداد كقوله :

يـا جميـلاً جمـالُـهُ مِـلءُ عَيـنِي وعـظيماً إعـظَامُهُ مِـلءُ قَلبي[1] .

ثم نراه يلعب بالخلفاء على الملوك ، ويلعب بـالملوك على الخلفـاء ، كقوله أيضا :

فـاذا مـا أرادَ قُـرْبي مَـليْـكٌ قلتُ : قُربي من الخَليفةِ حَسبي[2]

وينظر إلى الطائع فيراه عظيماً من بني هاشم ، وهم أقاربه ، ثم ينفذ صبره ويرسل له السلام تلو الآخر ، فمتى يلقاه ؟

متى أنـا قـائم أعْـلى مقـامِ ولاقٍ نورَ وجهِكَ بالسّلامِ[3]

ويتحققّ حلمـه ، فيستـدعيـه الخليفـة ويجلس لـه جلوسـا خـاصـا ويستقبله بحفـاوة فيجلسه بـالقرب من سـريره ، ويخلع عليـه ويرتّبـه في مرتبة أبيه ، فيسترسل الرضي في اطرائه وشكره .

وفي مـدائحه لأبي سعيـد بن خلف ـ وهـو من أصـدقـاء الـرضي ـ نلمس المـودّة والاحترام المتبـادل ، فقد شـرب الرضي من يـديـه كـأس الاخـاء ممزوجـة بنسيم الصفـاء ، كـما أزالت صـداقتـه الحـزن من قلب الرضي ، وحلّ ودّه صافيا في قلبه ، انه مقدّم في قومـه ، ويمتاز بشمـائل وصفات محبّبة .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٥٢ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ٥٣ .
(٣) المصدر نفسه ٢ / ٤١٦ .

التهنئة بالأعياد والمناسبات :

كان الرضي يدخل على والده في كل عيد بقصيدة فيهنّئه بالمناسبات الدينية المختلفة ، ويخلع عليه رداء الملوك ، ويدعو له بطول العمر ، فقد تشرّف بمدحه وكان سبب افتخاره :

وبِحَسبِ جودِك أنني لكَ مادحٌ وبِحَسبِ مَجدي أنني بِكَ فاخِرُ[1]

كما هنّأه بعدد من القصائد بردّ أملاكه المصادرة[2] ، وعودة الأعمال الرسمية من نقابة وامارة حجّ وولاية مظالم .

وفي مدائحه للطائع وبهاء الدولة استغلّ الرضي مناسبة حلول أعياد : الفطر والأضحى ، والمهرجان ، والنيروز ليتقدّم من ممدوحيه بأحرّ التهاني وأخلص التمنيّات ، كما ظلّت علاقة الرضي بالخليفة الطائع تمتاز بالمودّة والاخلاص حتى نكبته عندما خلع سنة ٣٨١ / ٩٩١ .

كذلك سعى الرضي لتهنئة أصدقائه وأقاربه بميلاد البنين والبنات ، والمكافآت والانتصارات ، فهنّأ صديقه أبا سعد بن خلف بطوق العلا الذي ناله عندما خلع السلطان عليه .

البلاغة وخطرها :

مدح الرضي الأديب الكبير الصاحب بن عبّاد ـ فرآه حساما مهنّدا ، ومعقلا اذا نازعته الأيام يلجأ اليه ، ومواردا اذا ظمئت آماله

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٤٣٨ .

(٢) ذكر ردّ أملاكه المصادرة بقصيدتين الأولى : أُنْظرْ الى الأيام كيف تعودُ . . . في ديوانه ١ / ٣١٠ . والثانية : نَطَقَ اللسّانُ عن الضَّمير . . . المصدر نفسه ١ / ٤٢٧ .

يرتوي منه ، ونعته بقبلة المجد ، كما احتلّ مقاما ساميا ، ثم مدح بلاغة قلمه بقوله :

لَكَ القَلمُ الماضي الذي لو قَرَنتَهُ بِجَري العوالي كان أجرىَ وأجودا

وسيرسل الرضي أشعاره له عربون ودّ وصداقة ، لأن شعره انتشى بذكر فضله ، وكم تمنّى لقاءه ، والرضي يقتدي به في شعره ونثره فبينهما صلات الأدب ، فاذا أهدى اليه أشعاره فكأنه يعرض السّرد على داود :

بَبني وبَينَكَ حُرمتانِ تَلاقَتا نَثري الذي بِكَ يَقتدي وقصيدي
انْ أُهدِ أشعاري اليكَ فانه كالسّرد أعرِضه على داودِ[2] .

ومدح من شيوخه ابن جنّي النحوي الكبير ، ففصاحته تقرع أسماع الرجال ، وقوله زلال وعذب نمير ، لا يُبارى في الجدال ، ولا يقول مُحالا ، انه فاضل يبلّ الغليل ، كما يزيد في الاحسان ويتمّ الجميل ، وقد قال فيه :

فِدىً لأبي الفَتحِ الأفاضِلُ انّه يَبُرُّ عليهم انْ أَرَمَّ وقالا
اذا جَرَت الآدابَ جاءَ أمامها قريعاً وجاءَ الطالبون إفالا[3] .

طبيعة مدحه وأبعاده :

كانت مدائح الرضي تمثّل شكرا للصنائع وعرفانا لجميل

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٢٨٣ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ٢٩٠ .
(٣) يبرّ : يحسن ـ أرم : سكت ـ قريعا : الفحل من الابل . ـ افالا : الواحد أفيل : فصيل .
ديوان الرضي ٢ / ١٦٦ .

الآخرين ، كما يقول : « ولا يَشْكُرُ النّعماءَ الاّ المُهذّبُ »[1] .

فلقد شكر شرف الدولة واعترف بجميله لما أسداه من فضل على والده باطلاق سراحه :

لولاكَ ما انْفَسَحتْ في العيشِ هِمّتُهُ ولا أقرّ عيونَ الخَيلِ والخَولِ[2]

وكانت مدائحه سلسلة من التهاني في المناسبات الدينية (كأعياد : الفطر والأضحى ، والنّواريز ، والمهرجان . . .) ، أو تهنئة بالمناصب والألقاب ، أو بالشفاء من مرض ، أو التخلّص من نكبة ، أو بالانتصار على الاعداء ، أو الفرحة بميلاد الأبناء والبنات . . .

وفي بعض مدائحه كان اتباعيّا كلاسيكيّا على طريقة شعراء المديح في الأدب العربي ، يتنازل الى مقام الخاضع المتصاغر على طريقة شعراء التكسّب كقوله لبهاء الدولة : « أنا غَرْسٌ غَرَسْتُهُ » أو « وازرَعْ لِغَرسٍ أنت أنهضْتُهُ » .

أو كقوله :

أنا عَبدُ أنعُمِكَ التي نَشطَتْ أملي وأنهَض عَزمُها مُنَني[3] .

وكما أغرق في شكره فقد بالغ في مدحه مبالغة ما كانت متوقّعة منه كقوله في البهاء :

مَلَكَ المُلْكَ ثمّ جلّ عن المُلكِ فأمسى يستخدم الأملاكا
عَجباً كيفَ يَرتَضي صَفحة النّعلِ لِرجْلٍ يَطابِها الأفلاكا[4] .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ١١٢ .
(٢) ديوان الرضي ٢ / ١٢٨ .
(٣) المصدر نفسه ٢ / ٤٥٥ .
(٤) المصدر نفسه ٢ / ١٠٠ .

واذا انتقلنا الى مدائحه في الطائع رأيناه يسرف في المبالغة في مدحه :

إمامٌ تـرى سِـلْكَ آبـائِـهِ بُعَيْدَ الرسولِ إماما إماما[1]
لله ثـم لـكَ المحَـلُّ الأعـظَمُ واليـكَ يَنتَسِبُ العَـلاءُ الاقـدمُ
ولـكَ التّـراثُ مِنَ النبيّ محمّـدٍ والبيتُ والحَجَرُ العظيمُ وزمزمُ[2] .

ولعلّ للرضي عذره في ذلك الاغراق ، فقد كان ذلك تكلّفا في بعض الأحيان كما يعترف :

أُهذِّبُ في مَدح الرّجالِ خواطري فأصدُقُ في حُسنِ المعاني وأكذِبُ
ومـا المـدحُ الّا في النبيّ وآلـهِ يُرامُ وبعضُ القولِ ما يُتَجنّبُ[3]

فقد كان استعطافه للخلفاء والملوك والتودّد لهم بسبب طموحه للمجد ، ورغبته الجامحة في تحقيق أهدافه ، وقضاء حاجاته لدى السياسيّين ، وقد نجح في ذلك بعض الشيء ـ وربّما كان عمله هذا محاكاة لبعض الشعراء واتقانا للصنعة[4] .

هذا المدح المفتعل أو المصطنع لم توحِ به محمدة ولا منقبة ، بل

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٣٢١ .
(٢) المصدر نفسه ٢ / ٣٤١ .
(٣) ديوان الرضي ١ / ١١٢ .
(٤) في مدحته للطائع وتهنئته بعيد الفطر سنة ٣٧٧ / ٩٨٧ أعجب ما فيها ، أنه عارض بها عيديّه المتنبي في هجاء كافور ، لقد وقف الرضي موقف المتنبي من كافور عندما خاطب الطائع قائلا :
أعيدُ مجدَكَ أنْ أبْقى على طَمَعٍ وأن تكونَ عَطاياكَ المواعيدُ
ديوان الرضي ١ / ٢٧٢ .

ربّما أوحت به ظروف سياسيّة مضطربة دفعت الرضي لدرء أذاهم بعد اعتقال أبيه ـ وكانت أصدق مدائح الرضي وأرقّها تلك التي مدح بها أسرته وأصدقاءه وشيوخه ـ .

وعلى العموم فقد ارتفع الرضي عن التكسّب بشعره ، فظلّ أبيّا ولم يتزلّف ، ولم يقف على أعتاب الملوك والخلفاء طالباً عطايا ومكافآت على مدائحه ، فقد أخلص للخليفة الطائع اخلاصا شديدا يدل على ذلك توجّعه لنكبته بعد خلعه ومواصلته في مدحه ، ومواصلة رثائه بعد موته بالرغم ممّا يجرّ ذلك عليه من غضب الحكّام الجدد . كذلك تأثر بعظمته بهاء الدولة وما أسداه له ولأبيه من الاحسان ، وكان الرضي ممّن يحفظ الجميل .

الفصل الثاني

الرثاء والتعزيّة

يلاحظ المتتبّع لشعر الرضي أنه أمام شاعر كثير البكاء على الراحلين كثير التعزية لأقاربه واصدقائه ممّن فقدوا أحبابهم .

وقد لفتت كثرة مراثي الرضي وحرارة عاطفتها نظر الأدباء والمؤرخين[1] فقد كان الرضي على ما يبدو غرضا لسهام الزمان ومحاربة الأيام ، ومعاكسة الظروف ، فهو دائم الحزن والألم بما فعلته الأيام بأهل بيته الطالبيّين ، وبأبيه حين اعتقل وصودرت أملاكه ، وبآماله حين تحطّمت على صخرة الواقع المرير .

لهذا كلّه وجد في الرثاء متنفّسا لآلامه وأحزانه ، واخفاقه في تحقيق طموحه في الحياة ، يضاف الى ذلك وفاؤه لمن يرثيهم حتى بعد موتهم ، والحاحه في التحسّر على فقدهم .

---

(١) يقول الثعالبي . **يتيمة الدهر** ، ٣ / ١٣١ . « ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفا في المراثي منه » .

وابن أبي الحديد في مقدمة **شرح نهج البلاغة** ، ١ / ١٥ . يقول عنه : « . . . وان قصدفي المراثي جاء سابقا والشعراء منقطع أنفاسها على أثره » .

ووجد الرضي في مأساة الحسين ـ صريع كربلاء ـ منفرجا آخر لهمومه ، وتعبيرا قويا عن آلام الشيعة ، فنهج في مراثيه للحسين منهجا جديدا بالافتخار بأهل البيت وذكر قبورهم والتشوّق اليها .

هذه العوامل النفسيّة كلها دفعت الرضي الى الاجادة في هذا الفن ، فامتزج بمأساة الموت ، واستحقّ أن يسمّى : « النائحة الثّكلى »[1] .

وقد بلغت قصائد الرثاء في ديوان الرضي أحدى وثمانين قصيدة ومقطوعة .

كان الرضي في علاقاته الاجتماعية وفيّا الى أبعد الحدود ، وهذا ما يفسّر الحاحه الشديد في رثاء أقاربه وأصدقائه ، ولم يكن يقنع في رثاء من يحبّهم بقصيدة واحدة ـ كما جرى العرف بين الشعراء ـ ولكنه بكى الكثيرين منهم بحرارة وعاطفة جيّاشة بأكثر من قصيدة ، كما فعل في رثاء ابن ليلى ـ صديقة البدوي ـ والطائع العباسي ، والصّابي أبي اسحاق ، وأبي طاهر ابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني ، وبهاء الدولة وغيرهم .

ولقد أجاد الرضي في هذا الفنّ كلّ الاجادة ، وتنقسم مراثيه بشكل عام الى قسمين : رثاء أسرته وآل البيت ، ورثاء الأصدقاء والملوك والأعيان .

---

(١) يعقد احسان عبّاس في كتابه **الشريف الرضي** ، ص / ١٤٠ . فصلا عنه بعنوان : « النائحة الثكلى » وينقل التسمية صلاح الدين الصفدي ، في **الوافي بالوفيات** ، ٢ / ٣٧٤ .

وسنعتمد في دراستنا لهذا الفصل على : الأشخاص الذين رثاهم الرضي : فنرتّبهم حسب التّسلسل التاريخي تبعا لسنة الوفاة ، وعلى أن نترك القصائد التي لم يؤرّخ لها ، أو لم يذكر أسماء الذين قيلت فيهم الى آخر الفقرة . ثم نتناول « عاشوراء » في مراثي الرضي ، ثم نعالج تركيب مرثيّة الرضي ، ومعاني الرضي الرثائية .

أ ـ بيان بالذين رثاهم الرضي :

١ ـ الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز[١] توفي سنة ١٠١ / ٧١٩ .

٢ ـ أبو الفتح ابن الطائع لله ٣٧٦ / ٩٨٦ .

٣ ـ أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي[٢] ٣٧٧ / ٩٨٧ .

٤ ـ عمر بن أسحاق المقتدر (شقيق الطائع) ٣٧٧ / ٩٨٧ .

٥ ـ يُعزّي الوزير أبا منصور محمد بن الحسن بن صالحان[٣] عن والدته ٣٧٨ / ٩٨٨ .

٦ ـ أبو شجاع بكر بن أبي الفوارس شرف الدولة ، لم يؤرّخ لوفاته ، ولكنه مات قبل أبيه .

٧ ـ أبو الفوارس شرف الدولة البويهي ٣٧٩ / ٩٨٩ .

٨ ـ أبو عبد الله أحمد بن موسى (عمّ الرضي) ٣٨١ / ٩٩١ .

---

(١) كنيته أبو حفص كان فاضلا عادلا ، تولى الخلافة سنة ٩٩ / ٧١٧ ، أمر بترك سب علي بن أبي طالب على المنابر ، فحلّ هذا العمل عند الناس محلاً حسناً ، وأكثر الشعراء من مدحه بسببه فمن ذلك قول كثير عزّة :

وُليتَ فلم تشْتُمْ عليّاً ولم تُخِفْ بَريّاً ولم تَتْبَعْ مقالَةَ مُجْرِمِ

ابن الأثير . الكامل ، ٤ / ١٥٤ ـ ١٦١ .

(٢) أحد شيوخ الرضي ، راجع في ترجمته ، ص ٢٠١

(٣) راجع في ترجمته ، ص ١٢٦ ح ٢

٩ ـ عبد الله بن معروف قاضي القضاة أبي محمد[١] ٣٨١ / ٩٩١ .
١٠ ـ يرثي أيام الطائع ويتوجّع لخلعه ٣٨١ / ٩٩١ .
١١ ـ يرثي صديقا من أصدقائه ٣٨١ / ٩٩١ .
١٢ ـ أبو طاهر ابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني ٣٨٢ / ٩٩٢ .
١٣ ـ حرب بن سعيد بن حمدان ٣٨٢ / ٩٩٢ .
١٤ ـ أبو منصور المرزبان الشيرازي الكاتب[٢] ٣٨٣ / ٩٩٣ .
١٥ ـ أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي ٣٨٤ / ٩٩٤ .
١٦ ـ الشريف أبو القاسم علي بن الحسين أبو تمام الزّينبي (نقيب العباسيّين) ٣٨٤ / ٩٩٤ .
١٧ ـ والدته فاطمة بنت الناصر ٣٨٥ / ٩٩٥ .
١٨ ـ أبو القاسم الصاحب بن عبّاد ٣٨٥ / ٩٩٥ .
١٩ ـ أحد أصدقائه من بني عُقَيْل ٣٨٥ / ٩٩٥ .
٢٠ ـ يوسف بن سعيد السيرافي النحوي ٣٨٥ / ٩٩٥ .
٢١ ـ الكافي النصيح أبو الحسن بن محمد الكوكبي[٣] ٣٨٥ / ٩٩٥ .
٢٢ ـ المظفّر أبو الحسين عبيد الله بن محمد ٣٨٧/ ٩٩٧ .
٢٣ ـ يرثى بنت صديق له ويعزّيه عنها ٣٨٧ / ٩٩٧ .

---

(١) ورد ذكره عبيد الله في مقدمة القصيدة في الديوان ، وعبد الله عند الثعالبي : « جمع بين العلم والظرف ، يقول شعرا لطيفا في الغزل ، هو شجرة فضل عودها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها عقل ، وعروقها شرف » .
يتيمة الدهر ، ٣ / ١٠٧ .
(٢) كان من كبار كُتاب الرسائل وبينه وبين الرضي مكاتبات بالنظم والنثر . ديوان الرضي : ١ / ١٥١ .
(٣) راجع في ترجمته ، ص ١٢٧ ح ٢ .

٢٤ ـ يرثي بعض الناس ٣٨٧ / ٩٩٧ .
٢٥ ـ يرثي عدداً من أهل بيته ٣٨٧ / ٩٩٧ .
٢٦ ـ عبد العزيز بن يوسف الحكّار ٣٨٨ / ٩٩٨ .
٢٧ ـ أبو عبد الله الحسين بن حجّاج الشاعر ٣٩١ / ١٠٠٠ .
٢٨ ـ أبو حسان أمير عُقَيْل المقلّد بن المسيّب ٣٩١ / ١٠٠٠ .
٢٩ ـ أبو الحسين أحمد بن الناصر (خال الرضي) ٣٩١ / ١٠٠٠ .
٣٠ ـ أبو عبد الله بن الامام المنصوري ٣٩١ / ١٠٠٠ .
٣١ ـ أبو الفتح عثمان بن جنّي ٣٩٢ / ١٠٠١ .
٣٢ ـ يرثى بعض الأصدقاء ٣٩٢ / ١٠٠١ .
٣٣ ـ أبو العوام صديقه البدوي ٣٩٣ / ١٠٠٢ .
٣٤ ـ الطائع لله الخليفة ٣٩٣ / ١٠٠٣ .
٣٥ ـ يرثي قوما من عشيرته ٣٩٣ / ١٠٠٢ .
٣٦ ـ أحد فقهاء الشيعة ٣٩٤ / ١٠٠٣ .
٣٧ ـ أبو بكر بن شاهويه « زعيم الخوارج في بغداد » ٣٩٦ / ١٠٠٥ .
٣٨ ـ يعزّي الوزير ابن حمد بن أبي الريّان عن ولده ٣٩٦ / ١٠٠٥ .
٣٩ ـ يعزّي بهاء الدولة عن ولده أبي منصور ٣٩٨ / ١٠٠٧ .
٤٠ ـ أبو الحسن الملهبي ٣٩٩ / ١٠٠٨ .
٤١ ـ تقيّة بنت سيف الدولة الحمداني ٣٩٩ / ١٠٠٨ .
٤٢ ـ أبو أحمد الموسوي (والد الرضي) ٤٠٠ /١٠٠٩ .
٤٣ ـ يعزّي بهاء الدولة عن ابنته (زوجة القادر) ٤٠٠ / ١٠٠٩ .
٤٤ ـ أبو علي عميد الجيوش بن أستاذ هرمز ٤٠١ / ١٠١٠ .
٤٥ ـ يرثي أقاربه ٤٠٢ / ١٠١١ .
٤٦ ـ بهاء الدولة البويهي ٤٠٣ / ١٠١٢ .

٤٧ ـ أبو الحسن أحمد بن علي البتّي ٤٠٥ / ١٠١٤ .
٤٨ ـ يرثي شقيقته .
٤٩ ـ يعزّي أخاه المرتضى عن اثنتين من بناته .
٥٠ ـ يعزّي أبا سعد علي بن محمد بن خلف عن أخت له وعن ابن له أيضا .
٥١ ـ يرثي آل المنذر بن ماء السماء وقد مرّ بالحيرة .
٥٢ ـ يرثي امرأً يخصه (وقيل زوجته) .
٥٣ ـ يرثي بعض الرؤساء .
٥٤ ـ سأله بعض الناس أن يرثي حميما له .
٥٥ ـ يرثي قوما من أصدقائه العرب .
٥٦ ـ يعزّي صديقا له عن بنت توفيت له عقب أخرى .

كما رثى كثيرا من المغمورين الذي لم يصرّح بأسمائهم في ديوانه أو بتاريخ وفاتهم ، بمقطوعات صغيرة لا تتجاوز الخمسة أسطر أحيانا .

وممّا يجب ذكره أنّ الشريف الرضي لا يكتفي بالمرثية الواحدة ، فهناك أشخاص رثاهم بعدد من القصائد نذكر منهم :

١ ـ رثى الخليفة الطائع لله ، بثلاث قصائد[١] ، فضلا عن رثاء أيامه في الخلافة عند خلعه سنة ٣٨١ هـ .
٢ ـ ورثى صديقا له لم يذكر اسمه سنة ٣٨١ / ٩٩١ ، بمرثيتين متتاليتين[٢] .

---

(١) في ديوان الرضي ، ١ / ٣٠ و ٢ / ١٩٧ و ٢ / ٢١٥ ، ورثى ايامه عند خلعه ، المصدر نفسه ، ٢ / ١٩٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٦٤٨ و ٦٥٠ .

٣ ـ ورثى أبا طاهر ابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني بثلاث قصائد [١] .

٤ ـ ورثى أبا اسحاق الصابي بثلاث قصائد [٢] .

٥ ـ ورثى أبا حسان المقلّد أمير عقيل بقصيدتين [٣] .

٦ ـ ورثى أبا العوّام صديقه البدوي بخمس قصائد [٤] .

٧ ـ ورثى بهاء الدولة بقصيدتين [٥] ، وعزّاه بقصيدتين عن ابن وبنت له .

ب ـ « عاشوراء » في مراثي الرضي :

للشريف الرضي في بكاء الحسين خمس قصائد طوال ، الأولى رائية نظمها سنة ٣٧٧ / ٩٨٧ . والثانية لامية قالها سنة ٣٨٧ / ٩٩٧ ، والثالثة هائية نظمها سنة ٣٩١ / ١٠٠٠ . والرابعة دالية قالها سنة ٣٩٥ / ١٠٠٤ ، والخامسة مقصورة ، لم يذكر لها تاريخ ، ويقال : « انّها آخر ما قاله من الشعر ، وانها ربما كانت منحولة » [٦] . فضلا عن رثائه

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٤٩٠ و ١ / ٣٦٦ و ١ / ٦٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٣٨١ و ٢ / ٥٧٩ . وفي سنة ٣٩٣ / ١٠٠٢ رثاه بقصيدة ثالثة في المصدر نفسه ٢ / ٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ١ / ٣٦٩ و ١ / ٦٣٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ٦٧ و ٢ / ٣١٧ و ١ / ٥٨٩ و ١ / ٥٦٧ و ١ / ٢٣٥ ، وتحسّر عليه عرضا في بعض القصائد ، كقصيدة ٢ / ٢٦٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ٢ / ١٠٤ وسنة ٤٠٤ / ١٠١٤ رثاه بثانية في ديوانه ١ / ٦٢٤ . وعزّاه عن ولد له في قصيدة ١ / ١٣٥ ، وعن ابنته في قصيدة ٢ / ٢٨٦ .

(٦) هذه القصيدة من زيادات أبي حكيم الخبري ، صُدِّرَتْ في النسخ المخطوطة بما يشكّك في نسبتها الى الرضي ، والتشكيك في نسبتها يأتي : من أنّها ليّنة لا تشبه شعره . =

لأهل البيت عامة في أبيات عديدة ، من جملة قصيدة فخرية[1] .

ويعتبر شعر الرضي قليلا في هذا الباب بالنسبة الى حجم ديوانه من ناحية ، أو بالقياس الى شعراء الشيعة فيه[2] من ناحية ثانية .

وينهج الرضي في هذه القصائد نهجا يكاد يكون واحدا ، وسنحلّل هذه القصائد وندرس معانيها بالتفصيل ، لندرك مدى الأثر الذي تركه الرضي لمن جاء بعده من شعراء الشيعة في هذا المجال .

١ ـ القصيدة الأولى :[3]

بدأ الشاعر قصيدته بوصف حالته النفسية وما تراكم على صدره من الهموم ، فهو حزين يساوره القلق ، فذِكْر عاشوراء يؤلمه ويُمضّه ويؤرّقه ، ثم وصف لنا أحداث ذلك اليوم : لقد خرّ فيه « ابن فاطمة » صريعا ظامئا ، سُقي النّجيع من حرّ الطعن عوضا عن بارد الماء ، انه ملقى على الرّمضاء ، وقد سترته رمال الصحراء ، وحنَّتْ عليه الرّبى فظلّلته .

ظلّ ثلاثة أيام بالفلاة ومع ذلك لم تنهش الوحوش لحمه ، فهي لا

= عبد الفتاح الحلو . **ديوان الشريف الرضي** ، ١ / ١٧٠ . وسنقارن بينها وبين قصائد الرضي الأخرى عند تحليلها .

(١) ديوان الرضي ، دار بيروت ، ١ / ١١٤ ـ ١١٥ .

(٢) أنظر مثلا **ديوان أخيه المرتضى في المواضع التالية** : ١ / ١٣ ، ٦٨ ، ١٤٥ ، ٢٩٠ ، ٢ / ٢٨ ، ٤١ ، ٥٣ ، ١٧٦ و ٣ / ٧٧ ، ٢٦٤ ، ٣٤٢ ، قلّ أن مرّ شهر المحرم عليه دون أن يستقبله بقصيدة في رثاء الحسين . . . « عبد الرّزاق محي الدين ، **أدب المرتضى** ، ص / ٣٥ .

(٣) **ديوان الشريف الرضي** ، ١ / ٤٨٧ .

تقترب من مصرعه نظرا لهيبته . وبعدها هاجم ابن زياد ، فهو لئيم الأصل ، ولم يكن عمله مشكورا عند سيّده يزيد . ثم تساءل كيف تُسْبى بنات رسول الله بين هؤلاء القوم ، والدّين ما زال غضّ المباديء ؟ ووصف شجاعة الحسين فلم يظفر الموت به الاّ بعد أن ردّ الرماح والقنا بجبينه وصدره ، حتى غدا النّقع يسحب من أذياله .

ثم هدّد بني أميّة وتوعّدهم ، ووعد جدّه بالثأر له ، « فالمهدي المنتظر » موتور ، شاهر سيفه في أقاصي الأرض :

بني أُميّة ما الأسْيافُ نائمةٌ عن شاهرٍ في أقاصي الأرضِ مَوتورِ

وتساءل كيف ينسى حزنه من كان جريح القلب ، مؤرّق العيون ؟ فالسلوّ محظور على كبده لأن الجرح لم يندمل .

انّ السُّلوّ لمحظُورُ على كَبدي وما السُّلُوُّ على قَلبٍ بمحظورِ[1] .

٢ ـ القصيدة الثانية[2] :

بدأها بخواطر فلسفية حول الموت والفناء ، فالفناء غاية الناس ، كما الذبول غاية الأغصان ، فالانسان كالغيم سرعان ما يزول وكل باكٍ سيبكي عليه ، وكلُ ثاكلٍ سيصبح مثكولاً ، والأماني حسرة وعناء لمن يحسب لجهله أنها لهو وتعليل :

ثم أخذ في خطاب الحسين ورمى قاتليه بنقض عهد الرسول :

يا ابْن بنتِ الرّسولِ ضَيّعتِ العهدَ رجالٌ والحافظونَ قليلُ[3]

---

(١) ديوان الرضي ، ١ / ٤٨٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ١٨٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ١٨٨ .

ثم وصف معركة الحسين فجواده محجّل بالدماء وسيفه مغلول من الضرب ثم تساءل الرضي بتفجّع وألم كيف يصون وجهه وقد جالت الخيول على وجه الحسين ؟ أم كيف يلتذّ بالماء ، ولم يُرْو غليل الامام ؟ لقد قبّلته الرّماح وعانقته النّصول ، ثم شرع يصف فزع نسائه يوم الهول ، فمنظرهم ـ وهم سبايا ـ يدمي القلوب ، وقد سُلبتْ الأقنعة عن وجوههّن ، فتنقّبوا بالأنامل ، وتشاكوا بالبكاء وتنادوا بالعويل :

والسّبايا على النّجائِب تُسْتا ... قُ وقد نالَت الجيوبَ الذُّيول
وتشاكين والشّكاةُ بُكاءٌ ... وتنادينَ والنداءُ عويلُ[1]

ويبلغ التفجّع منتهاه لدى الشاعر وهو يناجي سبط رسول الله « يا غريب الدّيار » ، ويصف لنا الأسى والتحسّر الذي يشعر به ويتمنّى لو كان ضجيع قبره ، ثم عاد الى المناداة بطلب الثأر ، وتساءل الى متى تبقى الأسنّة غائبة عن الطّعان ، إلامَ تبقى الجياد مربوطة ، والثأر الذي يدعو اليه لا يقف عند حدود بني أمية بل يجتاح بني العباس ، ويتلهّف لقرب اليوم الذي يخترق فيه الصفوف وفي كفّه صارم مسلول ليثأر ليوم الطّف ، ويشير الى حقه بانتزاع الخلافة من الغاصبين فهو من آل البيت ، والده « حيدر » وأمّه « البتول »[2] .

٣ ـ القصيدة الثالثة[3] .

افتتحها بعدد من أبيات النسيب ثم انتقل الى بكاء الحسين ،

---

(١) ديوان الرضي ، ٢ / ١٨٩ .
(٢) الطّف : شاطيء الفرات وما ارتفع من جانبه ، حيدر : لقب الإمام علي ، البتول : لقب زوجه فاطمة بنت النبي المصدر نفسه ٢ / ١٩٠ .
(٣) المصدر نفسه ١ / ٣٦٠ .

فنسي الديار ، وشغل بدموعه لبكاء فاطمة البتول على أبنائها ، فقد مُنع الحسين عن الفرات ، تُرى هل كانت تعلم أن السّبط الشهيد سيكون طريد القنا ؟

جعل الأمويون من هذه المآتم أعيادا لهم في الشام ، ألم يراقبوا غضب النبيّ وقد حصدوا أبناءه ؟ لقد باعوا دينهم بضلال دنياهم ، وجعلوا الرسول خصمهم يوم المعاد . زعموا بأن الدين يسوّغ قتلهم ، ألم يعلموا أن الدّين أُخذ عن أجدادهم ؟ أم انهم شفّوا غلّهم القديم وأحقادهم . وكيف أصبحت الخلافة في عهدهم ؟ انها مزويّة عن شعبها ، لأنّ علوج أميّة طمست منابرها وأضاعت دماء محمد وبنيه بين يزيد وزياد ، بل ضربوا ابناء محمد بسيفه .

ضَرَبوا بسيفِ محمدٍ أبناءَهُ ضَرْبَ الغَرائبِ عُدْنَ بعد ذِيادِها[1]

كم لوعة في القلب ، وكما نار أوقدها في الأحشاء ذلك اليوم ؟ فدموعه تغدو وتروح أبدا على جدّه والحسين ، وكتائب الحسرة تغشى ضميره عندما يتذكر يوم عاشوراء ، وقتلى الطفّ .

ثم خاطبه في نهايتها مثلما خاطبه في القصيدة الأولى ، مستحثا على الأخذ بالثأر في غضب .

٤ ـ القصيدة الرابعة[2] :

بدا الرضي فيها حزينا مكتئبا ، فقد سالت دموعه ، فهو مقروح الكبد ، يتأوّه من الهمّ والوجد كلما تذكر مصرع الامام الحسين وقد

---

(١) ديوان الرضي ، ١ / ٣٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٣٦٤ .

حيل بينه وبين الماء ، فقضى ظامئا ، وهذا المعنى ألحّ عليه واستغلّه في قصائده كلها .

ثم هاجم بني أميّة ، فهم حاقدون ، يدفعوننا عن ارث جدّنا محمد ووالدنا علي ، وان تخلّى الناصرون عمّا أصابنا ، فان الله ليس بغافل عن نصرتنا .

ـ ولم يقف في هجائه عند بني أميّة فقد غمز بني العباس قائلا :

ويا ربُّ أدنى من أُميّةَ لُحمةً رَمَونا على الشّنآنِ رَميَ الجلامدِ[1]
ألا ليس فعلُ الأولين وان علاَ على قُبحِ فِعل الآخرينَ بزائدِ

٥ ـ القصيدة الخامسة والأخيرة[2] :

بدأها بذكر كربلاء فهي كرب وبلاء لما لقي فيها آل المصطفى ، فعلى ترابها صُرعوا ، وسالت دماءهم ، وعلى ثراها سالت الدموع . ووصف السبايا والقتلى ، فقد جَزَر الطّغاة غرس الرسول جزر الأضاحي ، ثم ساقوا بناته سَوْق الاماء وقتلوا الحسين وهم يعلمون أنه خامس أصحاب الكِسا[3] ، فقد غُسل بالدماء وكُفّن بالثرى لا غَوث له ولا نصير .

---

(١) ديوان الرضي ، ١ / ٣٦٦ .

(١) ديوان الرضي ، ١ / ٣٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٤٤ .

(٣) أصحاب الكساء هم : النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين خامسهم ، وقيل لهم ذلك لالتفافهم بالكساء اليماني في بيت فاطمة ، فقال النبي : هؤلاء عترتي وأهل بيتي . المصدر نفسه ، ١ / ٤٥ .

ثم استغاث برسول الله وأَنّب بني أميّة وهدّدهم بالعقاب يوم الحساب وعجب كيف أمهل الله الظالمين فلم تنقلب بهم الأرض ، ولم ترجمهم السماء :

كَيف لم يَستعجِلِ الله لهمْ بانْقلابِ الأرضِ أو رَجْمِ السّما[1]

ألم يعلم هؤلاء أن صهره علياً كان أوّل المسلمين والباذل نفسه دونه وحسام الله في المعارك ؟ ثم عدّد أبناءه : الحسن والحسين وعلي ابن الحسين والباقر والصادق والكاظم والرضا والهادي والحسن العسكري وابنه المهدي المنتظر ، وهو يصف هؤلاء بأنهم الشافعون من داء العمى ، وأن بهم الشفاعة مع الرسول ، ويختم القصيدة بشكوى رسول الله الى ربّه اضطهاد أهله وقتلهم ، وأنه خصمهم جاء مظلوما وذا يوم القضا .

انّ مقارنة بسيطة بين معاني القصائد الأربع التي وردت ومعاني هذه القصيدة تثبت بعد الصلة بين القصيدة الأخيرة وتلك القصائد السابقة ، فهذه الشكوى التي تنضح فيها القصيدة الأخيرة ، والاستغاثة بالرسول ، وخصومته لبني أميّة في الدار الآخرة ، ووقوفه موقف المظلوم ، وتعداد الأئمة ، واعتبارهم الشّافين من العمى والشفعاء مع الرسول يوم القيامة ، هذا كله لم نعهده من الرضي في رثاء أبي عبد الله الحسين ، وانما عهدناه ثائرا تلمع نصول السيوف في أشعاره ، وتتطاول الرماح فيها مهدّدا بيوم يجرّد فيه الخيل للوغى ، لا بالعقاب والحساب في يوم القيامة .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٤٦ .

وبعض أبيات القصيدة لينّ لا يشبه شعر الرضي كقوله :

يـا رسـول الله يـا فـاطـمـةُ ... يـا أمـيرَ المـؤمنـينَ المُـرْتَـضى
كـيف لـم يستعـجِـلِ الله لهـمْ ... بـانقلابِ الأرضِ أو رَجْم السّما
لـو بِسِبـطَيْ قَيصـرٍ أو هِـرقْـلٍ ... فعلوا فِعـل يـزيـدٍ مـا عَـدا[1] .

وربما كانت هـذه القصيدة مصنـوعة ومنسـوبة الى الشـريف الرضي اراد ، صاحبها لها الذّيوع والانتشار في محافل عاشوراء .

لم يكتف الـرضي برثـاء الحسـين بـل عمّم الـرّثـاء بـآل البيت من جملة قصيدة افتخر فيها بأهل البيت وذكر قبورهم وتشوّق اليها[2] .

ففي عدد من الأبيات الرثائيـة ، ذكر الـرضي مواضـع تلك القبور فهي : البقيـع في المدينـة (قبـر الامـام الحسن) ، والغَـرّي في الكـوفـة (قبـر الامام عـلي) والطّفـوف (شاطئـا الفـرات) حيث قضي الحسـين شهيدا ظمئا الى بَـرْد الشراب في كـربلاء ، وسـامرّاء في العـراق وبغداد وطـوس ، واستسقى لها المـاء العذب ، فلطالمـا سقـطت العبـرات عـلى ثـرى هـذه القبـور ، وقـطع السحـاب ذابت فـوقهـا ، فلتخفق صـلاة الله عـلى تلك المعالم والقبـاب لأنها تضمّ اجسادا شـريفة . وفي الـزّوراء قبران كان الرضي يشفي نزاعه واكتئابه بقربهما ، ولقاءهمـا يطهّـر جَنانـه ويَـدرأ العيوب عن ردائـه ، وهما ضـريحـا : عـلي بن أبي طـالب وولـده الحسين[3] .

---

(١) ديوان الرضي ، ١ / ٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ١١٣ .
(٣) الزوراء : بغداد . نعت علي بن ابي طالب : بقسيم النار ، بقوله : قسيم
قـسيـم النـار جَـدّي يَـوْمَ يُـلْقَى ... بـهِ بـابُ النجـاةِ مـن العَـذابِ =

ولم يظهر توجّع الرضي على أهل البيت ظهورا قويا الّا في قصائده التي بكى فيها الحسين ، لأنها جمعت بين حرارة العصبية وصدق الوفاء .

تدل تلك المراثي للحسين في معانيها وسياقها على أن الرضي لم يقصدها للنواح على غرار ما كانت تصاغ له بعض القصائد في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[1] ، وفي هجائه للأمويين كان عفّ اللسان وخاصة اذا قارنّاه بالشعراء المتأخرين الذاهبين في هذا المضمار ، فكانت اللعنات والسّباب يصب على الأمويين ، وروح الشريف تخالف هذا الاتجاه ذلك لأن غايته من رثاء الحسين هي تصوير اتصال الظلم على أبنائه وخاصة من جهة العبّاسيين ، وذلك لتأكيد حقّه السياسي ، فقد كان دم الحسين والمطالبة بالثأر له من الوسائل التي دفعته للمطالبة بعرش الخلافة الاسلامية .

وأخيرا كان لهذه المأساة أثر كبير في شعره ، وفي حياته العامة ، فنراه ناقما ، ثائرا ، مهدّدا متوعّدا ، حزينا كثير الشكوى من الدّهر .

= مأخوذ من قول الإمام علي : أنا قسيم النار ، أي من أحبّني دخل الجنّة ومن أبغضني دخل النار ، المصدر نفسه ١ / ١١٦ .

(١) قدّم التنوخي في **نشوار المحاضرة**١ / ٢١٩ : نموذجا من قصيدة قالها بعض الشعراء الكوفيين في الحسين ومطلعها :

أيُّها العينان فيضا واسْتهلاَّ لا تغيضا

وكانت جارية اسمها خُلَّب ورجل يدعى ابن أصدق ينوحان بها على الحسين .
احسان عبّاس . **الشريف الرضي** ، ص / ١٤٥ .

ج ـ تركّب مرثية الرضي :

سنحلّل فيما يلي بعض قصائد الرضي الرثائية لنرى كيفيّة تركب المرثية عنده :

ـ في سنة ٣٨٢ / ٩٩٢ رثى الشريف الرضي أبا طاهر ابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني بقصيدة مطلعها :

ألقي السّلاحَ ربيعةَ بن نِزارِ أودَى الرّدَى بقريعِك المِغوارِ[١]

فتتألف من تسعة وخمسين بيتا تتوزّع على الشكل التالي ، كما وردت في ديوان الرضي . ٣٣ رثاء ، ٢٢ وصف ، ٣ شكوى ، ١ مفرد .

ـ وفي السنة التالية ٣٨٣/٩٩٣ رثى أبا منصور المرزبان الشيرازي ، الكاتب بقصيدة مطلعها :

أيُّ دُموعٍ عليكَ لم تُصِبِ وأيُّ قلبٍ عليكَ لم يَجِبِ[٢]

فتقع في ثمانية وثلاثين بيتا تتوزّع على النحو التالي : ٢٢ رثاء ، ٩ وصف ، ٥ شكوى ، ٢ حكمة .

ـ وفي سنة ٣٨٤ / ٩٩٤ رثى صديقه أبا اسحاق الصابي بقصيدة مطلعها :

أعلمتَ من حَمَلوا على الأعوادِ أرأيتَ كيف خَبا ضِياءُ النّادي[٣]

---

(١) ديوان الشريف الرضي ، ١ / ٤٩٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ١٥١ .
(٣) المصدر نفسه ، ١ / ٣٨١ .

فتتألف من اثنين وثمانين بيتا تتوزّع على الشكل التالي : ٥٦ رثاء ، ٢٣ وصف ، ٢ ذمّ الدهر ، حكمة .

- وفي السنة نفسها رثى صديقه أبا القاسم الزّينبي نقيب العبّاسيين بقصيدة مطلعها :

مِن أيّ الثَنايا طالعَتنا النّوائبُ وأيّ حِمىً منّا رمتْه المصائبُ[1]

فتتألف تسعة وخمسين بيتا ، تتوزّع على الشكل التالي : ٢٨ رثاء ، ١٢ فخر ، ٩ حكمة ، ٥ شكوى ، ٣ وصف ، ٢ أبيات مفردة .

- وفي سنة ٣٨٥ / ٩٩٥ رثى والدته فاطمة بنت الناصر بقصيدة مطلعها :

أبكيكِ لو نَقَعَ الغَليلَ بُكائي وأقولُ لو ذَهَب المقالُ بِدائي[2]

فتقع في ثمانية وستين بيتا تتوزّع على النحو التالي : ٣١ رثاء ، ٢١ وصف ، ٩ شكوى ، ٦ فخر ، ١ ذم الزمان .

- وفي سنة ٣٩٣ / ١٠٠٢ رثى صديقه البدوي أبا العوّام بقصيدة مطلعها :

أُداري المُقلتينِ عن ابنِ ليلى ويَأبى دمعُها الاّ لَجاجا[3]

فتتألف من خمسين بيتا تتوزّع على الشكل التالي : ٣٢ رثاء ، ١٤ وصف ، ٤ فخر .

---

(١) ديوان الشريف الرضي ، ١ / ١٤٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٢٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ١ / ٢٣٥ .

- وفي السنة نفسها رثى الخليفة العبّاسي الطائع لله بقصيدة مطلعها :

أيُّ طَودٍ دُكّ من أيّ جبالِ لقَحَت أرضُ بهِ بعدَ حِيالِ[1]

فتتألف القصيدة من واحد وستين بيتا تتوزّع على النحو التالي : ٣٦ رثاء ، ٢٣ وصف ، ١ شكوى ، ١ حكمة .

- وفي سنة ٤٤٠ / ١٠٠٩ توفي والده فرثاه بقصيدة مطلعها :

وسَمَتكَ حالِيةُ الرّبيعِ المُرهِمِ وسَقَتكَ ساقيةُ الغَمام المُرزِمِ[2]

فتتألف من تسعة وثمانين بيتاً تتوزّع على الشكل التالي : ٣٩ رثاء ، ٣٠ فخر ، ١٣ وصف ، ٥ شكوى ، ٢ حكمة .

- وعندما توفي بهاء الدولة البويهي سنة ٤٠٣ / ١٠١٢ رثاه بقصيدة مطلعها :

دَعِ الذّميلَ الى الغاياتِ والرّتكَا ماذا الطّلابُ أترجوا بعدَها دَرَكا[3]

فتتألف من أربعين بيتا ، تتوزّع على الشكل التالي : ١٨ رثاء ، ١٠ وصف ، ١٠ شكوى ، ٢ حكمة .

كما هي الحال في مدائح الرضي ، فمراثيه متعدّدة الأغراض ، فالمرثية تتألف من عدّة فنون أبرزها (الوصف والشكوى والفخر والحكمة) فضلا عن الأبيات المفردة . ويلاحظ أن المرثية كلما كانت

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ١٩٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٩٠ .
(٣) ديوان الشريف الرضي ، ٢ / ١٠٤ .

متعلّقة بشخص شديد الصلة بالرضي (كأبيه وأمه) كلما زادت أبيات الفخر فيها . والملاحظة البارزة أيضا أنّ الرضي « يتفلسف » في مراثيه ، واعظا ناصحا ، مفتتحا بعض القصائد الرثائية بخواطر حول الموت وحتميته ، وعدم الجدوى من البكاء .

د ـ معاني الرضيّ الرثائية :

لم يكن الرثاء بكاء وعويلا ، وانما تسجيلا لمناقب الرجال ، وتعدادا للفضائل وخصائل الشمائل العربية .

وكان الجانب المحزن في رثائه يأسه من وفاء الباكين ، وضجره من الدنيا ، وكان وفاؤه يثير الغرابة فهو يرثي يوم الموت وبعد ان يطول عهدهم بالموت ، لقد تفجّرت عواطف الرضي في مراثيه لأسرته وأقاربه وأصدقائه ، والخلفاء والملوك الذين اتصل بهم وبوزرائهم ورجالهم ، حتى عُدّ سيّد أصحاب المراثي في الأدب العربي[1] .

وسنعرض صورة لمعاني الرضي الرثائية ، لنتعرّف الى آفاق رثائه ، والناس الذين رثاهم ، والى فلسفته في النظرة الى الفناء .

أمّا ابرز الموضوعات التي أثارها الرضي في مراثيه فهي :

مصير الانسان وعدم جدوى البكاء ، ثم فجيعة الموت وأثرها ، فتأبين الفقيد وتعداد صفاته ، ثم مواساة ذويه وتعزيتهم ، فتحدّى الموت وفداء الراحل ، وأخيرا استسقاء الجدث .

هكذا تتسلسل المعاني في مراثي الرضي بشكل عام ، مع شيء من التفاوت تبعا لعلاقته بالراحلين ، أو بما يمتازون به من صفات وخصال .

---

(١) آدم متز . الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ١ / ٤٥٢ .

ـ مصير الانسان وعدم جدوى البكاء :

كثيرا ما يبدأ الرضي مراثيه بخواطر فلسفية وحكمية حول حتمية الموت وقسوته ، والشكوى من صروف الدّهر ، وعدم جدوى البكاء والعويل كما في مرثيته لعمر بن اسحاق بن المقتدر المتوفّي سنة ٣٧٧/٩٨٧ :

أيرجعُ ميْتاً رنّة وعَويلُ ويشفى بأسرابِ الدّموعِ غليلُ ؟[١]

حيث تحدّث مطوّلا عن مصير الانسان ، فالعمر قصير ولن ينال الفتى في العيش فوق عمره ، كما أنّ الفناء غاية الناس جميعا[٢] .

وفي سنة ٣٧٨/٩٨٨ توفّيت والدة الوزير ابي منصور محمد بن الحسن بن صالحان ، فرثاها بقصيدة رأى فيها الزمان غريما للانسان ، فالقبور متّصلة أوائلها بأواخرها ، ونعيم العيش لا يدوم ، كما انّ القدر ينتزع منّا الرجال وما تُجدي الدموع علي اي فقيد ، ولو غسلت سواد العين[٣] ، لأنّ الأرواح دَيْن .

وقد كرّر الرضي هذه المعاني في عدد من مراثيه ، ففي سنة ٣٧٩/٩٨٩ توفي شرف الدولة البويهي ، فرثاه بقصيدة افتتحها بذكر الموت وزوال الحياة :

انّ الحياة وإن غرّت مخائِلُها ظِلٌّ ، وانّ المُنى أضغاثُ احلامِ[٣] .

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ١٩١ .

(٢) انظر مرثية الرضي في أبي الفتح ابن الطائع لله ، المتوفي سنة ٣٧٦ / ٩٨٦ . في ديوانه ، ١ / ٢١ .

(٣) أنظر رثاء الرضي لأبي شجاع بكر بن شرف الدولة في ديوانه ١ / ٣٧٤ .

(٤) ديوان الشريف الرضي ، ٢ / ٤١٣ .

وفي مـرثيّتـه لعمـه ابي عبـد الله أحمـد بن مـوسى المتـوفّي سنـة ٣٨١/٩٩١ ، عضّ أنـامله حسرة عـلى الفقيد ، وان كـان الندم وعضّ الأصابع لا يفيد شيئاً ، ولا يشفي المكلوم .

كـما نثر الـرضي شيئا من فلسفتـه حول المـوت وحتميّته ، وبـطشه وقسوته في رثائه لأبي طاهر ابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني المتـوفي سنة ٣٨٢/٩٩٢ ، كقوله :

تـفوزُ بنا المـنونُ وتَـسـتـبِـدُّ ويـأخُـذُهـا الـزمـانُ ولا يَـردُّ[1]

هكذا يبدو لنا الرضي في مراثيه حكيما واعظا أمام مأساة الموت .

ـ هول الفاجعة وأثرها :

نكبة الموت تترك الأسى والحزن العميق لـدى ذوي الفقيد وأقـاربه وأصـدقائـه ومعارفيـه ، فيوم النعي مـظلم هكذا يـراه الرضي ، كـما في مـرثيتـه لأبي الفتـح بن الـطائـع المتـوفّي سنـة ٣٧٦/٩٨٦ ، والشمس ترجف ، والبكاء يعم النـاس ، حتى الغمام وقف بـاكيا فـوق قبره[2] . ويـوم وفاة عمّـه أبي عبد الله أحمـد بن موسى سنـة ٣٨١/٩٩١ ، شعـر الرضي بأنّ احدى يديه جبّها صرف الزمـان من الزّنـد ، وبذهـاب عمّه ذهب رقيق العيش :

لقد ذهَبَ العيشُ الرقيقُ بـذاهبٍ هو الغاربُ المَجزولُ من ذُروةِ المَجدِ[3]

ظهـرت عواطف الشـريف الرضي نحـو الحمدانيـين في منـاسبـات

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٣٦٦ .

(٢) رثاء الرضي لأبي الفتح ابن الطائع في ديوانه ١ / ٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ١ / ٣٧٧ .

كثيرة ، وخاصة في مراثيه لمن عرف من رجالهم ، وتفجّرت عواطفه نحوهم وبشكل خاص في رثائه لأبي طاهر أبن ناصر الدولة الحمداني ، ويظهر ان صداقته لذلك الأمير بلغت من نفسه كلّ مبلغ ، فرثاه أصدق رثاء وتفجّع عليه كثيرا ، وتحدّث ذاتيا عن حزنه عليه ، وانّ ودّه يكفي ليثيزه لرثائه ، ولو لم تكن بينهما قرابة فيخاطب الفقيد قائلا :

إإبراهيمُ أمّا دَمعُ عَيني عليكَ ، فما يُعَدُّ ولا يُحَدُّ
بكيتُكَ للوِداد ، وربّ باكٍ عليكَ من الأقاربِ لا يَودُّ[1]

وتلاحقت فجيعة الرضي بأصدقائه ، فكان موتهم نذيرا لنفسه المرهفة ، ففي شوال سنة ٣٨٤/٩٩٤ فقد صديقه الأكبر أبا اسحاق الصابي ، فرثاه بثلاث قصائد ، وصف فيها تأثير تلك الفاجعة في نفسه ، واستلّ خيوط شعره من عروق قلبه ، وأظهر لوعته عليه ، فقد كان الصابي صديقا حميما له ومحطّ آماله ، وتساءل الرضي عن طعم الدنيا بعد وفاة الصابي ، وكيف ضاقت عليه ، فقبره في الحشى وان لم يأوه ، ودموعه عليه رائحة غادية .

ولم يكن موت الصابي حدثا صغيرا بالنسبة للشريف ، فكلما ذكره جاشت نفسه بالأسى ، وعندما مرّ بجانب قبره تجدّد حزنه عليه ، وتدفّقت دموعه ، فنزل هو وأصحابه عن ظهور جيادهم لتحيّة ذلك الضريح .

نَزلنا اليهِ عن ظُهور جيادِنا نُكَفكِفُ بالأيدي الدموعَ الجواريا[2]

وقد بلغ الرضي منتهي التفجّع في بكائه يوم وفاة والدته سنة

---

(١) ديوان الرضي ، ١ / ٣٦٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٥٧٩ .

٣٨٥/٩٩٥ ، فنراه في رثائه طفلا صغيرا ، وقد تخلّى عن وقاره وتماسكه ، وترك لعاطفته العنان ، وقارب ان يكون طبيعيّا في تناوله لتجربته فلم يستطع حبس عواطفه ، أو السيطرة على نفسه كما قال :

فارقتُ فيكِ تماسُكي وتجمُّلي ونَسيتُ فيكِ تعزُّزي وابائي[١] .

وتساءل الرضي بلوعة ولهفة من يحميه بعد اليوم ، ومن يموّله اذا ضاقت يده ، ومن يتّقي عنه صرف النّوائب بالدعاء ، فكيف يسلاها ، انه يمشي على الرّمضاء ، أو يهبّ بفقدها من نومه مذعورا كاللّديغ ، وكثيرا ما تأوّه عليها وتحسّر لفقدها .

كما تفجّع بحسرة وأسى يوم مقتل أبي حسّان المقلّد بن المسيب أمير عقيل ، قتله غلمان داره في الانبار ليلا في صفر سنة ٣٩١/١٠٠٠ ، وكان صديقا للرضي ، فقد ترك الفقيد فراغا هائلا ، ثم تأسّف الرضي على موت أصدقائه واخوانه ، فقد كان يرجوهم في النّوائب :

بأيّ يدٍ أرمي الزّمانَ وساعدٍ وكانوا يدي أعطَيتُها الخَطبَ عن يدي[٢]

وفي مرثيّته الثانية للمقلّد تحدّث الرضي عن الرزء الجسيم وألمه في النفس ، فأظهر تصاما حتى لا يسمع قول النّاعين لأنه عزيز عليه ، لطيف على قلبه ، فكيف يصبر ويتماسك لفقده ؟ لقد ذهب طيب العيش بذهابه :

فبُعداً لطيبِ العيشِ بعد فراقكم فلا أَسْمعَ الداعي اليهِ ولا دَعا[٣]

---

(١) ديوان الرضي ، ١ / ٢٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٣٧٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ١ / ٦٣٥ .

وكثيرا ما تحسّر الرضي على تلك الأيام الجميلة التي زالت بموت الخليفة العباسي الطائع لله سنة ١٠٠٢/٣٩٣ ، فهو لا يرى الدموع كافية لارواء غليله ، فقد كان الطائع رجاءه وأمله في النوائب ، كما توجّع عند نكبته مدّة طويلة ، وبعد ذهابه بدا الرضي يائسا كئيبا ، فهو يبكي زوال آماله وأحلامه ، فقد مضى من كان يعتمد عليه من الرجال ، فيا بعدا لآماله ، لقد اشتغل عنه الآن بالوجد والألم ، بعد ان انتزع الدهر منه الأسود والأشبال ، وفي احدى مراثيه للطائع يقول :

ما بَعد يومِكَ ما يسلو بهِ السَّالي ومثلُ يومِكَ لم يخطُر على بالي[1]

ويبدو من تعدّد مراثي الرضي في الطائع ، ان الشاعر يشعر بالندم والتقصير لقعوده عن نصرته يوم خلع عن عرشه ، فهو يريد التعويض عن نصرته العملية بيديه ، بنصرته بمقاله وأشعاره :

فاتني منكَ انتصارٌ بيميني فتلافَيتُ انتصاراً بمقالي[2]

من كلّ ما سلف نرى ان الرضي ظلّ على وفائه للطائع بعد الخلع وبعد الممات .

كما تحسّر الرضي طويلا لمقتل صديقه البدوي ابن ليلى سنة ١٠٠٢/٣٩٣ ، فقد اتّبع في رثائه نهجا بدويا حين شبّه نفسه ، وقد أخذ ينشد صاحبه المفقود ـ بظبية أخذت تنشد ابنها ، فهي حينا تطيع اليأس ، وحينا تتلمّس آثار ابنها متشمّمة متقصّصة :

وأنشُدُه واعلمُ أين أمسى مِطالاً للبلابلِ والهُمومِ

---

(١) ديوان الرضي ، ٢ / ٢١٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ١٩٩ .

تُـطيـعُ اليـأسَ ثم تعـودُ وجْـداً اليـه بـالمقـصَّـةِ والشَّـميـمِ[1]

وبغيـاب ابن ليـلى غـاب الضّحـك عن الـوجـوه ، فـالحيّ عـابس حزين ، أسفا عليه ، ثم رثاه بعدّة قصائد[2] .

وفي جمادي الأولى سنة ٤٠٠/١٠٠٩ ، توفي والد الـرضي أبو أحمـد الحسين بن موسى ، فثـارت اشجانـه ، فانـطلق باكيـا ، متألمـا لفقده ، واستبدّ به الحزن حتى عجب من المتبسّم[3] .

ويـوم وفاة بهـاء الدولـة سنة ٤٠٣/١٠١٢ ، كـان يومـا كئيبـا عـلى الناس كلّها :

لا تُبصِرُ الدّهر بعدَ اليـومِ مُبتسماً انّ الليالي أنسَت بعدهُ الضّحِكا[4]

فالمصاب جلل ، وتلك الرّزيئة لم تدع شمسا ولا قمرا ، فالمجـد في مأتم والملك ذرف دموعه عليه . كما تفجّع عليـه في العام التـالي بقصيدة ثانية عندما اعتلجت بقلبـه الخطوب والهمـوم فبكاه بحـرارة ، فقد كـان سنده الى المجد وملجأه من قراع الخطوب ، وبلغ من شدّة وجده وحزنه عليه الى قوله :

ولـو أنَّ قلبي بعدَ يـومِكَ صخـرةٌ لبانَ بها وَجْـداً عليكَ صُـدُوعُ[5]

ـ تأبين الفقيد وتعداد صفاته :

رثى الشريف الرضي الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز فهو برأيه

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٣١٨ .

(٢) القصائد هي : ١ / ٢٣٥ و ١ / ٥٦٧ و ٥٨٩ و ٢ / ٦٧ ، في ديوان الرضي .

(٣) أنظر قصيدة الرضي في رثاء والده في ديوانه ، ٢ / ٢٩٠ .

(٤) ديوان الرضي ، ٢ / ١٠٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ١ / ٦٢٤ ـ ٦٢٧ .

« خير ميّت من آل مروان » لأنه تفرّد بالصلاح والعدل وجميل السيرة عن أهل بيته ، ولما روى الامام جعفر الصادق أنه قال : « كان العبد الصالح أبو حفص يهدي الينا الدّراهم والدّنانير في زقاق العسل خوفا من أهل بيته »[1] .

كما اثنى الرضي على رفق الخليفة الأموي بأهل البيت ، وأشار الى منعه لتلك العادة التي درجت في عهد الأمويين ، وهي سبّ الامام علي ابن أبي طالب على المنابر ، بقوله :

يـاابن عبدِ العـزيزِ لـو بَكتِ العيـ ـنُ فـتىً من أميّـةٍ لـبكـيـتُـك
أنت نـزّهتنـا عن السبِّ والقـذ فِ ، فلو أمكن الجزاء جَزيتُكْ[2]

وفي سنة ٣٧٧/٩٨٧ توفي أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي ، وقد كان من شيوخ الرضي فرثاه بقصيدة[3] ، أشاد فيها بقوّة الفارسي في مقارعة الخصوم ، وكشفه عن الأقوال الصائبة ، فهو فنيق يهدر بأقواله ، فيسكت الخصوم ويبعث في نفوسهم الملل ، فيعجزون عن مصاولته .

ثم رثى أبا شجاع بكر بن شرف الدولة فتسائل عمّن يقود الخيل بعده الى المعالي والحروب ، ومن يواجه الأعداء في الشدائد ، فالفقيد قمر هوى من عليائه ، وكان قومه كراما يدفعون الظلم ويفرّجون الهموم ، وقد ملأوا أنف الزمان كرما وقوّة[4] .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٢١٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٢١٦ .
(٣) ديوان الرضي ، ١ / ٥٨٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ١ / ٣٧٤ .

وفي مرثيته لشرف الدولة البويهي المتوفّي سنة ٣٧٩/٩٨٩ ، تساءل الرضي مطوّلا عن عظمة هذا الملك ومجده ، وشجاعته وكرمه ، كما ذكر الرضي فضله عليه وعلى أبيه :

أعـاد عِـزّ أبي غضّـاً وخَـوّلَـهُ ما شاء من بَذْلِ اعزازٍ واكرامِ[١] .

وفي مرثيته لعمه أبي عبد الله الموسوي أشاد الرضي بمكانته وأعماله وأثنى عليه ، فهو حسام عاد الى غمده ، وجواد سبق الفرسان في حلبة السباق ، وسحاب عال ، وربيع تجلّى وانجلى عن الورود .

وفي سنة ٣٨٢/٩٩٢ قتل أبو الذّوّاذ العقيلي أبا طاهر ابراهيم ابن ناصر الدولة الحمداني الذي كان صديقا للرضي فرثاه بثلاث قصائد[٢] افتتح الأولى قائلا :

ألقي السلاحَ ربيعةَ بن نِزارِ أودى الرّدى بقعريعِكَ المِغوارِ[٣]

فمدح فيها بني حمدان ، وقبيلة تغلب عامة ، وانتهج فيها منهج الجزالة والقوّة مما حدا بأستاذه ابن جنّي الى شرحها . كانت شجاعة الحمدانيين ومواقفهم تثير اعجاب الرضي ، فرثى الأمير الحمداني اصدق رثاء مما اثار غضب العقيليين ، فردّ الرضي عليهم بمرثية ثانية مطلعها :

آبَ الرُّدَيني والحسامُ معاً . .[٤] ، وفيها عاب أبا الذّواد بالغدر .

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٤١٥ .

(٢) القصائد الثلاثة في ديوانه هي : ١ / ٤٩٠ و ١ / ٦٤٢ و ١ / ٣٦٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ١ / ٤٩٠ .

(٤) ديوان الرضي ، ١ / ٦٤٢ .

وغمزه عقيلا غمزة قوية في قوله :

ايهـا عُـقـيـلٌ وأيُّ مَـنْـقـصَـةٍ كوضعِ مَولى الأقوامِ مَن رَفعهُ[1]

وتحدّث في مرثية ثالثة عن صفات الفقيد ، فكان ابراهيم أسدا صال عليه ذئب ، وسيّدا تطاول عليه عبد ، ونظراً لكرمه في الحياة بكى الغمام عليه في الممات .

وفي رثائه لصديقه أبي منصور بن المرزبان الكاتب الشيرازي توقف الرضي عند أيام الصداقة وحنّ الى المجالس الأدبية الرائعة :

كم مجلسٍ صَبَّحَتْهُ ألْسُنـنـا نَفُضُّ فيهِ لَطائِمَ الأدَبِ[2] .

وبموته غاض غدير الكلام ، وهوى علم المجد ، وكان قرينه ونسيبه :

كنتَ قَريني ولَستَ من لِدَتي كنتَ نسيبي ولَستَ مِن نَسبي[3] .

وفي مراثيه الثلاثة لصديقه الكبير أبي اسحاق الصابي ، شبّهه بالمرثية الأولى بالطّود الشامخ ، وبالضياء المنير :

أعَلِمتَ مَن حَملوا على الأعوادِ أرأيتَ كيف خَبا ضِياءُ النّادي[4]

فعجب الناس كيف يرثي رجلا على غير الملّة ، فاعتذر الشريف عن ذلك بأنه رثى فضله ، بل رثى صداقة وثيقة دامت بينهما حقبة من الزمن ، وآمالا كان الصابي يدفعها نحو النّمو ، والشريف في كثير من

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٦٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ١٥٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ١ / ١٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ١ / ٣٨١ .

مواقفه يحاول ان يؤكد معنى واحدا وهو : أنّ صلة الودّ تعلو على صلة القرابة :

إن لم تكُنْ من أسرتي وعَشيرَتي فلأنتْ أعلَقَهمُ يداً بوِدادي[1] .

وبموته نعى الرضي الفصاحة والبلاغة ، وكانت الملوك تستعين به في ديوان الرسائل ، فأقواله بليغة ماضية كالظّبى.، وحسب ذلك الرجل فخرا أنه نال المعالي واثبا بقلمه البليغ ولسانه الماضي الذي فلّ الحسام اليماني ، وانتشر فضله في البلاد كلّها ، فهو خالد لمجده ، وكلماته باقية لأنها مشحوذة كالسيف ، وقد عقد الملوك المجد بها درجاً الى شرف العلا .

ثم رثى الأديب الكبير الصاحب بن عبّاد بقوله :

أكذا المنونُ تُقَطِّر الأبطالا أكذا الزمانُ يُضعضعُ الأجْبالا[2]

ونقف في هذه المرثية على الأمنية التي داعبت خيال الشريف مطوّلا ، وهي تمنّيه ان يعرض شعره عليه في حياته ، ويجتمع به ويقتبس من أدبه وهي أمنية لم تتحقّق .

قد كنتُ آمل ان أراكَ فأجتَني فَضلاً اذا غيري جَنَى أفضالا
وأُفيدُ سمعكَ مِقْولي وغَرائِبي وتُفيدني أيامُك الأقبالا[3] .

وقد أكثر في هذه المرثية من ترديد صورة الجبل حتى بلغت ثلاث مرات ، وصورة الأسد ، والبُزْل والنجم الهاوي ، والأقلام اليتيمة

---

(١) ديوان الرضي ، ١ / ٣٨٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٠١ .
(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٠٨ .

والبلاغة المفجوعة بعد الصاحب ، وقد سيطرت النغمة الخطابية والمبالغة في مرثيته للصاحب .

وفي مرثيته لأمه عدّد الرضي لنا صفاتها ومناقبها ، فهي : عفيفة زاهدة مؤمنة ، اشترت رغد الجنان بعيشة خشناء ، فهي أم بارّة ، فضلها خالد ومعروفها لا يقدّر :

لو كان مِثلُك كلُّ أمٍ بَرّةٍ غَني البنونُ بها عن الأباءِ
كيفَ السُّلوُّ ، وكلُّ موقعُ لحظةٍ أثرٌ لفضلِكِ خالدٌ بازائي[1]

انها نجيبة ولدت النجباء ، وآثار أيديها البيضاء تظهر في الضيق والأزمات ثم مدح آباءها وافتخر بهم .

وكشف لنا عن صفات صديقه الكاتب عبد العزيز بن يوسف الحكّار المتوفّي سنة ٣٨٨/٩٩٨ ، وكانت بينهما صداقة وكيدة ومودّة وأنس واختلاط ومفاوضات ومكاتبات ، ولّما لم يستطع أن يصفه بالشجاعة والفروسية جعله فارس الخطباء :

انّ الفصاحةَ ذلّلَتْ لكَ عُنقَها فأخذْتَ منها بالعِنانِ الأطوعِ[2]

وعند مقتل أمير عقيل المقلّد بن المسيّب سنة ٣٩١/١٠٠٠ رثاه الرضي بقصيدتين ، افتتح الأولى قائلا :

أعامِرُ لا لليومِ أنتَ ، ولا الغَدِ تقلّدتِ ذُلَّ الدّهرِ بعدَ المُقلّدِ[3]

بدأ الرضي قصيدته ببعض الأبيات الهجائية العنيفة التي تدلّ على

---

(١) ديوان الرضي ، ١ / ٢٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٦٣٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ١ / ٣٦٩ .

استنكار شديد للجريمة من ناحية نظراً لعمق الصداقة بين الرضي والفقيد ، وكرهاً لأسلوب الغدر والخيانة من ناحية ثانية .

لقد كان الامير العقيلي فارساً شجاعا يبعث الخوف والرهبة في نفوس خصومه ، من هنا كان اعجاب الرضي بخصاله ، كما ترك الفقيد فراغا هائلا ستفتقده : الجياد والرماح والظُّبي والمطايا ، والجفان والقدور والوفود الواقفة ببابه .

وفي مرثيته لأستاذه وصديقه الشّهور ابن جنّي أظهر الرضي لنا صفات الفقيد وما امتاز به من مواهب ، ونعته بشقيقه ، فبعد موته « منِ لأوابي القَوْلِ يَبْلو عِراكَها ، ومَنْ للمعاني البِكْرِ بعده ؟ » .

وفي سنة ١٠٠٢/٣٩٣ مات الطائع لله بعد ان عاش مخلوعا أكثر من عشرين سنين ، وهو في رعاية القادر فهل تغافل عنه الشريف ؟ لقد رثاه بعدد من القصائد تدل على وفائه ونبله ، فقد رآه الرضي جبلا يسير على أيدي الرجال ، وبازلا وليثا ، ثم ذكر فضله عليه :

إنّ للطائعِ عندي مِنّةً وحِمىً قد بلَّها بِبِلالي
ليسَ يُنسيها وإن طالَ المَدَى مرُّ أيامٍ عليها وليالي[1] .

توجّع الرضي لنكبة الطائع فبعد خلعه رثى أيامه قائلا :

انْ كانَ ذاكَ الطّودُ خَرَّ فبَعدما استعلى طويلا[2]

ونعته بسلسلة من النعوت ، فهو ليث ركب العلا ، وأبى النزول عن الكرم ، فكان سيفا صارما وكوكبا منيرا .

---

(١) ديوان الرضي ، ٢ / ١٩٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ١٩٤ .

ولعل أجمل مراثي الرضي قصائده في صديقه ابن ليلى لأنه تحرّر فيها من أسلوب الرثاء التقليدي ، واقامها على نسق بدوي خالص في طريقته ومعانيه ممّا يدلّ على قوّة صلة الرضي بشعر البداوة وبخاصة شعر الهذليّين من ذلك مطلع قصيدته :

لَعَمْرُ الطيرِ يومَ ثوى ابنُ ليلى لقد عكَفَتْ على لحمٍ كريمِ[1] .

ثمّ رثاه بقصيدة ثانية مطلعها :

تَعَيَّفَ الطّيرَ ، فأنبَأنَهُ أنّ ابنَ ليلى عَلِقتهُ عَلُوق[2] .

ونحسّ فيها بتلك البداوة العريقة طريقة ومعنى ، وفيها هاجم تميم الذين قتلوا صديقه البدوي ، ثم وصفه بالجرأة والاقدام والثبات .

وفي مرثيته لوالده عدّد الرضي مناقبه ، فقد مضى الموسوي نقيّ الثوب والعود ، فقد أُغمد المهنّد في الثرى بعد أن ملأتْ فضائله البلاد :

حَمَلَ العظائمَ والمغارمَ ناهضاً ومضَى على وَضَحِ الطريقِ الأقومِ[3]

ثم مدح فضله وأعماله المجيدة ، وافتخر به ، فكان يُرتجى في الملمّات لرأب الصّدع ، فهو الطاهر ابن الطاهرين يصل الى جذم النبوّة ، كما افتخر بآبائه ومكانتهم ، وبلغ الفخر مداه بقوله :

لا تَحسَبَنّ جدَثاً طواهُ ضريحُهُ قبراً ، فذاكَ مَغارُ بعضِ الأنجُمِ[4]

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٣١٧ .

ويرى احسان عبّاس ان هذا البيت اقتباس لقول أبي خراش الهذلي :

لَعَمْرُ أَبي الطير المُرَبَّةِ بالضُّحَى على خالدٍ لقد وَقَعْنَ على لَحْمِ

(٢) ديوان الرضي ، ٢ / ٦٧ ٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٩٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٩٦ .

وعند موت بهاء الدولة رثاه الشريف بقصيدة مطلعها :

دَعِ الدّميلَ الى الغاياتِ والرّتكا ماذا الطّلابُ أترجو بعدَها دَرَكا[1]

ثمّ تحدّث فيها عن عظيم المصاب ، وتساءل الرضي عمّن يقود الجياد بعد اليوم ، ومن يمتشق الظُّبى ، ومن للخطوب يُنجّي من عواقبها ؟ لقد تفرّد قوام الدين بالمجد والاحسان .

ـ التعزية والمواساة :

لجأ الرضي في معظم مراثيه الى تعزية ذوي الفقيد وأقاربه وأصدقائه ومواساتهم ، متسائلا عن مصير القرون والعظماء . ففي تعزيته للخليفة الطائع عن ابنه أبي الفتح ، دعاه الى الصبر والسلوى لأن الابن يمكن أن نجيء بمثله ، بينما الخسارة الحقيقية هي خسارة الآباء .

كما عزّى الطائع أيضا بوفاة أخيه عمر بن اسحاق بن المقتدر ، فبعد أن تحدّث مطوّلا عن مصير الانسان ، وقصر العمر ، وحتمية الفناء ، رأى أن العزاء الحسن يكون بحسن استخدام العقل[2] .

ثم خاطب الخليفة الطائع قائلا : انّ الفقيد نجم ، والنجوم لا شك زائلة ، والوجد لا يزول بعبرة فالصبر الجميل يكمن عند اشتداد البلاء . أيها الخليفة تلفّت الى آبائك ، ماذا حلّ بهم ؟ وهل ينال الفتى في العيش فوق عمره ؟ ويمضي الرضي في تساؤله على هذا النحو ،

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ١٠٤ .

(٢) نشير هنا الى تأثّر الرضي بقصيدة السموأل بن عادياء (ان الكرام قليلُ) فالافكار واحدة وخاصة في قوله :

اذا لم يَكُنْ عقلُ الفَتى عَوْنَ صَبْرِهِ فليسَ الى حُسْنِ العزاءِ سبيلُ

الديوان ، ٢ / ١٩٢ .

فنراه حكيما واعظا ، ضجرا من الدنيا يفضل حياة العزّ ، فموت الفتى خير له من حياة الذّلّ .

وفي مرثيته لوالدة الوزير ابن صالحان ، خاطب الرضي الوزير طالبا منه السلوى والتعزّي لأنّ والدته تركت طودا شامخا ، وحساما ، كريما معطاء ، وان كان الرزء جسيما الاّ انّ الوزير عرف بصبره وتجلّده في مقاومة النّوائب :

ولأنتَ أنجَدُ صابرٍ لِملِمّةٍ وأعزُّ من يَنْجابُ عنه أرومُها[1] .

وعندما توفي عمه أبو عبد الله أحمد بن الحسين عزّى والده عنه قائلا : لا يدوم نعيم الأيام ، فلا يفرح الحسّاد لأنّ عزيمة والده تنزع الحقد من قلوبهم .

وفي مرثيته للصاحب بن عبّاد ، تساءل الرضي فيها كيف طوى الموت الأمم السالفة ، والملوك والسّادة من نزار ويمن ، وبني المنذر والفرس .

كذلك في مرثيته لأستاذه ابن جنّي ، فقد شكا من الفناء ، ومضى مكثرا من تساؤله (أين ؟) مثل قوله :

فأينَ الملوكُ الاقدمونَ تَسانَدوا الى جِذمِ أحسابٍ كِرامِ المَعارِق[2]

وفي احدى مرثياته للطائع تساءل الرضي أيضا عن مصير الأمم الخالية كيف أكلتهم الأرض ، وتتابعت الأحداث كالمطيّ الباركة تسقي التربة على جنباتها .

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٤٠٦ .

(٢) ديوان الرضي ، ٢ / ٦٣ .

هكذا ساق الرضي الحكمة والموعظة وأورد الحجج المنطقية ليدخل العزاء والسلوان الى قلوب المفجوعين بموت أحبتهم .

ـ فداء الرّاحل وتحدّي الموت :

كثيرا ما يتمنى الرضي في مراثيه دفع الموت ، وفداء الرّاحل أو الراحلة بنفسه ، أو بفتيانه المدجّجين والمجربين في الحروب وساحات الوغى ، فكأنه يتحدّى الموت بقسوته ، نلمس هذا المعنى في رثائه للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، فقد تمنّى لو استطاع دفع الرّدى عنه لفداه بنفسه . وفي رثائه لصديقه ابي اسحاق الصابي ، فقد أعلن أنّ الفداء لو قبل في مثله لفداه بالفتيان الذين كان يعدّهم لتحقيق مآربه .

ونرى المعنى نفسه يتكرر في رثائه لأمه ، فتمنّى لو كانت تفدى ، اذن لفداها بالفتيان المدرّبين على القتال ، كما تمنّى ان يفديها بنفسه .

وفي مرثيته لصديقه عبد العزيز بن يوسف الحكّار افتتحها بقوله :

لو كانَ يَرتدِعُ القضاءُ بمَردعٍ أو يَنثني بمُدَجَّجٍ ومُقنَّعِ[1] .

فقد جاء بالمعنى الذي استغلّه كثيرا من قبل ، وهو تمنّيه أن يفدي الراحل ، اذن لدافع عنه بالفرسان المدجّجين بالسلاح .

يرى الرضي أن الموت عدّو لدود للانسان ، لذلك تحدّاه بفرسانه ، وتمنّى دفعه بنفسه أو بفتيانه .

ـ استسقاء الجدث :

أُثّر الرضى بتقاليد القصيدة العربية الجاهلية ، فطلب الاستسقاء

---

(١) ديوان الرضي ، ١ / ٦٣٠ .

لجدث الفقيد على طريقة الجاهليّين في مراثيهم ، فكان تقليديا في هذه الناحية وسار على منوالهم ، فختم عددا من مراثيه باستقاء عظام الميّت ، كما فعل في ختام مرثيته لأبي شجاع بكر بن شرف الدولة ، لعلّ السُّقيا تبرّد القلوب[1] .

وكرّر المعنى نفسه في رثائه لصديقه عبد العزيز بن يوسف الحكّار ، ففي آخر القصيدة استسقى له كعادته في رثائه (وسقَى ثَراكَ المُزْنُ . .)[2] .

وفعل الشيء نفسه في مرثيته لأستاذه ابن جنّي حيث استسقى له قطر الغمام[3] .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٣٧٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٦٣٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ٦٣ .

خلاصة :

هذه المجموعة التي حلّلناها تمثّل نماذج مختلفة من مراثي الرضي ، ومنها نستطيع ان نحدّد بعض المعالم لشعره الرثائي ، ونستخلص بعض الخطوط العامة التي رسمها في مراثيه ، ومنها : أنّ رثاءه ليس على نسق واحد ، فهو يتفاوت بتفاوت الذين يرثيهم قربا أو بعدا من نفسه ، فهو شاعر يجمع خصائص المراثي الذاتية ذات الحزن العميق ، وخصائص التأبين والتّعداد لصفات الميت ، وقد يتفلسف في بعض القصائد حول جبروت الموت ومصير الانسان نحو الفناء ، وقد يتأسّى بهلاك العظماء والأمم السالفة ، وقد يستسقي المطر والغمام لجدث المرثي اطفاء لحرّ قلبه ، كما كان يفعل القدماء في مراثيهم لأحبابهم ، هذه المعاني كلها التي يدور حولها الرثاء عند من سبقوه موجودة في شعره . وتتملّكه في النظرة الى الدنيا والفناء فكرة لا تتغيّر مهما تغيّر حال المرثي ، فلا مفرّ من الموت ، ولا جدوى من البكاء ، وكذلك هو في الصفات التي يسبغها على المرثي من طريق التهويل والمبالغة ، فانه يكاد لا يغيّرها أبدا ، بل هو كلف بترديدها ، فكل مفقود من العظماء ـ على وجه التقريب ـ جبل هُوى ، أو أسد أصيب ، أو نجم هوى ، أو بازل مُقْرم كَبا ، أو بحر زاخر غاض . . . وهذه تجيء بنسب مختلفة في قصائد متعدّدة . وهناك

تخيّلات لا تكاد تفارقه منها : تحدّيه للموت ، ولو كان باستطاعته فداء المرثي أو الدفاع عنه ، لأرسل على الموت فتية مستلئمين للحرب لا يهابون الموت ، نفسه ، وقد مرّت بنا أمثلة عديدة من ذلك . وقد استبدّ به هذا المعنى ، وسيطر على نفسه لأنه كان دائما يتصوّر نفسه ثائرا بالناس ومن حوله الفتية الملثّمون الذين سينال بهم حقّه المغتصب .

ومن المعاني التي استغلّها كثيرا في رثائه أيضا : أن يوم الموت يُقْذي العيون فترى الشمس شاحبة والوجوه عابسة وقد سيطر عليها الحزن والقلق فهي لا تعرف الضحك والابتسام بعد رحيل الفقيد ، ثم تحدّث مطوّلا عن عبث الزمان بالرجال . ويلفت نظرنا في مراثي الرضي نبله ووفاءه فصلة الودّ تعلو عنده على صلة القرابة ، كما أنه لا يكتفي بالمرثية الواحدة . وقد أغرم بمعاني الفروسية والرجولة في مراثيه (فالخيول والسيوف والأسنّة والفرسان وساحات الوغى والكرم) كلها تفتقد الراحل وتنعاه .

ولعلّ أكبر عنصر متغيّر في مراثيه هو ملاءمة المرثية لمقتضى الحال ، فان كان الراحل فارسا أو كاتبا أو شيخا نحويا ، أو استاذا فقيها أو متكلّما أو شاعرا ، رجلا كان أو امرأة ، حضريا أو بدويا ، فان رثاء الرضي يراعي ما يلائم شخصيته من أوصاف وحدود ، ويزيد على ذلك التزام شيء من الأسلوب قد يليق بالبدوي أكثر من الحضري (كما هو الحال في مراثيه لابن ليلى) وبالفارس لأكثر من الكاتب ، وقد تستبدّ به فجيعة الموت فيطلق لعاطفته العنان ويتخلّى عن صبره وتماسكه ، وأحيانا نراه حكيما متجلّدا يطلق الكثير من الحكم والمواعظ حول الموت والفناء وعدم الجدوى من النواح والبكاء ، لأننا رهائن في يد الزمن ونمشي في الحياة الى آجالنا .

وتزداد مراثي الرضي حرارة وحزنا عميقا وألما ممضّا على قدر علاقته بالميت والتصاقه بمودّته وصداقته . ولم يكن الشريف يلتمس الشهرة من رثاء الرجال المرموقين البارزين ، بل كان يرثي حتى المغمورين من أصدقائه ممّن لم يشغلوا مناصب هامة . وتتجلّى الشجاعة في رثائه لأشخاص غضبت عليهم السياسة وانقلب الناس ضدّهم ، بينما بقي الرضي على وفائه واخلاصه لهم (كرثائه للطائع الخليفة المخلوع ، ولأبي بكر بن شاهويه زعيم القرامطة في بغداد . .) .

لهذا الحزن الذي شغل الرضي في حياته ، وللرّقة الحزينة التي تتغلغل وتنساب في قصائده سمّاه الأدباء « **النائحة الثّكلى** » .

* * *

* * *

الفصل الثالث
الفخر والحماسة في شعر الرضي

للفخر وسائل كثيرة ، فقد يفتخر المرء بأجداده وآبائه وبشجاعته ومكانته بين قومه ، وقد يفتخر بكرمه وعفّته ، أو بمجموعة من الفضائل والخصال ، وقد يفتخر بشعره وبلاغته . تردّدت هذه المعاني والموضوعات كلّها في شعر الرضي الفخري ، وكان الفخر الميدان الذي جلّى فيه ، وكشف عن آماله ونوازعه النفسيّة ، وأظهر قدرة هائلة على التصوّر حين رأى نفسه بطلا يقود الفرسان ، كما كشف في شعره عن أخلاق الفرسان كما يراها ، وتحدّث عن صفات الجواد الأصيل والابل التي لا يتمتطيها الاّ صناديد الرجال .

لقد افتخر الرضي بنفسه وآبائه ، وما كان ليقول عن نفسه ما لا يعرفه الناس ، وهو محاط بالحسّاد والمناوئين ، وفي بعض ما يقوله تحدٍّ لهم وتعريض بهم .

وكثيرا ما افتخر الرضي بحسبه ونسبه وتمجّد بآبائه بعنجهيّة وخيلاء ، ويعود ذلك الى أصله الشريف والى كون عائلته توارثت المجد أبا عن جدّ .

اما اندفاعاته الحماسيّة وثوراته الملتهبة في الافتخار بالبطولة والفتوّة

والأنفة والبسالة فهي ظاهرة عامة في ديوانه ، وتعبير صادق عمّا يجيش بـه صـدره من أمـان وطمـوحـات ، ومـا انـطوت عليـه نفسـه من أخـلاق وملكات .

وسنـدرس في هذا الفصـل تركيب قصيـدة الفخـر عنـد الـرضي ، وموضوعات فخره ، ثم نعالج طبيعة فخره وأبعـاده ، ونقارن بينـه وبين فخر المتنبي .

أ ـ تركّب قصيدة الفخر عند الرضي :

سيطر الفخر عـلى شعر الـرضي ، فقد يستـدرجه الحمـاس حتى في مدائحه للخلفاء والملوك ، وفي مراثيـه وغزليّـاته ، فنحن نشـاهده غـالبا بطلا في معركة يخوض الغمرات ، ويلقي نفسه في لهواتها في فتية أشاوس مجرّبين وسط الدماء .

وسنحلّل نماذج مختلفة من فخرياته لنرى كيفية تركب الفخرية عنده ولنحدّد بالتالي مقام الفخر في قصائده . فنلاحظ ان قصـائد الفخـر عند الرضي غير مؤرّخة ، ولم يحدّد المناسبات التي قيلت فيهـا بشكل عـام . ونشير ايضا الى كثرة المقطوعات الفخرية المنتشرة في ديوانـه وهي تتراوح بـين ثلاثـة أبيات وتسعـة أبيات وتقتصـر على الفخـر فقط ، ونعتقـد أن سبب هذه الظاهرة يعود ، الى أن الرضي كان يهـذّب شعره فيسقط منـه أشياء ، ويبقي ما يراه مناسبـا وخاصـة في القصائـد التي نظمهـا في سنّ مبكّرة[1] . كما تستقـلّ هذه المقـطوعات بمـوضوعـات محدّدة ، أو بمعـان معيّنة كالافتخار بالحسب والنسب ، أو بشعره ، أو بعلي بن أبي طالب ،

---

(١) ديوان الرضي المقطوعات : ١ / ١١٢ ـ ١١٣ و ١ / ٣٥٧ .

أو بصفاته وأخلاقه . . .[1] . وكثيرا ما يجمع الرضي في قصائد الفخر بين الفخر والنسيب ، فهناك العديد من القصائد التي توزّعت أبياتها على هذين الفنّين تقريبا[2] ، وهذا شاهد على اشتباك النّوازع في نفسيّته ، فقلبه يجمع بين العنف واللطف ، وبين القسوة واللّين ، وكثيرا ما يفتتح قصائد الفخر بالنسيب والشكوى[3] .

وقلّما نمرّ بقصيدة للرضي لا نرى فيها عددا من أبيات الفخر وخاصة في شعر المديح والغزل ، وقد مرّ بنا في تحليل بعض قصائد المديح مكانة الفخر فيها ، وسنختار هنا مجموعة من القصائد التي سيطر الفخر فيها على سائر فنونه الشعرية ، وسنرى أن قصيدته الفخرية اشتملت بشكل خاص على الفنون التالية : (الغزل ـ الوصف ـ الشكوى ـ الحكمة . . .) .

ـ افتخر الرضيّ بقصيدة مطلعها :

برؤمِ السُّيوفِ وغَربِ الرّماحِ عَقَدنا لواء العُلى والسَّماحِ[4] .

---

(١) نشير الى بعض هذه المقطوعات كما وردت في ديوان الرضي ١ / ٢٣٤ (٨ أبيات) و ١ / ٣٥٩ (٩ أبيات) ، و ١ / ٣٦٠ (٤ أبيات) ، و ١ / ٤٠٧ (٥ أبيات) و ١ / ٤٠٩ (٣ أبيات) و ١ / ٦٦٠ (٩ أبيات) و ٢ / ١٨٢ (٦أبيات) و ٢ / ٢٣٥ (٧ أبيات) و ٢ / ٢٣٩ (٣ أبيات) و ٢ / ٥١٠ ـ ٥١١ (٨ أبيات) .

(٢) المصدر نفسه أنظر القصائد التالية : ١ / ٣٦٦ و ١ / ٣٤٢ و ١ / ٣٤٦ و ١ / ٣٤٩ و ١ / ٣٥٣ .

(٣) صوّر تلميذ الرضي مهيار الدّيلمي حماسة الشريف ورقّته تصويرا رائعا بقوله :

خَمَسْتَ حَتّى قيلَ: صَبٌّ دِماءَها وغَزلْتَ حَتّى قيلَ: صَبٌّ مُدامَها

عبد المسيح محفوظ . الشريف الرضي ، ص / ٨ .

(٤) ديوان الرضي ١ / ٢٤٧ .

فتتألف من ثمانية وأربعين بيتا ، تتوزّع أبياتها وتتسلسل موضوعاتها على الشكل التالي : ٣٣ فخر ـ ٨ وصف ـ ٥ شكوى ـ ٢ بيتان مفردان .

ـ ثم افتخر بقصيدة مطلعها :

بعضَ المَلام فقد غَضَضْتُ طَماحي وكَفَيتُ من نَفسي العَذولَ اللاّحي[١]

فتقع في ثلاثة وخمسين بيتا ، تتوزّع على النحو التالي :
٣٧ فخر ـ ٧ غزل ـ ٦ شكوى ـ ٣ وصف .

ـ افتخر بقصيدة مطلعها :

نَبْهْتُهُـمْ مثـلَ عَـوالي الـرِّمـاحْ الى الوغَى قَبْلَ نُمومِ الصَّباحْ[٢] .

فتقع في ثلاثة وأربعين بيتا ، تتوزّع على الشكل التالي :
٣٣ فخر ـ ٥ وصف ـ ٣ هجاء ـ ٢ شكوى .

ـ افتخر بقصيدة ذكر فيها أهل البيت ومطلعها :

لغـيرِ العُـلى مِنّي القِـلى والتَّجَنُّبُ ولولا العُلى ما كنـتُ في الحبِّ أرْغبُ[٣]

فتتألف من اثنين وسبعين بيتا تتوزّع على الشكل التالي :
٣٦ فخر ـ ٢٨ وصف ـ ٥ نسيب ـ ٣ حكمة .

ـ قال يفتخر بقصيدة مطلعها :

لَحَيَّـا عهْـدَهُـنَّ حَيـا الـعِهـادِ نَـدىً يَغتصُّ منه كـلُّ نـادِ[٤] .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٢٥٠ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ٢٥٤ .
(٣) المصدر نفسه ١ / ١٠٧ .
(٤) ديوان الرضي ١ / ٣٢٩ .

وتتألف من سبعة وثلاثين بيتا تتوزّع على النحو التالي :
٢٢ فخر ـ ٩ نسيب ـ ٦ شكوى .

ـ افتخر بقصيدة مطلعها :

إنّـا نَـعـيـبُ ولا نُـعـابُ ، ونُصيبُ منـكَ ولا نُصـابُ[١] .

وتتألف من ستة وخمسين بيتا ، تتوزّع على الشكل التالي :
٢٤ وصف ـ ٢١ فخر ـ ٨ شكوى ـ ٣ أبيات مفردة .

ـ قال يفتخر ويشكو الزمان بقصيدة مطلعها :

عَذيري مِنَ العِشرينَ يَغمِزْنَ صُعْدَتي ومِن نُوَبِ الأيامِ يَقرَعنَ مَروَتي[٢]

فتتألف من ثلاثة وستين بيتا تتوزّع على النحو التالي :
٣٢ فخر ـ ٢٠ شكوى ـ ٨ نسيب ـ ٣ وصف .

ـ افتخر بقصيدة مطلعها :

لأيِ حَبيبٍ يَحْسُنُ الـرأيُ والـوُدُّ وأكثرُ هذا الناسِ ليسَ له عَهدُ[٣] .

وتتألف من واحد وخمسين بيتا تتوزّع على النحو التالي :
٣٥ فخر ـ ١٠ شكوى ـ ٦ حكمة .

ـ قال يفتخر بقصيدة مطلعها :

ليتَ الخَيـالَ فَـريسـةً لِـرُقـادي يَدنُو بِطَيفِكِ عن نَوىً وبَعادِ[٤] .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ١١٧ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ٢٠٦ .
(٣) المصدر نفسه ١ / ٣٣٣ .
(٤) المصدر نفسه ١ / ٣٣٦ .

وتتألف من سبعين بيتا تتوزّع على هذا الشكل :
٣٩ فخر ـ **١٦** وصف ـ **١٠** نسيب ـ **٥** شكوى .

ـ في رمضان سنة **٣٨٥/٩٩٥** افتخر بقريش ونزار على قحطان واليمن بقصيدة مطلعها :

أراكَ ستُحدِثُ للقلبِ وَجدا اذا ما الظَّعائِنُ وَدَّعنَ نَجدا[١] .

وتتألف من خمسة وستين بيتا تتوزّع على الشكل التالي :
٣٩ فخر ـ **٢٢** نسيب ـ **٣** وصف ـ **١** ذم الزمان .

ـ افتخر بقصيدة مطلعها :

لَو علمتْ أيَّ فتىً ماجِدِ ذاتُ اللِّمىَ والشَّنَبِ البارِدِ[٢] .

فتتألف من ثمانية وثلاثين بيتا ، تتوزّع على النحو التالي :
٢٤ فخر ـ **١٣** نسيب ـ **١** حكمة .

ـ قال يفتخر بقصيدة مطلعها :

خَصيمٌ من الأيامِ لي وشَفيعُ كذا الدّهرُ يَعصي مرّةً ويُطيعُ[٣] .

فتقع في اثنين وخمسين بيتا تتوزّع على الشكل التالي :
٣٨ فخر ـ **١٠** وصف ـ **٢** حكمة ـ **٢** شكوى .

ب ـ موضوعات فخره :

رتّبناها حسب أهميّتها في ديوانه وهي : الفخر بالحسب والنسب ،

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٣٤٢ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ٣٤٦ .
(٣) المدر نفسه ١ / ٦٢٠ .

الفخر بالأعمال والأخلاق : تولي النقابة ، الشجاعة ، الكرم ، العفّة ، الحلم ، والفخر بشعره .

١ ـ الفخر بالحسب والعصبيّة :

كان لنسب الرضي أثر بليغ في ترفّعه وشممه ومحاولاته ، وفي عواطفه وميوله . واذا استعرضنا من فخرياته ما يدلّ فيه بنسبه ويتمجّد فيه بآبائه نزداد يقينا ، أنّ الشموخ بذلك النسب قد أثّر في خيال الرضي وشعوره،لذلك لا نجده يتّجه الى نظم قصيدة من شعره ،الّا تسيطر عليه تلك الروح القويّة المتوثّبة،فتطبع شعره بطابع الفخر الذي مازج شعوره[١] .

كان للرضي من وجاهة أبيه وأعماله المجيدة في بغداد وخارجها ، الى جانب رفعة أصله ما يغذّي طموحه ويدفعه نحو الفخر والاعتزاز بنفسه ، فكان أصله الشريف من الأسباب التي دفعته لعنجهيّة الفخر والخيلاء ، ففي معظم قصائده الفخرية يتمجّد بآبائه وأجداده ويعدّد مآثرهم .

كان الرضي شديد الاعجاب بوالده ، ويرى فيه تجسيدا لمطامعه ، ووجها من وجوه فخره وسؤدده[٢] . وكثيرا ما افتخر بفضل أبيه على

---

(١) تظهر جرأة الرضي وشجاعته في مخاطبة القادر ، فهو يشمخ بأنفه ، ويخاطبه مخاطبة الندّ للندّ كقوله من جملة قصيدة :

عَطْفاً أميرَ المؤمنينَ فاننّا ... في دَوْحةِ العَلْياءِ لا نَتَفَرَّقُ

ما بَيْنَنا يومَ الفخارِ تَفاوُتٌ ... أبداً كِلانا في المَعالي مُعْرِقُ . . .

ديوان الرضي ٢ / ٤٢ .

(٢) كقوله :

وهذا أبي الأدْنَى الذي تَعْرِفونَهُ ... مُقدَّمُ مَجْدٍ أَوَّلُوهُ مُخَلَّفُ

مؤلّفُ ما بين الملوكِ إذا هَفَوْا ... وأَشْفَوْا على حزِّ الرّقابِ وأشرفوا

المصدر نفسه ٢ ك ٢٠ .

الملوك والخلفاء ، وبأعماله الاصلاحية والتوفيقيّة ، ومن صفاته : زهده في الدنيا ، قناعته ، شجاعته ، يقود الخيل في الغمرات ، ويردّ النوائب به ، ويعتمد عليه في الملمّات[1] . وله وقفات بالحجيج مشهورة ، ومن مآثره ومكانته أنه لا يقبّل الأرض بين يديّ الملوك خلافا للعادات[2] .

أما أمّ الرضي فهي شريفة علوية أيضا ، فيراها خير والدة ، من أسرة عريقة ، فأخوها ناصر للحقّ ، وأسرتها تسامت الى العزّ وارتقت ذرى المجد[3] .

وكثيرا ما افتخر الرضي بأسرة أمه ومكانتها فآباؤ ها واخوانها توارثوا المجد ، وتساموا الى العزّ المنيع وتعلّقوا بأعناق المناصب والعلا[4] .

ديوان الرضي ١ / ٤٣٣ .

(١) كقوله :

أردّ النّوائبَ بالموسويِّ وأُعطي الرّغائبَ بالناصريّ

وأَشْفَوْا على حزِّ الرِّقابِ وأَشْرَفوا مؤَلِّفُ ما بينَ الملوكِ اذا هَفَوْا

المصدر نفسه ٢ / ٢٠ .

(٢) كقوله :

لهُ وَقْفَاتٌ بالحجيج شُهودُها الى عَقِبِ الدُّنْيا مِنىً والمُخَيْفُ

(٣) في رثاء أمه يقول :

آباؤ كِ الغُرُّ الذينَ تَفَجّرَتْ بهمُ يَنابيعٌ من النِّعْماءِ

ديوان الرضي ١ / ٢٨ .

(٤) ومن ذلك قوله في رثاء أمه :

نَزَلوا بِعَرْعَرةِ السَّنامِ من العُلا وعَلَوا على الأَثْباجِ والأَمْطَاءِ

عرعرة السنام : رأسه ـ الأثباج : جمع ثَبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر ـ الامطاء : جمع مطا : وهو الظهر . ديوان الرضي ١ / ٢٨ . =

كما يحتل الفخر بأهل البيت مكانة هامة في ديوانه وخاصة فخره بأجداده : النبي محمّد والامام علي بن أبي طالب . لقد قضت عراقة الأصول وشرف النسب الهاشمي على الرضي أن يفتخر مطوّلا بجدّية محمد وعلي ، فهو يذكرهما معا في قصائد عديدة ، أو يفرد فيذكر ابن أبي طالب في مواضع مختلفة .

افتخر الرضي بأنه من آل النبي الذين تقلّب الكتاب في حجورهم ، وقد ورث المجد من رسول الله ، فهو ابن خير الورى أبا وجدّا[1] . كما أن جدّه نبيّ ، وجدّه الآخر خليفة ، فلا مجد ـ يدانيه ، وقد استغل الرضي هذا المعنى كثيرا في قصائده الفخرية[2] .

= او كقوله :

درجوا على أثَر القُرونِ وخَلَّفوا طُرُقاً مُعَبّدةً من العَلْياءِ

المصدر نفسه ١ / ٢٩ ـ ويرى أمه خير والدة كقوله :

أبي الوصيّ وأمي خير والدة بِنْتُ الرَّسولِ الذي ما بعدَهُ رُسُلُ

المصدر نفسه ٢ / ١٨١ . وفي رثائه لخاله أحمد بن الحسين تتحوّل العصبية الى عنجهيّة وفخر وخيلاء كقوله :

فما شِئْتَ مِنْ داعٍ الى الله مُسْمعٍ ومن ناصرٍ للحقِّ ماضي الضَّرائبِ

تسامَوْا الى العزِّ المُمَنَّعِ ، وارْتَقَوْا مِنَ المَجْدِ: أَنْشازَ الذُّرَى والغَوارِب

الأنشاز : المكان المرتفع . المصدر نفسه ١ / ١٤٩ .

(١) كقوله :

لَئِنْ جَحَدوا أنّي ابنُ خَيْرِ الوَرى أباً فلن يَجْحَدوا أنّي ابنُ خَيْرِ الوَرَى جَدّا

ديوان الرضي ١ / ٣٦٠ .

(٢) كقوله :

فَجَدٌّ نَبيٌّ ثمَّ جدٌّ خَليفَةٌ فما بَعْدَ جَدَّيْنا عليٌّ وأَحْمَدِ

وَما افْتَخَرَتْ بَعدَ النبي بغيرِهِ يَدٌ صَفَّقَتْ يَوْمَ البَياعِ على يدِ

المصدر نفسه ١ / ٣٥٩ . =

كما كان يردّد وصف الامام علي « بالوصيّ » ، ايمانا بما جاء في حديث الغدير ، للدلالة على حقّه المشروع في الخلافة ، وعلى اغتصابها من ناحية ثانية من قبل الأمويين ثم العباسيين فيما بعد .

وكان اعجاب الرضي بالامام علي يفوق كلّ اعجاب ، فجعله مثله الأعلى في حياته ، وكان يفتخر به دائما ، ويرى أبناءه جبالا للمجد ، وقد ورث هو هذا المجد بسنّ مبكّر[1] .

= أو كقوله في المعنى نفسه :

إنَّ أميرَ المؤمنينَ والدي ... حَزَّ الرِّقابَ بالقَضاءِ الفاصلِ
وَجَدِّي النَبيُّ في آبائِهِ ... عَلا ذُرى العَلْياءِ والكواهِلِ
فَمَنْ كَأَجْدادي اذا نَسَبْتَني ... أَمْ من كَأَحْيائِي ، أو قَبائِلي

المصدر نفسه ١ / ١٧٢ .

(١) تتكرّر لفظة « الوصي » دائما عنده عندما يفتخر بالامام علي ، ومن ذلك قوله :

غَدَرَ السرورُ بِنا وكا ... نَ وَفاؤهُ يومَ الغَديرِ
يومٌ أَطافَ بِهِ الوَصِيُّ ... وقد تَلقَّبَ بالأميرِ

المصدر نفسه ١ / ٤٣٠ .

ويقول في قصيدة أخرى :

أنا ابْنُ نَبيِّ الله ، وابْنُ وَصِيِّهِ ... فَخارٌ عَلا عن نِدِّهِ وضَريبِهِ

المصدر نفسه ١ / ١٣٤ .

أو كقوله من قصيدة :

إنّي لَمِنْ مَعْشَرٍ انْ جُمِّعوا لَعُلاً ... تَفَرَّقوا عن نبيٍّ أو وصيٍّ نَبي

المصدر نفسه ١ / ١١٢ .

وفي موضع آخر يقول :

أَخَذْنا عليهِمْ بالنبيِّ وفاطِمٍ ... طِلاعَ المساعي مِنْ مَقامٍ وَمَقْعَدِ
وَطُلْنا بِسبْطَيْ أحمدٍ ووصيِّهِ ... رِقَابَ الوَرى مِنْ مُتَهِمينَ وَمُنْجِدِ

المصدر نفسه ١ / ٣٥٩ .

ولو ذهبنا نستقصي تكرار هذه اللفظة لطال المقام ، فنكتفي بهذه الأبيات .

أطلق الرضي على الامام علي سلسلة من الألقاب فهو : أبو تراب ، وقسيم النار ، وساقي الخَلقْ يوم القيامة[1] .

ثم عدّد معجزات الامام علي وأعماله ومآثره في الاسلام ، ومن هذه المعجزات : ما فعله بباب خيبر ، كما رُدَّت اليه الشمس لعظمتهَ ، وقد حصد رقاب الكافرين بسيفه في أيام التّصادم والقتال ، كما فدى رسول الله ، يوم نام في فراشه عند بدء الهجرة ، ومن معاركه الشهيرة : أيام بدر والجمل وصفّين النهروان ، فعلّي فتى هاشم بعد النبي[2] .

أما آل البيت فهم عنوان فخره ومجده ، لذلك فهو يُجَلّ عن القبائح ويجهر بالولاء لهم ، ولا يُحابي ، فهم أولياؤه ، لأنه ينتسب اليهم ، وهو

---

(١) وخير شاهد على هذه الالقاب الأبيات التالية :

وأَخْتَرقُ الرياحَ الى نَسيمٍ تَطَلَّعَ مِنْ تُرابِ أَبي تُرابِ

أبو تراب : كنية الامام علي ، كنّاه بها النبي ـ **ديوان الرضي** ١ / ١١٥ ـ وقوله :

قَسيمُ النارِ جَدّي يَوْمَ يُلْقَى بِه بابُ النّجاةِ مِنَ العَذابِ
وساقي الخَلْقِ والمُهَجاتُ حَرَّى وفاتِحَةُ الصِّراطِ الى الحِسابِ
ومَنْ سَمَحَتْ بخاتَمِه يَمينٌ تَضَنُّ بِكلِّ عاليةِ الكِعابِ

المصدر نفسه ١ / ١١٦ .

ـ والى المنحى نفسه اتّجه فخر أخيه المرتضى في الحسب والنسب حيث يقول :

وان إلى نبيٍّ أو وصيٍّ نُسِبْتُ فمن له مثلُ انْتسابي
وفي بيتي النبوّةُ ما عَدَتْني وقانونُ الإمامةِ في نِصابي

عبد الرزاق محي الدين . **أدب المرتضى** ، ص / ٤٢ .

(٢) كقوله :

فَتَى هاشِمٍ بعد النَبيِّ وباعُها لَمَرْمى عُلاً أو نَيْلِ مَجْدٍ وسُؤْدَدِ

ديوان الرضي ١ / ٣٥٩ ـ أو كقوله له من قصيدة يفتخر به :

وأبي الذي حَصَدَ الرِقَابَ بِسَيْفِهِ في كلِّ يوم تَصادُم ونِطاحِ
رُدَّتْ اليهِ الشَّمْسُ يُحْدِثُ ضَوْءُها صُبْحاً على بُعْدٍ من الإصْباحِ

المصدر نفسه ١ / ٢٥٢ ، وأنظر أيضا القصيدة ١ / ١١٦ في المصدر نفسه .

مخلص في ولائه وحبّه لهم حتى التضحية ، ولو أبغضه كل الناس [1] .

وبعد أن جمع الرضي الفخر من جوانبه كلّها ، لأن « جدوده خيرة الأمم »[2] ، انتقل إلى الفخر بقومه بني هاشم ، فهم أنوف بني معدّ ، وهم الذّرى ، والسابقون الى العلا والمفاخر ، والغالبون في النّدى والسّماح ، فالرضي يُنْمى إلى خير أرومة ، فقد ضربت بعرقه دوحة نبوية ، أغصانها جدوده ، وعروقها في السماء [3] .

ورث بنو هاشم المجد والمعالي من جدودهم ، فأكابرنا آساد سبقونا إلى العلا ، ونحن أشبالهم نسير على نهجهم ، هذا المعنى يتكرّر في عدّة قصائد عند الرضي [4] . واذا كان بنو هاشم عَيْناً ، فنحن سوادُها ،

---

(١) يقول الرضي مفتخرا بهم :

بِكُمْ في الشِّعْرِ فَخْري لا بِشِعْري ... وعَنْكُمْ طالَ بَاعي في الخِطابِ

مُحِبُّكُمُ ولو بُغِضَتْ حَياتي ... وزائرُكُمْ ولو عُقِرَتْ رِكابي

المصدر نفسه ١ / ١١٧ .

(٢) كقوله :

جَدّي النَبيُّ، وأمّي بِنْتُهُ، وأبي ... وَصِيُّهُ، وَجُدودي خِيَرةُ الأُمَمِ

ديوان الرضي ٢ / ٣٨٨ .

(٣) يفتخر الرضي بأصله قائلا :

ضَرَبتْ بعِرْقي دَوْحَةً نبويّةً ... في مَنْصِبٍ واري الزِّنادِ صُراحِ

المصدر نفسه ١ / ٢٥١ .

ويبلغ الرضي قمّة الفخر والخيلاء بقوله :

لنا الدَّوْحَةُ العُلْيا التي نَزَعتْ بها ... الى المَجْدِ أَغْصانُ الجُدودِ الأَطَايِبُ

اذا كانَ في جوِّ السماءِ عُرِزْتُها ... فأَيْنَ أَعاليها ؟ وأَيْنَ الذَّوائِبُ؟

المصدر نفسه ١ / ٥٤١٥ .

(٤) هم الأسود ونحن الأشبال ، يردّده الرضي في القصائد التالية :

نحنُ الشُّبولُ من الضِّرا ... غِمِ والنِّطافُ مِنَ البُحورِ =

لأننا جَلَوْنا ظلام الحرب وعجاجها بالرماح التي نبتت لأيدينا ، وكان يفتخر على بني مضر[1] .

والرضي ابن الأناجب من بني هاشم الذين يروا عمائمهم خيرا من تيجان الملوك ، فهم أكرم من حجّ ومن جلّل بيت الله ، وهم فوارس الغارات يتسابقون على ظهور الخيل يوم الوغى ، يركبون المطايا والجياد معا ، وتُغْضي عيون الأعادي عن رماحهم ، كما يصفهم بقوله :

كالصَّخرِ إنْ حلموا والنَّارِ إنْ غَضِبوا والأُسدِ انْ ركِبوا والوبْل إن بَذلوا[2]

= واذا عَـزانـا نـاسِـبٌ نَـسـبَ الشُّـمـوسَ الى الـبُـدورِ

المصدر نفسه ١ / ٤٣٠ .

وفي قوله :

أَكَـابِـرُنـا والسّـابِقـونَ الى العُلا ألا تـلكَ آسـادٌ ونحـنُ شَـبـولُهـا

وإنَّ أُسـوداً كنتَ شِبـلاً لبعضِها لَـحْقوقَـةٌ أنْ لا يُـذلّ قَـبيـلُهـا

المصدر نفسه ٢ / ١٨٦ ، وقد وردَتْ قتيلُها ، بينما وردت قبيلها عند الثعالبي في يتيمة الدهر ٣ / ١٤٢ ، وهو الأصح .

(١) بقوله من قصيدة :

بَنـو هـاشمٍ عَـيْنٌ ونحنُ سـوادُهـا عـلى رَغْمِ مَنْ يَـأْبَى وَأنتمْ قَـذاتُها

ديوان الرضي ١ / ٢١٣ ـ الثعالبي . يتيمة الدهر ٣ / ١٤٣ .

ويفتخر بقومه قائلا :

ونحنُ أعـزُّ الناسِ شَـرْقـاً وَمَغْـرِبـاً وأَكْـرَمُ أَبْصارٍ عـلى الأرضِ تَطْرِفُ

ديوان الرضي ٢ / ١٩ .

كما يفتخر ببني هاشم قائلا :

أنـا ابْـنُ الأنـاجِبِ مِـنْ هـاشمٍ اذا لَمْ يـكُـنْ نُـجُبٌ مـنْ نُـجُـبْ

تُـلاثُ بُـرودُهُـمْ بـالـرِّمـاحِ وتُـلْوى عُـمـائِـمَـهُـمْ بـالـشَّـهُـبْ

المصدر نفسه ١ / ١٣١ ـ الثعالبي . يتيمة الدهر ٣ / ١٤٣ .

(٢) ديوان الرضي ٢ / ١٨١ .

ويفتخر الرضي ببنيْ هاشم قائلا : =

كما افتخر الرضي بقريش ونزار وبني عدنان عموما على قحطان واليمن وذلك في رمضان سنة ٣٨٥/٩٩٥ .

فهاشم أرقّ القبائل راحا وأنداها يدا ، ثم افتخر بشجاعتهم واندفاعهم للموت ، بقوله :

كأنَّ الفَتى مُنهمْ في النِّزالِ يَرى أكْبَر الغُنمِ إن قيلَ أودَى[1] .

وبعدها يفتخر على قحطان ويتعالى بسخرية :

بَني عَمِّنا أين قَحطانُكُم إذا عَبَّ بَحْرُ نِزارٍ وَمدَّا
مَضَغْناكُمُ إذْ عَدَدْنا قُرَيْشاً ونَلْهَمُكُمْ إنْ بَلَغْنا مَعَدَّا[2] .

وهم الذين أنقذوا العرب من الشِّرك والضلال ، فبهم أنقذ الله العرب العُريب[3] .

ويفتخر الرضي بقرشيّته قائلاً :

أنا الغُلامُ القُرشِيُّ مُنْجِباً ما وَلَدا[4] .

وفي ذي الحجّة سنة ٣٩٧/١٠٠٦ اجتاز بالمدائن ونظر الى ايوان كسرى فافتخر بالاسلام وقوّته على الفرس . فقد أصابت الخطوب بني ساسان ، واستردّ الدهر منهم ما بنوا ولم يعلموا أنّ النصر لنا في نهاية

= مُنْ هاشمٍ أكرَمَ مَنْ حَجَّ ومَنْ جَلَّلَ بَيْتَ الله بالوَصائِلِ
المصدر نفسه ٢ / ١٧٣ .

(١) المصدر نفسه ١ / ٣٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ١ / ٣٤٥ .

(٣) كقوله :
بِنا أنْقَذَ الله هذا العُرَيْبَ حتى اسْتَقَامَ الى الدِّينِ قَصْدا
المصدر نفسه ١ / ٣٤٥ .

(٤) المصدر نفسه ١ / ٣٥٧ .

المطاف ، فقهرنا الشِّرك ، وانهزموا على أعقابهم ، وأذقناهم بأسنا[1] .

رأينا الرضي يوسّع دائرة الفخر ويطوّره من نطاقه الضيّق في حدود الأسرة الى آبائه وأجداده ، ثم انتقل الى الفخر القبلي شأن الجاهليّين ، وارتقى بفخره شيئاً فشيئاً حتى افتخر بالاسلام وانتصاره على الشِّرك ولكنّه ربط ذلك بقريش قبيلته ففيها ظهر النبيّ ، وبهم نُشر الدين الحنيف ، فكان الحسب والنسب والعصبيّة محور فخره في معظم قصائده .

٢ ـ الفخر بأعماله وأخلاقه : تولّي النقابة ـ الشجاعة ـ الكرم ـ العفّة الحلم .

يكثر في ديوان الرضي التغنّي بالبطولة والافتخار بالفتوّة والأنفة والبسالة والكرم والحلم ، الى جانب تصويره لاندفاعاته الحماسية وثوراته الملتهبة بأناشيد حربيّة ، تشعرنا بأن الرضي من شعراء النخوة والحروب ، كما هو من شعراء الاباء والعفّة .

وقد كان فخره في كثير من الأحيان اعتزازا بما يملك من مواهب علميّة وأدبيّة ، وبما له من شأن شخصي في توجيه دفّة السياسة في العاصمة البغدادية .

عشق الرضي المجد والمعالي منذ طفولته ، وهام في التخلّق بأخلاق الأبطال ، فهو يفتخر بقصيدة وله عشر سنين قائلا :

المَجْدُ يَعلمُ أنَّ المَجْدَ مِنْ أربي ولو تَمادَيْتُ في غَيٍّ وفي لَعِبِ

---

(١) كقوله :

قد نَزَلْنا دارَ كِسْرى بعدَهُ أَرْبَعاً ما كُنَّ لِلذُلِّ ظُؤارا
قَهْقَروا الشِّرْكَ على أعقابِهِ بعدما اسْتَقْدَمَ غيّاً وضِرارا

ديوان الرضي ١ / ٤٨٤ ـ ٤٨٦ .

إذا هَمَمْتُ فَفتِّشْ عن شَبـا هِمَـمي تَجِـدْهُ في مُهَجـاتِ الأنجُمِ الشُّهبِ
وإنْ عَـزَمْتُ فَعَزْمي يَسْتَحيـلُ قَذىً تُدْمى مسالكُـهُ في أعْيُنِ النُّـوَبِ(١)

هذا الفتى الفارس كان يرشّح نفسه لامارة الحج ومنصب القضاء ، ونقـابة الاشـراف ، ولم تكن آمال الـرضي وطموحـه يقف به عنـد هـذا الحد ، فهو يتحدّى حاسديه على رتبة النقابة ، لأنها لـه وفي بيته ، وانمـا يريد ما وراء النقابـة فيقول :

وَلِيَ الـنِّـقـابـةَ خـالُ أُ مّـي قـبـل ، ثُـمَّ أبي وجَـدّي
وُلّـيْـتُـهـا طِفلاً ، فَـهَـل مَجْـدٌ يُـعـدَّدُ مِـثـلَ مَجـدي
وأظُـنُّ نَـفْـسـي سـوفَ تحْـ ـمِـلُني عـلى الأمـرِ الأشـدِّ
حـتَى أرى مُـتَـمـلِّكـاً شَـرْقَ العُلى والغَـرْبَ وَحْدي(٢) .

فالنقابة لا ترضي طمـوحه ولا تحقّق آمـاله ، لأنـه لم يقنع بهـا ، ولم تقف أمـانيـه عنـد حـدّ معـيّن ، فنفسـه تنـازعـه الى منقـطع العـلا والسؤدد(٣) .

من هنا نرى أن فكرة اغتصاب الخلافة ، والسعي لاستردادها بكل

---

(١) ديوان الرضي ١ / ١١٢ ـ ١١٣ .
(٢) ديوان الرضي ١ / ٣٥٨ .
(٣) كانت الخلافة محطّ أنظاره وآماله ، فالنقابة رتبة يسيرة بالنسبة له كقوله :
لـو كَنْتُ أَقْنَعُ بِـالنِّقـابةِ وحْـدَهـا لغَضَضْتُ حـينَ بَلَغْتُـهـا، آمـالي
لـكـنَّ لي نـفسٌ تَـتُـوقُ الى الـتي مـا بعـدَ أعْـلاهـا مَقـامٌ عـالِ
المصدر نفسه ٢ / ١٨٢ ـ ويقول في موضع آخر مشيرا الى حقّه في المكارم والعلا :
مـا عُـذْرُ مَنْ ضَـرَبَتْ بِـه أَعْـراقُـهُ حتى بَـلَغْـنَ الى الـنّـبيِّ مُحَـمَّـدِ
أَنْ لا يَمُـدَّ الى المكـارمِ بـاعَـهُ وينـالَ منقـطِع العُـلا والسُّؤْدَدَ
المصدر نفسه ١ / ٣٥٣ .

الوسائل هي الحافز الأكبر لفخره وللابداع الفني عنده ـ ففي أحيان كثيرة يفتخر ويهدّد ويرى العباسيّين مغتصبين لملك آبائه بقوله :

رُدُّوا تُـراثَ مُحَـمـدٍ رُدُّوا ليسَ القَضيبُ لكُم ولا البُـرْدُ[1]
انّ الخـلاَئـفَ والأُلى فَـخَـروا بهـمْ عـليـنـا قَـبْـل أو بَـعـدُ
شَـرفُـوا بنـا ولِجَـدّنـا خُلقـوا وهُـمُ صَنـائِعُنا ، إذا عُـدُّوا

ولعلّ الصورة التي أحب الرضي أن يحقّقها في الحياة أن يكون بطلاً شهيراً وحولـه الفتيان الملثّمـون وهو يضـرب ويطعن دون رحمـة استردادا لحقّ مسلوب .

فصورة هؤلاء الفتية وصورة المعركة وشجاعتـه وهو يخـوضها يتـردّد صـداها في كثـير من مقطوعـاتـه الحمـاسيـة ، فهـو لا يـزال يهـدّد بيـوم عصيب ، ويتـوعّد العـراق بـأنـه سيـطأ أرضـه بجيش عَـرَمْـرَم يـذهـل الناس[2] .

وسيجنّد في سبيل تحقيق هدفه كل الوسائل المتـوفّرة لـه بالعـرب أو بالروم ، لأن فكـرة استرداد حقّـه تستعر في نفسـه[3] . فهو متـوتّر نـاقم يتوقّع طارئا غريبا يمهّد له سبل النجاح لتحقيق أهدافه وأحلامه .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٤٠٧ .

(٢) عندما يقول :

وَعـلـيَّ أنْ يَـطَأَ الـعِـراقَ وأَهْلَهـا يَـوْمَ أَغَـرُّ مِـن الـدِّمـاءِ مُحَجَّـلُ
يَـوْمٌ تَـزِلُّ بِـه القلوبُ من الرَّدى جَـزَعاً ، وأَحْـرى أن تَزِلَّ الأَرْجُـلُ

ديوان الرضي ٢ / ١٥٦ .

(٣) كقوله :

وعـن قُـرْبٍ سَيَـشْـغَـلُني زَمـانـي بَـرْعْيِ النَّاسِ عن رَعْيِ القُـرومِ
سـأَلْـتَمِسُ الـعُـلا إمّـا بِـعُـرْبٍ يُـرَوُّون الـلَّهـاذِمِ أو بِـرومِ

اللّهاذم : الأسنّة القاطعة . ـ المصدر نفسه ٢ / ٤١١ .

وكثرا ما يفتخر الرضي بشجاعته وبأسه في الحرب وقيادة الفرسان ، فنراه قائدا يختال بما يصنع وهو ينبّه جنوده إلى الحرب قبل أن تظهر تباشير الصباح[1] . فهم كعوالي الرماح نشأوا في البادية وتغذّوا بلبن النوق وعشقوا السيوف والرماح[2] ، والشريف ينبّه جنوده لغارة يغصّ سامع أخبارها بالماء القراح ، ويتوثّب الرضي الى الفتك على طريقة المتنبي الذي كان يرى المجد في الفتك والطّعان ، فالرضي ينكر الترقّب ويراه من العجز ، ويؤمن بأنه الفائز في كل حال ، فهو ان نهض فالى الحرب ، وان قعد فلبناء المجد ، وسيترك في سمع الزمان دويّا من ضربه الصادق وطعنه[3] .

ويبدو أنّ الرضي كان مفطورا على الفتوّة والتوثّب منذ الحداثة ، والاّ كيف صحّ له أن يقول وهو في سنّ المراهقين ؟ :

سَتَعْلَمونَ ما يكونُ مِنّي ... إنْ مدَّ من ضَبْعيَّ طولُ سِنيّ
بَيْنَ المواضي والقَنا تَجْدني ... أمامَ جيْشٍ كجنوبِ الرَّعنِ

---

(١) كقوله :
نَبَّهْتُهُمْ مِثْلَ عَوالي الرِّماحْ ... الى الوَغى قَبْلَ نَمومِ الصَّباحْ
المصدر نفسه ١ / ٢٥٤ .

(٢) يُشيد الرضي بالبادية بقوله :
الرَّاحُ والرَّاحَةُ ذُلُّ الفَتى ... والعِزُّ في شُرْبِ ضَريبِ اللُّقاحْ
الضريب : اللبن ـ اللّقاح : النوق ـ
في حيثُ لا حُكْمَ لغيرِ القَنا ... ولا مُطاعٌ غيرَ داعي الكِفاحْ
المصدر نفسه ١ / ٢٥٤ .

(٣) كقوله :
سأتْرُكُ في سَمْعِ الزمانِ دَويَّها ... بقَرْعَيْ ضِرابٍ صادقٍ وطِعانِ
فانْ أسْر فالعَلْيَاءُ هَمّي وإنْ أقُمْ ... فأنّي على بِكْرِ المكارِمِ بَاني
ديوان الرضي ٢ / ٥٤٠ .

والنَّصْلُ عَيني والسِّنانُ أُذْني وأُمّيَ الدِّرعُ، ولم تَلِدْني[1] .

فقد أنضجه العزم وسقته نفسه ذوب الحديد المتوقّد ، كما أنه مخرّق الثوب من الطّعن ، وسيفه رفيقه وحصنه ، ولثامه من غبار الخيل ، وهو ليث تطالبه نفسه بالأمور العظيمة ، وكثيرا ما شبّه الرضي نفسه بالأسد في توثّبه واندفاعه لما يمثّله من شجاعة وعزّة وكبرياء[2] . كما نعت نفسه في كثير من القصائد الفخرية « بالفتى العربي »[3] ، ويتمثّل العربي أمامه دائما ماضيا مثل سيفه ، والاّ فانّ آباءه ينكرونه فيقول :

اذا عربيٌّ لم يَكُنْ مثلَ سيفِهِ مَضاءً على الأعداء أنكَرهُ الجَدُّ[4]

ويرى الرضي الجبن ضربا من البخل لذلك سيبذل في سبيل العزّ أكرم مهجة ، وان كانت النفس ثمينة ونفيسة[5] ، فالشاعر لا يرى

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٥٣٢ ـ ٥٣٣ ، ضَبْعي : عَضُدي .

(٢) بقوله :

سَيُرْعِبُ القومَ منّي سَطْوُ ذِي لِبَدٍ له بِعَثَّرَ أَعْراسٌ وَوِلْدانُ

عثّر : مأسدة ، المصدر نفسه ٢ / ٤٥٠ .

(٣) كقوله :

ولولا صَوْلَةُ الأيامِ دِوني هَجَمْتُ على العُلا من كلّ بابِ

ومِنْ شِيَمِ الفَتَى العَربيِّ فينا وِصالُ البِيْضِ والخَيْلِ العِرابِ

المصدر نفسه ١ / ١١٣ ـ ١١٤ .

وبعد خلاص أبيه من القلعة قال :

لَقَيْتُكَ في صدرِه شاحباً ومِنْ حِلْيَةِ العَرَبيِّ الشُّحوبُ

المصدر نفسه ١ / ٧٥ ـ ويقول في موضع آخر :

انّي لأكْرَمُ نفسي أنْ يُقالَ جَنى على الفَتى العَربيِّ الخُرَّدِ العُرُبُ

المصدر نفسه ١ / ١٩٠ .

(٤) المصدر نفسه ١ / ٣٣٥ .

(٥) ديوان الرضي ٢ / ٢٣٩

لنفسه غير غايتين : النصر أو الموت ، وهذا المعنى سيكرّره في عدد من القصائد ، فهو « يأنف من موت الهرم » ، وكما أنه يفضّل الموت على الذّل[1] وقومه لا يموتون حتف أنوفهم ، بل طعنا بالرماح لأنهم يرون الموت حتمي ، فعلى المرء أن يبغي المنى أو يرد الرّدى[2] ، فنفس الرضي ترفض الاهانة وقلبه يأبى الذلّ والهوان .

وكان للرضي مكانة مرموقة بين قومه ، ففضله عليهم ليس بخاف ، فهو حامي الحريم من الأعادي ، والمدافع عنهم يوم الشدائد ، وسبب علائهم ومجدهم ، والمناضل دونهم يوم القتال ، ولا يستطيع أحد منهم أن يحلّ محلّه أو يقول مقالته[3] .

وكما رأى الرضي نفسه تتَوق الى النجوم ، ونَيل الكواكب في ذراها ، ولم يبسط كفّه لأنه رأى الأفلاك تقصر عن منالـه[4] ، رأيناه

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ١٧٤ ، وفي موضع آخر يقول :

وَمَوْتُ الفَتى خَيْرٌ لـه من حياتِـهِ اذا جـاوَرَ الأيَـامَ وهـو ذَلـيـلُ

المصدر نفسه ٢ / ١٩٢ .

(٢) كقوله :

إمّـا فـتىً نـالَ العُـلا فـاشْـتَفى أو بَـطَلٌ ذاقَ الـرَّدى فـاسْتَـراح

المصدر نفسه ١ / ٢٥٦ .

(٣) كقوله :

أَرُوني مَنْ يَقـومُ لكمْ مَقـامي . . . ومَنْ يَحْمي الحريمَ مِنَ الأعَادي . . . وتَمَّ عَلاؤُكُمْ بي بعد نَقْصٍ . . . المصدر نفسه ٢ / ١٧٦ .

(٤) كقوله :

أرى نَفْسي تَتُـوق الى الـنُّجـومِ سـأحْمِلُها عـلى الأمـرِ العَـظيمِ

المصدر نفسه ٢ / ٤٠٨ . =

جواداً كريما ، فكثيرا ما يفتخر بكرمه ونواله ، فيداه ألفت النّوال ، ولو نبت يوما عن الجود لأنكرها[1] ، كما يبذل فضل ماله للرجال فلا يلحق به الجواد الكريم ، فمذ خلق نشأ على الجود ، ولم يجمع المال الاّ للعطاء :

أنا لِلجودِ مُذْ خُلِقْـ ـتُ وَوحَّدْتُ خالِقي
أُحرِزُ المالَ لِلْعَطا ءِ بِجَرِّ الفَيالِقِ
وأرى جَمْعي الثَّرا ءَ اتّهاماً لِرازِقي[2] .

كما كانت أسرته حليفة للنّدى ، فيّاضة اليدين من الجود[3] ، فهم

= وقوله :

لَئِنْ نِلْتُ الكواكبَ في ذُراها لقد أَبْقَيْتُ فَضْلاً مِنْ مَنالي
المصدر نفسه ٢ / ١٧٧ .

او قوله :

ولَسْتُ بِباسِطٍ كَفّي لأنِي أَرى الأفلاكَ تَقْصُرُ عَنْ مَنالي
المصدر نفسه ٢ / ٢٣٤ .

(١) كقوله

يدي أَلِفَتْ بَذْلَ النَّوالِ فلو نَبَتْ عن الجود يَوْماً قلتُ: ما هذِهِ يَدي
ديوان الرضي ١ / ٣٥٧ .

وفي المعنى نفسه يقول :

وإنّي لَأَرْمي بالنَّوالِ مسافَةً مِنَ الجودِ لا يَسْتَطيعُها الرَّجُلُ النَّالُ

النّال : الجَواد ، الكريم ـ المصدر نفسه ٢ / ٢٦٨ ـ كما افتخر بكرمه بقوله :

أصونُ عن الرجالِ فُضولَ قَوْلي وأَبْذُلُ للرجالِ فُضولَ مالي
المصدر نفسه ٢ / ١٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٦٢ .

(٣) بَنُو

بَنُو كلِّ فَيّاضِ اليَدَيْنِ مِنَ النَّدى اذا جادَ أَلْغى ما يقولُ المُعَنَّقُ
المصدر نفسه ٢ / ١٩ .

يحبّون البذل والعطاء ، ويهتدي طارق الليل بنارهم ، وقد بلغوا في المجد والجود المدى[1] .

وكان الرضي عفيفا لا يسبّ ولا يشتم ولا يعرف الفحشاء الاّ بوصفها :

ولا أعْرِفُ الفَحْشاءَ إلاّ بِوَصفِها ولا أنْطِقُ العَوْراء والقَلْبُ مُغْضَبُ[2]

افتخر بعفّته وتشدّده في معاقبة المخالفين ، فقد فطم قومه عن المنكر ، وزجرهم عن العادات السيّئة[3] ، ويفتخر الرضي بعفافه وترفّعه عن الغواني فهو مأمون على كل خلوة ، وغيره يعدو الى الفحشاء كما تعدو الذئاب على الدماء :

وإنّي لمأْمُونٌ على كلِّ خَلْوةٍ أمينُ الهوَى والقَلْبِ والعَيْنِ والفَمِ
وغيري الى الفَحشاءِ إنْ عرضَتْ له أشدُّ مِنَ الذُّؤْبانِ عَدْواً على الدَّمِ[4]

ويفتخر الرضي ببعده عن الخمر وشربه ، فهو يُعرض عن كأس النديم ، لأنه وقور لا تمكر به الصهباء ولا تأسر الألحان عزيمته[5] ، ولم

---

(١) إنّي لِقَوْمٍ بَعُدوا في المَجْدِ والجودِ مَدى
المصدر نفسه ١ / ٣٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ١ / ١٠٨ .

(٣) بقوله :
وَوَلِيتُكُمْ فَحَزَزْتُ في عيدانِكُمْ حتى أَقَامَ مُيلَها تَثْقيف
وَفَطَمْتُكُمْ بالزجْرِ عن عاداتِكُمْ ورَدَدْتُ مُنْكَرَكُمْ الى المَعْروفِ
المصدر نفسه ٢ / ١٤ .

(٤) ديوان الرضي ٢ / ٤٠٢ .

(٥) كقوله :
وأعرِض عن كأسِ النَّديمِ كأنّها وَميضُ غَمامٍ غائرُ المُزْنِ خُلَّبُ =

تصافح يده يد غادر ، وبُرْدُه عفيف فكأنه وُلد في الحِجر والحَرَم[1] .

يصبر الرضي على الأذى ويكظمه لأنه حليم ، وممّا يزيد في أحقاد خصومه أنه لا يغضب بسهولة[2] .

كما يعامل أقاربه بحنوّ ولين ويغفر لهم ، لأنه رقيق القلب من ناحية وحليم يسيطر على غضبه من ناحية ثانية كقوله :

حَنَوْتُ عليهِمُ ولرُبَّ حانٍ ... على جَانٍ وإنْ بَعُدَ التَّلافي
فما قَلبي وانْ جهِلوا بِقاسٍ ... ولا حلمي وإنْ قَطعوا بِهافِ[3] .

ويقابل عقوق بني عمّه بحلمه بالرغم ممّا يلاقي منهم من

= وَقورٌ فلا الأَلْحَانُ تَأْسِرُ عَزْمَتي ... ولا تَمْكُرُ الصَّهْباءُ بي حين أَشْرَبُ
المصدر نفسه ١ / ١٠٨ .
ويقول في موضع آخر :
وَصَوْني عن السُّكْرِ مَنْ لا يَزالُ ... يُنَدّى المُدامَ بماءِ القُراحِ
أَعافُ ابْنَةَ الكَرْمِ لا ابنَ الغَما ... مِ ، بَيْنَ غَبوقي وبين اصْطِباحي
المصدر نفسه ١ / ٢٤٩ .

(١) كقوله :
بُرْدي عَفيفُ اذا غَيْري لِفَجْرَتِهِ ... كانتْ مَناسِجُ بُرْدَيْهِ على التُّهَمِ
ومَوْلدي طاهرُ الأثْوابِ تَحْسَبُني ... وُلِدْتُ في حِجْرِ ذاكَ الحِجْرِ والحَرَمِ
المصدر نفسه ٢ / ٣٨٨ .

(٢) كقوله :
مَلَكْتُ بِحِلمي فُرْصةً ما اسْتَرَقّها ... مِنَ الدَّهْرِ مَفْتولُ الذِّراعَيْنِ أَغْلَبُ
ولِلحُلْمِ أَوْقاتٌ وللِجَهْلِ مِثْلُها ... ولكَنَّ أَوْقاتي الى الحُلْمِ أَقْرَبُ
يَرَوْنَ احْتِمالي غُصَّةً وَيَزيدُهُمْ ... لَواعِجُ ضَغْنٍ أَنّني لَسْتُ أَغْضَبُ
المصدر نفسه ١ / ١٠٨ .

(٣) بهافِ : بذاهب ـ المصدر نفسه ٢ / ١٦ .

الأذى[1] ، كما يبالغ الرضي في تحمله للنوائب فلا يضجّ ولا يشكو بالرغم من صغر سنّه فحلمه موفٍ على الجبال :

لم يُثَقّفْ عودي الزَّمانُ ولكِنْ ضَجَّ عودُ الزَّمان مِنْ تَثْقيفي
لم تُوَفِّ العِشرينَ سِنِي وإنّ الـ ـحلمَ منّي على الجبال لموفي[2] .

هكذا افتخر الرضي بمجموعة من الخلال التي تخلّق بها وألحّ عليها في أبيات متفرّقة من قصائده الفخرية . وقد حاولنا تتبّعها واستقصاءها في ديوانه لنقدّم الشّواهد المناسبة التي أظهرت صفاته وافتخر بها .

وربّما كان شعر الرضي الميدان الرّحب الذي زها به ، وافتخر مطوّلا ، وهذا ما سنفصّله في الصفحات التالية .

٣ ـ الفخر بشعره :

الفخر بالشعر طريق قديم سلكه شعراء الفخر في الأدب العربي ، كما فعل أبو تمّام وابن الرومي والمتنبّي وغيرهم[3] .

---

(١) كقوله :

بَني عَمّي وعَزَّ على يَميني مِنَ الضَّرّاءِ ما لَقِيتْ شِمالي
أعودُ على عقوقِكُمُ بحلمي اذا خَطَرَ العُقوقُ لكم بِبالي

ديوان الرضي ٢ / ٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ٢ / ١٧٦ .

(٣) افتخر أبو تمام بشعره وقوّته وقيمته وحُسْن ديباجته كقوله :

كما عَلِمَ المُسْتَشْعرونَ بأنّهم بِطاءٌ عن الشِّعْرِ الذي أنا قارِضُ

او قوله :

بِقَوافٍ هي البَواقي على الدَّهْـ ـرِ ولكنَّ أثْمانَهنَّ مَواضِ

او كما فعل ابن الرومي في مثل قوله :

شِعْري شِعْرٌ اذا تأمّله الإنْـ ـسانُ ذو الفَهْمِ والحِجا عَبَدَهُ

أو كما فعل المتنبّي في مثل قوله :

خَليليَّ إنّي لا أرى غيرَ شاعِرٍ فلم منهمُ الدعوى ومنّي القَصائدُ؟ =

لكن الرضي يبالغ في افتخاره وزهـوّه بشعره الى حـدّ لم يعرف عنـد شاعر غيره[1] ، فهو يجعل نفسه أشعـر الأمم[2] ، ويعتبر قصيـدته تُحفـة يمنحها كهديّة ثمينة ولها في نفس طالبيها مكانة محترمة .

نقـع في ديوانـه على كثـير من الفخر والافتتـان بشعره ، والـزهوّ بـه والاستعلاء به على كبار الشعـراء ، والمبالغـة في تقديـره الى حدّ يـراه أنه يـرفع مـراتب الممدوحـين[3] ، وحين يضـع نفسه في مجـال الموازنـة بـين شعراءالعرب ، يرى نفسه تـارة زهير بن أبـى سلمى[4] ، وتـارة أخرى

= أو كقوله :

ومـا الدَّهرُ الا مِـنْ رُواةِ قَصائدي اذا قلتُ شِعراً أصبحَ الدَّهْرُ مُنْشِدا .

محمّد عبد الغني حسن . **الشريف الرضي** ، ص / ٦٥ ـ ٦٦ ,

(١) يرى زكي مبارك أنّ الرضي خرج عـلى قواعـد الذّوق حـين قضت عليه الـظروف أن يزهى بشعره ويختال . **عبقرية الشريف الرضي** ١ / ٩١ .

(٢) بقوله :

كـفَـاكَ بـأنّ عِـرْضَـكَ مِـنْ طُـروقِ الـعـارِ في ذِمَـمِ
وذلـكَ عِـصْـمَـةٌ مِـنّي بِـحـبـلٍ غـيرِ مُـنْـجَـذِمِ
وحَـسْـبُـكَ أنْ يـفِـلّ شَـبـا ةَ هَـجْـوِكَ أَشْـعَـرُ الأُمَـمِ

الشَّباة : ابرة العقرب وحدّ كل شيء ـ وفلَّ شَبَاةَ هَجْوِه : كسرها .
ديوان الرضي ٢ / ٣٧٤ .

(٣) يرى الرضي شعره يرفع أقدار الرجال فيقول :

أبـا قـاسم جـاءتْ إليكَ قـلائـدٌ تُقَلِّدُ أَعْنـاقَ الـرِّجـالِ المَنـاقِبـا
قَـلائـدُ مِنْ نَـظْمي تَـوَدُّ لِحُسْنِهـا قُلوبُ الأعادي أنْ تـكـون تـرائـبـا

المصدر نفسه ١ / ٤٦٧ .

(٤) كقوله :

أنـا زُهَـيْرٌ فَمَنْ لِي في زَمـانِـكَ ذا بِبعضِ مـا افْتَرقَتْ عنـه يَدا هَـرِمِ

المصدرِ نفسه / ٣٨٨ .

يرى أنه بزّ بشعره زهيرا[1] ، أو يتواضع فيرى نفسه زميل الفرزدق أو جرير[2] .

ثم يعلن أنه لولا الحياء لهجّن بشعره شعر البحتري ومسلم بن الوليد[3] .

وتارة يقيس نفسه الى البحتري وأبي نوّاس[4] .

---

(١) كقوله :

بَزّ زُهَيْراً شِعْري ، وهَأَنَذا ... لم أَرْضَ في المَجْدِ أنه هَرِمُ

المصدر نفسه ٢ / ٣٦١ .

أو يرى كلامه فوق كلام الرجال فيقول :

جاءتْكَ مُحْصَدَة القُوى حَبَّارةً ... تَسْتَعْبِدُ الأرْواحَ في الأجْسامِ

مَنْ لي بِإنْشادِيكَها في موقفٍ ... أَعْتَدُّهُ شَرَفاً مَدى أيامي

لا أَدَّعي فيهِ الغُلُوَّ ، وانما ... يُوفي على قُلَلِ الرِّجالِ كلامي

مُحْصدة : مُحْكَمة الصنعة ـ الحبّارة : السّارة ، من الحبور ـ المصدر نفسه ٢ / ٣٣٨ .

(٢) فيقول :

وَقَصيدةٍ عَذْراءِ مِثْـ ... ـلِ تَأَلُّقِ الرَّوْضِ النَّضيرِ

فَرِحَتْ بمالِكِ رِقِّها ... فَرَحَ الخَميلَةِ بالغَديرِ

وكأَنَّهِ في رَصْفِها ... جارُ الفَرَزْدَقِ أو جَريرِ

وكأنّه في حُسْنِها ... بين الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ

ديوان الرضي ١ / ٤٣١ .

(٣) فيقول :

شِعْرٌ أُثيرُ بِه العَجاجَ بَسالَةً ... كالطَّعْنِ يُدْمي والقَنا تَتَحطَّمُ

وفَصاحَةٌ لولا الحَياءُ لَهَجَّنَتْ ... أعلامَ ما قالَ الوليدُ ومُسْلِمُ

المصدر نفسه ٢ / ٣٤٥ .

(٤) فيقول :

جَعَلْتُ هديّتي فيه نِظاماً ... صقيلاً مثلَ قادِمةِ السِّنانِ

وَصَلْتُ جواهِرَ الألْفاظِ فيه ... بأَعْراضِ المَقاصِدِ والمَعاني

فجاءتْ غَضَّةَ الأطْرافِ بِكْراً ... تَخَيَّرَ جيدُها نَظْمَ الجُمانِ =

وكما كان فارسا وثّابا في صهوات الجياد ، كذلك يرى نفسه فارسا مجيدا في قوافي الشعر وقد أحرز فيها قصب السَّبْق[1] .

كما يرى قوافيه متفوّقة ، وقصائده تخترق الفيافي ، وسمّاها « بوارِد الغليل » فهي تبعث السرور عند فئة ، والغضب لدى الآخرين[2] .

كما يراها في بعض الأحيان أسِنّة مسدّدة ورماحا مشرّعة ، ونصولا ماضية تُشْهر في وجه الخصوم ، وجداول رقراقة في السرور ، وسبيلا يُزيل الهموم من النفوس[3] .

ومن ناحية أخرى يهدّد بقوافيه خصومه فهي تقطر سمّا كأفاعي

= كأنَّ أبا عُبَادَةَ شَقَّ فاها وَقَبَّلَ ثَغْرَهَا الحَسَنُ بْنُ هاني

المصدر نفسه ٢ / ٥٠٤ .

(١) كقوله :

وأن قَوافِي الشِّعْرِ ما لم أَكُنْ لها مُسَفْسِفَةٌ فيها عَتيقٌ ومُقْرِفُ

أنا الفارسُ الوَثّابُ في صَهواتِها وكُلُّ مُجيدٍ جاءَ بَعدي مُرْدِفُ

المُسَفْسِفَة : غير المُحْكمة ـ العتيق : الشريف ، الرائع ـ المقرف : ما يُداني الهجنة (أمه عربية لا أبوه) ـ المصدر نفسه ٢ / ٢١ .

(٢) كقوله :

وعندي لِلزَّمان مُسَوَّماتٌ مِنَ الأشْعارِ تَخْتَرِقُ الفَيافي

قَصائِدُ أَنْسَتِ الشُعراءَ طُرّاً عُواءَهُمُ على أَثَرِ القَوافي

بَوارِدُ لِلغَليلِ كأنَّ قَلْبي يَعُبُّ بهنَّ في بَرْدِ النِّطافِ

أَسُرُّ بهنَّ أَقْواماً ، وأَرْمي أَقَيْواماً بِثَالِثَةِ الآثافي

المصدر نفسه ٢ / ١٧ .

(٣) كقوله :

وقصائد سَدَّدْتُهُنَّ أَسِنَّةً وَشَهَرْتُهُنَّ قَواضِباً ونُصولا

جُعِلَتْ لِرَقْراقِ السّرورِ جَداوِلاً نحو القلوبِ ، وللهُمومِ سبيلا

ديوان الرضي ٢ / ٢٣٦ .

الرمال الزّواحف[1] ، ويراها مرّة ثانية كلعاب الأفاعي[2] .

ويفتخر بقوّة لسانه ومضائه فيراه أمضى من السيف في مقاولة الأعداء[3] . ويشبّه أشعاره بالعقائل ، ويمّن بقصائده على الوزراء[4] ويرى شعره يعرق العظام ، وينكّل بالأحساب ، وقد يراه بشيرا بالنعيم ، ونذيرا بالعذاب ، ثم يراه غيثا ينفع الأولياء ، وصواعق تحرق الأعداء[5] .

---

(١) كقوله :

قَوافِيَ يَقْطُرْنَ السَّماءَ كأنّها ... مَلاغِمُ حَيَّاتِ الرِّمالِ الزَّواحِفِ

ديوان الرضي ٢ / ٣٧ .

(٢) كقوله :

يفتخر بقصائده في مدحة لأبي علي الموفّق وزير بهاء الدولة :

وَعِنْدي لَكَ الغُرُّ التي لا نِظامُها ... يَهي أَبداً ، أو لا يَبوخُ شِهابُها

وعِنْدي للأعْداءِ فيكَ أوابِدُ ... لُعابُ الأفاعي القاتِلاتِ لُعابُها

يهي : يضعف ـ يبوخ : يسكن ، يفتر ـ الأوابد : القوافي الشاردة .

المصدر نفسه ١ / ٧١ .

(٣) كقوله :

وأنا المُضارِبُ عن عُلاكَ بِمِقْوَلٍ ... ماضِي الغِرارِ ولا الجُرازُ المِصْقَلُ

يُدمْي الجَوارِحَ وهو ساكِنُ غَمْدِهِ ... ولَقَلَّما يَمْضي بِغِمْدٍ مُنْصُلُ

الغرار : الحدّ ـ الجراز : السيف ـ المصقل : السيف الصقيل ـ المنصل : السيف .

المصدر نفسه ٢ / ١٥٨ .

(٤) العقائل : جمع عقيلة وهي السيدة الكريمة المخدّرة .

هو ابو نصر سابور بن أردشير قدم بغداد مع شرف الدولة سنة ٣٧٦ / ٩٨٦ ـ فيقول :

خَطَبْتَ شِعْري الى قلبٍ يَضِنُّ بِهِ ... الاّ عَلَيْكَ، فباشِرْ خَيْرَ مَخْطوبِ

المصدر نفسه ١ / ٦٤ .

(٥) يجلجل شعره جلجلة البروق والرعود كقوله :

وهذا مقالي فيكَ غَيْثٌ وربما ... رَمَيْتُ العِدى مِنْ وَقْعِهِ بالصَّواعِقِ =

لقد بالغ الشريف الرضي في هذه الناحية من فخره ، فلا تكاد تخلو قصيدة في نهايتها من افتخار بقوافيه وبمكانته بين الشعراء ، وبخطر أشعاره وتأثيرها على خصومه .

ج ـ طبيعة فخره وأبعاده :

نجد في فخر الرضي وحماسته العنجهيّة والعصبيّة لكثرة ما يورد فيه من التّمادح والتّمجّد بالآباء والأجداد ، الاّ أنّنا نجد أيضا في حماسته ما كان باعثها جدّه وسعيه وما امتاز به من صفات وملكات ومطامح وآمال ، فكان افتخاره بالآل والأعمال على حدّ سواء . ومن ناحية ثانية يشتمل فخر الرضي على المبالغة المفرطة ، لأن نفسه تجيش بأمور ومطامح لم يستطع تحقيقها ، ولم يمكّنه الزمان من الوصول اليها . فمن مبالغاته قوله :

أنا ابنُ الأُلى إنْ ما دَعوا يوْمَ مَعْرَكٍ أمدّوا أنابيبَ القَنا بالمَعاصِمِ
إذا نَزلوا بالماحلِ اسْتنبتُوا الرُّبى وكانوا نِتاجاً للبُطونِ العَقائِمِ[1] .

ثم تزيد به الحماسة والمغالاة حتى يتطاول على أبيه أحيانا[2] ، وهذا أمر يبعث على الغرابة ، لأنه يراه مثاله الأعلى وكثيرا ما يفتخر به .

ونرى الرضي يحقّق بالشعر طموحه وأحلامه التي عجز عن تحقيقها

= المصدر نفسه ٢ / ٦١ . ويقول في موضع آخر :

وقافية تخْضخِضُ ما تَرامَتْ به الأيامُ في عِرْضِ اللَّئيمِ
لِيَعْلَمَ من أناضِلُ أنّ شِعْري يُطالِعُ بالشقاءِ وبِالنّعيمِ

المصدر نفسه ٢ / ٤١٢ .

(١) ديوان الرضي ٢ / ٤٣١ .

(٢) كقوله :

ولولا مُراعاةُ الأبوَّةِ جُزْتُهُ ولكنْ لغَيْرِ العَجْزِ ما أتَوقّفُ

المصدر نفسه ٢ / ٢١ .

في الواقع ، فكان الشعر متنفّسا له يبثّ به ما يخالج صدره من مشاعر وأحاسيس وما يعانيه من غيظ واضطراب ، عندما أدرك مرارة الواقع واستحالة تحقيق آماله .

كما يفتتح ديوانه بالفخر وينهيه به ، فلا نكاد نقلّب بعض صفحاته حتى تواجهنا قصيدة فاخرة أو قطعة حماسية ، يجرى الفخر فيها من روافد غزيرة لا تكاد تنضب ، والظاهر أنّ معظم قصائده الفخرية والحماسية هي من أوائل شعره ، فجذوة الشباب كانت وقودها ، وباعثة الحرارة فيها ، ثم هذّب الكثير منها وأسقط عددا كبيرا من أبياتها ، بعد أن هدأت في نفسه ثورة الشباب .

يمتاز فخر الرضي بالعفّة والرصانة والبعد عن اللهو والمجون ، فقد صرفه المجد عن الملذّات كلّها وأضحت معانقة السيوف والرماح أشهى الى نفسه من معانقة الغواني ، فخر الرضي مثالي فيما يتعلق بنفسه وشخصيته فهو يفتخر بالفضائل والمناقب بشيء من المبالغة في الاعجاب بنفسه وبفروسيّته وشعره .

يتجلّى في فخر الشريف وحماسته روح البداوة العربية في مواضع غير قليلة فصورة « **الفتى العربي** » تنعكس في قصائد عديدة كردّ فعل في وجه الأعاجم من ناحية ولتجوّله في البادية ومروره بها في مواسم الحجّ واتصاله بالعرب البدو والاعتماد عليهم في دعوته للوصول الى الخلافة ، وصلاته القوية بالحمدانيين والعقيليّين ، وتظهر هذه النزعة في فخره القبلي (بمضر ونزار وعدنان وقحطان) وكثيرا ما تغنّى بحبّ البادية[1]

---

(١) كقوله :

أُحِبُّ الخِيامَ وسُكّانَها وأَحْسُدُ كُلَّ بَعيدِ المَراحِ

ديوان الرضي ١ ـ ٢٤٨ .

وبشجاعة البدو وخاصة في مرثياته لصديقه البدوي ابن ليلى .

ونسجّل هنا أنّ روح الشريف الحماسية دفعت مؤلف سيرة عنتر ، لغزو ديوانه فنسب الى البطل العبسي بعض قصائد الشريف منها البائية التي مطلعها :

لِغَيْرِ العُلى مِنّي القِلى والتَّجنُّبُ ولولا العُلى ما كُنْتُ في الحبِّ أرْغَبُ[1]

وظنّ أن القصيدة الدالية التالية لعنترة مع أنها للرضي :

لأيِّ حبيبٍ يُحْسِنُ الرَأْيُ والوِدُّ وأكْثَرُ هذا النَّاسِ ليسَ له عَهْدُ[2]

من خلال المعاني التي مرّت بنا في فخر الرضي وحماسته يمكن أن نقسمه الى قسمين :

١ ـ **فخر تقليدي** يستعمل فيه ما كان شائعا في الفخر العربي بصورة عامة كالفخر بالأسرة والقبيلة والحزب والفضائل الشخصية من شجاعة وفروسية وكرم وحلم ، والقدرة على البطش والفتك بالأعداء وقوّة شاعريته .

٢ ـ **فخر وجداني** يعبّر فيه عن واقعه الخاص كشاعر أصيب بخيبة الأمل وأحيط بالحسّاد ، فراح يؤكد مزاياه وفضائله ، ويحقّق بالأقوال ما عجز عن تحقيقه بالأفعال .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ١ / ٣٣ . ـ وقد أضاف مؤلف السيرة الى القصيدتين بعض الأبيات مع بعض التحريف ، وهذه القصائد مثبتة ليس في القصة فحسب بل في ديوان عنترة أيضا ، ولم يشر أحد من النّقاد الى هذا « الغزو التاريخي » . . . عبد المسيح محفوظ . **الشريف الرضي ، ص/ ٩** .

مقارنة بين فخر الرضي وفخر المتنبّي :

توفّي المتنبي سنة ٣٥٤/٩٦٥ قبل ولادة الرضي بخمس سنوات . وكان ذكر المتنبّي وشعره يملأ الدنيا ويشغل الناس ، فانصرف النقّاد الى دراسة شعره ، وأقبل الناس على شعر المتنبّي يحفظونهويتمثلون به ، وقد أعجب الرضي بشعره فحفظه ونفذ الى أعماقه وعرف ظروف نظمه كلّها ، كما سرت روح المتنبّي في نفسه وفي شعره وخاصة في فترة فتوّته .

واستطاع الرضي أن يأخذ شيئا من معاني المتنبّي ويتصرّف بها تصرّفا بارعا خفيّا في بعض الأحيان لا يعرف ألّا بالنقد والموازنة من قبل ناقد بصير .

ويتجلّى تأثر الرضي بالمتنبّي بالفخر والحماسة بشكل خاص ، اذ هناك تشابه بين النفسيّتين ، وفي بعض المباديء والغايات وظروف الحياة .

فالرضي يسعى الى المجد والمعالي ويقدّس البطولة ويرى المجد (بالفتكة البكر) وخوض الغمرات على صهوات الجياد الأصيلة ويهوى معانقة السيوف والرماح ، وهذه المعاني تتردّد بقوّة في فخر المتنبّي .

كما يتشابهان في الطموح وعزّة النفس والمبالغة في الزهوّ والاستعلاء بالفروسية والشعر فكلاهما « نبي الشعر » .

الّا ان طموح المتنبّي لا حدود له وتخيّل آمالا كبيرة دون تحديدها ، فظلّ طموحه في حدود الوهم والخيار ، كما ظلّت أهدافه غامضة في « منازل النّجوم »[1] .

---

(١) كقوله :

اذا غامَرْتَ في شرفٍ مَرومِ ... فلا تَقْنَعْ بما دونَ النُّجومِ

أما طموحات الرضي وأهدافه فكانت محدّدة واضحة فقد كشف بجرأة عن آماله العريضة فهو يطالب بالخلافة لأنه يراها ارثا مغتصبا وحقّا مهضوما ويسعى للوصول الى هذا الهدف بكل الوسائل وبشتّى الأساليب « بالعرب أو بالروم » .

كما كان الرضي يختلف عن المتنبي من حيث الأصل والنسب الشريف ، فقد ورث المجد عن آبائه ، لذلك شمخ الرضي بأنفه بجرأة نادرة تخطّى فيها المتنبّي عندما خاطب الخليفة العباسي القادر بأبياته المشهورة في قصيدة « لَمْنْ الحُدوجُ » .

يفتخر الرضي بالأنفة والاباء الذي يقود الى الكبرياء والاعتداد بالنفس شأن المتنبّي ، ولكن كبرياء المتنبي وليد مركب نقص ، فالتكبّر عنده تعويض عن النواقص وثورة على الواقع الأليم .

خابت آمال الرضيَ في الحياة تماما كخيبة أمل المتنبّي واخفاقه ، فدفعته النقمة والشكوى الى التفاخر والاستعلاء .

كلاهما محاط بالحسّاد ، وقد ناصبهما الزمن العداء فلا يحسن مرّة الاّ ليسيء مراراً ـ سيطر الفخر على شعر المتنبّي فهو يتناول الفخر في مختلف الفنون ويفرط فيه ، وقد انتقلت العدوى الى الرضي ، فافتخر في المدح والرثاء والغزل ـ من ذلك كلّه نستنتج أنّ اللقاء بين المتنبّي والرضي كان أبعد مدى من المحاكاة الشكلية ، فقد تأثر الرضي بالمتنبي بقوّة ، فشعر الرضي في فتوّته يدل بوضوح على روح المتنبّي المتغلغلة في ألفاظه ومعانيه ، ولكنّ الفرق الكبير بين الرجلين يتجلّى بأن المتنبّي يرى نفسه دائما من خلال نفسه ، بينما يرى الرضي نفسه من خلال نسبه[1] .

---

(١) احسان عبّاس . **الشريف الرضي** ، ص / ١٥٧ .

الفصل الرابع
النّسيب والحجازيات

كان شعر الرضي في النّسيب وطيف الحبيب غاية في الرّقة والافصاح عن الأخلاق العالية والنفس التي صقلها الوجد وهذّبها الألم . فقد كان الشريف معروفا عند القدماء بصدق اللّوعة والصبابة ، وكانت أشعاره في الحب كؤوساً يعاقرها المتيّمون .

ولم يتغزّل الرضي بفحش وتهتّك ، ولم يشبّب بتبذّل واسفاف ، ولم يتغنّ بمفاتن الجسد ، أو يصوّر الجوانب الحسّية من الجمال ، ولم يكن متفرغاً للغزل كعمر بن أبي ربيعة أو جميل بثينة ، لذلك انصرف عن الغزل والعبث والمجون الى النّسيب الممزوج بالفضيلة والشرف والعفاف .

من هنا جاز لنا أن نجمع بين نسيبه وحجازياته ، فهما يدوران حول المرأة ومالها من جمال ، وما تتركه في النفس والقلب من صبابة وجوى ، وهما متممان لبعضهما عند الرضي ، فالحجازيات شديدة الصلة بحياته ومناصبه الدينية والاجتماعية ، وميزتها العفاف والبراءة ، فالعذرية البدوية هي السّمة الغالبة على نسيبه وحجازياته ، فضلا عن أن الرضي لم يتحدّث عن أسرار الهوى في الكرخ أو بغداد ، فمقامه الديني والاجتماعي لا يسمح له بذلك ، فالرضي يمثّل بيئته النبيلة خير

تمثيل ، فغزله خالص من شوائب الرّيبة ، يحافظ على الأداب العامة ومكارم الأخلاق والشّيم فما ينطبق على غزله ينطبق على حجازياته بشكل عام .

لماذا سمّيت تلك القصائد « **بالحجازيّات** » ؟ .

في مواسم الحجّ ، في مكّة والمدينة ، في الفيافي والبطاح ، على الجبال وفي الأغوار ، ترنّم الرضي بالحجازيات ، فقد شهد الرضي في تلك المواسم الحاجّات الحسان من جنسيات مختلفة يؤدّين فريضة الحج ، وهنّ يرفلن بأثواب الغوى والشباب ، ثم يطفن حول الكعبة ، ويذهبن الى « رمي الجمار » بأنامل رخصة ، تلك الأنامل التي داعبت أوتار قلبه الحسّاس ، وبعثت النشوة في نفسه ، فأنشد اعذب الأغاني ، ولحّن أجمل الألحان ، ودعيت تلك القصائد بالحجازيات لأنها نظمت في تلك المواسم والمناسبات .

كان لموسم الحجّ أياد بيضاء على الشعر العربي ، فقد أتاحت الظروف التي أحاطت بالرضي أن يخرج الى الحجّ أميرا لحجاج المسلمين ، وفي هذه المواسم تعرّف الشريف على الجمال البدوي ، وغيره من ألوان الجمال المنتشر في البلاد كلّها ، ثم التقت هذه الألوان في ساحات الحجيج .

لكنّ موسم الحجّ لا يدوم أكثر من اسابيع ، وهذه الفرصة قصيرة وغير كافية لاشباع رغبات العين والقلب ، لذلك يعود الشاعر من تلك المناسبة وهو كثير الأسى والحنين ، وخاصة اذا كان أميرا للحجّ وكريم الأصل نبيلا كالرضي .

في تلك المناسبات أنشد الرضي أعذب القصائد ، وغدت « **حجازياته** » بما تحمل من معالم فنّية مستعذبة ومحبّبة لرقتها وعفّتها ،

ودفعت الكثير من الناس لتمجيد الغرام النّبيل ، وأضحت مضرب الأمثال[1] .

فتعيد حجازيات الرضي إلى الأذهان تلك الأناشيد التي أطلقها قبله عمر بن أبي ربيعة في فيافي الحجاز وبطاح مكّة ، ولكنه يختلف عنه بتقاه وعفّته ومركزه الاجتماعي والدّيني .

لقد ترفّع الرضي بغزله عن العبث والمجون فكانت معانيه عذرية سامية ، بينما انساق جمهور المتغزّلين وراء الاباحية والتّهتك والاستهتار باللّذة والجنوح نحو الشّذوذ ، حتى جعل بعضهم منه بابا شعريا خاصا هو الغزل « بالمذكّر » . بينما كان غزله راقيا وساميا لأن أشعاره بريئة وصادقة فلم ينادم غانية ، ولم يكن في أيام الشباب والمراهقة يسامر الظرفاء الذين يغازلون ويتغزّلون وها هو ذا يقول :

أضَعْتُ الهوى حِفْظاً لِحَزْمي وانّما يُصانُ الهوى في قَلبِ مَنْ ضاعَ حَزْمُه[2]
أسومُ الهوى نَفْساً عَزوفاً عنِ الهَوى وقَلْباً لِضَيْمِ الحُبِّ غَيْرَ قَبولِ[3]

وكانت غرامياته تقطر لوعة وتذوب صبابة ، يترنّم بها المتيّمون ، ويعتقد كل منهم أنّ الرضي يتحدّث بلسانه ويشعر بقلبه ، فهو يتغزّل في تصوّن وينسب في وقار ، رائده العفاف وقهر الشهوات .

---

(١) حتى قيل : « لا تعقل نفس المتأدّب الاّ ان حفظ هاشميّات الكميت ، وخمريات أبي نواس ، وزهديات أبي العتاهية ، وتشبيهات ابن المعتز ، ومدائح البحتري ، وحجازيات الرضي » .
زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي** ، ٢ / ٨٥ . نقلا عن دائرة المعارف للبستاني . ونور الدين يوسف نور الدين . **الشعراء الثلاثة** ، ص / ٢٠ .

(٢) **ديوان الرضي** ، ٢ / ٣٩٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ١٥١ .

نشهد عند الرضي صراعا قويا بين العقل والقلب ، وبين المجد والحبّ فالعزّ يعيّره بذلّ الفؤاد ، تلك هي المعضلة النفسّية التي يمثّلها قوله :

لولا هَواكِ لَما ذَلَلْتُ وإنّما عِزّي يُعَيِّرُني بِذُلِّ فُؤادي[1]

وهذه هي القصّة الموجزة لحياة الرضي : فتارة يذلّ ويضعف وتسيطر العاطفة على كبريائه وعزّه فيصبح عاشقاً متيّما[2] ، وتارة أخرى يتعالى ويشمخ ويسحق عواطفه ولا يلتفت الى نداء قلبه فعشق العزّ أقوى وأفضل من عشق الغواني[3] .

أمّا المباحث التي سندرسها في هذا الفصل فتدور حول :

١ ـ تركيب قصائد الغزل عند الرضي .

٢ ـ طبيعة غزله .

٣ ـ موضوعات غزله .

كما تشمل :

١ ـ تركيب الحجازيات .

٢ ـ الأماكن الحجازية وما اليها في شعر الرضي .

---

(١) ديوان الرضي ١ /٣٣٧ .

(٢) كقوله :

أيّها الرَّائحُ المُغِذِّ تَحَمَّلْ حاجةً للمُعذَّبِ المُشْتاقِ
وابْكِ عنّي فطالما كُنْتُ مِنْ قَبْـ ـلِ أُعيرُ الدُّموعَ للعُشّاقِ

المصدر نفسه ، ٢ / ٧٩ . وأنظر قصيدة ٢ / ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٣) كقوله :

شُغِلْتُ بالمَجْدِ عمّا يُسْتَلَذُّ بِهِ وقائمُ اللَّيْلِ لا يَلْوي على السَّمَرِ
مَنْ يَعْشَقِ العِزَّ لا يَعْنو لِغانِيةٍ في رَوْنَقِ الصَّفْوِ ما يُغْني عن الكدرِ

ديوان الشريف الرضي ، ١ / ٤٥٨ .

٣ ـ موضوعات حجازيّاته .

وسننهي كلامنا حول مكانة الحجازيات وأثرها .

أ ـ الغزليات :

١ ـ تركيب قصائد الغزل عند الرضي :

تتوزّع قصائد الرضي الغزلية في ديوانه على النحو التالي :

ـ قصائد مستقلّة عبارة عن قصائد صغيرة لا تتجاوز الثلاثين بيتا .

ـ مقدّمات غزلية ونسيب في قصائد المديح .

مقدّمات غزلية في قصائد الفخر .

ـ أبيات غزليّة متفرّقة خلال القصائد المتعدّدة الأغراض .

وسنحلّل نماذج مختلفة من قصائده الغزليّة لنرى كيفيّة تركّبها ، وما مقدار الأبيات الغزلية فيها :

قال في النّسيب مقطوعة من تسعة ابيات مطلعها :

حَيِّ ، بين النَّقاوبين المُصلَّى وَقَفاتِ الرَّكائبِ الأنضاءِ[1] .

وهي بدون تاريخ ، لكنّ الرضي كان في العراق ، لأنه يدير حديثا مع صاحبه ويوصيه بالتذكّر عنه في منى والخيف ، واجتماع الحجيج في ليلة عَرَفة ، ويطلب منه أن يتعمّد ذكره بالخيف لظبي من تلك الظّباء . وهي مستقلّة بالغزل .

ثم تغزّل بمقطوعة ثانية بطيف الحبيب وتتألف من تسعة أبيات أيضاً ومطلعها :

إنَّ طَيْفَ الحَبيبِ زارَ طُروقاً والمَطايا بين القِنان وشِعْبِ[2]

---

(١) ديوان الرضي ، ١ / ٣٥ .

النّقا والمصلّى : موضعان . الأنضاء : الواحد نِضْو : المهزول .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ١٧٢ .

اقتصرها على الغزل وتحدّث فيها عن منّة العين على القلب ، وفي تغزّله بالطيف نراه اكثر تحرّرا لأنه يلهو بالجيد الناعم الغضّ والفم العذب البارد .

وفي قصيدة تقع في ستّة عشر بيتا ومطلعها :

يَقَرُّ بعيني أنْ أرى لكِ مَنْزِلاً بِنَعْمانَ يَزْكو تُربُهُ ويَطيبُ[1]

تحدّث فيها عن شغفه بفتاة مشغوفة الفؤاد به مصونة وشريفة ، ذكر عفافه فيها ونوع عشقه ، فهو يعشق بنظره فقط ويمتّع عيونه فحسب .

تغزّل بمقطوعة من تسعة أبيات مطلعها :

هَلْ ناشِدٌ لي بِعَقيق الحِمى غُزَيِّلاً مَرَّ على الرَّكْبِ[2]

وصف لنا ذلك الغزال فهو منعّم ، بليد في طبعه ، أظمى فؤاده ونأى بالرغم من قرب الشاعر منه ، فهو ماطل بديون الهوى ويرمي بعينيه ، ويبدو أنه غزال حضري .

ثمّ تغزّل بقصيدة من ثلاثة عشر بيتا مطلعها :

يا قَلْبُ ليتَكَ حين لم تَدْعِ الهَوى عَلَّقتَ مَنْ يَهْواكَ مثلَ هواكا[3]

نراه فيها شقيّا في حبّه لأنه يعاني من تباريح الهوى ، فقد علق قلبه في أشراكهم ، وهي تبيت خليّة البال ، وسيعاقب قلبه بالغليل لأنه سبب ذلّة وزفراته .

وفي مقطوعة ثالثة تقع في سبعة أبيات مطلعها :

ورُبَّ يومٍ أخَذْنا فيه لَذَّتَنا مِنَ الزمانِ ، بلا خوْفٍ ولا وَجَلِ[4]

---

(١) ديوان الرضي ١ /١٧٤ .

(٢) ديوان الرضي ، ١ / ١٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ١٠٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٢٢ .

تحدّث فيها عن القبل المسروقة خوف الرّقيب ، وقد باتا ضجيعين في ثوب الظلام .

وفي قصيدة تتألف من ثمانية وعشرين بيتا ـ وهي من أطول قصائده الغزلية ومطلعها :

يا لَيْلَةَ السَّفْحِ ألاَّ عُدْتِ ثانيةً سَقَى زَمانَكِ هَطَّالٌ مِنَ الدِّيمِ[1]

وهي من قصائد الرضي الغزلية الشّهيرة ، تحدث فيها عن احدى الظبيات الأنسية التي يودّ اصطيادها في الحرم ، وقد باتا في ثوبي هوى وتقى ، وأمست الريح غيرى منهما ، ثم تحسّر على الأيام الماضية وتمنّى نهلة من فمها البارد ليطفيء بها حرّ قلبه .

وتغزّل في مقطوعة صغيرة من تسعة ابيات مطلعها :

عَطَوْنَ بِأعْناقِ الظِّباءِ ، وأشْرَقَتْ وُجوهٌ عليها نَضْرةٌ ونَعيم[2]

بفتيات حضريّات ، فقد أزحن سجوفا عن خدود نقيّة ، رقيقة الأديم ، وعلى أجسادهنّ شفوف رقيقة ، لهنّ خلاخيل من النّضار .

هكذا معظم قصائد الرضي الغزلية ، استقلّت أبياتها بالغزل وضمّت معاني متشابهة .

أما الافتتاحيات الغزلية في قصائد المديح والفخر ، فسنحلّل بعضا منها لنرى مقدار الغزل فيها .

في سنة ٤٠٠/١٠٠٩ مدح الرضي بهاء الدولة البويهي بقصيدة هنّأه فيها بالمهرجان ومطلعها :

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٢٧٣ .

(٢)ديوان الرضي ، ٢ / ٣٣٢ .

عطون : رفعن رؤوسهنّ وأديهنّ .

حـيِّيـا ، دونَ الـكَـثِـيـبِ مَـرْتَـع الـظَّبْيِ الـرَّبيبِ[1]

وتقع في واحدٍ وستين بيتا ، وقد افتتحها باثني عشر بيتا في الغزل ، وتلاها بثلاثة أبيات في وصف المشيب ، وشكواه منه ، ثم انتقل بعد ذلك الى المديح .

كما افتتح قصيدة ثانية باحد عشر بيتا في الغزل ، وهي متعدّدة الأغراض ذمّ الزمان فيها ، وشكا من الشيب ، وافتخر وتقع في اثنين وخمسين بيتا ومطلعها :

هَلِ الطَّرْفُ يُعطي نَظْرةً من حَبيبهِ أمِ القَلْبُ يَلْقى راحةً مِنْ وَجيبِهِ[2]

افتتح الرضي مدحية لأبيه تقع في خمسة وسبعين بيتا بأربعة عشر بيتا غزليا ومطلعها :

أمَا ذُعِرَتْ بنا بَقَرُ الخُدورِ وغِزْلانُ المنازِلِ والقُصورِ[3]

ثم افتتح قصيدة فخرية ذمّ فيها الزمان أيضا وشكا بخمسة عشر بيتا متتاليا في الغزل وتقع في تسعة وأربعين بيتا ومطلعها :

عندَ قلبي عِلاقَةٌ ما تَقَضَّى وجَوىً كُلما ذَوى عادَ غضَّا[4]

في سنة ١٠٠٣/٣٩٤ مدح بهاء الدولة بقصيدة تقع في تسعة وخمسين بيتا ، وقد افتتحها بأربعة عشر بيتا في الغزل ومطلعها :

ألهاكِ عنّا رَبَّةَ البُرْقُعِ مرُّ الثلاثينَ الى الأرْبَعِ[5]

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٥٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ١٣٢ .
(٣) ديوان الرضي ، ١ / ٤٤١ .
(٤) المصدر نفسه ، ١ / ٥٧٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ١ / ٥٩٩ .

كما افتتح قصيدة فخرية تقع في سبعين بيتا بتسعة عشر بيتا في الغزل ومطلعها :

وفَى بمواعيدِ الخَليطِ وأَخْلَفوا وكم وَعدوا القَلبَ المُعنَّى ولم يَغوا[1]

وفي صفر سنة ٣٨٢/٩٩٢ مدح الخليفة القادر بالله بعد أن أوصل الحجيج وافتخر بقصيدة تقع في اثنين وخمسين بيتا ، افتتحها بأربعة عشر بيتا في الغزل ومطلعها :

لِمَنْ الخُدوجُ تَهْزُهُنَّ الأيْنُقُ والرَّكْبُ يَطْفو في السَّرابِ ويَغْرَقُ[2]

٢ ـ طبيعة غزله :

ينتمي الرضي في غزله الى **التيار العذري** ، فهو في غرامه من تلاميذ البيداء ، وليس من تلاميذ بغداد ، فلم يكن من المخادعين أو العابثين ، ولم يكن غزله ماديّا ماجنا ، بل كان غزلا روحيا نقيّا وشريفا يذكّر بقيس وجميل وغيرهما من عشّاق الأعراب .

والمدرسة العذرية معروفة بخصائصها ومميّزاتها وأهما : العفاف ، والوفاء والعاطفة الجّياشة والاكتفاء بالسلام أو بالنظرات وبكاء الأطلال .

هذه المميّزات كلّها نلمحها بشكل أو بآخر في غزل الرضي ونسيبه فنراه ضعيفا خجولا متيّما في حبّه يتمنّى نظرة ، أو وعدا كاذبا في بعض الأحيان ، كقوله :

عِديني وامْطُلي وَعْدِي ، فَحسْبي وِصالاً أنْ أراكِ وأنْ تَريني[3]

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٣٩ .

(٣) ديوان الرضي ، ٢ / ٤٧٢ .

وانّا نعجب من المفارقات عند الشريف فقد عرفناه فارسا فوق صهوات الخيل في حومة الوغى ، في فخرياته بينما نراه الآن أسيرا لعينيّ ظبي كحيلتين ، يذوب رقّة ووجدا .

ولله قَلْبي ما أرقَّ على الهَوى وأصْبى الى لَثْمِ الخُدودِ النَّواضِرِ[1]

وكثيرا ما جمع الرضي بين الفخر والنسيب في عدد كبير من قصائده[2] لأنه يفتخر في غرامياته بعفّته ونزاهته وعزّة نفسه .

انّ الأسماء والأماكن التي يذكرها الرضي في غزله قد يكون لها مدلولات رمزية ، فتلك المواضع والمنازل لا يعنيها بالذات ، انما هي من نسج خياله[3] ،من هنا نستنتج أن غزل الشريف كان مثاليا ، وأنه لم ينظم ذلك الاّ للفنّ خالصا ، وقد عبّر عن ذلك بقوله :

وليس نَسيبي أنَّ في القلبِ لَوْعةً ولكنّني أبْكي زَماني وأندُبُ[4]

فهو يبكي ضياع الآمال والأماني التي طالما حلم بها وسعى الى تحقيقها .

ومما يعزّز هذا الظن قوله :

تُضاجِعُني الحَسْناءُ والسيفُ دونَها ضَجيعانِ لي والسَّيْفُ أدْناهُما مِنّي[5]

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٤٤٧ .

(٢) نذكر منها على سبيل المثال :

لِغَيْرِ العُلا منّي القِلى والتَّجَنُّبُ ولولا العُلا ما كنتُ في الحُبِّ أرْغَبُ

المصدر نفسه ، ١ / ١٠٧ . ومقطوعة « تضاجعني الحَسْناء» المصدر نفسه ١ / ٤٨٤ . وقد مرّ بنا ص / ٤٩٦ عدد من القصائد التي يجمع فيها بين الفخر والنسيب .

(٣) زكي مبارك . عبقرية الشريف الرضي ، ٢ / ١٠٣ .

(٤) ديوان الرضي ، ١ / ٨٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ١ / ٤٨٤ .

فهل يضاجع الرجل السيف في ليلة الوصل ؟ نستبعد ذلك ، فهذا تكلّف من الرضي ، يرفضه الواقع .

كان للبيئة والتربية الدينيّة الاسلامية أثر كبير في تغذية النواحي الخلقية والروحية في نفس الرضي ، من هنا تبدو في شعره مظاهر : الطهارة والعفة والحرمان والاكتفاء بالطّيف ، وبالذكرى والاستماع ، والنسمة التي تمرّ على الدّيار ، كما يحنّ الى الماضي ، ويشتاق اليه ويتمنّى عودته ، فالماضي هو زمن الشباب والهوى والتّصابي ، فكثيرا ما يتحسّر عليه .

كما ركّز في غزله على الحزن والأسى والكآبة ، وسكب دموعا حارّة غزيرة لهجران الحبيب ، واستعان بالنسيم وطائر البان ليبلّغ سلامه ، ثم وقف على الطلول واستعبر ، وتذكر مرابع الحبيب ، وبثّ شكواه الى فرسه ، أو ناقته هذه النواحي حاكى فيها القدامى وسار على خطاهم[1] .

وكان تقليديّا بشكل خاص في افتتاح قصائده الفخرية والمدحية بالشكوى والنّسيب ، هذا المنهج سلكه معظم الشعراء ، مما دفع المتنبي الى القول :

اذا كان مَدْحٌ فالنّسيبُ المُقَدَّمُ أكُلُّ فَتىً قد قالَ شِعراً مُتَيَّمُ؟[2]

---

(١) نلمح في قصائد الرضي الفخرية افتتاحية طويلة نسبيّا بالنسيب والغزل ، على غرار قصائد عنترة الفخرية والحماسية ، التي كان يبدأها بالوقوف على الاطلال والتغزّل ، وقصيدة الرضي (يا طائر البان) شبيهة بقصيدة عنترة .

يقول الرضي :

يا طائر البان غرّيداً على فَنَنٍ ما هاجَ نَوْحُكَ لي يا طائرَ البانِ

ديوان الرضي ، ٢ / ٤٧٥ .

(٢) زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي ، ١ / ١٩١ .**

من هنا نستنتج أن غزل الرضي كان مزيجا من التيّارين : العذري والتقليدي .

٣ ـ موضوعات غزله :

١ ـ الصراع النفسي بين حبّ البادية وحبّ الوطن :

يحنّ الرضي الى العراق ، ويشتاق اليه وهو في الحجاز ، ثم ينعكس الموقف ، فيستيقظ في صدره حبّ البادية والحنين الى الحجاز عندما يرى نفسه مقيما على الأذى في وطنه ، سيجوب الأرض بناقته وسيجاور ربيعة وعيلان .

كما نلاحظ الاضطراب والقلق في مشاعر الرضي ، فنفسه موزّعة بين النقمة والحنين .

٢ ـ الصراع بين عزّة الجاه وذلّه القلب :

نشهد عند الرضي صراعاً خفيّا وظاهرا بين عشق المجد وسيطرة العقل على العاطفة ، وظهور معاني الكبرياء في غزله وعدم الخضوع للمرأة ، أو لسطوة الحبّ على القلب والنفس .

ونراه من ناحية ثانية عاشقا أسيرا ، ضعيفا متيّما ينشج ويشرق بدموعه ، مقروح الكبد من الشّوق ، لا يقوى على الصّبر والتجلّد ، من شدّة الوجد ، يشرّع مذاهب الغرام[1] ، ويعير دموعه لسائر العشاق .

٣ ـ تأثير العين على القلب :

كثيرا ما تسيء الحبيبة للقلب ، وتحسن الى العين ، فيفوز الطرف

---

(١) كقوله :

وما شَرِبَ العُشّاقُ الاّ بَقيّتي ولا وَرَدوا في الحُبِّ الاّ على وِرْدي

ديوان الرضي ، ١ / ٣٨٩ .

بـالنظرات ، ويتلظّى القلب بـالشوق والصّبـابـة ، فسبب شقـاء القلب يكمن في نظرات العين ، فـالنظرات تجـرح القلب[1] ، والدّمـوع طليقة والقلب حبيس ، بـل هو أسـير يشكـو الألم ، فكـأنّ العـين في عـرس ، والقلب في مـأتم[2] . يتكـرّر هـذا المعنى في عـدد من قصـائـد الـرضي الغزلية ، فالعين تجني على القلب . والعيون النّجلاء ترمي قلبـه بالنّبـال والسّهـام ، وقـد أوقـدت في ضلوعـه جمـر الغضـا ، وكـان قلبـه مـرعى للظّباء . كما أضاعت تلك العيون قلبه بين جَمْعٍ ومِنىً[3] .

٤ ـ لفتة القلب :

كـان قلب الرضي من تلك القلوب الـرّقيقة الحسّاسـة التي تلتفت بـالعيـون الى الحبّ مقبلة عليـه ، ثم تتلفّت حـين تغيب تلك الـظبـاء

---

(١) كقوله في قصيدة :

فـيـا لله . كَـمْ تُجْـرَ حُ يـا قَـلْبـي مِـنْ عَـيْـني .

ديوان الشريف الرضي ، ٢ / ٤٦٥ .

(٢) كقوله :

تَـلَذُّ عَيْني ، وقَلْبـي مِنْـكِ في أَلَمٍ فالقَلْبُ في مَأْتمٍ والعَـيْنُ في عُرْسٍ

المصدر نفسه ، ١ / ٥٥٧ .

وقوله في موضع آخر :

هُمْ خَلَّفوا دَمْعي طليقاً ، وغـادَروا فؤادي عـلى داءِ الغَـرامِ حَبيسـا

المصدر نفسه ، ١ / ٥٦٣ .

وأنظر أيضا المقطوعتين في **الديوان** ، ١ / ١٧٢ و ١ / ١٧٦ .

(٣) قصيدة « يا ظَبْيَةَ البانِ تَرْعى في خَمائِلِهِ » .

ديوان الرضي ، ٢ / ١٠٧ .

كقوله :

وانْشُـدا قلبي فـقـد ضَـيَّـعْـتُـهُ بـاخـتْـيـاري بـين جَمْـعٍ ومِـنَى

المصدر نفسه ، ٢ / ٤٨٧ .

الأنسية ، أو حين تغيب طلولها وآثارها فيتلفّت القلب ويودّ العودة من منتصف الطريق[1] ، ينظر نظرة أمامه وعشرة وراءه نحو الدّيار .

٥ ـ وصف الحبيبة :

لجأ الرضي في غزله الى أوصاف متنوّعة ، وأطلق على حبيبته سلسلة من التشبيهات التقليديّة ، فهو يصف حبيبته بالظبي تارة ، وبالغزال تارة أخرى أو بالسّرحة والرّوضة ، ثم يتغزّل بهذا الرمز ، وأحيانا ينعتها بالقمر والشمس ويصف الوجه بالاشراق ، والأسنان بالبَرَد ، والرّيق بالشّهد ، والشّفاه باللّمياء ، والثّغر باللّمعان كالبرق ، وكثيرا ما يكرّر صورة الظبية الخائفة من الرّقيب أو صورة الطائر الوجل الذي يقدم على الماء ويرتعد خوف الوشاة والعذّال .

ويلحّ الرضي في وصف العيون وأثرها فهي نجلاء ، لحاظها سهام تفتك بالقلب[2] . كما يبيت الرضي ليلة كالمسوع يتقلّب على جمر الحشا ، ويصوّر لنا تلك الظبية التي تنفر من بياض الشّيب ، ورمي الجمار في الحّج كرمي الجمر في أحشاء المحبّين .

ويصف لنا الخصور الضامرة والقدود الرّشيقة ، ويلحّ في وصف السّواد بعدّة قصائد[3] ، وفضّل اللّون الأسود، ربما لأنه لون الشباب ،

---

(١) كقوله :

وتَلفَّتَتْ عيني ، فَمُذْ خَفِيَتْ عنها الطُّلولُ تَلفَّتَ القَلْبُ ،

ديوان الرضي ، ١ / ١٨١ .

(٢) أنظر قصيدة (لولا العيونُ النُّجْلُ) في **ديوانه** ، ٢ / ٤٨٤ . وقصيدة (قتيل العيون النجل) في المصدر نفسه ، ٢ / ٤٨٧ .

(٣) قصيدة (أذَاتَ الطَّوْقِ) في **ديوانه** ، ٢ / ٤٧٢ .
وقصيدة (ولا مِثْلُ لَيْلِي بالشّقيقةِ والهوى) ٢ / ٣١٢ .

بينما البياض لون المشيب ، وتلك نزعة غريبة في غزل الرضي ، ولعلّه تأثّر بغيره من الشعراء كابن الرومي وابن سكّرة الهاشمي الذي تعلّق بجارية سوداء ، فقال فيها ألوف الأبيات[1] .

وهناك الصورة المتناقضة بينه وبين الحبيبة ، فهي لا تعاني ما يعانيه خالية البال ، لا تشكو ولا تتألّم ، تبخل بريقها ، بينما يجود الرضي بدمه ، وغزالته ماطلة لا تفي بوعدها الا نادرا .

ويمزج في أوصافه بين المعاني البدوية والحضرية ، فالفتيات لهنّ نضرة ونعيم ، وفيهنّ بخل وتمنّع وسلبيّة تامة . وتنتشر في قصائده الرّوائح العطرة ممزوجة بروائح الشّيح ونفحات نجد. ومن العسير أن نعثر على « تجسيم » للمحبوب في قصائده ، فهو ينصرف عن الأصواف المادّية الماجنة الى الأوصاف الخلقيّة والروحيّة والنفسيّة .

ب ـ الحجازيّات :

١ ـ تركيب قصائد الحجازيات :

تبلغ « حجازيات » الرضي حوالي الأربعين قصيدة[2] ، وهي عبارة عن قصائد صغيرة بمعظمها تتراوح بين التسعة والثلاثين بيتا ، بعضها ، مؤرّخ ، وبعضها الآخر لم تذكر مناسبته ولا تاريخ انشاده ، وسنتناول بعضا من هذه المعاني لنرى المعاني التي اشتملت عليها .

أنشد الرضي قصيدة حجازية مؤلفة من واحد وعشرين بيتا مطلعها :

مَنْ مُعيدٌ لِيَ أيَّامي بِجِزْعِ السَّمُراتِ[3]

---

(١) زكي مبارك . عبقرية الشريف الرضي ، ٢ / ١٠٨ .
(٢) المرجع نفسه ٢ / ١٢٥ .
(٣) ديوان الرضي ، ١ / ٢١٧ .

ذكر فيها الحاجّات الحسان ، تلك الظباء اللّواتي يرمين الجمار مختمرات ، وعدّد فيها عددا من الأماكن الحجازية ، ثم عاد للحديث عن سرب الظبيات فلم يحسن اصطياد احدى ظبائه ، ثم شكا الشوق واستعبر من الوجد ، وتحسّر من عدم حصول اللقاء .

ثم أنشد مقطوعة من احد عشر بيتا ومطلعها :

أقولُ وقد جازَ الرِّفاقُ بِذي النَّقا ودون المطايا مَرْبخٌ وَزَرودُ[1]

ذكر فيها أيضا بعض الأمكنة الحجازية وهو في طريقه إلى العراق وتحدّث عن التفات القلب الى تلك المواضع بعد اجتيازها وعن رغبته الجامحة في العودة اليها من منتصف الطريق، كما تأوّه من مرارة الفراق وتساءل عن أثر البعد والنّوى في النفس .

وأنشد مقطوعة من تسعة أبيات مطلعها :

يا قَلْبُ . ما أنْتَ من نَجْدٍ وساكِنِهِ خَلَّفْتَ نَجداً وراء المُدْلِجِ السَّاري[2]

ذكر فيها لهفته في مرافقة الركب ، ثم أخذ يسألهم عن أخبار نجد ، وقد فاقت أرواح نجد من ثيابهم ، ماذا جرى بخميلة الطّلح ، ودار كاظمة ؟ كما ذكر غيرها من المواضع .

وفي قصيدة تقع في ثمانية وعشرين بيتا ، وهي أطول ما أنشده في الحجازيات ، ومن قصائده الشهيرة ومطلعها :

يا لَيْلَةَ السَّفْحِ ألاّ عُدْتِ ثانِيَةً سَقى زَمانَكِ هَطّالٌ مِنَ الدِّيَمِ[3]

تحدّث فيها عن الماضي السّعيد وتحسّر عليه لأنه لم يقض لبانات

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٣٩٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٥١٧ .

(٣) ديوان الرضي ، ٢ / ٢٧٣ .

فؤاده ، المعذّب ، كما تحدّث فيها عن قصة ظبية من الظباء ، نعتها بالبخل لأنها تبخل بريقها بينما يجود هو بدمه ، ثم ذكر وفاءه لها .

وفي المحرّم سنة ٣٩٥/١٠٠٤ ، أنشد الرضي أشهر قصائده الحجازية وتقع في ثمانية عشر بيتا ومطلعها :

يا ظَبْيَةَ البانِ تَرْعى في خمائِلِهِ لِيَهْنِكَ اليومَ أنَّ القَلْبَ مَرْعاكِ[1]

تحدّث فيها عن احدى الظبيات من ذي سَلَمٍ وهي في الحجاز ، التي رمته بسهم من لحاظها وهو في العراق ، وعندما تهبّ رياح الغور وتمرّ على أنفاسه يشعر برائحتها ، وهي ماطلة بوعدها كسائر ظبائه ، وهي نعيم لقلبه وعذاب له في الوقت نفسه ، ثم ذكر منى ولياليَ الخيف ، حيث يلتقي هناك كلّ ذي دَيْن وماطله ، ويجتمع المشكّو بالشّاكي .

ثم أنشد مقطوعة من اثني عشر بيتا ، مطلعها :

يا رَوْضَ ذي الأثْلِ من شَرْقيِّ كاظِمةٍ قد عاودَ القلبُ ، من ذِكْراكِ أدْيانا[2]

ذكر فيها حنينه واشتياقه الى ذي سلم ، موطن حبّه حيث انهالت دموعه تعبيرا عن حرقته ، ثم خاطب الروض لأنه يشبه ذاك الحيّ طيبا وحسنا ، وأغصانا وكثبانا ، وتحسّر على الأيام الماضية ، فقد أثار مشهد الروض أشجانه ، لأنه ذكّره بديار الأحبة ، ويبادر أصحابه يخفّفون عنه بعض الأسى ، الذي استبدّ به .

وفي قصيدة من أربعة عشر بيتا مطلعها :

وما كنتُ أدْري الحُبَّ حتّى تَعرّضَتْ عيونُ ظباءٍ بالمدينة عينِ[3]

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٤٧٤ .

(٣) ديوان الرضي ، ٢ / ٤٨٤ .

تحدّث فيها عن ظباء المدينة ذوات العيون النجل وقد فّر من سهام لحاظها لأنه لا يقوى على تحمّل نبلات العيون ، ثم تماسك وقد جنّ منه القلب أي جنون ، ولكنّ النوى كان سريعا فلم يدع له الاّ وقفة قصيرة .

وفي قصيدة تقع في اثني عشر بيتا مطلعها :

يا رَفيقَيَّ قِفا نِضْوَيكُما بين أعْلامِ النَّقا والمُنْحَنى[1]

ذكر فيها أنه قتيل العيون النجل ، وطلب من رفيقيه أن ينشدا قلبه فقد أضاعه بين جمع ومنى ، وتحدّث فيها عن وقفة له بقباء قرب المدينة حيث أجرى حديثا لذيذا أصغى اليه جبل أحد . ثم غادرته تلك السّرحة مسرعة أعجلها البين ، فمذ فارقها لم ير شيئا حسنا .

هذه القصائد والمقطوعات تجمع المعاني المتشابهة التي ردّدها الرضي في حجازيّاته ، وقد استقلّ فيها بالنّسيب فقط ، وقد أطلقها في مناسبات مختلفة ، ولكنها تدور حول معان ومواضع مشتركة في معظمها .

٢ ـ الأماكن الحجازية وما اليها في شعر الرضي :

اتّسمت حجازيات الرضي بالطابع البدوي ، فمن يقرأها تعدُ به الذكرى الى قصائد قيس وجميل ، ويتنقّل مع الرّكب الظاعنين من مكان الى آخر عبر الصحراء الواسعة ، وبين مدنها وواحاتها حيث تمّت مواعيد الغرام العفيف في تلك الأماكن الحجازية ، وما أكثرها في ديوان الرضي ، ففي مدينة الرسول أنسته ظباؤ ها ما كان يفتنه بمكّة ، حتى

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٤٨٧ .

زعم أنه لم يدر معنى الحبّ قبل أن يرى فاتنات المدينة [1] .

ثم خلّف المدينة وهو يلتفت اليها ومعه رفيقه وصديقه الوزير أبو علي الحسن بن حمد بن أبي الرّيان الذي حجّ معه وزار المدينة بصحبته سنة ١٠٠٢/٣٩٣ ، ثم ذهبا يقطعان نجدا ودليلهما كعب من بني عامر ، ولم يبق أمامه حتى يصل حدود العراق الاّ مَرْبخْ وزَرودْ [2] .

ومن الأماكن الشهيرة التي يذكرها في قصائده : مِنى والخَيْف والعذيرَان والنَّقا ، الغَوْر ، ديار ربيعة وعيلان ، نَجْد والعقيق ، سَلع وذات الشّيح ، المُصلّى والسَّفْح ، رامةَ ، وادي الأراك ، جزْعِ السَّمُرات ، تِهامة ، الأجْفَرا ألال (جبل بعرفات) ، المَأْزَمان (بين مكة ومنى) ، جَمْع (اسم للمُزْدَلِفَة) قَباء (موضع قرب المدينة) ، النُّقيْب ، الوَعْساء ، الأثْل ، العُذَيْب . . .

اذا ذكر تلك الأماكن يحنّ الى البداوة ، وتسيطر عليه مشاعر الحجّ وما يحمله من الذكريات ، فيحنّ الى الماضي ويشتاق اليه ويتحسّر على الأيام التي قضاها في تلك الديار ، فمن أجل الحبيبة يرضى بالبادية وطنا ، وقد ارتبطت تلك الأماكن بمشاعره وذكرياته ، فجبل أُحُد يُصغي للحديث ويشاركه في النّجوى .

لقد غدت تلك الأماكن محبّبة ومفضّلة لديه ، لقد أحبّ زَروُدْ لأنه

---

(١) كقوله :

وَمَا كُنْتُ أَدْري الحُبَّ حتى تَعَرَّضَتْ عُيونُ ظباءٍ بالمدينةِ عينْ

ديوان الرضي ، ٢ / ٤٨٤ .

(٢) أسماء أماكن بين الحجاز والعراق .

التقى حبيبته هناك[1] ، وكثيرا ما يتنقّل غزاله بين النّقا والمصلّى ورامة ووادي الأراك . انّه يتذكر أيامه بمنى ويتوجّع لتلك الأيام المنصرمة ، ويسائل ركب الحجيج عن هذه الأماكن وما حلّ بها ، ويسأل جيران الخَيْف ومنى عمّن حلّ بعده بتلك الديار .

ولطالما عبّر الرضي عن حنينه لمنى وليالي الخيف[2] ، وتحدّث عن الطّلول وأثرها بالنفس ، فهي مرابع الأحبّة وفيها نفحة من نفحاتهم ، فهناك معاهد الصّبوات .

انّ الطلول تبعث الأسى في النفس ، وكان التغنّي بها والوقوف عليها مسربا لبعض أحزانه النفسيّة ولآلامه الدّفينة ، لأنه يعيش التجربة مرّة ثانية من خلال التذكّر[3] .

---

(١) كقوله :

ألا غَنِيّاني بالدِّيار ، فانني أُحِبُّ زَروداً ما أَقامَ ثَراها

ديوان الرضي ، ٢ / ٥٦١ . ويعدّد الرضي في هذه القصيدة تلك الاماكن المحبّبة لديه .

(٢) كقوله :

أُحِبُّكَ ما أقامَ مِنىً وَجْمْعٌ وما أَرْسى بمكةَ أَخشْبَاها

ديوان الرضي ، ٢ / ٥٦٣ . وفي هذه القصيدة يذكر عددا من الأماكن المفضّلة لديه .

(٣) ذكر الطلول في عدد من قصائده منها :

حَيِّ الطّلول كما تُحَيِّ أَهْلَها إنَّ الطُّلولَ وأَهْلَها سِيَّانِ

المصدر نفسه ، ٢ / ٥٥٦ .

وقوله :

يا صاحِبَيْ رَحْلي : قِفا فَسائِلا لي الدِّمَنا

المصدر نفسه، ٢ / ٤٨١ .

وقوله :

ولقد مَرْرتُ على دِيارِهِمُ وطُلولُها بِيَدِ البِلى نَهْبُ =

موضوعات حجازيّاته :

ما ينطبق على غراميات الرضي بصورة عامة ينطبق أيضا على حجازياته بصفة خاصة :

١ ـ يوم البين وأثره :

تمنّى الرضي الفوز بمجاورة حبيبته في عدد من قصائده الحجازية والغزلية أيضا والوفاء لها ، ويتساءل بلهفة : تُرى هل تعود العيون النّجلاء والوجوه المشرقة ؟ وهل يجود الزمان ويعود الرضي أيضا الى تلك الديار ؟ .

كان الرضي ينتهب الفرص لتخليد هذه الذكريات ، فالعمر لا يعود ، والرضي يعيش في يومه ، وليس للمستقبل حساب في عالم حبه .

واذا أزّفت ساعة الوداع واقترب يوم البين رأيناه يتأوّه ويتحسّر على لقاء قد يكون كقوله :

فواهاً كيفَ تجمَعُنا اللَّيالي وآهاً مِنْ تَفَرُّقِنا وآهاً[1]

أضاع الرضي قلبه في الحجاز ، وليس بمستبعد أن يكون الرضي قد أحب حقيقة احدى الحجازيات ، ونرى بوضوح مدى فتنة الرضي بالحجّ ، فاذا كان الحجّاج يودّعون مكّة بالتكبير والتهليل ، فهو يودّع هذه الأمكنة بالبكاء والتحسّر ، انهُ يودّع مناسك الحجّ بالزّفرات ، ويتمنّى البقاء هناك ، واذا عاد الشاعر الى العراق ، وحان موعد الحجّ في العام

= فَوَقَفْتُ حتى ضَجَ مِنْ لَغَبٍ نِضْوي ولَّجَ بِعَذْلِي الرَّكْبُ
وَتَلَفَّتَتْ عَيْني ، فمذْ خَفِيتْ عنها الطُّلولُ تَلفَّتَ القَلْبُ
اللَّغب: التعب ، النِّضْو : البعير المهزول ، المصدر نفسه ، ١ / ١٨١ .

(١) ديوان الرضي ، ٢ / ٥٦٣ .

التالي ولم يستطع الاشتراك به تهيج أشجانه ، فيبعث ولو نظرة مع الرّكب ، أو يرسل سلاما معهم « لأنّ السّلام بعض التلاقي »[٢] .

يوم النّوى أسود وسيّء الطّالع ، إنّ موعد البين يثير أشجانه ، لأن القرب من الحبيب ساعة والبعاد سيكون مدى الدّهر ، وميعاد الدّموع يومَ السّفر ، فهو يتنفّس بالزّفرة ، ويستعبر من الوجد ، وكان القرب من الحبيبة بسرعة لمعان البرق .

انّ الخوف من الفراق كان هاجس الرضي ، فهو يكثر من التأوه والتّمني (بليت ويا حبّذا) واستعمال النداءات والنّدبة في مخاطبة الدهر ، فلعلّ الدهر يجود باللقاء .

ركّز الرضي على الدّموع الغزيرة التي يسكبها لهجران الحبيب ، والحزن والكآبة التي يعيش في جوها عند اقتراب يوم النّوى .

٢ ـ الحوار والمشاركة :

ليس في غزل الرضي وحجازياته قصص غرامي إلّا نادرا ، كما هو الحال في مغامرات عمر بن أبي ربيعة وزياراته الليليّة ، وتبادل الهوى بينه وبين عشيقاته . ففي غزل عمر تتعدّد الغواني ، ويتغزّلن به وتكثر الأسئلة والأجوبة ، ويدور الحوار بين هؤلاء الأشخاص أول بيت في القصيدة حتى آخرها .

أمّا في غزل الرضي فليس هناك الا محبوبة واحدة ، وهذه من أهمّ

---

(١) يقول الرضي :

أيّها الرّائحُ المُغِذُّ تَحَمَّلْ ... حاجةَ للمعذَّبِ المُشْتَاقِ
أقْرِ عنّي السَّلامَ أهْلَ المُصلَّ ... وبَلاغُ السَّلام بَعْضَ التَّلاقي
وابْكِ عنّي فطالما كنتُ مِنْ قَبْـ ... ـلٍ أعيرُ الدُّموعَ للعُشّاقِ

المصدر نفسه ، ٢ / ٧٩ .

مزايا الغزل العذري ، فالحبيب مخلص وفيّ في عواطفه ، يتعذّب ويتألّم ليظفر بلقاء أو بنظرة ولو من بعيد من فتاته[1] .

ليس في غزل الرضي تشبيب بالنساء ، أو تغزّل صريح مباشر ، بل هو نسيب رقيق يصوّر فيه حالته النّفسية ، ويمثّل حياء الرضي وخجله لأنه لم يصرّح عن مكنونات صدره ، بل هو يكنّي ويلمّح ويوارب ، ويغيب أثناء الحديث عن الأحباب بصيغة الجمع ، أو يتحدّث بصورة الغائب ، ويرمز الى المحبوبة بشيء من مشابهاتها ، فهي ظبية البان ، أو غزال ، أو سرحة ، أو غزّيل ، ثم يتغزّل بهذا الرّمز .

ولكنه كثيراً ما يلجأ الى التساؤ ل ، واثارة الحوار أحيانا مع مرافقيه بصيغة المثنى ، فهما اثنان دائما يشاركانه الوجد والصّبابة ويحثّانه على الصبر والتّأسّي ، وتتكرّر في قصائده لفظة (يا صاحبيّ) ، أو(يا راكبان قفا) أو (يا خليليّ) . يحاور الرضي الرّكب القادم من نجد ، ويسألهم عن أخبار نجد والحجاز ، عندما يشمّ رائحة الشّيح تنبعث من ثيابهم فتثور أشجانه .

كما يبرز عنصر المشاركة الوجدانية بين الرضي وفرسه ، فان لم يرافقه أحد من أصدقائه أودع سرّه في الهوى لفرسه ، أو لناقته التي تشاركه الحنين ، لقد أحسّت تلك الناقة بنار في ضلوعه ، فأخذت تخبّ من نار الغرام ، كما أنّ جبل أُحُد يشارك في النجوى وينصت

---

(١) كقوله :

عِديني وامْطُلي وَعْدي ، فَحَسْبي وِصالاً أَنْ أَراكِ وأَنْ تَرَيْني

ديوان الرضي ، ٢ / ٤٧٢ .

للحديث ، وطائر البان يشاركه في النّوح ، ويبعثه رسولا ليبلّغ من هام الفؤاد به .

ويبرز عنصر الغيرة في حبّ الرضي ، فهو يحسد الطّوق على جيد حبيبته ، ويغار من اللّثام اذا مرّ على فمها ، وكم غارت الرّيح منهما وهما ضجيعان .

كثيرا ما يتحسّر الرضي على شبابه ويذمّ الشيب في غزله ، ويفتح حوارا بين الغواني عن الشيب ، فيشهقن عندما يرون بياضا في مفرقه .

٣ ـ عفّة اللقاء :

لا نشهد في غزل الرضي شمّا ولا تقبيلا ، ولا ضما ولا عناقا ، لذلك فهو من أفجع الناس ، فلعلّ مركزه الدّيني والاجتماعي قد أثّر في توجيه شعره هذه الوجهة الأخلاقية الرّفيعة ، فهو عفيف يعاني الحرمان والألم ، ويكتفي بالنّظرات ويتغنّى بطيف الحبيب .

فحبّه مبني على الحرمان ، هو عاشق وقع في الشَّرَك،ولولا الشوق لما كثرت التفاتاته ، وهو ظمآن يشرب غلّته ، وان لم ير الدّيار بطرفه ، يحاول أن يراها بسمعه ، انه طريد الحسان يتعلّل بالوعد والانتظار ، وقد أذاب الأسى ماء عينيه .

كثيراً ما يتغنى الرضي في قصائده بالعفاف[1]فهو يبيت مع

---

(١) كقوله :

بِتْنا ضَجيعَيْنِ في ثَوْبَيْ هوىً وتُقىً ... يَلْفُنا الشَّوْقُ من فَرْعٍ الى قَدَمِ
وبيننا عِفَّةٌ بايَعْتُها بِيَدي ... على الوفاءِ بها والرَّعْيِ للذِّمَمِ

ديوان الرضي ، ٢ / ٢٧٤ .

حبيبته ، في ثوبي هوىً وتُقىً ، وبالرغم من ذلك لم يقض لبانات فؤاده المعذّب فلم يبق له سوى زفرة النّدم ، فالعفّة والوفاء شعاره الدائم في حبه .

كما أن حبيبته ظالمة ، ماطلة بوعودها ، لا تفي بديونها ، بخيلة لا تجود بالوصل ، وفي مضاجعته للحسناء يحول السيف بينه وبينها[1] .

وشهود الحبّ عنده : اشتياق ، أو نزاع ، أو حنين[2] ، ففي خلواته مع حبيبته يعفّ لأنّ العفاف من شيمته ، بالرغم من خلوّ المكان من الرقباء[3] .

حجازيات الرضي زاخرة بهذه المواقف العفيفة والنّبيلة ، فهو أمير الحجّ ، وقدوة للحجّاج في الورع والتّقوى .

خلاصة : مكانة الحجازيات وأثرها :

تعتبر حجازيّات الرضي أرقّ شعره وأكثره عذوبة والتصاقا بالقلوب ، ففيها رنّة من الأسى ، عاطفة وجدانية غائمة متّشحة بالحزن ، وهذا الفن من أقرب فنونه الى البساطة البدوية التي تتجلّى في

---

(١) كقوله :

تُضاجِعُني الحَسْناءُ والسَّيْفُ دونَها ... ضَجيعانِ لي والسَّيْفُ أَدْناهُما مني

المصدر نفسه ، ٢ / ٤٨٤ .

(٢) كقوله :

حبيبي هل شُهودُ الحُبِّ الاّ اشْتِياقٌ ، أو نِزاعٌ، أو حَنينُ ؟

المصدر نفسه ، ٢ / ٥٠٦ .

(٣) كقوله :

خَلَوْنا فكانَتْ عِفَّةٌ لا تَعَفُّفٌ ... وقد رُفِعَتْ في الحَيِّ عنّا المَوانِعُ

سَلوا مَضْجَعي عنّي وعَنْها، فإننا ... رَضينا بما يُخْبِرْنَ عنّا المَضاجِعُ

المصدر نفسه ، ١ / ٦٥٨ .

شعر العذريّين وعشاق الأعراب ، وهذا الشعر معرض من معارض الجمال يتغنّى بالعفاف وكثرة التأوّه ويمتاز بالوفاء للحبيبة ، فلا يرضى القلب بديلا عنها .

لقد سارت حجازّيات الرضي لرقّتها سيرورة بعيدة ، وعارض قصيدته « **يا ظبية البان ترعى في خمائله** » شعراء كثيرون[1] . وتردّدت غزليات الرضي في الأندلس ، وأعجب الناس بها هنالك ، وعارضوها أو خمّسوها[2] .

كما أعجب النّقاد القدماء بحجازيات الرضي ونسيبه ، وأشادوا برقّة شعره الغزلي[3] وجعلوا حجازيات الشريف الرضي من فرائد الشعر العربي ، فهي قصائد تفرّدت بغرائب الأحاسيس ، والشريف في هذه القصائد من فحول الابتكار والأبداع ، فهو لا يكرّر ما سبق اليه الشعراء ، وانما تتفجّر شاعريته عن معان طريفة . فالرضي في الحجازيات كأبي نواس في الخمريات[4] .

---

(١) قال الصفدي . في **الوافي بالوفيات** ، ٢ / ٣٧٨ : « سمعت القاضي شهاب الدين محمود . رحمه الله تعالى قوله : . . . ما من شاعر الا وقد عارض هذه القصيدة وليس له ديباجتها » .

(٢) يحدثنا ابن خير ان الفقيه اسحاق بن فرقد المورودي نظم مخمّسة ، خمّس فيها « **يا ظبية البان** » وأخرى خمّس فيها القصيدة المميمية المعروفة « **بليلة السفح** » ومطلعها :

يا لَيْلَةَ السَّفْحِ هَلاَّ عُدْتِ ثانيةً سَقى زَمانِكِ هَطّالٌ من الدِّيَمِ

احسان عباس . **الشريف الرضي** ، ص / ١٥٥ . نقلا عن فهرست ابن خير ص / ٤٢٤ .

(٣) من هؤلاء : ابن ابي الحديد في مقدمة **شرح نهج البلاغة** ، ١ / ١٤ . حيث يقول : « **انّ قصد الرّقة في النسيب اتى بالعجب العجاب . .** » **ويقول عنه الباخرزي في دمية القصر** ، ١ / ٢٧٣ . ٧ « واذا نسب انتسبت رقّة الهواء الى نسيبه ، وفاز بالقدح المعلى من نصيبه » .

(٤) زكي مبارك . **عبقرية الشريف الرضي** ، ٢ / ١٢٤ .

كان الرضي مجددا ومبتكرا عندما الـحّ في وصف : مواسم الحـج ، بالعديد من القصائـد ، وفي عفّته ونبله وتـرفّعه عن الابتـذال والمجون ، وفي قوّة احساسه ونبل مقصده ، وفي شجاعته في تصوير وجده ، وتأريخ هواه في الأماكن لمقدّسة ، وهو معروف بمكانته الدينيّة والاجتماعية .

الفصل الخامس
سائر أغراض الرضي الشعرية

لا تشكّل هذه الأغراض قصائد مستقلّة قائمة بذاتها ، وانما هي مقطوعات صغيرة وأبيات متفرّقة منتشرة في الديوان في افتتاحيات القصائد التي تتناول موضوعا واحدا ، أو من خلال القصائد المتعدّدة الأغراض .

وقد اعتمدنا بتسلسل هذه الفنون على الحيّز الذي تشغله في الديوان وعلى عدد الأبيات ، اذ ليس هناك من وسائل أخرى لترتيبها ، لأن معظم هذه المقطوعات أو تلك الأبيات لا يخضع لغرض بعينه ، وليست مؤرّخة وبالتالي لم تعرف المناسبات التي نظمت فيها ، لذا نجد في الديوان عبارة « وسئل القول في هذا الموضوع » تتكرّر دائما في ديوان .

وأبرز هذه الأغراض ما يلي :

أ ـ الوصف .

ب ـ بكاء الشباب وذمّ المشيب .

ج ـ العتاب والشّكوى وذمّ الزمان .

د ـ الهجاء .

هـ ـ الحكمة والمثل .

و ـ الزّهد .

أ ـ الوصف :

لقد خلا شعر الرضي من كثير من الأغراض الوصفيّة المعروفة عند شعراء الوصف ، وشعراء العصر العبّاسي خاصة : فالخمرة بمجالسها وأنواعها ، وآلاتها وندمانها وسقاتها لم تظفر من شعر الشريف الاّ بأبيات يسيرة وقد سئل القول في وصفها ، ولم يقصد ذلك . كما أن الغناء بطرائقه وآلاته لم يجد من الرضي أذنا صاغية ، والجواري والغلمان والقيان لم يهجن في الرضي شجنا ولم يسحرن لبّاً ، كذلك القصور والرّياض وأطايب الطعام ونوافح الطيب خلت منها قصائده خلوّا يكاد يكون تاما . وهكذا نتصفّح ديوان الرضي فلا نجد فيه لحضارة العباسيّين عينا ولا أثرا .

ولا شكّ أن اهمال هذه الموضوعات يعود الى مقامه الاجتماعي والديني ، فهو لا ينحدر الى وصف الدنيا وزخرفها . ومع ذلك فان ديوانه لم يعدم الشعر الوصفي ، بل اشتمل على جانب منه ، فقد وصف الأسد والذئب ، والحيّة ، والسّماء ، والسّحاب ، والليل ، والطّيف ، والبرق ، والثلج ، والقلم والسكين ، والخمر ، والورد ، والشيب ، والحج وطريقه ، والرّكب . . .

من هنا ندرك أن الرضي شاعر وصّاف ، ولكنّ هذا الفنّ لم يقصده لذاته ، فلم يخصّص له قصائد مستقلّة ، انما يقع في قصائده عن طريق الاستطراد .

ولم يكن وصفه للفنّ أو للعناية بابراز الحسّيات والمشاهد الخارجية بل يخلط الوصف بنفسه ، ويمزجه بمشاعره وخطرات قلبه ، فعندما وصف الأسد مثلا وصف نفسه ، لأنه شبّه نفسه بالأسد .

هكذا **يرى الرضي موصوفاته من خلال نفسه وأحاسيسه** . ولا

تخلو غالباً أيّ قصيدة من قصائده من أوصاف وتشابيه مختلفة ، ولم ينظم في هـذا الفن قصائـد مستقلّة ، انما نجـد في ديوانـه بعض المقـطوعـات الصغيرة التي تتألف من بضعـة أبيات يصف فيهـا موضـوعا معينـا ، كما نجد له أبياتا وصفية خلال القصائد المتعدّدة الأغراض .

استنادا الى اهميّة موصوفاته والحيّـز الذي تشغله في الـديوان ، يمكن ترتيبها ضمن مجموعات أربعة ، علما أن الموضوعات الـوصفية متـداخلة ومتشابكة ضمن القصيدة الواحدة ، وتقسيمها لتسهيل الدراسة فقط .

أمّا المجموعات الأربعة التي تتضمّن الموضوعات الوصفية فهي :

١ ـ الطبيعة الصامّتة : وتشمل الموضَوعات التالية :

ـ السماء .
ـ اللّيل والنجوم .
ـ السّحاب والبرق .
ـ الثلج في بغداد .
ـ الرّوض والزّهر .
ـ منازل النعمان في الحيرة .
ـ يوم الشّعانين .

٢ ـ الطبيعة الصّائتة :

ـ النّاقة والبعير .
ـ الأسد .
ـ الذئب .
ـ الحيّة .
ـ فراخ الحمامة .

٣ ـ الأشخاص وما اليهم :

ـ السّود الملاح .

ـ مجالس الخمرة .
ـ الرّكب .
ـ الطّعن والقتال .

٤ ـ الآلات :
ـ القلم وبلاغته .
ـ السكين .

١ ـ الطبيعة الصّامتة :

أ ـ وصف السّماء :

شبّه الرضي السماء ببطون الأُتن ، فقد رغا برعده رغاء المطايا ، بصير برمي المطر ، الذي يسقط على الرمال كالسّهام المتدافعة ، أما برقه فصوارم لامعة ، فاذا أراق الماء أشرق وأسفر عن وجهه ، ومن عبء الماء يبدو عابسا مقطّب الجبين[١] .

ثم وصف الرضي مروره في فلاة في الظلام ، فشبّه السماء بلاقة والنجوم بالمسامير[٢] .

ب ـ اللّيل والنجوم :

وصف الليل في عدد من الأبيات المتفرّقة من خلال القصائد المتعدّدة الأغراض ، ومن تلك المعاني التي ذكرها :

---

(١) خمسة أبيات افتتح فيها قصيدة متعددة الأغراض ، **ديوان الرضي** ، ١ / ١٨٧ .
(٢) مقطوعة صغيرة من أربعة أبيات ، وصف فيها السماء قائلا :
كأنَّ السّماء بها لامَةٌ وزُهْرُ النُّجومِ مساميرها
المصدر نفسه ، ١ / ٥٢٠ .

ليل كأن نجومه بياض الحصى في الأرض الصلبة (الأماعز)[1] ، كما رأى الليل سترا يستر العورات ، وخاصّة لمن يخلو بلذّاته ، والليل أعمى يضلّ الفتى ظلامه ، وكم قطع الرضي الفيافي في الليالي ، وما من رقيب عليه سوى النجم .

وقد سئل الرضي في وصف مجلس ليليّ[2] فقال :

ربّ ليل طربت فيه ، وصحوت من سكره ، من بقايا الهوى ، نجهل فيه ، والجهل في الليل وقار ، ولّما استضاء الظلام تعانق الليل والنهار . كما وصف الرضي ليلا مريض النّجم ، من صحّة الدّجى ، وقد انتشرت فيه رائحة الخزامى[3] .

وفي موضع آخر ، وصف الكواكب وهي تسرى نحو الصبح ، والليل مطيّة لها ، ورأى البدر كمرآة صديّة ، وقد هتكت النجوم قناع الدّجى[4] .

---

(١) كقوله :

خَوارجُ من ليلٍ كأنَّ نُجومَهُ بَياض الحَصى بالأمعزِ المُتراكِبِ

المصدر نفسه ، ١ / ١٨٦ .

(٢) يقول فيه :

ورُبَّ ليلٍ طَربْتُ فيه وما اسْتَرقَّتْني العُقارُ

الديوان ، ١ / ٥١٣ .

(٣) يقول فيه :

ولَيْلٍ مَريضِ النَّجْمِ مِن صِحَّةِ الدُّجى خَطَتْهُ بِنا أَيْدي الهِجانِ الأَوارِكِ

يُصافِحُهُ نَشْرُ الخُزامى ، كأنما يُمَسِّحُ أَعْطافَ الرِّماحِ السَّواهِكِ

المصدر نفسه ، ٢ / ١٠٢ ـ ١٠٣ . أبيات من قصيدة فخرية .

(٤) مقطوعة صغيرة من ثلاثة أبيات ، المصدر نفسه ، ٢ / ٥٨٥ .

ج ـ السّحاب والبرق :

وصف الرضي سحابة سارية ، رشاشها كالابر تخيّط للرياض برودا ، وعندما نثرت فرائدها جعلت من أمطارها في الرّبى قلائدا وعقودا[١] .

وفي موضع آخر شبّه الرضي السّحاب بالعسكر الذي يحطّ الرّحال كما يحطّ الركبان بالبيداء ، عَسْكَر السّحاب وسقطت دموعه فحوّل الأرض الى غدران ، فارتوى الرضي ورفاقه من ريق تلك السّارية[٢] . وفي مكان آخر ، رأى الرضي غمامة ارتمت بالغيث فسقت غليل الجدب ، فكأن أنفاس الصّبا يسفحن دموع المُزْن في الأراضي المرتفعة[٣] .

وصف الرضي برقا أضاء بنجد ، وقد استعبر ماء من زفرات الرّعد التي ارتجّت له الشّعاب ، وقد هتكه الرضي باليعملات الجرد الملثّمة باللّغام[٤] وكانت الليلة صدئة من بياض النجوم واحمرار الوقد ، وقد شبّه البياض والاحمرار بالنرجس والورد[٥] .

وفي مقطوعة صغيرة من بيتين شبّه الرضي البرق براعي العِشار

---

(١) مقطوعة من بيتين ، المصدر نفسه ، ١ / ٤١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢ /٥٠٥٢ ، أبيات من قصيدة متعددة الأغراض .

(٣) ابيات من قصيدة متعددة الأغراض ، المصدر نفسه ، ٢ / ٥١٢ .

(٤) الابل التي غطّى أفواهها الزّبد المتراكم ، افتتاحية قصيدة متعددة الأغراض .

(٥) كقوله :

بيضُ الْنجومِ وَاحْمِرارُ الوَقْدِ مِثْلُ سِمَاطَيْ نَرْجُسٍ وَوَرْدِ

ديوان الرضي ، ١ / ٣٢٧ .

الذي أحسّ بقدوم الظلام ، فساق الهجائن ، بيضا وسودا ، لأن البرق يدفع المزن كدفع الثّقال[1] .

د ـ الثلج في بغداد :

سقط الثلج في بغداد سنة ١٠٠٧/٣٩٨ ، ولم ير مثله فأنشد هذه المقطوعة[2] المؤلّفة من تسعة أبيات :

أغار الجليد على بغداد صباحا فأخنى عليها ، فأصبحت معالمها كالنوق التي كشطت جلودها ، كما شبّه بياض الثلج بلغام العيس ، وارتدت القمم والأنجاد والأودية الخمار والعمامة البيضاء . ثم خاطب الثلج قائلا : أيها الثلج الذي أمسى مكبّاً على الأقطار مهلاً فالخواطر باردات على الاحسان ، والأيدي جامدة .

هـ ـ منازل النعمان في الحيرة :

قد يمزج الرضي الوصف بالرثاء كقوله في وصف الحيرة وبكاء ملوكها السّالفين من آل المنذر بن ماء السماء . بدأ الرضي قصيدته[3] بالاستفهام والتساؤل : أين بانوك أيّتها الحيرة البيضاء ؟ والذين شقّقوا ثراك فأنبتوا العشب وأجروا الأنهار ، كانوا يدعون الضيوف ،

---

(١) ديوان الرضي ٢ /٥٥٨ .

(٢) يقول فيها :

أرى بَغْدادَ قد أَخْنى عليها ... وصَبَّحَها بغارَتِهِ الجَليدُ

المصدر نفسه ، ١ / ٤٠٦ .

(٣) كقوله :

أيْنَ بانوكَ أيُّها الحيرَةُ البَيْـ ... ـضاءُ ، والموطِئونَ مِنْكِ الدِّيارا

ديوان الرضي ، ١ / ٥٠٩ .

ويوقدون النيران ، وقد ربطوا حولك الجياد وحموا أرضك حتى لقّبت خدود العذارى[٢] .

لكن حادثات الدّهر لم تدع فيك الاّ العبر والاستعبار للعيون ، وبقايا من الطلول الدارسة التي تنقل الأخبار عن أهل الحيرة ، لكنّ العبق يفوح من ثراها ، لأنّ اهلها كرام وقد رفعوا القباب منارة في الظلام لهداية الضالين ، وقد جاورت تلك القباب النجوم ، وكان رجال الحيرة أسودا ، ولم يلبثوا فيها الاّ كركب تأنّى برهة ثم سار .

وقد مّر بالحيرة ثانية فراعه بلاؤها وخرابها ، وجاش صدره بقصيدة ثانية[٣] ، فكرّر بعض المعاني السابقة : منازل النعمان بيضاء ، وقبابها تشهد بفضل رافعيها ، وطلولها بالية لاحظّ للآذان فيها ، بل للعيون ، وقد عرف الرضي من بين آثارها مأوى القِرى ومواقد النيران .

ثم وصف منزلا بدير هند ، بالي المعالم ، فوقف يسأل تلك الأطلال عن الماضي المجيد ، وعن أسودها وغزلانها ، فاعتصر دموعه عليها ، لقد نعق الزمان بملوكها ، وجمعها ، كما حّل بآل جَفْنة الغساسنة ، وبالمدائن والايوان ، وكما حلّ بقصر ابن ذي يَزِنْ من ملوك اليمن . لقد

---

(١) كقوله :

وَحَمَوْا أَرْضَكِ الحوافِرَ حتى لَقَّبوا أَرْضَها خُدودَ العَذارى

المصدر نفسه ، ١ / ٥٠٩ .

(٢) مطلعها :

ما زلتُ أَطّرِقُ المَنازِلَ بالنَّوى حَتى نَزَلْتُ مَنازِلَ النُّعْمانِ

أنشدها الرضي عندما خرج الى الكوفة لزيارة مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعرّج الى الحيرة فطافها ونظر عجيب آثارها وبنائها ، ورأى الظباء ترتع في عراصها فقال ذلك في جمادى الأولى سنة ٣٩٢ / ١٠٠١ . المصدر نفسه ، ٢ / ٤٦٨ .

زفر الزمان عليهم فتفرّقوا عن الأوطان[1] .

و ـ الرّوض والزّهو :

وصف الرضي الرّوض على لسان بعض الناس بأبيات قليلة من جملة قصيدة متعددة الأغراض[2] وهي من أوّل قوله : رأى الروض صادياً وريّاناً ، والريح تلعب بالأوراق والأغصان ، وقد تميل الفرع كأن جذعه سكران من النشوة ، وكأن الغصن المكتسي من رياض الطلّ عريان ، وكلّما قبّل الرضي زهرة خال أنّ القطر غيران .

ثم وصف زهرة النّيلوفر المفتّح في بيتين[3] ، تلك الزهرة فتّحتها الرياح وعانقها الماء ، حتى خيّل للناظر أن النّيلوفر في الغدير ألسنة النار حمرا وزرقا .

ز ـ يوم الشّعانين :

وصف الرضي بيوت النيران يوم الشّعانين بمقطوعة من خمسة أبيات[4] . فكان هذا اليوم صقيل الوجه ، لأنه يحمل عيدا في حقائبه

---

(١) كقوله :

زَفَرَ الزَمانُ عَلَيْهِمُ ، فَتَفَرَّقوا وجَلَوْا عَنِ الأَوْطارِ وَالأَوْطانِ

ديوان الرضي ، ٢ / ٤٧١ .

(٢) مطلعها :

اسْقِني فَالْيَوْمُ نَشْوانُ والرُّبَ صادٍ وريَّانُ

المصدر نفسه ، ٢ / ٥٠٤ .

(٣) النّيلوفر : ضرب من النبات ينبت في المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق أمس يطول بحسب عمق الماء ، فاذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر . يقول عنها :

ونَيْلوفَرٍ فَتَّحَتْهُ الرِّياحُ وعانَقَهُ الماءُ صَفْواً وَرَنْقا

المصدر نفسه ، ٢ / ٨٢ .

(٤) مطلعها :

وَرُبَّ يَوْمٍ صَقيلَ الوَجْهِ تَحْسَبُهُ مُرَصَّعاً بِجِباهِ الخُرَّدِ العِينِ =

فـزاد السـرور بعـد انقضـاء الصـوم ، وحلّت الجـلابيب البيضـاء محـلّ الأثـواب السوداء لتهنيء بـالود الـدي علق بالضمـائر في هـذه المنـاسبـة البهيجة .

٢ ـ الطّبيعة الصّائتة :

أ ـ البعير والنّاقة :

وصف الـرضي البعير والنـاقة عـلى حد سـواء في ثلاث مقـطوعات صغيـرة مستقلّة ، ثم وصف الناقـة منفردة في افتتـاحية قصيـدة متعـددة الأغراض بعدّة أبيات ، أمّا المعاني التي أوردها فهي :

في مطلع القصيدة[١] ، يصف لنا ناقة سمينة رعت أعشـاب رامة ، وشربت من ماء بين نِطاعٍ والنَّقا[٢] ، لذلك فقد اكتنزت لحما وشحـما ، فهي كالسّفينة التي رفعت شراعها انها نـاقة دَرورٌ ، وقـرّها السّـير فكأنها الثّور الوحشي .

وفي مقطوعة صغيرة من ثمانية أبيات[٣] وصف الـرضي ناقـة بزلاء تلقي جرانها على خير بيت في لؤيّ بن غالب[٤] تلك الناقة لرجل اسمـه مُحَـرِّق ، نُوقُـه سمينة ، رقـابها مُنيفَـة ، بينما ابـل الرضي مـدفوعـة عن مِراحها ، يصيح بها الأعداء من كل جانب تُذاد عن الميـاه فتنشج نشـج الغرائب ، الاّ أنها تسير أمام العاصفات كرياح الصَّبا .

= ديوان الرضي ٢ /٥٠٩ .

(١) مطلعها :

غَـالَى بِهـا الـزَّائِدُ حتى ابْتـاعَهـا بـادِنَـةً قـد مـلأَتْ أَنْسـاعَهـا

ديوان الرضي ، ١ / ٦١٥ .

(٢) رامة ونطاع والنَقا : أسماء مواضع .

(٣) المصدر نفسه ، ١ / ١٨٦ ، وصف الناقة والابل بستة أبيات .

(٤) البَزْلاء : الداهية ، تُلقي جِرانَها : تَبْرُك .

ثم وصف لنا ناقة سريعة في عدّة أبيات[1] وقد سئل ذلك :

فهي شابة طويلة السّاقين (قالصة) ، تشعر بالحنين ، لعلّها تتذكّر رمل النّقا ، وتشتاق للماء البارد في ألْعَسٍ[2] مرّت كطائرة تحثو على تراب نجد من ثرى العراق ، فكأنها بعض الرياح الشديدة[3] .

وفي مقطوعة صغيرة من ثلاثة أبيات[4] ، قال في صفة بعير :

رُبّ بعير نائي السّنامين كالجيد بين حزامه وصدره ، ان ثناه الزِّمام يهدر كصوت الرّعد في الليل ، وكأن اللّغام الذي يسقط من فيه كالصوف الطائر .

ب ـ الأسد :

وصف الرضي الأسد استطرادا في ثلاث قصائد متعدّدة الأغراض .

أنشد الأولى[5] في محاربة بعض الأعداء ، ثم أتى على وصف الأسد ، وقد جاء فيها ، لا تقرّبنّ الغاب لأنّ الليث يحميه ، في مأسدة بطريقة اليمامة ، فهناك سبع يرصد الطريق يثب على فريسته متى يعاينها

---

(١) ديوان الرضي ٢ /٩٣ .

(٢) رمل النّقا وألْعس : اسماء مواضع .

(٣) كقوله :

تحثو على نجدٍ ثَرى العِراقِ كَأَنَّها بَعْضُ الهَبابِ البَاقي

ديوان الرضي ، ٢ / ٩٤ .

(٤) الصدر نفسه ، ١ / ٥٤٣ .

كقوله :

وكأنَّ اللُّغامَ يسقطُ مِنْ فيـ ـهِ هَوافي ما طَمَّ مِنْ أَوْبارِهِ

(٥) وصف الأسد بعشرة أبيات ، بدأ وصفه بقوله :

فلا تَقْربَنَّ الغابَ يَحْميه ليثُهُ وَدَعْ جانِباً وَعْراً على مَنْ يَحُلُّهُ

المصدر نفسه ، ٢ / ٢٥٧ .

لأنه قليل ادّخار الزّاد[1] ، ولا يبيت الاّ على الدم . له مخْصف (أظافر) يشقّق القلوب نصله كالرّمح ، يقدّ الأديم ، اذا جاع يوما يهجم على فريسته .

وفي الثانية[2] ، ذكر سير الليل ثم وصف الأسد استطرادا في ثمانية أبيات ، أمّا المعاني التي تعرّض لها :

ينصح الرضي رفاقه بترك جنبات الواديين ، لأنّ هناك أسدا طويل السّاعدين ، اذا ثار لا يقف أحد بطريقه ، كأن على شدقيه ثغرا وراءه أنياب صارمة ، ولا يعرف الذّل ، ولا يستطيع أحد من رفاقه أن يسلبه فريسته[3] له كل يوم غارة ، في عدوّه ، تشاركه فيها النسور القشاعم ، تتوسّد المنايا في أنيابه وهو نائم .

وفي وصفه للأسد ، كان الرضي يصف نفسه وهذا ما أشرنا اليه ، لأنه ينعت نفسه بالليث دائما[4] ، فهو يرى الأسد من خلال شعوره ونفسه .

---

(١) كقوله :

قَليلُ ادِّخارُ الزَّادِ يَعْلَمُ أَنَّهُ ... مَتى ما يُعايِنُ مَطْعَماً فهو أُكْلُهُ

المصدر نفسه ، ٢ / ٢٥٨ .

(٢) ديوان الرضي ، ٢ / ٣٦٥ .

(٣) كقوله :

فَما جَذَبَ الأقْرانُ مِنْهُ فَريسةً ... ولا عادَ يَوْماً أَنْفُهُ وهو راغِمُ

المصدر نفسه ، ٢ / ٣٦٥ .

(٤) كقوله :

وَما اللَّيْثُ الاّ مَنْ يَدَلُّ بِنَفْسِهِ ... ويمضي اذا ما بادَهَتْهُ العَظائِمُ

المصدر نفسه ، ٢ / ٣٦٦ .

وفي الثالثة وصف الأسد في تسعة ابيات[1] من قصيدة طويلة متعدّدة الأغراض ، تحدّث فيها عن رفاقه في الحرب ، ثم التفت الى قومه فعنّفهم على التنابذ والتخاصم ، وجزع من تعدد الأديان مع وحدة الوطن ، وانتهى الى وصف الأسد ، وقد توقّف عند المعاني التي تصوّر ما في الأسد من عزّة وكبرياء ، لذلك فهو يصف نفسه عندما يصف الأسد فيقول : سيرعب القوم لأن سطوته كسطوة الأسد ، فهو لا يأكل الاّ من فريسته ، كما يماشي الرفاق ليعرف مكان نزولهم ، فهو ينقضّ على أعدائه في الليلة القمراء ، ثم يجرّ صيده جذلانا .

ج ـ الذئب :

وصف الرضي الذئب ، بقصيدة مستقلّة تقع في سبعة عشر بيتا[2] .

انه ذئب قوى عارى المنكبين ، أغبر أسود ، ثوبه مقطوع ، من الليل ، يعيش متنقّلا في أطراف البلاد ، قليل النعاس ، جاثم القلب ، جائع يطارد النوم في الليل من الطّوى ، كما يطوي نفسه وينساب في ثوب الدّجى ، انّ فات شيء سمعه دلّه أنفه ، ويرى بالمسامع فأغفل عن رؤ يته بعينيه ، خبيث لئيم ، يخادع الراعي المحافظ على ضأنه بسير خفيّ ، ويستهزيء بلحاظه .

---

(١) كقوله :

سَيَرْعُبُ القَوْمَ مِنِّي سَطْوُ ذي لَبَدٍ لَهُ بِعَثَّرَ أَعْراسٌ وَوِلْدانُ

عثّر : مأسدة ، المصدر نفسه ، ٢ / ٤٥٠ .

(٢) مطلعها :

وعاري الشَّوى والمَنْكِبَيْنْ من الطَّوى أتيحَ له بالليل عاري الأشاجِعِ

الشوى : مفردها شواة : جلدة الرأس ، الأشاجع : مفردها أشْجَعْ : هي أصولَ الأصابع ، وعاري الأشاجع : كناية عن القوي : المصدر نفسه ، ١ / ٦٦١ .

يقول الرضي : لمّا عوى الذئب ، كان الرمل بيني وبينه ، عندئذ أدرك صحبي أنه غير راجع ، لكنه عاد في الظلام الينا ، تدفعه الرياح الشديدة فالويل له ، من عصيّ القوم .

ـ دلّ الرضي بهذه القصيدة على دقّة ملاحظة وخصب خيال ، لأنه أورد فيها ما يمتاز به الذئب من خَلق وخُلُق[1] .

د ـ فراخ الحمامة :

جاء في ديوان الرضي : قال يصف فراخ حمامة شاهدها ، وقد سئل ذلك[2] ، والقصيدة مستقلّة تقع في سبعة عشر بيتا ، اشتملت على معان مختلفة : افتتحها الرضي بذكر مكان في الدهناء محبّب اليه ، فهو ملقى للعيس تحط الرّحال فيه ، ترتاح فيه القافِلة ، فيفترش الحاجّ الرمال وهم بين نائم ومتعب ، ثم انتقل الى وصف فراخ الحمامة ، رأى الرضي فَتْقاً أغرّاً كصلعة الرّجال ، سمع دعاء الوُرْق فيه ، فأرقّه جرحه ، وبعث هذا الصوت الشجن في نفسه ، وهاجت به الذكريات[3] ، فتذكّر لياليه السّالفة ، وغزلانه وأيام الشباب والوصال ،

---

(١) كقوله :

طَوَى نَفَسَه وانْسابَ في شَمْلَةِ الدُّجى ... وكلُّ امْرِيء يَنْقادُ طَوْعَ المَطامِعِ
اذا فاتَ شَيءٌ سَمْعُهُ دَلَّ أنْفُهُ ... وانْ فاتَ عَيْنَيْهِ رَأى بِالمَسامِعِ

ديوان الرضي ، ١ / ٦٦١ .

(٢) مطلعها :

لَحَبَّ اليَّ بالدَّهْناءِ مَلْقى ... لأيدْي العَيْسِ واضِعةَ الرِّحالِ

المصدر نفسه ، ٢ / ٢٥٠ .

(٣) كقوله :

وَأرقّني دُعاءُ الوُرْقِ فيها ... على جُرْحٍ قريبِ الإنْدِمالِ
تُذَكِّرُنِي بِسالِفَةِ اللَيالي ... وَسالِفَةِ الغَزالَةِ والغَزالِ

المصدر نفسه ، ٢ / ٢٥١ .

ثم أخذ يقارن بين حاله وحالها ، فهي سالية ، وهو مشغول بلواعج قلبه يشكو ألم الفراق[1] .

وعاد الى الفراخ فرآها عارية صغيرة ، فهي تنتظر من الدّهر أن يكسوها ريشا ، وهي بعيدة عن عوادي الليالي وطوارق المنايا .

هكذا دأب الرضي يمزج الموصوفات بشعوره ويراها من خلال نفسه فصوت الحمامة أثار أشجانه ، فاندفع يعبّر عن خوالج نفسه واضطراب مشاعره .

هـ ـ الحيّة :

وصف الرضي الحيّة في تسعة أبيات جعلها افتتاحية لأحدى قصائده[2] ، تحدّث بمعظمها عن قصائده الهجائية ووقعها في النفس وخطرها ، فجاء وصف الحيّة عنده استطرادا على طريق التشبيه ، فأهاجيه أخطر من الحيّة[3] .

رأى الرضي صِلّ صفا ، ملعّن البُصاق ، في أنيابه السم ، كأنّ في

---

(١) كقوله :

تَبـاعُـدَ بَيْننـا مَـنْ قَيـلَ شـاكٍ ... تَعَلَّقَ بـالـغـرامِ ، وقيـلَ سـالي

ديوان الرضي ، ٢ / ٢٥١ .

(٢) جاء في ديوانه : قال في غرض من الاغراض ، ويصف الحيّة وهي ممّا قاله سنة ٣٨٩ / ٩٩٨ . ومطلعها :

نَبَّهْتَ منّي ، يـا أبـا الـغَيْـداقِ ... أَصَمَّ لا يسـمـعُ صَـوْتَ الـرَّاقي

المصدر نفسه ، ٢ / ٩٤ .

(٣) كقوله :

أَهْـدَفْـتُ لـلارْعـادِ والإبْـراقِ ... نُصْبَ مَسيـلِ العارِضِ البَعَّـاقِ

تَـرْقَـعُ عِـرْضـاً منـكَ ذا انْجِـراقِ ... كـما رَفـدْتَ الـنَّـعْـلَ بالـطِّراقِ

المصدر نفسه ، ٢ / ٩٥ .

رأسه شجّ تلقى الرجال عنده الشدائد والدّواهي، وآثاره بادية في الأرض والجبل حتى يعيق الركب عن السير السريع ، وخزته كالحديدة المسنّنة ، تحيط بالموضع الملدوغ هالة من السّم المراق ، مثل القذى لجلج في المآقي .

٣ ـ الأشخاص وما اليهم :

أ ـ السّود الملاح :

مرّ بنا[١] أنّ الرضي تغنّى بالجواري السّود بعدد من المقطوعات وجاء في الديوان أن الرضي سئل القول في وصف جارية سوداء[٢] :

نرى الرضي هنا يفضّل لون السّواد لعدّة اسباب : لأنه يذكّره بسواد ناصيته وسواد قلبه ، وعينيه ، ثالثا ، بظلام الليل وهو ستر للعيوب .

لهذه الأسباب كلها يحب الرضي السوداء ، ويبغض البيضاء ، لأن بياضها يذكره ، بالشيب ، وتلك المَها السّمراء ، ذات الطّوق[٣] التي سكنت قلبه ، فإذا نظر إليها ، رأس في وجهها سواد قلبه وسواد عينه . والواقع أنّ الرضي كان يصف على السّماع عندما يسأل ، وقد وصف الجواري السّود ومدح صفة السّواد في ثلاث مقطوعات .

ب ـ مجالس الخمرة :

لم يصف الرضي الخمرة والسّقاة ، والندمان كما فعل غيره من الشعراء لتحرّجه وتأثّمه ، نظرا لمكانته الدينية والاجتماعية ، وكان

---

(١) راجع الفصل الرابع من هذا الباب (فصل النسيب والحجازيات) ص / ٥٠٢ ـ ٥٠٣

(٢) وصفها في مقطوعتين : **ديوان الرضي** ، ١ / ٥١٤ و ٢ / ٣١٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ٤٧٢ .

وصف الخمر من أهم الفنون الشائعة في العراق وقتئذ . جاء في الديوان : أنّ الرضي سئل وصف الخمرة على لسان بعض الناس وقد وصفها ووصف مجالسها في أربع مقطوعات قصيرة ، ضمّت كل مقطوعة خمسة أبيات[1] . أما المعاني التي تناولها فهي :

الخمر بنت كرم شقراء ، يركب الراكب في سبيلها الليل والأهوال ، فهي تسببه ، وهي تارة ثانية متورّدة حمراء[2] ، تسلب العقل وتورّد الخدّين . وفي صفة مجلس شبّه الرضي نفسه بالبدر في ليلة مظلمة ، والخمر مجلّوة ، والكأس محاطة باللّثام ، فهو يتحاشى أن يخطب شمسا من المُدام[3] ، فان كان غيره يرضعها فهو مفطوم عنها .

وفي موضع آخر وصف الندامى ، فهم كالنجوم[4] أضاعوا عقولهم في الكؤوس فهم حيارى في فرحة من العمر ، فتخلّوا عن عقولهم وأذهانهم .

---

(١) الأولى في ديوانه ١ / ١٩٨ .

(٢) كقوله في الثانية :

جَلَوْنا عليه الخَمْرَ حتى تَكَشَّفَتْ ... فَواقِعُها عن لَوْنِها المُتَوَرِّدِ

ديوان الرضي ، ١ / ٣٩٣ .

(٣) كقوله :

عِفْتُ بِها الخمرَ ، وهي تُجْلى ... والكَأْسُ مَحْطوطَةُ اللِّثامِ

وجاشَ للبدرِ ، وهو وجهي ... يخطُبُ شَمساً من المُدامِ

المصدر نفسه ، ٢ / ٣٥٠ .

(٤) كقوله :

ونَدامى كالنجومِ سَطَوْا ... بالمُنى ، والدَّهْرُ جَذْلانُ

المصدر نفسه ، ٢ / ٥٠٥ .

ج ـ الرّكب :

وصف الرضي ركب الحجيج بأبيات من قصيدة متعدّدة ، الأغراض[1] ، حيث ذكر جامع الديوان أنّ الرضي نظمها سنة ١٠٠٣/٣٩٤ وهو في طريق نجد ، وقد ذكر فيها المودّة التي كانت بينه وبين الوزير أبي علي الحسن بن حمد بن أبي الرّيان ، كما وصف فيها القافلة ، والليل ، والدّليل ، والتودّد لرفيقه في السّفر .

استطرد الرضي لوصف الرّكب فذكر : مروره على القبائل ، والرّفقة النّجدية البدوية ، وتذكّر العراق واشتياقه لوطنه ، ومكابدة الأهوال ، وشدّة حرّ الهاجرة ، والتمنّي في الحصول على الماء[2] .

ثم وصف الدّليل وهو من بني كلاب ، وعدّد المواضع التي مرّوا عليها ، والطّواف حول البيت ، وزيارة الرسول وقبور الأئمة . وكان الرّكب على ظهور الأبل في طريق الحجّ .

وفي مقطوعة ثانية تقع في خمسة أبيات[3] وصف الرضي ركبا ينتهب التّرب في الظلام ، يسير على البيداء ، وقد ركبوا الخيول الدّهم .

---

(١) بدأ بوصف الرّكب قوله :

ثَمانونَ من ليلِ التَّمامِ نَجوبُها ... رَفيقَيْنِ تَكْسونا الدّياجي ثيابَها

ديوان الرضي ، ١ / ٧٣ .

(٢) كقوله :

وَهاجِرَةٍ تُلْقى شِرارَ وَقودِها ... على الرَّكْبِ أَنْعَلْنا المِطيَّ ظِرابَها

تَمَنّى الرفاقُ الوِرْدَ والرّيقُ ناضِبٌ ... فلا ريقَ الاَّ الشَّمْسُ تُلْقي لُعابَها

ظرابها : الواحد ظرب ، الحجارة الناتئة ، **ديوان الرضي** ، ١ / ٧٤ .

(٣) مطلعها :

وَرَكْبٍ تَفَرَّى بينهم قِطَعُ الدّجى ... يسيرُ على البَيْداءِ يَنْتَهِبُ التُّرْبا

المصدر نفسه ، ١ / ٢٠٠ .

ودفعوا الكرى عن عيونهم ، حتى اذا هبّ النسيم انتشر الغبار بين رحالهم .

وقد ذكر الرضي الرّكب في أبيات مفردة في عدد من القصائد المتعدّدة الأغراض [1] .

الطّعن والقتال :

تتردّد في قصائد الرضي الحماسية بشكل خاص معاني الطّعان التي تدمى النحور ، والسّمهرى فيها يخرق المهج [2] ، والنّقع يثار حوله من الجهات كلّها وقد سالت الدماء على جوانب الثّغور ، والفتية الملثّمون يسدّون القيافي اذا ركبوا للحرب والطّعان . وهم شعث المفارق ، كعوالي الرّماح ، كما أنّ العيس غرثى ، كليلة من السّير المتواصل ، وصهيل الخيول الضامرة ، يملأ الآفاق ، وعجاج المعركة يلقى السماء ، والفوارس يتزاحمون على الردى ، يشقّون قلب الظلام ، ولمعان السيوف هو الدليل .

فلا نسمع الاّ الصهيل والرّغاء والحمحمة ، وصليل السيوف ، وقراع الرّماح .

٤ ـ الآلات :

أ ـ القلم وبلاغته :

انّ احساس الشريف بخطر البلاغة قاده الى الاشادة بقوّة القلم ،

---

(١) كقوله في افتتاحية احدى القصائد :

لِمَنْ الحدوجُ تَهزُّهُنَّ الايْنُقُ والرَّكْبُ يَطْفوا في السَّراب وَيَغْرَقُ

المصدر نفسه ، ٢ / ٣٩ .

(٢) مقطوعة من ثلاثة أبيات ، ديوان الرضي ، ١ / ٦٦٣ .

وما له من السيطرة على الوجود ، وحديثه عن القلم له دلالة على اتجاهاته الذّوقية والنفسيّة ، فهو يتحدث عنه حديث المتيّم المشتاق ويكاد يتغزّل فيه وهو يجول فوق القرطاس ، وخاصة قلم الصاحب بن عبّاد :

لكَ القَلَمُ الماضي الذي لَوْ قَرَنْتَهُ بِجَريِ العَوالي كانَ أجْرى وأَجوَدا[1]

انه يحوك على القرطاس بردا ، وقد يغازل منه الخطّ عينا كحيلة ، وقد يريق الدّماء .

وعاود وصف القلم في مقطوعة من خمسة أبيات مطلعها :

لَكَ القَلَمُ الجَوَّالُ إذْ لا مُثَقَّفٌ يَجولُ ولا عَضْبٌ تُهابُ مواقِعُه[2]

فهو يجول بلسانه فوق الطّروس ، وينطق بالأسرار ، وهو أمضى من السيوف ، وأخطر من الرّماح ، يلعب دورا خطيرا في حياة الشعوب .

والشريف حين يمنح القلم هذه الأوصاف ، انما يفعل ذلك وهو يتمثّل ما صنعت الأقلام في بناء الممالك والشعوب ، ويتصوّر جناياتها على التيجان والعروش .

ب ـ السّكين :

وصف الرضي سكّينا أُهديت له بمقطوعة من خمسة أبيات مطلعها :

ومُهتَزَّةِ العِرنَيْنِ رَقْراقَةِ السَّنا تُناسِبُ مُسْتَنَّ البُروقِ اللَّوامِعِ[3]

---

(١) خمسة أبيات في وصف القلم من قصيدة مدحية للصاحب بن عبّاد، ديوان الرضي ، ١ / ٢٨٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٦٦٢ ، وفي موضع آخر وصف القلم في قصيدة متعدّدة الأغراض : (فهو أهْيَف يمطر في الطرْس ليلا أصمّ كناية عن حبره الأسود ، كما يشبّهه لخطره بالأفعوان الهائل ، وحبره كالسّم القاتل) ، المصدر نفسه ، ٢ / ٣٧٩ .

(٣) ديوان الرضي ، ١ / ٦٧١ .

أطلق عليها سلسلة من النعوت والتشابيه : فهي لامعة كالبرق ، يترقرق سناها ، تارة تشبه النجوم ، وتارة أخرى تشبه العوالي والسيوف القاطعة . انها حادّة ، أحدّ من العذّال في الهوى ، وأرهف من النّوى .

أخيرا نشير الى بعض **خصائص الرضي في وصفه** : يرى الرضي الموصوفات من خلال نفسه وشعوره ، يأتي الوصف عنده استطرادا ، فلا يقصد لذاته ـ كثيرا ما يشخّص المشهد فيمنح الحياة والوعي للأشياء الجامدة : « فالليل لافظ حشاشته » ، والغمام يبكي بدموعه ، والرياح تريق وتسفك كالانسان ، والدّجى يلد كالانسان وله طفل مثله ـ والزهرة تبخل بالوصل والبشر ، والقلم أهيف يشيب وتخضب لمّته . . . ذلك كله يدل على دقّة ملاحظة الشريف وخصوبة خياله .

ب ـ بكاء الشّباب وذمّ المشيب :

بكى الرضي شبابه وتحسّر عليه في مقطوعات صغيرة في الديوان ، وفي مطالع قصائد الفخر والمديح بشكل عام ، وقصائد النسيب والحجازيات بشكل خاص .

بكى شبابه بتفجّع ، لأنه رأى نفسه مهدّدا بالرّحيل عن فردوس الصبابة فبعدما كان عزيزا بين الظباء ، شعر بالذّل والضّيم حين رأى في فوديه طلائع البياض ، والبياض يعشق في كل موضع الاّ في الرأس ، فهو نذير الحزن والاكتئاب أمّا الموضوعات والأفكار التي تمحورت حولها تلك الأبيات فهي :

أ ـ بكاء الشباب .

ب ـ ذمّ المشيب .

١ ـ الجزع من الشّيب وتبكيره .

٢ ـ المقارنة بين لونيّ : السّواد والبياض .
٣ ـ الاقرار بالواقع والاستسلام .

أ ـ بكاء الشباب :

كثيرا ما تفجّع الرضي وتأوّه وهو يندب شبابه (واها على الشباب وعهده) فكرة تتكرّر في عدد من الأبيات :

واهاً على عَهْدِ الشَّبابِ وطيبِهِ والغَضِّ مِنْ وَرَقِ الشبابِ النَّاضِرِ
واهاً له ما كانَ غيرَ دُجُنَّةٍ قَلَصَتْ صَبابتُها كظلِّ الطائِرِ[1]

فلماذا يتحسّر الرضي على الماضي ، ويتوجّع لضياع شبابه ؟ لذلك أسباب أبرزها :

ـ أنّ دوام الهوى في استمراريّة الشباب .
ـ أيام الشباب جميلة وعذبة ، وعمر الفتى عبارة عن شبابه .
ـ زوال الشباب يعني : ذهاب الوجد والتّصابي ، وفقدان العزم والأمل والرّجاء .
ـ كان الرضي يدّخر الشباب لعظائم الأعمال ، فهو خير وسيلة للحصول على الأمجاد .
ـ تحسّر الشريف على صباه لأنه يفتقد الغواني والغزل (فلا حبّ ولا قتال) .
ـ شباب المرء ليل يستر العيوب[2]

---

(١) **ديوان الرضي** ، ١ / ٤٧٩ . قصيدة متعدّدة الأغراض أنشدها سنة ٣٨٨ / ٩٩٨ .
(٢) كقوله :
رأيتُ شَبابَ المرءِ لَيْلاً يُجَنُّهُ يُغَطِّي على بادي العُيوبِ وَيَسْتُرُ
مقطوعة صغيرة من ثلاثة أبيات ، **ديوان الرضي** ، ١ / ٥٤١ .

ـ فكرة فداء سواد الرأس ، كثيرا ما يتمّنى الرضي لو يُفْتَدى الشباب لفداه بسواد عينيه[1] .

ـ رأى الشريف جنون الشبيبة أفضل من وقار المشيب[2] .

ب ـ ذم المشيب :

١ ـ الجزع من الشّيب وتبكيره :

نزل الشيب ضيفاً ثقيلا برأس الرضي وهو في الثالثة والعشرين من عمره[3] . وغدر الشباب به فضاع منه بسرعة ، وتنفّس الشيب في رأسه .

رأى الرضي لقاء الشيب أفظع من لقاء العدوّ ، كأنّ له ثأرا عند الرضي ، فقد أوقد في رأسه نارا ، أضاءت فوق فوديه عيوبه ، لأن البياض عند الغواني من شرّ الذنوب[4] . والشّيب رسول الرّدى ، لأنه

---

(١) كقوله :

لَوْ يُفْتَدى ذاكَ السَّوادُ فَدَيْتُهُ بِسَوادِ عَيْنِي بَلْ سَوادِ ضَمائِري

المراد من سواد الضمائر : سواد عضلة القلب . المصدر نفسه ، ١ / ٤٨٠ .

(٢) كقوله :

جُنونُ شَبيبة ، وَوقارُ شَيْبٍ خُذا عنّي النُّهى ودَعا الجُنونا

المصدر نفسه ، ٢ / ٥٤٧ .

(٣) اعتقد كرنكو في **داشرة المعارف الاسلامية** ، ١٣ / ٢٨٥ ، أنّ الرضي شكا الشيب وهو في الحادية والعشرين ، وهذا خطأ ، لأن الرضي شكا منه وهو في الثالثة والعشرين ، كما جاء في مقدّمة قصيدته التي نظمها سنة ٣٨٣ / ٩٩٣ ، وسنّه يومئذ ٢٣ سنة ، ومطلعها :

عَجِلْتَ ، يا شَيْبُ على مَفْرِقي وأيُّ عُذْرٍ لكَ أنْ تَعْجَلا

ديوان الرضي ، ٢ / ٢٢٤ .

(٤) كقوله :

ما لِقائي مِن عَدُوّي كَلِقائي مِنْ مَشيبي =

ايذان برحيل العمر ، والمنيّة تهتدي بسهولة الى المشيب ، لذلك رأى الشيب نذير الموت ، وهذا هو السبب الأساسي لجزعه منه .

الشيب ذئب للآرام ، وداء تنفر منه الغواني ، ويكمن سبب شيب الرضي في الليالي والغواني .

كما أوقد النار في فوديه ، بل جرّد سيفه لمحاربته ، فهو ثقيل الحمل على الذّوائب . والمشيب يحطّ من عزيمة المرء للوصول الى المعالي ، فالرضي الآن كالقوس بلا وتر ، والثعبان بلا ناب ، والغصن العاري بلا ورق ، والغمد بلا سيف ، والخميلة بلا أزهار[1] .

الشباب هو الغنى ، بينما المشيب هو الفقر .

٢ ـ المقارنة بين السّواد والبياض :

اذا كان الشباب ليلا يستر العيوب ، فانّ الشّيب صبح يكشف العورات .

فالغزال يعشق اللون الأسود (لون الشّعر ، كناية عن الشباب) ، وينفر من البياض (المشيب) ، شبّه الرضي سواد الشعر بليل ، أو غراب أسود ، والشيب بضوء القمر ، فهو صبح مرّ كالحنظل .

رأى نهار الشيب طويلا ، وبدا ليل الشباب قصيرا .

بياض الرأس وسواد الحظّ ، فكرة تتكررّ دائماً عند الرضي ، وتلك هي نكبته الحقيقية[2] . كان الشباب دُجُنَّةً زالت بطلوع شمس

= ديوان الرضي ١ / ٥٧ .

(١) قصيدة : المَشيبُ ذَنْبٌ لا يُغْتَفَره ، **ديوان الرضي** ، ١ / ٥٢٥ .

(٢) كقوله :

أبياضُ رأس واسْودِ ادُ مَطالِبٍ ؟ صَبْراً على حُكْمِ الزّمانِ الجائِرِ

المصدر نفسه ١ / ٤٨٠ .

المشيب ، هذا الضوء الساطع سيء وغير مألوف . لقد صوّحت الشّيبة رأسه ، وكان سواده عيدا للغواني .

المشيب أكبر عاذل ، وحجّة للهاجر ، لأنّ البياض مكروه عند الغواني .

٣ ـ الاقرار بالواقع والاستسلام :

يدرك الرضي أخيرا أن البكاء على الشباب لا يفيد ، ولو شقّ عليه الجيوب ، لذلك يدعو الى انتهاب الفرص والتّملّي من التّصابي ، قبل قدوم المشيب ، فبعد سنّ الثلاثين هيهات أن تجد الصّبا ، فيذعن الرضي ويستسلم للأمر الواقع ، ويأس من البكاء على الشباب ، اذ لا مفرّ من المشيب .

يظهر الرضي شعورا متكلّفا نحو المشيب ، ويحاول اقناع نفسه بفضله ، وحسناته فيرى فيه :

ـ زاجرا وواعظا وناهيا عن اللّذات ، وثوب وقار .

ـ ما كلّ أيام المشيب مريرة ، ولا كلّ أيام الشباب جميلة وعذبة .

ـ لقد أخذ الشّيب منه الغيّ ، وأعطاه الرّشد ، وقد قوّم عوده بالنّهي .

ـ المرء قبل المشيب مهنّد صديء ، والشّيب يصقله[1] .

---

(١) أنشد الرضي سنة ٣٧٧/٩٨٧ قصيدة في مدح أبيه افتتحها بقوله :

مَسيري الى ليلِ الشَّبابِ ضَلالُ ... وشَيْبي ضِياءٌ في الوَرى وجَمالُ
سَوادٌ ، ولكنّ البياضَ سِيادَةٌ ... وليلٌ ، ولكنّ النهارَ جَلالُ
وما المَرْءُ قَبْلَ الشَّيْبِ الاّ مُهَنَّدٌ ... صديءٌ ،وشَيْبُ العارِضَينِ صِقالُ

ديوان الرضي ، ٢ / ١٢٤ .

ـ يفضّل أحيانا لون البياض (المشيب) على لون السّواد (الشّباب) فالشيب ضياء وجمال ، والبياض سيادة وجلال ، السّواد عمى ، بينما البياض بصر :

انّ السَّوادَ على لَذَّاتِهِ لَعَمَى كَما البياضُ على عِلاَّتِهِ بَصَرُ[1]

ـ وقد تعوّض بالوقار عن التّصابي ـ .

هكذا تضطرب المشاعر وتتشابك في نفسيّة الرضي ، فيغالط نفسه ، ويزعم أنّ السّواد على ما فيه من لذّات عمى ، وأنّ البياض بصر على ما فيه من علاّت . ويزعم كذلك أن الشعر الأبيض أوفى لأنه لا يفارق الرأس ، بينما الشعر الأسود غادر لأنه يهجر وطنه في الرأس ولا يرجع .

ويبالغ في تضليل نفسه ، فيرى أنه كان كالجواد البهيم ، يوم كان أسود الشعر ، ثم عاد كالجواد المحجّل منذ اختلط البياض بالسّواد .

انّ كثرة نوح الرضي على شبابه وتفجّعه عليه ، تعطينا صورة واضحة عن مشاعره الحقيقيّة ، فقد كان يرى أنّ فراق الشباب يعني فراق الأحباب ، وأنّ الدنيا كلّها تذهب بذهابه .

ج ـ العتاب والشكوى وذمّ الزمان :

كان الرضي رقيقا في عتابه ، فهو يدعو الى لمّ الشّمل والمحافظة على العلاقات الاجتماعية مهما كان نوعها . كما كانت الشكوى متنفسا له ، يبثّ فيها متاعبه وهمومه في دنيا الأقارب والأصدقاء ومحاربة الدهر له ، وانتكاس أمانيه ، فقد ناصبه الدهر العداء ، وتألّب عليه الشقيق

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٥٢٦ .

والقريب والصديق ، وابتلي بالحسّاد واللّئام الذين يضمرون له الحقد والشّر ، ويغتابونه بنار ألسنتهم ، ولم يكن حظّه بأحسن في بلاط الخلفاء والوزراء ، فقد شهد شراء المناصب وحدوث المؤامرات ، والمكائد والدّسائس ، التي تفتك بالناس ، وحلول الغدر في كثير من الأحيان ، مكان الاخلاص والوفاء .

لذلك أصيب الرضي بسلسلة من خيبات الأمل ، وفشل في تحقيق أهدافه وأمانيه ، فكثرت شكواه ، وطال تأففه وتذمّره من الزمان ، ومن جور الأيام وتقلّبها .

سندرس في هذا الفن المباحث التالية :

١ ـ تركّب قصائد العتاب والشكوى .

٢ ـ موضوعات عتابه وشكواه : وهي تتوزّع بحسب أهميّتها في الديوان :

ـ ذم الزّمان وتغيّر الأيام .

ـ غدر الأصدقاء وتقلّبهم .

ـ الشكوى من الأقارب .

ـ الشكوى ومعاتبة بعض الحكام .

ـ الشكوى من موقف المرتضى وعتابه .

ـ الشكوى من سرقة شعره وانتحاله .

٣ ـ طبيعة شكواه وأبعاد عتابه :

١ ـ تركّب قصائد العتاب والشكوى :

تتوزّع قصائد الرضي في هذا الفن على النحو التالي :

ـ في ثماني مقطوعات مستقلّة تتراوح بين (٤ ـ ١٧) بيتا . تقع الأولى في سبعة عشر بيتا ، وقد عاتب فيها الخليفة العباسي الطائع ،

وشكا من موقفه ، عندما استمال بعض أعداء الرضي ببذل المال ، فمالوا اليه ، ممّا أوغر صدر الرضي ، فعاتبه بشدّة ، واستغرب موقفه وتلوّنه ، ومطلعها .

وَنَمى اليَّ مِنَ العجائِبِ أنَّهُ لَعِبَتْ بِعَقْلِكَ حيلَةُ الخُوّانِ[1]

وتتألف الثانية من ستة عشر بيتا ، وقد عاتب فيها صديقا ، تحدّث فيها عن الوفاء والغدر ، والظاهر أن صديقه أخلف بوعده ، ولم يقرن فعله بقوله ، وقد طلب الرضي منه قضاء حاجة ، ومطلعها :

كلُّ شيءٍ من الزمانِ طَريفُ والّيالي مَغانِمٌ وحُتوفُ[2]

وتقع الثالثة في ستة عشر بيتا أيضا ، وقد كتب بها الرضي الى بعض أصدقائه ، وقد بلغه أن كلاما جرى في داره ممّا ينكره ، فعاتبهم على ذلك ، وشكا من أغتيابهم له بقوارص الكلام ، وذمّ الزمان لجوره وطغيانه ، ومطلعها :

ما رَقَّعَ الواشونَ فيَّ ولَفَّقوا قُلّ لي ، فإمّا حاسِدٌ أو مُشْفِقُ[3]

وتتألف الرابعة من خمسة عشر بيتا ، وقد أنشدها على لسان رجل سأله القول في هذا المعنى ، وفيها يهاجم شخصا كان من أصدقائه ويتوعّده وينعته بالغدر ونقض العهود ، وجنى عليه ، ومطلعها :

جَرَّعتَني غُصَصَا ، ورُحْتَ مُسلّماً فَلأسْقِيَنَّكَ مِثْلَها أضْعافا[4]

وتقع الخامسة في اثني عشر بيتا ، كتبها الى بعض أصدقائه ، تحدّث

---

(١) ديوان الرضي ، ٢ / ٥٢١ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٥ .
(٣) ديوان الرضي ، ٢ / ٨٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٤ .

فيها عن الودّ المتصنّع ، فهو وفيّ والآخرون يتصنّعون في ودادهم ، وذمّ فيها الدّهر . ومطلعها :

تَضيقُ صُدور العَتْبِ ، والعُذرُ أوْسَعُ ويَجْمَعُ طَرْفُ الهَجْرِ والوِدِّ أطْوَعُ[1]

وتتألف السادسة من تسعة أبيات ، كتبها الى بعض أصدقائه يعاتبه لأنه يتناوله بكلام قارص ومطلعها :

وَجَدَ القَريضُ الى العِتابِ سَبيلا فَثَنَى معاذِرَكَ الوُعورَ سُهولا[2]

وتتألف السابعة من خمسة أبيات ، كتبها الرضي الى صديق له وعده بوعد فأخّره عنه ، تحدث فيها عن الصدق والكذب ، وطالبه بالوفاء ، وشكا من الزمان وخطوبه . ومطلعها :

ايَّاكَ أنْ تَسْخو بِوَعْدٍ ليس عَزْمُكَ أنْ تَفِي بِه[3]

وتقع المقطوعة الثامنة في أربعة أبيات ، وقد شكا فيها من تكاثر الهموم على قلبه ، وذمّ الزمان . ومطلعها :

أقولُ ، والهمُّ زَميلُ رَحْلي ، يَعْرُقُني مِطالُهُ ويُبْلي[4] .

وفي ثلاث قصائد مستقلّة :

تتألف الأولى من خمسة وعشرين بيتا ، وقد أنشدها سنة ٣٩٥/١٠٠٤ عند خروجه الى واسط لتلقّي والده وقد عاد من فارس ، شكا فيها من قومه وأقاربه ومواقفهم المتألّبة عليه ، وهدّدهم بالرحيل

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٦٧٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٣٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ١ / ١٨٧ .
(٤) ديوان الرضي ، ٢ / ٢٥٢ .

عنهم ، بعد يـأسه منهم ، وتـوعّدهم بشعـره وقوافيـه ، وهاجم الـدهر في نهايتها . ومطلعها :

قـد قُلْتَ للنّفسِ الشّعـاعِ أضُمُّهـا كم ذا القِراعُ لكلِّ بابٍ مُصْمَتِ[1]

وتقع الثانية في ثلاثة وعشرين بيتـا ، شكا فيهـا من عدم الاهتمـام بشعـره ، وهاجم عصبـة من اللئام ، رأى نفسـه ضـائعـا بينهم ، وقـرّر الرحيل عنهم وهجرهم ، ونبذهم . ومطلعها :

سيُسّكِتُني يأسي ، وفي الصدرِ حاجَةٌ كـما أنْطَقْتَني والـرجالَ المَطامِعَ[2]

وتتـألف الثالثـة من اثني وعشرين بيتـا ، أنشدهـا في قوم يسـرقـون شعـره وينتحلونـه في بعض البـلاد فيفتضحـون بـه ويعـرف ، شكـا في مطلعها بخمسة أسطر ، وفي سائر الأبيـات تحدّث عن قصـائده وقيمتهـا وجمالها ، وهدّد بها . ومطلعها :

ألاَ مِنْ عذيري في رجالٍ تَواعَدوا لِحَربي مِنْ رامي عُقوقٍ ورامِحِ[3] .

ـ وفي أبيات مفردة في قصائد الفخر .

ـ وفي قصائد المديح في مطالعها ، أو وسطها .

ـ وفي قصائد متداخلة ومتعدّدة الأغراض ، حيث يشكو ، أو يتذمّر أو يعاتب في بعض الأبيات .

٢ ـ موضوعات عتابه وشكواه :

أ ـ ذمّ الزّمان وتغيّر الأيام :

اتّفق الزمان مـع الأصدقـاء على الغـدر ، واتّفقت الخطوب والأيـام

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٢٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٦٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ١ / ٢٦٤ .

على حربه ، فأنشبت أظافرها وأنيابها في جسمه ، فما أعظم مصاب الرّضي .

لقد أصاب الدهر مقاتله ، وضيّع آماله ، فلماذا يلوم الأصدقاء ؟ لقد غاب الحظ والأماني ، وتراكمت الهموم على صدره حتى ضاقت رحاب البلاد ، وعناد الأيام يعاكس مطالبه ، وضباب الخطوب يلفّ طريقه ، فالدنيا مليئة بالخطوب ، والرّزايا تتراكم في فجاجها وشعابها . هذه النظرة التشاؤمية وتلك الرؤيا المغبّشة من منظار شديد السّواد ، سببها فشل الآمال ، ومحاربة الأيام لطموحه ، فهو يتخبّط في خضمّ الحياة وحيدا ، دون بصيص أمل في الوصول الى مبتغاه .

والرضي يسرف في لوم الدهر وعتابه ، لأن الدهر أرسل السّهام الى صدره ، وطرده عن المياه الصافية الى الأقذاء .

هكذا يتوجّع الرضي من ظلم الدهر وجور الزمان ، فالدهر لا يعرف الانصاف ، لأنه يعطي الحظّ للّئام ، « ألا قاتل الله هذا الدّهر » . فلم يسمع ظُلامة الرضي وشكواه ، لقد صمّم على أخذ ثأره منه ، وسيصبر على الأذى ، لأن الصبر من أمضى الأسلحة لدفع الخطوب ، ومقارعة الأيام[1] .

ب ـ غدر الأصدقاء وتقلّبهم :

وخير سلاح لجأ اليه الرضي في لومه وعتابه هو شعره ، فقصائده وسيلة للعتاب ، لأنّها تحوّل الوعور الى سهول ، وتحرّك الوفاء الساكن في

---

(١) كقوله :

وأينَ مِنَ الدَّهْرِ اسْتِماعُ ظُلامَتي ... اذا نُظِرَتْ أَيّامُهُ في المَظالِمِ
سأَصْبِرُ حتى يعلَم الصبر أنّني ... ملَكْتُ بِه دَفْعَ الخطوبِ الهواجِمِ

ديوان الرضي ، ٢ / ٣٨٢ .

الصديق . ومشكلة الرضي أنه يصون الوّد ويحافظ عليه ، بينما أصدقاؤه يماطلون ويخادعون ويغتابونه ، ويشنّون عليه القول ، ويقطعون حبل الوفاء[1] لذلك سدّد لهؤلاء أسنّة قصائده ، وشهر نصولها في وجوههم ، فتلك القصائد جداول رقراقة ، وسبيل لازالة الهموم من القلوب . رأى الرضي نفسه بين عصابة من الأنام تخفي ودّها ، وتظهر حقدها[2] .

ج ـ الشكوى من الأقارب :

وكان أقارب الرضي عونا عليه مع الدّهر ، فقد شبّوا حاقدين عليه ، فكأنهم رضعوا بعضه وفطموا عليه . فهم يعرقونه بالأذى ، كما تعرق العظام ، كلّما سنحت الفرصة لهم ، وخاصة في غيابه عنهم[3] ، ولا يذكرونه بالخير الاّ في ساعات الشّدة ، وعند تعرّضهم للأذى .

وهم حسّاد يتصنّعون الودّ ، ويسعون لتثبيط عزمه عن طلب العلا ، فهؤلاء القوم « بلوى له في الشدائد وآل » لا ينقع الغلّ ، فيا ضيعة أمله فيهم ، فالرحيل عنهم أجدى وأنفع[4] ، يريد أن يرحل من

---

(١) كقوله :

ألا قَطَع الناسُ حَبْلَ الوَفاءِ ... وأُولِعَ بالغدرِ خُلاّنِيهْ

ديوان الرضي ، ٢ / ٥٨٢ .

(٢) كقوله :

وحَوْلي من هذا الأنامِ عصابةٌ ... تُوَدِّدُها يَخْفي وأَضغانُها تَبدو

المصدر نفسه ، ١ / ٣٣٣ .

(٣) كقوله :

ويعرقون . بالأذى كلّما ... لان لهم مَسّي عَرْقَ العِظامْ

ديوان الرضي ، ٢ / ٣١٥ .

(٤) كقوله :

فلأرحلنَّ رَحيلَ لا مُتَلَهِّفٍ ... لِفراقِكُمْ ، أَبْداً ولا مُتَلَفِّتِ

يا ضَيْعَةَ الأملِ الذي وَجَّهْتُهُ ... طمعاً الى الاقوامِ بل يا ضَيْعتي

المصدر نفسه ، ١ / ٢٢١ .

تلك الديار ، لقد قلّ الصديق فيها ، فلا يحسّ الودّ من أحد ، وقد لعبت به النّائبات ، كما تلعب الرياح بالغصون ، فكيف يقيم على الأذى مع معشر لا يعرفون الوفاء ، وابتعدوا عنه فلا يرى فيهم الاّ عدوّا مكاشفا ، أو صديقا مداجيا ، فصار الأقربون أضرّ الأنام ، والجيران أعدى الورى[1] .

د ـ الشكوى من بعض الحكّام ومعاتبتهم :

بالرغم من اخلاص الرضي للطائع ووفائه له ، فقد استمال الخليفة بعض أعدائه ، وقرّبهم اليه ، فعاتبه الرضي ، وشكا من فعلته التي أثارت غضبه .

لقد خدع الخليفة بأقوال هؤلاء الخائنين ، وانطلت حيلتهم عليه ، وتساءل الرضي باستهجان عن تلوّن الخلفاء[2] . فبعد أن أدمى خاطره بمديحه ، لجأ إلى خصوم الرضي وأغراهم بالمال ، وفي ختام القصيدة ينصحه الرضي ويحذّره من عواقب ما جَنَتْ يداه .

كما عاتب الرضي الوزير أبا علي الموفّق بسبب فشل عقد المصاهرة على ابنته ، فشكا الرضي من ضياع الفرصة في تحقيق آماله ، فالرضي مهيض الجناح ، تنبحه كلاب الأعداء من كلّ جانب ، والوزير يحلّق في قوادم العزّ ، فكم تمنّى أن يكون ذريعته الى العلا ، ففي يد الوزير طرق

---

(١) كقوله :

أضرُّ الأنامِ لِيَ الأقْرَبونَ وأعْدى الوَرى لِيَ جيرانِيَهْ

ديوان الرضي ، ٢/ ٥٨٢ .

(٢) كقوله :

سُبْحَانَ خالقِ كلِّ شيءٍ مُعْجِبٍ ما فِيكُمُ مِنْ كَثْرَةِ الألْوانِ

المصدر نفسه ، ١/ ٧٠ .

الوصول اليها ، فليس من الانصاف ، أن يحجب الرضي عن المعالي وأبوابها في يد الموفّق(٣) .

٣ ـ طبيعة شكواه وأبعاد عتابه :

ابتلي الرضي بنماذج من الأصدقاء تفتقر الى الاخلاص والوفاء فهي سريعة الغدر ، ماطلة بوعودها ، تلتفت الى الرضي وتقترب منه في أوقات السّراء وعند الحاجة للحصول عليها ، وتبتعد عنه وقت الشّدة ، وتتخلّى عن الصداقة ولا تحافظ على العهود .

يشكو الرضي من الودّ المتصنّع والمزيّف ، بينما يملأ الوفاء قلبه ، ويشكو من الغدر ، فهو من طبع اللّئيم المخادع ، فالحرّ لا يخدع ، ولا يغدر ولا يعرف التقلّب .

كثيرا ما يعاتب الرضي صديقه ويلومه لأنه قطع وعدا على نفسه ولم يف به ، فالكذب من عيوب الفتى ، والصدق من الفضائل ، والوفاء من شيم الرجال ، أكّد الرضي على هذه المعاني في معظم قصائده الموجهة الى أصدقائه . فالصديق الوفي عند الرضي هو من يقرن القول بالفعل ، واذا افتقد الرضي هذا النوع من الأصدقاء يحزن ويأسف ، ويهرب من واقعه ليعيش على ذكريات الماضي الجميل ويتلهف عليه :

لَهْفي على ذَاكَ الزمانِ ، وهل يثني زماناً ماضياً لَهَفُ ؟(٢)

كان عتابه رقيقا لطيفا أحيانا ، ويصبح تقريعا وتعنيفا مع الغادرين له سطوة الرياح التي تهزّ الأغصان هزّا عنيفا ، علّه يحرّك جمود المخادع ،

---

(١) كقوله :

إذا لم أرِدْ في عـزِّكُمْ طلبَ العـلا ففي عـزِّ مَن يُجْدي عـليَّ لِإبهـا

ديوان الرضي ١/ ٧٠ .

(٢) ديوان الرضي ، ٢/ ٢٣ .

ويترك اللّوم والعتاب أثرا في نفسه ، وأحيانا أخرى يتحوّل عتابه الى تهديد ووعيد بالانتقام ممّن يسيء اليه بقصائده ، فهي نبال يوجّهها الى صدور خصومه لتفضحهم ، وتنال من سمعتهم .

وعندما يستبدّ به اليأس يهدد بالرحلة والابتعاد عن هؤلاء القوم ، ويأخذ عهدا على نفسه أن لا يمدّ يده الى أحد .

شقي الرضي طويلا بآماله الكبيرة ، ولم يجد من الدّهر ، أو الأقارب والأصدقاء ، عونا له للوصول الى أهدافه ، لذلك كثر تذمّره ، وازدادت شكواه مع الأيام ، فانطوى على نفسه بسبب الغدر والخداع الذي وجده من المحيطين به ، ولأنّ الدهر ناصبه العداء ، وحطّم أحلامه وآماله .

أ ـ الشكوى من موقف المرتضى وعتابه :

واجه الرضي موقفا حرجا وصعبا عندما ساءت العلاقة بينه وبين شقيقه المرتضى ، يتوجع من موقف شقيقه ، الذي وقف مع الزمان ضد الرضي ، فبعدما كان حنونا وبارّا في النوائب[1] ، راح يشذّب من عود شقيقه ، ويعرق من نحضه ، تعرّض الرضي لقوارص الكلام والغيبة من المرتضى ، فتألم من موقف شقيقه . هذا الموقف الذي يدعو الأعداء والحسّاد للشماتة . فاذا رمي بسهام الأعداء فما عذر الشقيق ؟ ويبلغ به اليأس ، والتشاؤم ذروته بقوله :

---

(١) كقوله :

أَمْسى عَلَيَّ مع الزمانِ أخٌ ... قد كُنْتُ آمُلُ يومَهُ لِغَدِ
مَنْ كان أحْنى ، عند نائبةٍ ... مِنْ والدي وأبَرَّ مِنْ ولدي

ديوان الرضي ، ١/٣٩٧ .

فـلأجـعَـلَنَّ عُـقـوبـتي أبـداً أنْ لا أمُـدَّ يـدَا إلى أحَـدِ
فَـتَـكُـونَ أوَّلَ زَلَّـةٍ سَـبَـقَـتْ مـنّي ، وآخـرُهـا الى الأبـدِ[1]

لـذلك دعـا شقيقـه للعـودة الى المحبّـة والصفـاء . قبـل استفحـال الأمـر[2] لأنّ الرضي لا يـولغ لسـانه في دمـه ، ولا ينهش أعضاءه ، ولا يسـدّد نبال القـول الى عرضـه ، لذلـك فهو يسكت ويكتم غضبـه عـلى مضض .

ب ـ الشكوى من سرقة شعره :

شكا الرضي من قوم يسرقون شعره وينتحلونه ، فيعرف في البلاد ، ويفتضح أمرهم[3] ، هؤلاء القوم تواعدوا لحربه ، وقد غرّهم صبر المرء عـلى الأذى ، وكظمـه ، فأغـاروا على شعـره ، ولم يؤدّوه خالصـا ، بل خلّطوه بـالضعيف والعيّ من الأبيات ، فـوجه الـرضي لهم نبال القـول ويتوّعدهم قائلا : خمول الفتى خير له من ذكره بالخنا .

د ـ الهجاء :

لم يشتهر الرضي بالهجاء ، ولم يكن مكثرا فيه كباقي الفنون ، تعفّفا وتصوّفا ، وتصبّرا على الأذى من قبل خصومه ، فهو لا يـريد أن يمضـغ أعراضهم أو يكشف عن مخازيهم كقوله :

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٣٩٨ .

(٢) كقوله :

أنـاديكَ فَـارْجَـعْ مِنْ قَـريبٍ فـانّني إذا ضَاق بي ذَرْعِي مَضَيْتُ كما تَمْضِي

المصدر نفسه ، ١/ ٥٨٣ .

(٣) كقوله :

أغـاروا عـلى ذَوْدٍ مِنَ الشِّعـرِ آمنٍ تَقَـادَمَ عندي من نِتـاجِ القـرايـحِ

ديوان الرضي ، ١/ ٢٦٤ .

وانّي اذا أبْـدى العـدُوُّ سَفَـاهـةً حَبَسْتُ عَنْ العَوراءِ فَضْلَ لِسـانيا
وكنتُ اذا الْتـاثَ الصديقُ قَـطَعْتُهُ وانْ كان يوماً رائحاً كنتُ غادِيا[٢]

ولو استعرضنا بعض قصائده الهجائية لوجدناه بارعا في هذا الفنّ ، فميسم الهجاء لاذع وحادّ عنده في مخاطبة اللئام . ولكنّـه لم يكن فاحش القول ، أو سليط اللسان كغيره من شعراء الهجاء . فهو يجمع لمن يهجوه المثالب التي تبعده عن طريق العلا ، فلا يهتك الأعـراض ، ولا يتعرّض للمعـايب الجسـديّـة ، أو يلحّ عليهـا ، فـلا يؤذي النفس ، ولا يجـرح الاحسـاس بل يعبّـر عن نقمته وسخـطه حـول أعمـال فـرد ، أو سلوك جماعة لا يتّفق مع رغبات الرضي وأمانيه .

سندرس في هذا الفن المباحث التالية :

١ ـ تركيب قصيدة الهجاء عند الرضي .

٢ ـ موضوعات هجائه :

أ ـ الهجاء الخُلُقي .

ب ـ الهجاء السياسي .

ج ـ الهجاء « الكاريكاتوري » السّاخر .

٣ ـ طبيعة هجائه وأبعاده .

١ ـ تركّب قصائد الهجاء :

لا تحتّل قصائد الهجاء حيّزا كبيرا في ديـوان الرضي فهي عبـارة عن تسع مقطوعات صغيرة تتراوح بين : بيتين وثمانيـة عشر بيتـا ، أو عبارة عن عـدد من الأبيات المفـردة المتـداخلة ضمن القصـائـد الـطويلة ذات الأغراض المتعدّدة ، وخاصة في قصائد الحماسة والفخر[٢] .

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٥٨٧ .

(٢) ديوان الرضي ، أنظر القصائد : ١/٢٣٠ ، و٢/٢٥٢ ، و٢/٢٧٦ و ١/٤٠٤ .

تتألف القصيدة الأولى من : ثمانية عشر بيتا ، هجا فيها رجلا يدعى جُنْدُبا فهو حقير يضمر الشّر ، وقومه أذناب ، بخلاء ، وفي ختامها يهدّده بقوافي شعره ، التي تحزّ الجنوب . ومطلعها :

يُعاقِبُني ، وهو المُذْنِبُ لقد ذَلَّ جارُكَ يا جُنْدُبُ[1]

وتقع الثانية في ثلاثة عشر بيتا ، وهي من قديم قوله ، يهاجم فيها قوما حاقدين ، ويخصّص واحدا منهم جمع أخلاقا سيئة كضراوة الكواسر وكيد البغال ، ومطلعها :

الله يعلَمُ مَيْلي عن جَنابِكُمُ ولو تنَاهَيْتَ لي في البِرِّ واللَّطَفِ[2]

وتتألف الثالثة من ثمانية أبيات ، افتخر الرضي فيها بثلاثة أبيات ، وهاجم بسائر الأبيات رجلا رديء الأصل ، خبيثا ، حقيرا ، اذا هجاه الرضي فانه يهجو كلبا ، ومطلعها :

لَعَلَّ الدَّهرَ أَمْضى مِنْكَ غَرْبا وَأَقوى في الأمورِ يَداً وقَلباً[3]

وتقع الرابعة في سبعة أبيات ، وقد سئل في ذمّ مغنّ بارد ، قبيح الوجه ، فسخر من صوته ، ومنظره ، ومطلعها :

وَمُرَوِّعٍ لي بالسّلامِ ، كأَنَّما تَسْليمُهُ فيما يَمُضُّ وداعُ[4]

تتألف الخامسة من خمسة أبيات هجا فيها قوما لئاما ونعتهم بالخزي ومطلعها :

أبَى الله أن تَأْتي بِخَيرٍ فَتُرْتَجى فُروعُ لئامٍ قد ذَمَمْنا أُصولَها[5]

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٣٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ١/١٨٥ .
(٣) ديوان الرضي ، ١/٦٦٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ٢/٢٥٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ٢/٣٥٢ .

وتتألف السادسة من خمسة أبيات أيضا ، هجا فيها رجلا من معدّ يدعى أبا مطر ، نعته باللؤم وبرداءة الأصل ومطلعها :

أبا مطرٍ ، وجِذْمُكَ مِنْ مَعدٍّ كذاتِ العُرِّ في السَّرحِ السَّليمِ[1]

تتألف السابعة من أربعة أبيات ، هجا فيها شابا غرّا ، مخادعا ، وغادرا مطلعها :

صاحبٌ كالغِرِّ ليس أرى جِدَّهُ مِنّي ، ولا لَعِبَهُ[2]

وتقع الثامنة في ثلاثة أبيات وقد سخر فيها من رجل قبيح الصورة ومطلعها :

زَلَلْتُ مِنْ وَقْفَتي على طَلَلٍ بالٍ فمَنْ عاذري مِنَ الزَّلَلِ[3]

وفي التاسعة التي تقع في بيتين ذمّ قوماً بخلاء وأذلّة ومطلعها :

مواقِدُ نيرانِهِمْ قِرّةٌ وسِربالُ طاهيهِمُ أبْيَضُ[4]

٢ ـ موضوعات هجائه :

أ ـ الهجاء الخُلُقي :

يدور هذا النوع من الهجاء عند الرضي حول المعاني التالية : اللؤم ، البخل ، الغدر ، الجهل ، الذلّ ، الحقارة والخسّة ، وقد تتكرّر هذه المعاني بشكل أو بآخر في معظم أبيات الرضي الهجائية ومقطوعاته .

يرى الرضي اللؤم لدى بعض القوم ظاهرة شاملة ، طغت على مطيّهم ، وكلابهم ، كما ألفته مجالسهم ومرابط خيولهم ، وبيوتهم ،

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٢٠٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢/ ٢٤٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ١/ ٥٨٠ .
(٤) ديوان الرضي ، ١/ ٥٨٠ .

ومواقدهم . وبالرغم من ذلك فهم لا يعدّون اللّؤم منقصة لأنهم اعتادوا عليه[1] .

ويهجو الرضي قوما اشتهروا بالبخل والذّل ، فمواقدهم باردة ، ونيرانهم مطفأة ، وثياب طهاتهم بيضاء ، ومنازلهم مقفرة ، فاذا قصدهم المحتاج عاد خائبا[2] .

وفي بعض المقطوعات ينعت قوما بسلسلة من المخازي ، فهم غادرون ينكثون العهود والذّمم ، بخلاء يتجهّمون بوجه الضيف ، ويزعمون أنهم من أصحاب النّعم ، لئام تجلّلوا بالعار ، وتلثّموا بالمخازي[3] .

وقد ينعت الرضي خصومه باللؤم ، والجهل والبخل معا ، فاللؤم يبدو بوضوح لدى الجاهل بعكس العاقل الذي يستر بعض لؤمه ، ومن يجمع تلك المخازي فقد ابتلي بداء عضال[4] .

---

(١) كقوله :

لهُمْ مجلسٌ ما فيه للمَجدِ مَقْعَدٌ ... وَمَرْبَطُ عارٍ ما عليهِ جِيادُ
بيوتُهُمْ سود الذُّرى ، ولنارِهِمْ ... مواقِدُ بيضٌ ما بهنّ رَمَادُ

ديوان الرضي، ١/٤٠٤ .

(٢) كقوله :

مواقِدُ نيرانِهم قرّةٌ ... وسِرْبال طاهيهُم أبْيَضُ

المصدر نفسه ، ١/٥٨٠ .

(٣) كقوله :

ما بَيْنَهُمْ في المَكْرُما ... ت نِسَبٌ ولا رَحِمُ
أبا أبا لمخازي أبداً ... مُدَّرِّعٌ ومُلْتَثِمُ

المصدر نفسه ، ٢/٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

(٤) كقوله :

يُشِيعُ لَئيمُ القومِ ذو الجَهْلِ لُؤْمَهُ ... وَيَسْتُرُ بعضَ اللُّؤمِ منْ صَحِبَ العَقْلا =

وهل هناك أسوأ ممّن يقفل بابه في وجه محتاج ، أو طارق في الليل[1] أو من يتنكّر لأبسط واجبات الضيافة وحماية الجار ، أو من يمطل في وعده ، ويخون عهوده ؟ .

هذه أهمّ المعايب والمثالب التيل حاربها الرضي ، ورآها عارا في جباه خصومه .

ب ـ الهجاء السّياسي :

يدور حول هجاء بني أمية من خلال القصائد التي رثى بها الحسين بن علي بن أبي طالب ، فقد كان نكير الرضي على ما فعله بنو أميّة بالعلويّين شديدا . اتّهمهم الرضي بالانحراف عن الدين ، كما استبدلوا الرّشاد بالغِيّ ، وتسلّطوا على الخلافة ، فاغتصبوها وجعلوها بدون قيمة ومزويّة عن الناس كقوله :

انَّ الخلافةَ أصْبَحَتْ مَزْوِيّةً ... عن شِعْبِها ببياضِها وسوادِها
طمَستْ منابِرَها عُلوجُ أُميَّةٍ ... تَنْزو ذِئابُهُمُ على أعْوادِها[2] .

لقد باعوا الدّين بالضلال وأغضبوا النبيّ ، ويصل في العداوة لهم الى حدّ القذف والسّباب بقوله :

أألله ما تَنْفَكُّ في صَفحاتِها ... خموشٌ لِكَلْبٍ مِنْ أُميَّة عاقِدِ[3]

= ذُنابى قصارٌ لا يزيدونَ بَسْطَةً ... وإنْ ركبوا يوماً ظَنَنْتَهُمْ رِجْلا
ديوان الرضي ، ٢ /٢٥٣ .

(١) كقوله :
مَنازِلٌ لا يُرَجَّى عندها أمَلٌ ... على اللّيالي ، ولا يُقْضى بها وَطَرُ
ديوان الرضي ، ١ / ٥٢٨.

(٢) المصدر نفسه ١ / ٣٦٢ .

(٣) ديوان الرضي ١ / ٣٦٦ .

ويهاجم الرضي المطهّر بن عبد الله وزير عضد الدولة البويهي في أبيات متفرّقة من قصيدتين . لأنه أمر باعتقال والده ، وغمز من قناة السلطان البويهي بطريقة غير مباشرة[1] . في القصيدة الأولى : هاجم الرضي عصبة من الحكام دون تسميتهم ، فهم يرون الجور عدلا ، ويسمّون الضّلال رشادا . ثم يخاطب المطهّر ناعتا اياه بالجبن والذّل والعجز ، وكان الزمان له بالمرصاد فأذلّه لأنه كان ذئبا غادرا وظالما :

وَجَبانٍ لَوَيْتَ عنه ، فأَمْسى وجِلَ العَينِ من قِراعِ الرُّقادِ

ويخاطب أباه قائلا :

كنتَ لَيّثاً ، وكانَ ذِئْباً ولكنْ لا تَلَذُّ الأشْكالُ بالأضْداد[2]

وفي الثانية نعته بالجبن أيضا ، فهو حاقد ، وطاغ يسيطر عليه البغي ، ولا يذوذ عن حياض الدّين .

---

(١) بقوله :

يَدِلُّ بِغَيْرِ الله عِضْداً وَنَاصِراً وناصِرُكَ الرحمانُ ، والمَجْدُ عاضِدُ

ديوان الرضي ١ / ٣٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ١/٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

ج ـ الهجاء « الكاريكاتوري » السّاخر :

سئل الرضي ذمّ مغنّ بارد ، قبيح الوجه ، رديء الصوت في مقطوعة من سبعة أبيات ، ثم سخر في مقطوعة ثانية من ثلاثة أبيات من رجل قبيح الصورة .

وهاتان المقطوعتان أقرب الى الوصف الساخر ، والتصوير « الكاريكاتوري » فمعانيهما تذكّرنا بسخرية ابن الرومي في مهاجمة خصومه .

لقد جمع هذا المغني القبح من كل الجهات ، فشكله قبيح ، يغمض الناظر عينيه ، خوفا من النظر اليه و « تقيء » الأسماع عند غنائه ، فنغماته تبعث الصّداع والآلام ، ويشعر الناظر اليه بالهول والرعب . كما يقرع الأسماع بضجيجه ، حتى فضّل الرضي أصوات الضّراغم المتخاصمة على غنائه[1] .

وفي المقطوعة الثانية ركّز الرضي على قبح الشكل ، فقد خاب أمله بذلك الرجل ، فوجهه صلب كظهر المجنّ ، وأنفه كغارب الجمل[2] .

٣ ـ طبيعة هجائه :

هجاء الرضي تقليدي ، فالمعاني التي عالجها ليست مبتكرة ، فقد تطرّق اليها معظم شعراء الهجاء في الأدب العربي ، فكثيرا ما نعت العدوّ ، أو الخصم بالجبن واللؤم والبخل ، والغدر والذلّ والقبح والخداع .

ولكنّ الجديد في هجاء الرضي هو ذلك العفاف والترفّع عن

---

(١) ديوان الرضي ، ١/٦٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢/٢٤٠ .

السّباب والشّتم وهتك الأعراض ، ولم يصرّح باسم المهجو ، لذلك لا يتحرّج من رواية أهاجيه ، أو التمثّل بها .

وقد ابتكر الرضي صورا ساخرة للمهجوّ تفعل في النفس ، ويبلغ فيها ما يريد من تنفيس عن غيظه ، ويكفي أن نقدّم بعض الأمثلة :
يقارن الرضي بينه وبين خصمه قائلا :

فإنّك إنْ هَجَوْتَ هَجَوْتَ لَيثاً واني إنْ هَجَوْتُ هَجَوْتُ كلباً[1] .

صوّر لنا الرضي بيوت اللؤم والخزي بشكل ساخر ومؤثر ، فهي خيام قصيرات العماد يحسبها المرء كلابا قاعدة على أذنابها ، وقبابهم نائية من اللؤم :

خِياماً قَصيراتِ العِمادِ تَخالُها كلاباً على الأذنابِ مُقْعِيَّةً رُبْدا[2]

وفي هجاء قوم آخرين اشتهروا باللؤم والبخل رأى بيوتهم « سود الذّرى » ، و « مواقدهم بيضاء » و « حسبهم ضائع » ، و « قبابهم وِهاد » . ولو رفعت فوق الجبال فهي « مطأطئة » من اللؤم . وأيديهم جافة لا أثر للجود فيها ، حتى كلابهم اعتادت على طرد الضيوف[3] .

واللئيم عند الرضي كالبعير الأجرب في القطيع السليم ، وقومه زعانف في الأديم فلا يحسب لهم حساب[3] .
أما الحاقدون فهم يهشّون للمرء لالحاق الأذى به كما تهشّ الضّواري

---

(١) ديوان الرضي ١ / ١٨٦ .
(٢) ديوان الرضي ، ١/ ٤٠٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ١/ ٤٠٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ٢/ ٣٥٢ .

للجيف ، واذا نجا المرء منهم يعضّون أصابعهم من الأسف لضياع الفرصة[1] .

هذه الصور الساخرة تدل على عنف الرضي وايلامه في هجائه .

كان الرضي عنيفا في هجائه فهو يهدّد بالحرب والقراع ، كما يهدد بالقطيعة ، ولكنّ سلاحه القويّ الذي هدّد به باستمرار ، وأرهب به مهجوّيه هو شعره . فأشعار الرضي « بروق ورعود » ، وصواعق محرقة يقذفها في وجه أعدائه ، وهي « براثن لها أظفار » دامية تمزّق الخصوم ، ويراها « كالمِدْي تحزّ جنوب أعدائه » ، أو كالأفاعي الرّقطاء « تقطر بالنّجيع » ، وقوافيه « كأطواق الحِمام » .

انّنا نحسّ في قصائده ثورة الغضب ولذعة الهجاء ، وألم المثالب ، فهو يسدّد ، سهام القول صائبة ومؤلمة ، تعبيرا عن نقمته وثورته على الغادرين والمسيئين .

هـ ـ الحكمة والمثل :

يزدحم ديوان الشريف الرضي بكثير من الحِكم ، فقد تكثر الحكم عنده في قصيدة واحدة متعدّدة الأغراض ، كما في تعزيته لبهاء الدولة البويهيّ عن ولده أبي منصور ، ومطلعها :

كانَ قضاءُ الإلَهِ مَكْتوبا لولاكَ كان العزاءُ مَغْلوبا[2] .

أو كما في تعزيته الخليفة الطائع عن عمر بن اسحاق بن المقتدر وهي قصيدة لامّية مشحونة بالحكم والأمثال ، ومطلعها :

أيَرْجِعُ مَيْتاً رنَّةٌ وَعَويلُ ويَشْفى بأسْرابِ الدُّموعِ غَليلُ[3]

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٣٨ .

(٢) ديوان الرضي ، ١/١٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢/١٩١ .

أو كما في مدحيّته للطائع العبّاسي ، كقوله :

وما صَحْبُكَ الأدْنَوْنَ الاّ أباعِدٌ اذا قلَّ مالٌ أو نَبَتْ بكَ حالُ[1] .

وهناك حكم متناثرة في أبيات ، أو في بيت واحد ، أو في شطر واحد . وسندرس في هذا الغرض النقاط التالية :

١ ـ المعاني الحكميّة في شعر الرضي : (نرتّبها حسب أهميّتها في الديوان) معان أخلاقية مثل : الأصدقاء ، المال والغنى والفقر ، الأعداء ، الصّبر ، النّاس ، الموت ، العرض ، العيوب ، الاعتماد على النفس .

٢ ـ أمثال الرضي .

٣ ـ طبيعة حِكمه .

١ ـ المعاني الحكمّية :

أ ـ الأصدقاء :

إذا قلّ مال المرء قلّ صحبه[2] ، يكثر أصحاب الغنيّ ، كما يقلّ أصحاب الفقير ، حكمة واقعيّة يستخلصها المرء من خلال معاشرته للناس ، فالصداقة النّفعية تطغى على الصداقة المجرّدة البريئة .

وإذا أراد المرء أن يعيش سعيدا فليصاحب فتية عاقلين لا يؤمنون بالنّحس والسّعد . انّ الصديق الحقيقي كالأخ[3] ، بل كالملجأ

---

(١)ديوان الرضي ٢ / ١٢٥ .

(٢) كقوله :

إذا قلَّ مالي قَلَّ صَحْبي وإنْ نَما فلي من جميعِ الناسِ أهلٌ ومرْحَبُ

ديوان الرضي ، ١/ ٨٠ .

(٣) كقوله :

رُبَّ أخٍ لي لم تَلِدْهُ أُمي يَنْفي الأذى عنّي ، وَيَجْلو هَمّي =

الحصين ، يرجع اليه في أوقات الشدائد .

كثيرا ما يبتعد الأصحاب عن الفتى اذا قلّ ماله ، أو حلّت به مصيبة[1] ، هذا المعنى يتكرّر دائما في أبيات الرضي الحكميّة ، ولعله عانى الكثير من أصدقائه حتى توصّل الى هذه القناعة . ينصحنا الرضي بترك عتاب الصديق المخلص ، لأنّ العتاب يؤدّي الى الاتّهام ، فمن ساء ظنّا بمن يهواه فارقه وابتعد عنه[2] .

ب ـ المال والغنى والفقر :

انّ المال وديعة عند الكريم ، والبخيل الذي يخزّن الأموال ينفق من عرضه ، فمن كان همّه جمع المال وتكديسه دون انفاقه يصاب بعرضه وشرفه[3] .

لا قيمة للمال اذا لم يكسبه المرء بالطرق الشريفة وينال الثّناء عليه ، كما لا قيمة للمال اذا لم يقترن بالمجد ، فمال الذليل أو الحقير لا قيمة له[4] .

= ديوان الرضي ، ٢/٣٢٤ .

(١) كقوله :

وما صَحْبُكَ الأدْنَوْنَ إلّا أبَا عدٍّ ... إذا قَلَّ مالٌ ، أو نَبَت بكَ حالُ

المصدر نفسه ، ٢/١٢٥ .

(٢) كقوله :

مَنْ سَاءَ ظَناً بِمَنْ يَهْواهُ فَارَقَهُ ... وحرَّضَتْهُ على ابعادِهِ التُّهَمُ

المصدر نفسه ، ٢/٣٩٣ .

(٣) كقوله :

وكيفَ وفورُ العِرْضِ والمالُ وافرٌ ... ومَنْ يَخْزُنِ الأموال يُنْفِقْ مِنَ العِرْضِ

ديوان الرضي ، ١/٥٨٦ .

(٤) كقوله :

ولا مالَ إلّا ما كَسِبْتَ بِنَيْلِهِ ... ثناءً ، ولا مالٌ لِمَنْ لا لهُ مَجْدُ

المصدر نفسه ، ١/٣٣٤ .

ويرى الرضي أنّ الفقر نأي وابتعاد ، بينما الثّراء دنوّ واقتراب ، والحرص شقاء ، والقناعة غنى[1] . وفي موضع آخر يعلن أنّ الغنى عزّ ، والفقر ذل ، فالفقير منبوذ كالبعير الأجرب ، والمال سلاح فعّال يطاعن الثّريّ به أعداءه[2] .

ج ـ الأعداء :

ينصحنا الرضي بالابتعاد عن الأعداء حتى ننجو من أنيابهم وأظفارهم .

لا يخلو المرء من الأعداء فهم ينبتون مع الدّهر ، ومهما حاول المرء اتّقاء سهام أعدائه ، فقد تصيبه من حيث لا يدري[3] ، وكلام الأعداء نبال مؤلمة .

د ـ الصّبر :

انّ الفائز من صبر ، والصّبر الجميل يكون عند اشتداد البلاء ، لأنّ الوجد لا يزول بعبرة ، والعزاء الحسن يكون بحسن استخدام العقل الى جانب الصبر ، فالصبر سلاح فعّال في الشّدائد[4] .

---

(١) كقوله :

الفَقْرُ يُنْئي ، والثَّراءُ يُدْنِي ... والحِرْصُ يُشْقي ، والقُنوعُ يُغْني

ديوان الرضي ٢ / ٥٣٢ .

(٢) كقوله :

وأرَى الغَنيَّ مُطاعِناً بثرائه ... أعْداءَهُ والمالُ قِرنٌ غالِبُ

المصدر نفسه ، ١/ ٨٥ .

(٣) كقوله :

ولا تبر منهم كلَّ عودٍ تخافُهُ ... فإنّ الأعاديَ يَنْبِتون مع الدَّهرِ

وَهَبْكَ اتّقَيْتَ السَّهْمَ من حيثُ يُتَّقَى ... فَمَنْ لِيدٍ تَرْميكَ من حيث لا تَدْري

المصدر نفسه ، ١/ ٥٣٠ .

(٤) كقوله :

فأمّا ولا وَجْدٌ يزولُ بِعَبرَةٍ ... فَصَبْرُ الفَتى ، عِندَ البَلاءِ ، جَميلُ =

وينصحنا الرضي بالصبر عند اشتداد الألم ، فلا نقطع العضو المؤلم على مضض ، لكي لا نفقد اللّحم والدّم ، وقد يصبر المرء على آلامه ويظهر الابتسام ، وان كانت الجروح عميقة ، فنهاية الشيء جميلة أو قبيحة(١) .

هـ ـ الناس :

النّاس على دين الملك(٢) ، حكمة شائعة ، فالناس يسبّحون بحمد الملك ، ولا يجرؤ ن عليه ان كان قويا وعنيفا .

كما أنّ الناس أُسْدٌ تحامي عن فرائسها ، والمرء في دفاعه عن حقّه ، أمّا أن يَعْقِرْ غيره ، أو يعقره الآخرون(٣) .

و ـ الموت :

كثير ما تفلسف الرضي حول الحياة والموت ، خاصة في قصائد الرثاء . فالفناء غاية النّاس كما الذّبول غاية الغصون ، والعمر قصير ، والزمان قليل ، والقبور هي المساكن .

عارض الرضي المتنبي في بيت حكمي مميّز بقوله :

= ديوان الرضي ، ٢/١٩٣ .

(١) كقوله :

ولكلِّ شيء آخر إمّا جميلٌ أو قبيحُ

المصدر نفسه ، ١/٢٦٢ .

(٢) كقوله :

أبْتَغِي عَدْلَ زمانٍ قاسِطٍ إنّما النّاسُ على دينِ المَلِكْ

المصدر نفسه : ٢/١١٣ .

(٣) كقوله :

والنّاسُ أسْدٌ تُحامي عن فرائسِها إمّا عَقَرْتَ ، وإمّا كنتَ مَعْقوراً

المصدر نفسه ، ١/٥٢٥ .

يَنـالُ الفَتى مِنْ دَهْـرِهِ قَـدْرَ نَفْسِـهِ وتأتي على قَدْرِ الرِّجالِ المكايِدُ[1] .

كما يحاكي السّموأل ، كقوله :

اذا لَمْ يَكُنْ عَقْلُ الفَتى عوْنَ صَبْرِهِ فَلَيْسَ الى حُسْنِ العـزاءِ سَبيـلُ[2]

ز ـ العِرْض :

يقول الرضي : عرض الفتى وشرفـه خير عضـو فيه ، فقـد يصاب بكلام الأعداء[3] ، ومن يخزّن الأموال ينفق من عرضه .

ح ـ العيوب :

يعمى الفتى عن عيوبه ، ويـرى عيوب غيـره ، ويبرزهـا سريعـا ، والعليل يرمي الناس بالعلل[4] .

ط ـ الاعتماد على النفس :

يدعو الرضي الى الاعتماد على النفس ، لأن التّواكل والاعتماد على

---

(١) يقول المتنبي :

على قَدر أهـل العزمِ تَـأتي العَزائِمُ وتَـأتي عـلى قَـدْرِ الكِـرامِ المَكـارِمُ

أنظر قصيدَة الرَضي في ديوانه ، ٣٠٦/١ .

(٢) بيت السموأل هو :

وإنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلى النَّفْس ضَيْمَها فـليس إلى حُسْـنِ الثَّنَـاءِ سَبيـلُ

أنظر قصيدة الرضي في ديوانه ، ١٩٢/٢ .

(٣) كقوله :

وما العِرْضُ إلّا خيرُ عُضْو مِنَ الفَتى يُصـابُ ، وأقْـوَالُ العُـداةِ نِبـالُ

ديوان الرضي ، ١٢٥/٢ .

(٤) كقوله :

ولا تُـطيعنَّ فيـهِ قَـوْلَ حـاسِـدِةٍ إنَّ العَليـلَ لَيَرْمِي النَّـاسَ بـالعِلَلِ

المصدر نفسه ، ١٣١/٢ .

الآخرين ، يؤدّيان الى الاهمال والتّواني[1] .

٢ ـ أمثال الرضيّ :

أمّا الأمثال فقد جاءت قليلة ، فهي تقع في شطر بيت لأنها قصيرة وموجزة ، وقد أورد الرضي بضعة أمثال نذكرها مع معانيها ، ومناسباتها :

وَعَدْتَ يا دَهْرُ شَيئاً بِتُّ أَرْقُبُهُ وما أرى مِنْكَ الاّ وَعْدَ عُرْقوبِ[2]

مثل يضرب باخلاف الوعد :

وَمَنْ رَجَمَ السَّماءَ ، فلا عَجيبٌ يُقالُ : حَثا بِوجهِ البَدرِ تُربا[3]

مثل يقال لمن يرجم السّماء .

تَأْمُرني بالصَّبرِ ، هَيْهاتَ لَقَدْ هَانَ على الأَمْلَسِ ما لاَقى الدَّبِرْ[4]

مثل يضرب في استخفاف السّليم بشدّة المصاب .

يَسْتَبْدِلونَ بِيَ الأَبْدال مُعْجِزةً مَنْ يَرْضَ بالعَيْرِ يَهْجُرْ كاهِلَ الفَرَسِ[5]

مثل يضرب لمن اعتاد على أمر ولا يغيّره .

في كلّ يَوْمٍ جَدِيدٌ مِنْ صَنائِعِهِ اليَّ ، لاَ نَاقَتي فيها ولا جَمَلي[6]

---

(١) كقوله :

قَطَعَ الهُوَيْنا ، واسْتَمَرَّ وإنَّما بَعْضُ التَّوَكُّلِ في الأمور توانِ

ديوان الرضي ، ٥١٨/٢ ..

(٢) كان عرقوب رجلاً من العماليق ، عُرف باخلاف الوعد ، وضرب به المثل في ذلك . المصدر نفسه ، ٦١/١ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٨٦/١ .

(٤) الأملس : سليم الظّهر . الدّبر : المعقور . المصدر نفسه ، ٥٤٢/١ .

(٥) العَيْر : الحمار . المصدر نفسه : ٥٥٨/١ .

(٦) ديوان الرضي ، ١٤٣/٢ .

مثل يضرب في أمر لا يعني الانسان :

لا تَغْرُرَنَّكَ مِن عَدُ وِكَ رَمْيَةٌ مِنْ غَيرِ رامِ[1]

مثل يضرب في الحصول على شيء بدون تعب :

وحَال الأذى بَيْنَ المُرادِ وبَينَهُ كم حِيلَ بَيْنَ العَيْر والنَّزَوانِ[2]

مثل يضرب للعاجز عن أمر ما .

٣ ـ طبيعة حكمه :

تمثّل حكم الرضي دستورا في الأخلاق وحسن التصّرف ، وهي وليدة التّجارب الشخصيّة ، استخلصها الرضي نتيجة علاقاته الاجتماعية ، وقد أبان فيها عن معرفة بطبائع الرّجال ، وحرص على الصورة المثلى للمجتمع ، وتدور بمعظمها حول : معالجة اعوجاج الأصدقاء وسلوكهم ، المال ودوره ، البخل ، العرض ، الترفّع والشّرف ، الدّهر والصبر .

هذه نظرات خاصة في الحياة يقدّمها الرضي كمواعظ ونصائح للسّاسة ، أو لعامة الناس حتى تستقيم الحياة على وجهها . وقد سارت هذه الأبيات مسير الأمثال ، وحفظت ، ولكنها لم تشتهر شهرة غيرها من شعراء الحكمة والمثل كالمتنبي مثلا ، لأنها تأتي عند الرضي عفوا دون أن يقصدها ، أو يتعمّدها فهي فلتات خواطر يرسلها كلّما دعت الحاجة اليها حسب الظروف ، يتمثّل بها للعبرة ، أو لاسداء النّصيحة لغيره .

---

(١) ديوان الرضي ٢ / ٣٤٨ .

(٢) العير : الحمار النّزوان : الوثوب .

المصدر نفسه ، ٢/ ٤٩٩ .

وليس الرضي بالمتفرّد بنظم هـذه الحكم والآداب والأمثال ، ولكنّـه مكثر في حكمه ، فقد ذكر لـه زكي مبارك مئـة واثنين وثمـانين بيتـا بين مقطوعة من أربعة أبيات[1] ، أو بيتين ، أو حكمة تقـع في بيت واحد ، أو في شطر واحد منه[2] .

و ـ الزهد :

للرضي مقـطوعات زهـديّة ، ينـذر فيها النـاس بـالآخـرة ، ويـذمّ الدنيا ، ويدعو الى عدم الاستسلام لشهواتها ، ويشكر الله على نعمـه ، وهـو في هذا كلّه لا يعبّـر عن فلسفة خـاصـة لهـا منهـاجهـا ، وانمـا هي شذرات متفرّقة وخواطر أقرب الى الحكمة والموعظة .

وسندرس في هذا الغرض المباحث التالية :

١ ـ تركّب قصائد الزهد .

٢ ـ المعاني الزّهدية .

٣ ـ طبيعة زهده .

١ ـ تركّب قصائد الزهد :

أنشد الرضيّ ستّ مقطوعات زهديّة تتراوح بين بيتين وثلاثة عشـر

---

(١) كما في مخاطبته للوزير أبي العبّاس عيسى بن ماسـرجس لما بـذله الـوزير من الـدّنانـير الكثيرة حتّى قلّد الوزارة :

إشْـتَرِ الـعِـزَّ بِمـا بِـيـ ـع فـما الـعِـزُّ بِـغـالِ

ديوان الرضي ، ٢/٢٤٤ .

(٢) يرى زكي مبارك أن الرضي أشعر من المتنبي في هـذه الناحيـة ، لأن هذا الأخـير كان يقصد إلى الحكمة قصداً ويتعمّدها وهو متكلّف ، أمـا الرضي فكـانت الحكمة تسبق إلى خاطره من فيض السجيّة والطّبع ، فيرسلها عفواً بلا تصنّع ولا اعتساف .

عبقرية الشريف الرضي ، ١/٢٤ .

بيتا ، وقصيدة واحدة تتألف من ستة وعشرين بيتا ، قدّم لها جامع الديوان بهذه العبارة : قال يذمّ الزمان وأهله في العيش ، في المحرّم سنة ١٠٠١/٣٩٢ ، ومطلعها :

أَتَـذْهَـلُ بعـد انْـذارِ المنـايـا وَقَبْـلَ النَّـزْعِ أنْبضَتِ الحنـايـا[١]

أمّا القصيدة الأولى فتتألف من ثلاثة عشر بيتا ومطلعها :

وقَـفْنـا لـهـم مـنْ وَراءِ الخُـطو بِ نُـطالِعُهُمْ من خَصاصـاتِهـا[٢]

وتتألف الثانية من ثلاثة عشر بيتا أيضا ومطلعها :

يـا آمِنِ الأقْـدارِ بـادِرْ صَـرْفَهـا واعْلَم بـأنَّ الـطالبـينَ حِثـاثُ[٣]

وتقع الثالثة في خمسة أبيات ومطلعها :

تَـرَكَ الـدُّنـيـا لـطالـبِـهـا وَرَضِيَ بـالـدُّونِ مُقْـتَصِـدا[٤]

تتألف الرابعة من خمسة أبيات أيضا ومطلعها :

قُل للهَوامِلِ في الدُّنـا : ما بالُكُم كـالنَّـائِمـينَ ، وأَنْتُمُ أيْقـاظُ[٥]

وتتألف الخامسة من أربعة أبيات تدور حول حتميّة الموت وضرورة التّسليم لله ومطلعها :

انْ أشِـرَ الخَـطْبُ فَـلا رَوْعَـةٌ ، أو عَـظُمَ الأمْرُ ، فَصَبْـرٌ جَميـلُ[٦]

---

(١) ديوان الرضي ، ٢/٥٧٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ١/٢٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ١/٢٢٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ١/٣٨٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ١/٥٩٧ .
(٦) المصدر نفسه ، ٢/٢٢٠ .

وتقع السادسة في بيتين وتدور حول ذمّ الدنيا ومطلعها :

إنّي اذا حَـلَبَ البَـخـيـلُ لِـبـانها أَمْسَيـتُ أحْلِبُـهـا دَمَ الأوْداجِ [1]

٢ ـ المعاني الزّهدية :

حياة الانسان قصيرة والدنيا تغرى المرء عندما تقبل عليه ، فعليه أن لا يثق بها ، أو يطمئنّ اليها ، ويتعجّب الرضي من الرجال الذين يتمسّكون بحبالها وقد كنزوا الكنوز ، ألا فليعلم هؤلاء انّ خير الزّاد ، التّقوى ، وأن الأجداث هي الدّيار[2] . ويحذّر الرضي المقبلين على الدنيا ، لأنهم نائمون غير منتبهين ، فأين الجبابرة الذين تنافسوا على السّيادة والعظمة لقد ذهبوا كلمح البصر ، فلو تأمل الانسان بحوادث الزمان لاتّعظ وأدرك أنّ العمر قصير ، وأن الزمن يمر بسرعة .

وكثيرا ما يدعو الرضي الى النّفور من الدنيا وتركها ، وعدم التّعلقّ بأثوابها وبهرجها وزخرفها ، فهو يراها امرأة كثيرة الأزواج .

خَـطَبْتِنِيَ الدُّنيـا فقلتُ لَها ارْجِعي انّي أراكِ كثـيـرةَ الأزْواجِ [3] .

كل يطمع بها ، فلمّا خطبته نفر منها وطلّقها[4] .

---

(١) ديوان الرضي ١ / ٢٣٩ .

(٢) كقوله :

إنّي لأعْجَبُ مِنْ رِجـالٍ أمْسكـوا بِحَبـائِلِ الـدُّنيـا ، وهُنَّ رِثـاثُ
أتُـرَاهُـمُ لَمْ يـلـمـوا أنَّ التُّـقى أزْوادُنـا ، وديـارُنـا الأجْـداثُ

ديوان الرضي ، ١/ ٢٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ١/ ٢٣٩ .

(٤) كثيراً ما تتردد في قصائد الرضي الزهديّة فكرة طلاق الدنيا كقوله :

مالي ، إلى الدنيا الغَرورة ، حـاجةٌ فَلْيَخْـزَ سـاحـرُ كَيْـدِهـا النَّفّـاثُ
طَـلَّقْـتُـهـا ألْـفـاً لأحْسِمَ دَاءَها وطـلاقُ مَنْ عـزَمَ الـطَّلاقَ ثـلاثُ =

كما يدعو الرضي الى القناعة ونبذ الأطماع ، والاعتماد على الله ، وعلى الانسان أن يهيء لغده ، وينشد الله في أعماله كلّها ، فهو الواحد الأحد ، الذي يجب ان نستخبره ، ونسلّم أمرنا اليه ، فهو حسبنا ، وهو نعم الوكيل[1] .

واذا دنا الموت فلا تنفع الأموال والبيوت وكثرة الأبناء والأقرباء ، ويفضّل الرضي هاجر الدنيا ولو نعت بالغباوة على كيد الفواجر والبغايا :

غَبَاوةُ هاجِرِ الدُّنيا ، وكَيْدُ ، ولا كَيْدُ الفَواجِرِ والبَغايا[2] .

ويكثر الرضي من التساؤ ل والاستفهام في أبياته الزهدية ، ليحثّ المرء على الزهد ، وترك الشهوات ، فهو يخاطب الانسان قائلاً : أترجو الخلد في دار الفناء ؟ أم تغلق دون ريب المنون الأبواب ؟ ويتابع الرضي استفهامه ناصحاً محذّرا من عواقب الدنيا ، لأنها تغرّ المرء بكيدها فينسى المنيّة في خضمّ الأماني .

الموت حتمي على كل نفس ، فهو يغزو بجيشه كل يوم ، ولا يرضى بالفداء ، أو بالأسرى والسّبايا :

مُغيرٌ لا يُفادى بالأسَارَى ، وسابٍ لا يَمُنُّ على السَّبايا[3]

= ديوان الرضي ١ / ٢٢٨ .
كما ذكر فكرة الطلاق هذه مهيار الدّيلمي في رثائه للرضي كقوله : أنْعَاك للدُّنيا التي طَلَّقْتَها . . .

(١) كقوله :
إنّا إلى الله ، وإنّا لهُ ، وحَسْبُنا الله ، ونِعمَ الوَكيلُ
ديوان الرضي ، ٢/ ٢٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢/ ٥٧٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢/ ٥٧٨ .

كما أنّ الدهر يحدو المرء بالنّائبات كما تحدى الابل ، ويتعجّب الرضي من اقبال الحظّ على المتعمّمين بالمخازي ، ومن صدوده عن الشرفاء والزاهدين في العيش ، فهو يسفّ عمّن يطير الى المعالي ، ويطير بمن يسفّ الى الدّنايا[1] .

٣ ـ طبيعة زهده :

لم يكن زهد الرضي زهد المحروم من متع الحياة ولذّاتها ، فهو قادر على التّمتع بالشهوات ، وتأمين رغباته واشباع ميوله ونزواته كلّها ، ولكنه كبح جماح نفسه ، ولم يرتكب اثما ، بل آثر العفّة والورع والتّمسك بقوانين الدين الصارمة ، صونا لكرامته ، وحفاظا على مكانته الدينيّة والاجتماعية ، فنحن نصدّق قوله :

« خَطَبَتْني الدُّنيا فَقُلْتُ تَراجعِي » ، وقوله : « طَلَّقتُها ألفاً لأحْسِمَ داءَها » لأنّ الزاهد الحقيقي هو الذي يتعفّف عن المحرّمات والمآثم ، وبمقدوره أن يتمتّع بها .

هكذا كان الرضي ، فقد مر بنا أنّ جدّه علي بن أبي طالب كان مثاله الأعلى ، وهو شيخ الزّاهدين فتأثر الرضي به وبسلوكه العام ، لذلك أكثر من مهاجمة الدنيا في شعره ، ودعا الى الفرار من كيدها

* * *

---

(١) كقوله :

ومِن عَجَبٍ صُدودُ الحَظِّ عنّا ... إلى المُتَعَمِّمينَ على الخَزَايا
أسفَّ بِمَنْ يَطيرُ ألى المَعالي ... وَطَارَ بِمَنْ يُسِفُّ إلى الدَّنايا

ديوان الرضي ٢ / ٥٧٨ .

وسحـرهـا ، فقـد « طلّقهـا » لأنها أم المصـائب ، ولكي يتخلص من اغرائها ، لأنه رآها غانية فهرب منها ، وحذّر من الوقوع في شنباكها .

كـان شعز الـرضي الزّهـدي نابعـا من بيئته ، ومن اتجـاهه الـديني والأخلاقي ، وتعبيرا عن تمسّكه بالعفاف والتّقوى .

الخاتمة

شارك الرضي في الأمور السياسيّة في عصره ، فسعى الى اقامة علاقات متينة مع خلفاء بني العبّاس ـ وخاصة الطائع لله ـ ومع ملوك بني بويه ـ وخاصة بهاء الدولة ـ كما تطوّرت علاقته بوزرائهم ورجالهم ، فنال سلسلة من الألقاب ، وحظي بوظائف مهمّة وخطيرة ، وامتدّت علاقاته السياسية خارج بغداد ، واتّجهت الى فارس في علاقة متينة مع الصاحب بن عبّاد ، ونحو الدويلات العربية في علاقات مميّزة مع الحمدانيين والعقيليين فيما بعد ، كما اتّجهت نحو البادية ، فأقام صلات عميقة مع رجال القبائل ، واتخذ داعية له بين القبائل العربية وهو صديقه البدوي ابن ليلى ، كَل ذلك في سبيل تحقيق أمنياته ونوازعه في الوصول الى الخلافة التي كانت منتهى آماله .

وكان الرضي يعتزّ بنسبه العلوي ، وبمركزه العلمي والأدبي ، وبمكانة والده ، ونشاطاته الاصلاحية ، وبمنزلته عند الخلفاء والسلاطين ، وبوظائفه المتعدّدة ، وهذا ما غذّى طموحه الى المجد والعلا .

وقد رأينا الرضي جريئاً في معتقده ، يجاهر به ولا يحفل اذا اتّفق أهل الملل كافة على خلافه كنظرته الى التقيّة ، ومجاهرته بالعداوة للخليفة

العبّاسي القادر ، وخلافه مع أبيه وأخيه المرتضى في توقيع كتاب القدح في نسب الفاطميّين . وكانت شخصية الامام علي بن أبي طالب موضع اعجابه وتقديره ، فجعله مثله الأعلى في حياته ، وموضع افتخاره ، وقد حداه اعجابه ببلاغته الى جمع « **نهج البلاغة** » وكان رأيه في بعض الصحابة منطلقا من اعتقاده بعلى ، والدفاع عنه والانتصار له .

ولعلّ من أهم مميّزات الشريف الرضي في مؤلفاته ومسلكه بعده عن التّعصب ، وطغيان النزعة العلمية والعقلية عنده على النزعة المذهبيّة الضّيقة ، لذلك نال اعجاب المترجمين له واحترامهم على اختلاف ميولهم ونزعاتهم ، كما كان الرضي من السّاهرين على الوحدة الاسلامية ، ونبذ التعصّب المقيت ، مع الظروف الصعبة التي عاش فيها ، حيث بلغ الصراع المذهبي أشدّه ، ومع ذلك استطاع الرضي ان يكون مثلا في السّماحة المذهبية ، فما أحوجنا الى امثاله في عصرنا الحاضر .

أشادَ بالشريف الرضي الكثير من المؤرّخين ، كما ذكر فضله معظم أصحاب كتب الرجال ، ونستنتج من خلال الأقوال المختلفة أنّ الرضي وصف بالعفّة والورع والتقشّف والتديّن ، كما وصف بشرف النفس وعلوّ الهمّة ، وأنّه لم يقبل صلة من أحد ، وانّ المتتبّع لحياة الرضي وسيرته يراه رجل الدّين الجاد ، والعالم الفاضل الذي يتشبّث بالحقّ ، وينفّذ الأحكام الشرعية بدقّة ، فلم يأخذ من اللهو ومتاع الدنيا كسائر الناس ، ولم يصف الخمرة في شعره ، وكان فنّا شائعا في عصره ـ ولم يجالس الخلعاء والظرفاء ـ وما كان أكثرهم في عصره ـ ولم يصرف شيئا من شعره في فنون المهازل ، والمجون ، ايثارا للمروءة وصونا لكرامة العرض .

كما أنّ اباء الرضي وعزّة نفسه يبدوان بوضوح متى استعرضنا مسيرة

حياته ، فلم يقف بباب الخلفاء والملوك للحصول على جوائزهم وعطاياهم ، فكانت عزّة نفسه سمة بارزة في سلوك حياته ، وفي فنونه الشعرية المختلفة .

وقد احتلّت مؤلفات الرضي مكانا ساميا ومميّزا بين مؤلفات النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وتصانيفه ، وشملت مؤلفاته مختلف ضروب المعرفة من : بلاغة وفقه وحديث وتفسير ، الى نحو ورسائل وسيرة وشعر .

ويستخلص المرء من مؤلفات الرضي أنّ محور اهتمامه انصّب بشكل خاص على الشعر والبلاغة ، فكانت البلاغة سمة مميّزة لكثرة وخاصة فيما يتعلّق بالقرآن الكريم والحديث النبوي ، وكلام علي بن أبي طالب .

ولكن **الرضي الناثر** لا يرتفع الى مستوى **الرضي الشاعر** ، فقد عرف بشعره واشتهر به ، وديوانه الكبير خير شاهد على ذلك ، فقد عالج مختلف الأغراض الشعرية باجادة واتقان .

ويتعجّب الناظر في سيرة الرضي من جمعه بين هذه الكثرة من المؤلفات القيّمة ، وانشاد الشعر بشكل غزير ومتواصل ، ويزداد العجب حين يعلم أن الرضي قضى وهو في ريعان الشباب .

ويعدّ الرضي في **نثره أميرا من أمراء البيان والبلاغة** ، فقد انصرف الى دراسة القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، وكلام الامام علي ، فأبان عمّا في هذه المناهل من مجازات واستعارات ، كما كشف عن ضروب البلاغة والفصاحة فيها ، فألّف فيها اربعة كتب تعتبر من خيرة مؤلفاته وأغناها .

ويتجلّى لنا فضل الرضي بجمعه كتاب (**نهج البلاغة**) ، لأن الكتاب جزء من تراثنا ويحتلّ مكانة مرموقة في المكتبة العربية ، فقد دارت حوله قديما وحديثا دراسات وتعليقات وشروح مختلفة ، وفتح باب النقد على مصراعية ، وانقسم النّقاد والأدباء حوله بين مؤيد ومخاصم له ، من هنا ندرك قيمة عمل الرضي في جمعه ، ونقدّر جهوده ، فلولاه لفقد الأدب العربي معظم خطب عليّ وأقواله .

وبذل الرضي جهودا كبيرة في خدمة موردين ثمينين عند المسلمين والعرب هما : **القرآن والحديث النبوي** ، فدرسهما وكشف عمّا في كلّ منهما من جمال التعبير ، وروعة البيان وسحر البلاغة . وتلك خدمة جليلة من الرضي للبيان العربي ، لأنه مهّد الطريق ـ بتلك الدراسة البلاغية ـ لمن جاء بعده من علماء البلاغة النظريين[1] .

كما كشف الرضي عن مجازات القرآن ومجازات الأحاديث النبوية كشفا تطبيقيا بلاغيّا ، لا أبحاثا نظرية جافة ، فهو يدعم وجهة نظره بشواهد متنوّعة ، حتى أنه يبدو لنا في كتاب (**تلخيص البيان**) أديباً وشاعرا مطبوعا ، فنجد عنده ذوق الأديب ، ورقّة الشاعر ، فهو بليغ يلتمس مواطن البلاغة والاعجاز في القرآن الكريم .

ويعتبر هذا الكتاب أول عمل متكامل في غرضه وهو متابعة المجازات والاستعارات في القرآن سورة سورة وآية آية ، فلم يأت المجاز عنده عرضا في خلال الكتاب ، أو بابا من أبواب مصنّف ، كما وردت هذه الأبحاث عند غيره من البلاغيين (كأبي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة) .

---

(١) زكي مبارك . عبقرية الشريف الرضي ٢٠٧/١ ، حيث يرى أن الرضي قد مهّد السبيل لعبد القاهر الجرجاني ، فعبد القاهر تلميذ الشريف في الميادين البيانية . . .

فالرضي صاحب منهج في البلاغة والبيان يمثّله قوله : « **انّ الألفاظ خدم للمعاني ، لأنها تعمل في تحسين مغارضها ، وتنميق مطالبها** »[1] .

ولقد أظهر الرضي براعة في التمييز الدّقيق بين معاني الألفاظ القرآنية ، فقد بدا لنا ناقدا أديبا ، ولغويّا دقيقا ، اذ قدّم لنا شواهد شعرية كثيرة لفحول الشعراء الذين يحتجّ بشعرهم من الناحية اللغويّة .

وفي كتاب (المجازات النبوية) أضاف الرضي شرطا لقبول الخبر الآحادي ، فيجب أن يكون راوية عدلا ، كما يجب أنْ يَعْرى الخبر المرويّ من نكير السّلف ، واكتسب معرفة جيّدة بالتعديل والتجريح .

فمن كلّ ما تقدّم نستخلص فضل الرضي ، ونقدّر قيمة عمله . ويعدّ الرضي رائدا في ميدان البلاغة والبيان ، « لأنه سلك محجّة لم تسلك ، وطرق بابا لم يطرق . . . »[2] ، ومهّد طريق من جاء بعده .

وفي كتاب (**حقائق التأويل**) كشف الرضي عن غرائب القرآن واعجازه ، كما أظهر غوامضه وأسراره ، واستنبط آراء لم يسبق اليها ، ويمثّل الكتاب صورة واضحة لثقافة الرضي وعمقها وشمولها ، ويدلّ بشكل خاص على تمرّسه بادامة النظر في القرآن وتدبّر غرائبه والكشف عن عجائبه ، كما يدلّ على عقيدة الرضي ومنهجه الكلامي ، وقوّة عارضة في مناقشة الآراء وفي ردّه على المخالفين .

وقد جمع الكتاب فوائد متعدّدة ، فهو معرض لأقوال علماء الكلام وفقهاء المذاهب ، وأئمّة النحو واللغة ، كما عرض لمسائل عديدة دار الجدل حولها .

---

(١) محمد عبد الغني حسن . مقدّمة تلخيص البيان ، ص /٨٢ .

(٢) الشريف الرضي . المجازات النبوية ، ص/١٩ .

هـذه المسائـل المتنوّعـة والأبحاث الجليلة جعلت الـرضي من كبـار علماء التفسـير والفقه . وتجـدر الاشارة هنـا الى أن الرضي آمن بمبـاديء الاعتـزال ، وشارك في الجـدل الكـلامي ، والمسـاجـلات التي دارت في حلقات العلم والمساجد في تلك الآونة ، ولا ننسى أنّ الـرضي صاحب مدرسة و « **مجمع علمي** » ، يلقي المحاضرات على طـلّابه ويمـدّهم بكل ما يحتاجون اليه .

وتدلّ بعض رسائـل الرضي عـلى مقدرتـه النقديـة ، وعلى أحكـامه الدقيقة في اكتشـاف المعاني المبتكـرة ، والاستعارات المستعـذبة ، وتـدل تلك الآراء عـلى تمرّس طـويل في نقـد الشعر ، فـأحكـامـه تعتمـد عـلى البراهين والحجج المنطقيّة ، فهو خبير بهذه الصناعة وبأساليبها .

وتعـطينا بعض **رسـائل الـرضي** صورة واضحـة عن أساليب النـثر والانشـاء المتّبعة في تلك الحقبـة ، وخاصـة الكتابـة الديـوانية التي كـان رائدها الصـابي صديق الـرضي الحميم ، ولكن جديـد الرضي في هـذا المجـال هو تلطّفـه في استعمال السّجـع ، فلم يلجأ اليـه ولم يتكلّفـه في رسائله ، بل تشيع في نثره ظاهرة الموازنة بـين السجع والأزدواج بشكـل عام .

فامتاز الرضي بأسلوبه الذي يجمع بين الـرقّة والجـزالة في نثـره وفي شعـره ، فكان ينـظر الى الشعـر نـظرة الفنّـان ، فنـراه يقـول في وصف قصائده :

مُـنْتَـصبـاتٌ كـالـقَنـا لا تـرى عَـيّـاً مـن الـقـولِ ولا أفْـنـا
لا يَـفْضُـلُ المَـعْنى عـلى لَـفْـظِهِ شَيئـاً ولا اللَّفْظُ عـلى المِعنى[1] .

---

(١) ديوان الرضي ، ٢/٥٥٥ .

ففي ميدان الشعر كان نبوغ الرضي مبكّرا ، فقد نظم الشعر بعد أن جاوز العشر من سني عمره بقليل .

وشعره وثيق الصلة بأطوار حياته ونوازع شخصيّته ودخيلة نفسه .

كما جمع في شعره بين الاكثار والاجادة في معظم الأغراض .

ويمتاز الرضي عن شعراء عصره بارتفاعه عن التكسّب بشعره ، بل كانت أشعاره وسيلة الى أغراضه السياسيّة ، فاتّصل بالخلفاء والسلاطين والوزراء ورجالهم ، ليكون رجلا له شأن في تصريف الأمور الخطيرة ، وانتهز الفرص ، وتحيّن المناسبات الزمنيّة ليقدّم التهاني مادحا مطريا وشاكرا ، لتحقيق أهدافه والوصول الى مناصب جديدة .

ووجد الرضي في الرثاء متنفّسا لآلامه وأحزانه لأنه أخفق في تحقيق طموحه ، .

كما رأى في مأساة الحسين منفرجا آخر لهمومه وتعبيرا قويّا عن آلام الشيعة ، فدفعت هذه العوامل النفسية كلّها الرضي الى الاجادة في هذا الفن فامتزج بمأساة الموت حتى سمّي « **بالنائحة الثّكلى** » .

وقد نهج الرضي نهجا جديدا في مراثيه للحسين بن علي بن أبي طالب ، أثّر فيما بعد بمن جاء بعده من شعراءالشيعة ، فلم تكن مراثيه نواحا وبكاء على غرار ما كانت تصاغ له بعض القصائد في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، بل كان رثاؤه تهديدا ووعيدا ، ودعوة الى الانتقام والأخذ بالثأر ، فلن يهدأ ، أو يقرّ له قرار حتى يروى غليله ، ويعيد الحقّ المغتصب الى أصحابه من آل البيت .

وفي هجائه الأمويين كان عفّ اللسان فلم يلجأ الى السّباب والقدح ، وهتك الأعراض ، لأن روح الشريف تخالف هذا الاتجاه ، فهو يختلف عن غيره من شعراءالشيعة في هذا المجال ، لأن غايته من

رثاء الحسين هي تصوير اتصال الظلم على أبنائه وخاصة من جهة العبّاسيين . فكان دم الحسين من الوسائل التي تدفعه الى طلب الخلافة .

ولم يكن رثاء الرضي بكاء وعويلا ، بل كان تسجيلا لمناقب الرجال ، وتعدادا للفضائل والشمائل .

وكان وفاؤه يثير الغرابة فهو يرثي يوم الموت وبعد أن يطول عهد الراحلين بالموت ، وبذلك يختلف عن شعراء الرثاء في الأدب العربي - ولم يكن رثاؤه محصورا في المشهورين من أصدقائه ومعارفه ، بل رثى المغمورين منهم ، لأن صلة الودّ عنده تعلو على صلة القرابة .

وقد تملّكته نظرة واحدة الى الدنيا والفناء ، فلا مفرّ من الموت ، ولا جدوى من البكاء ، وهناك تخيّلات لا تكاد تفارقه منها : تحدّيه للموت ، ولو كان باستطاعته فداء الراحل ، أو الدفاع عنه لأرسل على الموت فتية مستلئمين للحرب ، لا يهابون الموت نفسه .

ولعلّ أكبر عنصر متغيّر في مراثيه هو ملائمة المرثية لمقتضى الحال ، فالرضي يراعي ما يلائم شخصيّة الراحل من حدود وأوصاف ، ويزيد على ذلك التزام شيء من الأسلوب قد يليق بالبدوي أكثر من الحضرى (كما هو الحال في مراثيه لصديقه البدوي ابن ليلى) ، وبالفارس أكثر من الكاتب ، من هنا نرى أنّ الرضي جدّد في المعاني والأسلوب على حدّ سواء .

وفي ميدان الفخر شمخ الرضي بأنفه وتعالى ، وبلغ حدّاً بعيدا من الجرأة والتهوّر في مخاطبته الخليفة العباسي القادر ، مخاطبة الندّ للندّ .

وبالغ في افتخاره بشعره على نحو يجعله مميّزا عن غيره من الشعراء ، فهو يجعل نفسه أشعر الأمم ، ولا تكاد تخلو قصيدة من

قصائده من افتخار بقوافيه وبمكانته بين الشعراء ، وبخطر أشعاره ، وتأثيره على الخصوم ، ونلمس في فخره روح العنجهيّة والعصبيّة لكثرة ما يورد فيه من التّمادح والتمجّد بالآباء والأجداد ، ويشتمل فخره على المبالغة المفرطة لأنه يحقّق بالشعر طموحه وأحلامه التي عجز عن تحقيقها في الواقع .

أمّا شعر الرضي في النسيب وطيف الحبيب فقد كان غاية في الرّقة والافصاح عن الأخلاق العالية ، والنفس التي صقلها الوجد وهذّبها الألم . وكان الرضي معروفا عند القدماء بصدق اللّوعة والصبابة ، فلم يتغزّل بفحش وتهتّك ، ولم يشبّب بتبذّل واسفاف ، ولم يتغن بمفاتن الجسد ، وبذلك اختلف عن شعراء الغزل في عصره .

وأنشد الرضي في مواسم الحجّ وفي بطاح مكّة أعذب القصائد ، فغدت « **حجازياته** » بما تحمل من معالم فنّية مستعذبة ومحبّبةلرقّتها وعفّتها ، ودفعت الكثير من الناس الى تمجيد الغرام النبيل ، وأضحت مضرب الأمثال .

كان غزل الرضي عذريا ساميا ، بينما انساق جمهور المتغزّلين في عصره وراء الأباحيّة والتهتّك .

واعجب النقاد القدماء بحجازيات الرضي ونسيبه ، واشادوا برقة شعره الغزلي ، وجعلوا حجازياته من فرائد الشعر العربي ، والشريف في هذه القصائد من فحول الابتكار والابذاع ، حتى قيل : الشريف الرضي في الحجازيات كأبي نواس في الخمريات[1] .

ويتجلى ابتكار الرضي وتجديده أيضا بالحاحة في وصف مواسم الحج

---

(١) زكي مبارك . عبقرية الشريف الرضي ، ٢/١٢٤ .

بالعديد من القصائد ، وفي عفّته ونبله ، وفي شجاعته بتصوير وجده وهيامه وتأريخه في الأماكن المقدّسة ، وهو أمير للحجّ ومعروف بمكانته الدينيّة والاجتماعية . وقد لفتت تلك العفّة اللفظيّة نظر المستشرق الألماني آدم متز مقال :

« . . . ولم يكن يخرج من فم هذا الرجل النبيل حقّا كلمة واحدة من تلك الكلمات القبيحة التي يتلفّظ بها السّوقة . . . »[1] .

لقد درسنا أغراض الرضي الشعرية وخصائصها من حيث الموضوعات ، فلم نتعرّض **للنواحي الأسلوبية والفنّية في صناعته الشعرية** ، لأن ذلك جدير بدراسة مستقلّة ، فتدرس هندسة القصيدة عند الرضي من حيث الشكل والأسلوب ، والمقوّمات الفنّية التي انطلق منها في ابداعه الفنّي ، لمعرفة الجديد الذي أدخله على صعيد بناء القصيدة العربيّة ، كما يمكن اجراء مقارنة بين الرضي الشاعر وشقيقه المرتضى الشاعر ، لتحديد عناصر التأثّر والالتقاء ، والقاء الضوء على نقاط التمايز والاختلاف بين أغراض الشاعرين وأسلوبيهما .

وهذه مجالات قليلة من مجالات كثيرة تتيحها لنا اعادة النظر في الشعر القديم ، ودراسته دراسة متجدّدة .

ونأمل أن نكون قد مهّدنا الطريق في رسالتنا لمثل هذه الدّراسة الجديدة ، اذ حاولنا أن نحيط **بالشريف الرضي في سيرته ونتاجه** قبل أن نسترسل ـ في مرحلة لاحقة ـ الى الدراسة الشكلية لشعره .

* * *

---

(١) آدم متز . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ٤٥١/١ .

الفهارس

- قائمة المصادر والمراجع .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الموضوعات .

المصادر والمراجع
(مرتّبة على حروف المعجم)

١ ـ آل كاشف الغطاء (الشيخ عبد الهادي) . **مدارك نهج البلاغة** ، منشورات دار الأندلس ، بيروت بدون تاريخ .

٢ ـ آل ياسين (الشيخ محمد حسين) **نهج البلاغة . . . لمن ؟** ، منشورات المكتب العالمي للطباعة ، مكتبة الحياة ، بيروت بدون تاريخ .

٣ ـ ابن أبي الحديد (عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني) . **شرح نهج البلاغة** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، بيروت **١٩٧٩** م ، عشرون جزءا .

٤ ـ ابن الأثير (عز الدين الجزري) . **الكامل في التاريخ** ، دار صادر ، ودار بيروت ، **١٩٦٦** م ، ونسخة دار الفكر ، بيروت ، **١٩٧٨** م .

٥ ـ ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي) . **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد ، الهند ، **١٩٣٩** م .

٦ ـ ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني الشافعي) . **لسان الميزان** ، طبع حيدر آباد ، الطبعة الأولى ، الهند ، **١٩١٣** م ، الجزء الخامس .

٧ ـ ابن خلّكان (أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) . **وفيات الأعيان** ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨ م ، الجزء الرابع .

٨ ـ ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحيّ) . **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، تحقيق لجنة احياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ ، الجزء الثالث .

٩ ـ ابن عنبة (أحمد بن علي الدّاودي الحسني . **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب** ، تحقيق نزار رضا ، مكتبة الحياة ، بدون تاريخ .

١٠ ـ ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) . **تأويل مشكل القرآن** ، دار احياءالكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

١١ ـ ابن كثير الدمشقي (عماد الدين اسماعيل بن عمر) . **البداية والنهاية في التاريخ** ، مطبعة السعادة ، مصر ، بدون تاريخ ، الجزءالثاني عشر .

١٢ ـ ابن معصوم (صدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي الحسيني) . **الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة** ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٩٦٢ م .

١٣ ـ ابن ميثم البحراني (الشيخ كمال الدين ميثم بن علي) . **شرح نهج البلاغة** ، منشورات مؤسسة النصر ، المطبعة الحيدرية طهران ، ١٩٦١ م .

١٤ ـ أبو عبيدة (معمر بن المثنّى) . **مجازات القرآن** ، تحقيق فؤاد سزكين وريت ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

١٥ ـ أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل) . **المختصر في تاريخ البشر** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٠ م مجلّدان .
١٦ ـ أمين (أحمد) . **ظهر الاسلام** ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ، الجزء الثاني .
١٧ ـ الأمين (السيد محسن) . **أعيان الشيعة** ، تحقيق حسن الأمين ، دار التعارف ، بيروت ، ١٩٥٩ م ، الجزء الرابع والأربعون .
١٨ ـ الأميني (الشيخ عبد الحسن أحمد) . **الغدير في الكتاب والسّنة والأدب** ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، الجزء الرابع .
١٩ ـ الباخرزي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي) . **دمية القصر وعصرة أهل العصر** ، تحقيق عبد الفتّاح الحلو ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، الجزء الأول .
٢٠ ـ البحراني (الشيخ يوسف . **لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث** ، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٥١ م .
٢١ ـ بروكلمان (كارل) . **تاريخ الأدب العربي** ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، الجزء الثاني .
٢٢ ـ البستاني (سليمان وغيره) . **دائرة المعارف** ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٨٩٨ م ، المجلد العاشر .
٢٣ ـ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري) . **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** ، دار الكتب العلميّة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، الجزء الثالث .
٢٤ ـ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب) . **البيان**

والتبيين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .
٢٥ ـ حاجي (خليفة) . **كشف الظنون** ، طبع بولاق ، القاهرة ، بدون تاريخ ، الجزء الأول .
٢٦ ـ حاوى (ايلّيا) . **فن الفخر** ، منشورات دار الشرق الجديد ، الطبعة الأولى ، بيرت ، ١٩٦٠ م .
٢٧ ـ حسن (محمد عبد الغني) . **الشريف الرضي** ، (نوابع الفكر العربي ٤١) دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
٢٨ ـ حسن (محمد عبد الغني) . مقدمة كتاب **تلخيص البيان في مجازات القرآن** ، دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
٢٩ ـ الحلّي (الشيخ عبد الحسين) . **الشريف الرضي (مقدمة كتاب حقائق التأويل)** ، منتدى النشر ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٩٣٦ م .
٣٠ ـ الخطيب البغدادي (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي) . **تاريخ بغداد** ، ؤ مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٣١ م ، الجزء الثاني .
٣١ ـ الخطيب (عبد الزهراء الحسيني) . **مصادر نهج البلاغة وأسانيده** ، مطبعة القضاء ، النجف الأشرف ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥ م .
٣٢ ـ الخوانساري (العلّامة الميرزا محمد باقر الموسوي) . **روضات الجنّات في معرفة أحوال العلماء والسّادات** ، تحقيق أسد الله اسماعيليان ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٣٣ م ، الجزء السادس .
٣٣ ـ الذّهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) . **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ، تحقيق علي محمد البّجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، الجزء الثالث .

٣٤ ـ زيدان (جرجي) . **تاريخ آداب اللغة العربية** ، مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩١٢ م ، المجلّدان : الأول والثاني .
٣٥ ـ سركيس (يوسف) . **معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة** ، مطبعة سركيس ، القاهرة ، ١٩٢٨ م .
٣٦ ـ الشريف الرضي (أبو الحسن محمد) . **تلخيص البيان عن مجازات القرآن** ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٥ م .
٣٧ ـ الشريف الرضي (أبو الحسن محمد) . **حقائق التأويل في متشابه التنزيل** ، شرح محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، تقديم عبد الحسين الحلي ، منتدى النشر ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٦ م .
٣٨ ـ الشريف الرضي (أبو الحسن محمد) . **ديوان الشريف الرضي** ، شرح وتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٩ م الجزء الأول .
٣٩ ـ الشريف الرضي (أبو الحسن محمد) . **ديوان الشريف الرضي** ، صنعة أبي حكيم الخبري ، تحقيق عبد الفتّاح الحلو ، دار الطليعة ، باريس ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦ م ، الجزء الأول .
٤٠ ـ الشريف الرضي (أبو الحسن محمد) . **ديوان الشريف الرضي** ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨١ م ، مجلّدان .
٤١ ـ الشريف الرضي (أبو الحسن محمد) . **رسائل الصابي والشريف الرضي** ، تحقيق محمد يوسف نجم . سلسلة التراث العربي ، دار المطبوعات والنشر ، الكويت ، ١٩٦١ م .
٤٢ ـ الشريف الرضي (أبو الحسن محمد) . **المجازات النبويّة** ، تحقيق

محمود مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .
٤٣ ـ الشريف الرضي (أبو الحسن محمد) . **نهج البلاغة** ، شرح الشيخ محمد عبده، دار احياء التراث العربي ، نشر المكتبة الأهلية بيروت ، بدون تاريخ .
٤٤ ـ الشريخ المرتضى (أبو القاسم علي) . **أمالي المرتضى** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٦٧ م ، مجلّدان .
٤٥ ـ الشريف المرتضى (أبو القاسم علي) . **ديوان السيد المرتضى** ، تحقيق رشيد الصفّار ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٨ م .
٤٦ ـ الشريف المرتضى (أبو القاسم علي) . **طيف الخيال** ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، ومراجعة ابراهيم الأبياري ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٢ م .
٤٧ ـ الصّفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) . **الوافي بالوفيّات** ، باعتناءهلموت ريتر ، دار النشر فرانز شتايز ، فسبادن ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١ م .
٤٨ ـ الطّباطبائي (السيد محمد المهدي بحر العلوم) . **رجال السيد بحر العلوم** ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم ، مكتبة العلمين ، النجف الأشرف ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦ م .
٤٩ ـ الطّهراني (الشيخ آغا بزرك) . **الذّريعة الى تصانيف الشيعة** ، طبعة النجف ، العراق ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٩ م ، الأجزاء : ٢ و ٧ و ٩ و ١٦ .

٥٠ ـ عبّاس (احسان) . **الشريف الرضي** ، دار بيروت ، ودار صادر ، بيروت ، **١٩٥٩** م .
٥١ ـ الفيروز ابادي . **القاموس المحيط** ، دار الفكر ، بيروت ، **١٩٧٨** م ، ٤ أجزاء .
٥٢ ـ كحّالة (عمر) . **معجم المؤلّفين** ، مطبعة الترقّي ، دمشق ، **١٩٦٠** م .
٥٣ ـ كرنكو . **دائرة المعارف الاسلامية** ، الترجمة العربية ، ترجمة عبد الحميد يونس وغيره ، مادّة « شريف » ، بدون تاريخ ، المجلّد الثالث عشر .
٥٤ ـ مبارك (محمد زكي عبد السَّلام) . **عبقرية الشريف الرضي** ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، **١٩٤١** م .
٥٥ ـ مبارك (محمد زكي عبد السلام) . **المدائح النبوية في الأدب العربي** ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، **١٩٣٥** م .
٥٦ ـ مبارك (محمد زكي عبد السلام) . **النثر الفني في القرن الرابع الهجري** ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الثانية **١٩٣٤** م .
٥٧ ـ متز (آدم) . **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري** ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ ، الجزء الأول .
٥٨ ـ محفوظ (عبد المسيح) . **الشريف الرضي بودلير العرب** ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، **١٩٤٤** م .
٥٩ ـ محي الدين (عبد الرّزاق) . **أدب المرتضى من سيرته وآثاره** ، مطبعة المعارف ، بغداد ، الطبعة الأولى ، **١٩٥٧** م .
٦٠ ـ النّجار (محمد رجب) . **حكايات الشّطار والعيّارين في التراث العربي** ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، **١٩٨١** م .

٦١ ـ النّجاشي (أبو العباس أحمد بن علي) . **الرّجال** ، منشورات مركز نشر كتاب طهران ، بدون تاريخ .
٦٢ ـ نعمة (الشيخ عبد الله) . **مصادر نهج البلاغة** ، مطبعة دار الهدى ، بيروت ، **١٩٧٢** م .
٦٣ ـ النّوري (العلامة الشيخ حسين) . **مستدرك الوسائل** ، تحقيق السيد محمد رضا النوري ، منشورات المكتبة الاسلامية ، طهران ، **١٩٦٤** م .
٦٤ ـ نور الدين (نور الدين يوسف) . **الشعراء الثلاثة** ، دار الأنصاف منشورات حمد ، بدون تاريخ .
٦٥ ـ وجدي (محمد فريد) . **دائرة معارف القرن العشرين** ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، **١٩٧١** م ، المجلّد الرابع .
٦٦ ـ اليافعي (عبد الله بن سليمان) . **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثانية ، **١٩٧٠** م ، الجزء الثالث .

حرف الألف

- آل جفنة ٥٢٤ .
- آل كاشف الغطاء (الشيخ محمد الرضا) ٢٠ - ٢٣٩ - ٢٥٤ -
- آل كاشف الغطاء (الشيخ هادي)
- الآمدي ١٩٣ .
- آل المنذر بن ماء السماء ٤٢٠ - ٤٤٨ - ٥٢٣ -
- ابراهيم ٧٨ - ٣٦٢ .
- ابراهيم (محمد ابو الفضل) ٣٠١ .
- ابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني (ابو طاهر) ١٦٧ - ٢٠٦ .
- ابراهيم بن ناصر الدولة الحمداني (أبو طاهر) ١٦٧ - ٢٠٦ - ٣٨٣ - ٤١٦ - ٤١٨ - ٤٢١ - ٤٣٠ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٤١ - ٤٤٢ -
- الأبرقوهي (ابو القاسم) ١٢٧ - ١٢٨ - ١٣٢ - ٢٦٤ - ٢٦٥ -
- ابن أبي الحديد ٢٣ - ٢٧ - ٣٤ - ٣٥ - ١٤٣ - ٢٠٩ - ٢٥١ - ٢٨٤ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٨ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٣ -
- الأبيوردي ٣٧٦ .
- ابن الأثير (عز الدين) ٢٣ - ٣٤ - ٣٧ - ١٥٥ - ٢١٤ - ٢٤٠ .
- ابن الأثير (ضياء الدين) ٣١٣ -
- ابن الأخوة (الشيخ عبد الرحيم البغدادي) ٢١٧ -
- ابن أستاذ هرمز (أبو علي عميد الجيوش) ١٢٠٩ - ١٣٢ - ١٥١ - ١٥٤ - ٣٩٠ - ٤١٩ .
- ابن الإمام المنصوري ٢٠٥ - ٤١٩ .
- ابن بسام الأندلسي ٨٧ -
- ابن بقيّة ١١٣ -
- ابن الجرّاح ١١١ -
- ابن الجرّاح (عيسى بن علي) ٢٠٤ .
- ابن جنيّ ٢٠ - ٣٥ - ١٤٨ - ١٨٠ - ١٩٤ - ١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢١٢ - ٢٤٣ - ٣٣٨ - ٣٤٢ - ٣٤٦ - ٣٥٠ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٨٣ - ٤١٠ - ٤١٩ - ٤٤١ - ٤٤٥ - ٤٤٨ - ٤٥٠ -
- ابن الجوزي ٢٣ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ١١٢ - ١٥٥ - ١٩٨ - ٢٠٤ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١١ - ٢٣٤ -
- ابن حاجب النعمان (ابو الحسن علي بن عبد العزيز) ١١٧ -

- ابن حجّاج ١٤٧ - ١٦٧ - ١٧٠ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ٢٣٤ - ٢٤٥ - ٢٥٤ - ٤١٩ -
- ابن حجر العسقلاني ٨٧ - ٢٠٢ - ٢٨٣ -
- ابن حجة الحموي ٢٣٣ -
- ابن حمدي ١٥١ -
- ابن الخشّاب ٢٨٥ .
- ابن خلف (ابو سعد علي بن محمد) ٧٩ - ١٣٠ - ١٤٧ - ١٦٧ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٨٨ - ٣٩٤ - ٤٠٤ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤٢٠ .
- ابن خلّكان ٢٠ - ٢٣ - ٢٥ - ٣٥ - ٣٧ - ٣٩ - ٤٥ - ٥٢ - ٥٦ - ٢١٧ - ٢٣٣ - ٢٣٧ - ٢٤٠ - ٢٤٨ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٣٧٩ .
- ابن دريد ٢١٤ -
- ابن ذي يزن ٥٢٤ -
- ابن الرومي ٤٧٨ - ٥٠٣ - ٥٥٩ -
- ابن السرّاج ٢١٤ -
- ابن سكّرة ١٨٩ - ١٩٠ - ٥٠٣ .
- ابن شاهويه ١٤٨ - ١٨٠ - ٤١٩ - ٤٥٣ -
- ابن شهر أشوب ٢٤٩ -
- ابن صالحان (أبو منصور محمد بن الحسن) ١٢٦ - ١٢٧ - ١٣١ - ١٣٢ - ٣٩٥ - ٤١٧ - ٤٣٤ - ٤٤٨ -
- ابن طباطبا ١٩٣ -
- ابن طاووس (الحسني الداودي) ٢٣٩ .
- ابن عبّاد (الصاحب) ٢٣ - ١٢٨ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٨٧ - ١٩٣ - ٢٤١ - ٢٤٤ - ٣٧٠ - ٣٨٢ - ٤٠٩ - ٤١٨ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٨ - ٥٣٦ - ٥٧٧ .
- ابن العماد الحنبلي ٣٩ - ١٩٩ - ٢٣٣ -
- ابن العميد ١٨٧ - ١٩٢ .
- ابن عنبة ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٩٥ - ١٠٠ - ٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٣٧ - ٢٤٣ - ٢٤٥ - ٣٧٨ .
- ابن الفرات ١١١ -
- ابن قتيبة ٢٠ - ٤٤ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٤ - ٣٢٦ - ٥٨٠ .
- ابن كثير ٢٨٣ -
- ابن الكلبي (هشام) ٢٨٢ .
- ابن ليلى (ابو العوام) ١٣٦ - ١٣٩ - ١٤٧ - ١٦٧ - ١٧٠ - ١٧١ - ٤١٦ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٣١ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٦ - ٤٥٢ - ٤٨٥ - ٥٧٧ - ٥٨٤ -
- ابن محفوظ ٣٣ -
- ابن مسكويه ٣٧ - ١٥٥ -
- ابن معصوم ٣٩ - ٤٠ - ٥٢ - ٩٨ - ١٣٥ - ٢٠٩ - ٢١٧ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٨ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥١ -
- ابن المقفع ٣٠٢ -
- ابن ملجم ٢٧٩
- ابن المهلوس العلوي (أبو عبد الله) ١٠٠

- ابن نباتة السّعدي ١٨٩ - ٢٠١ -
- ابن نباتة الفارقي ٢٠٠ - ٢٠١ - ٣٠٢ .
- ابن النديم ٢٤٣ -
- ابو بكر ٢٨١ - ٢٩٨ -
- ابو تغلب بن حمدان ٦٩ -
- ابو تمام ٢١ - ٤٨ - ١٩٣ - ٢٥٥ - ٤٧٨ -
- ابو جعفر المنصور ٤٠٥ -
- أبو الحسن العمري ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ٢٤٩ -
- ابو حنيفة ١٥٨ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٣٤٥ - ٣٥٨
- أبو ذرّ الغفاري ١٥٤ .
- أبو الذواد العقيلي ٧٠ - ٤٤١ -
- ابو العباس السفاح ٤٠٥ -
- أبو عبيدة (معمر بن المثنى) ٢٠ - ٤٤ - ٣١١ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٣ - ٣٢٦ - ٥٨٠ -
- ابو العلاء المعري ٤٩ - ٦٣ - ٧٩ - ٨٤ - ٨٧ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩٤ -
- ابو الفتح ابن الطائع ٤١٧ - ٤٣٥ - - ٤٤٧ -
- ابو علي الفارسي ١٨٧ - ١٩٤ - ٢٠١ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٤١٧ - ٤٤٠
- ابو ريدة (محمد عبد الهادي) ٥٩ -
- ابو الفتوح ١١١ -
- ابو الفداء ٣٧ -
- ابو مطر ٥٥٥ -
- أبو نواس ٥٦ - ٤٨٠ -
- أبو هاشم (عبد العظيم بن عبد الله) ٢٨٢ -
- ابو يوسف ٣٥٨ -
- أحمد بن الحسين النيسابوري الخزاعي (أبو بكر) ٢١٦ -
- أحمد بن علي بن قدامة (القاضي أبو المعالي) ٢١٦ -
- أحمد ١٥٨ -
- الاحنف العكبري ١٨٩ -
- الأخفش ٢١٣ - ٣٤٥ -
- الإربلي (مجد الدين محمد بن أحمد) ٢٤٦ -
- الأزهري (أحمد عباس) ٣٧٨ .
- أسد ١٠٩
- الاسفراييني ١٥٥ - ١٩٦ - ٢١٩ -
- الإسكافي (أبو جعفر) ٢٧ -
- اسماعيل ٣٦٢ -
- اسود الزّبد ١٥٠ -
- الأشعري (ابو الحسن) ١٩٦ -
- الأصفهاني (أبو الفرج) ١٩٢ -
- الأصيفر الأعرابي ١٥٢ -
- الأكفاني (القاضي أبو محمد) ١٥٥ - ٢٠٩ -
- امتياز علي عرشي ٢٨٦ -
- امرؤ القيس ٣٢٧ -
- الأمين (محمد) ٤٠٥ -
- الأمين (السيد محسن) ٤١ - ٢٣٢ -

٢٤٥ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥١ ـ
ـ آمين (أحمد) ١٨٩ ـ
ـ الأموي (يحيى بن سعيد) ٢٧ ـ
ـ الأميني (الشيخ عبد الحسين أحمد) ٣٩
ـ ٤٢ ـ ٤٨ ـ ١٩٨ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠٢ ـ
٢٠٣ ـ ٢٠٥ ـ ٢١٣ ـ ٢١٥ ـ ٢٣١ ـ
٢٣٢ ـ ٢٣٤ ـ ٢٣٨ ـ ٢٤١ ـ ٢٤٣ ـ
٢٤٥ ـ ٢٤٧ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٣ ـ
٣٠٠ ـ

حرف الباء

ـ الباخرزي ٣٣ ـ ٣٩ ـ ٤٠
ـ باديس الصنهاجي ١١٠ ـ
ـ باذ الكري ١٣٢ ـ ٣٩٤ ـ
ـ الباقر ٦٦ ـ ٤٢٧ ـ
ـ الباقلاني ١٩٦ ـ
ـ الببّغاء (أبو الفرج) ١٨٩ ـ
ـ البني (أحمد بن علي بن حسن) ٢٤ ـ
١٤٧ ـ ١٦٧ ـ ١٧٢ ـ ١٧٣ ـ ١٧٤ ـ
٢٥٤ ـ ٣٧١ ـ ٤٢٠ ـ
ـ البحتري ٢١ ـ ١٩٣ ـ ٤٨٠ ـ
ـ البحراني (الشيخ يوسف) ٣٩ ـ ٩٩ ـ
ـ بختيار (عزّ الدولة) ٦٩ ـ ٧٢ ـ ٨١ ـ
١١٠ ـ ١١٣ ـ ١٢٢ ـ
ـ بروكلمان ٤٢ ـ ٤٥ ـ ٥٨ ـ ٢٤١ ـ
٢٤٧ ـ ٢٤٨ ـ ٢٥٠ ـ ٢٥٣ ـ ٢٨٤ ـ
٣٧٢ ـ ٣٧٣ ـ ٣٧٦ ـ
ـ البر قعيدي (سلامة) ٦٩ ـ
ـ بـزرك (آغـا) ٤٦ ـ ٢٣٤ ـ ٢٣٩ ـ
٢٤٦ ـ ٢٥١
ـ البستاني (بطرس) ١٢ ـ ٥٨ ـ ٢٨٤ ـ
ـ بشر بن هارون (أبو نصر) ٢٦٩ ـ
ـ البطليوسي ٨٤ ـ
ـ البغدادي ٢٥٢
ـ بكر شرف الدولة ٤١٧ ـ ٤٤٠ ـ ٤٥٠
ـ بهاء الدولة ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٨ ـ
١٠٢ ـ ١٠٨ ـ ١١٢ ـ ١١٤ ـ ١١٧ ـ
١١٨ ١٢٢ ـ ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ
١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ
١٣٢ ـ ١٣٤ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ ـ
١٤٢ ـ ١٤٨ ـ ١٥١ ـ ١٧٥ ـ ١٧٨ ـ
١٧٩ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ ٣٨٦ ـ ٣٨٩ ـ
٣٩٠ ـ ٣٩١ ـ ٣٩٢ ـ ٣٩٣ ـ ٣٩٧ ـ
٣٩٨ ـ ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ـ ٤٠٦ ـ ٤٠٩ ـ
٤١١ ـ ٤١٣ ـ ٤١٦ ـ ٤١٩ ـ ٤٢٠ ـ
٤٣٢ ـ ٤٣٩ ـ ٤٤٧ ـ ٤٩٥ ـ ٤٩٦ ـ
٥٦١ ـ ٥٧٧ ـ
ـ البهائي العاملي ٢١٦
ـ بودلير ٥١ ـ ٥٣
ـ البيهقي (أبو الحسن) ٢٧ ـ
ـ بنو بويه ٦٣ ـ ١٠٩ ـ ١١١ ـ ١١٤ ـ
١٣٧ ـ ١٤٨ ـ ١٥٣ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ
٣٨١ ـ
ـ بنو شاهين ـ ١٠٨ ـ ١٤٨ ـ
ـ بنو شيبان ـ ١٥١
ـ بنو هلال ١٤٥ ـ
ـ بنو عقيل ٤١٨

حرف التاء

- تاج الدولة ١٨٧ .
- التبريزي ٨٤ .
- التستري ٢١٦ .
- التّقي (أديب) ٩٨ .
- تغلب ٤٤١ .
- تقيّة بنت سيف الدولة ٢٣ - ٢٤١ - ٣٧٠ - ٤١٩ .
- التّلعكُبْري (هارون بن موسى) ٢٠٢ .
- التّوْبلي (هاشم) ٢٤٦ .
- التّوحيدي (أبو حيّان) ٢١٤ .

حرب الثّاء

- الثّعالبي ٢٣ - ٢٥ - ٢٩ - ٣٣ - ٣٧ - ٣٩ - ٤٠ - ٤٥ - ٥٦ - ٨٧ - ١٠٢ - ١٩٤ - ٢٥٢ - ٣٧٩ .

حرف الجيم

- الجاحظ ٢٠ - ٢٧ - ٤٤ - ١٥٨ - ٢٨١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣٢٤ - ٣٢٦ - ٥٨٠ .
- الجارودي (الشيخ ناصر) ٢١٦ .
- الجبّائي (محمد بن عبد الوهاب) ٢٩٠ - ٣٣٢ - ٣٤٩ .
- الجرّار (أبو الحسن) ٢١٣ .
- الجرجاني (عبد القاهر) ٣١٣ .
- الجرجاني (علي بن عبد العزيز) ١٩٣ .
- جرير ٣٢٠ - ٣٢٧ - ٤٨٠ .
- جرير بن عبد الله البجلي ٣٣٣ .
- الجلّودي (أبو أحمد بن عبد العزيز) ٢٨٢ .
- جميل بثينة ٤٨٩ - ٤٩٧ - ٥٠٦ .
- جندب ٥٥٤ -

حرف الحاء

- الحارث بن سويد ٣٦٢ - ٣٦٣ .
- حاجي خليفة ٢٣٨ - ٢٤٧ - .
- الحاكم بأمر الله ١٠٩ - ١١١ .
- الحجّاج بن هرمز (أبو جعفر) ١٢٩ .
- حرب بن سعيد بن حمدان ٤١٨ .
- حسن (محمد عبد الغني) ١٩ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٨ - ١٩٨ - ٢٠٣ - ٢١٣ - ٢٤٣ - ٢٤٩ .
- حسّان بن ثابت ١٦١ .
- حسن الأنكرلي ٣٧٤ .
- الحسن بن حمد بن أبي الرّيان ١٣٠ - ١٣٦ - ١٤٧ - ١٦٧ - ١٧٣ - ١٧٦ - ١٧٧ - ٣٥٠ - ٤١٩ - ٥٠٧ - ٥٣٤ .
- الحسن بن زياد اللؤلؤي ٣٥٨ .
- الحسن العسكري ١٩٣ - ٤٢٧ .
- الحسن بن عبد الله بن سعيد السكّري ٢٩٠ .

- الحسن بن علي بن أبي طالب ١٥٤ - ٢٧٩ - ٤٢٧ - ٤٢٨ .
- الحسن بن علي بن أبي طالب ٦٦ - ٧٨ - ٨٤ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٠ - ١٦٢ - ٢٧٩ - ٤١٦ - ٤٢١ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٥٥٧ - ٥٨٣ - ٥٨٤ .
- الحسيني (عبد الزهراء) ٢٩٤ - ٣٠٠ .
- الحكّار (عبد العزيز بن يوسف) ١٢٧ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٨٧ - ٢٦٤ - ٢٧٢ - ٤١٩ - ٤٤٤ - ٤٤٩ - ٤٥٠ .
- حكم (عارف) ٣٧٥ .
- الحلو (عبد الفتّاح) ٢٣ - ٢٤ - ٤٢ - ٩٨ - ١٩٨ - ٢٠٥ - ٢٣٢ - ٢٣٤ - ٢٤٥ - ٣٧٢ - ٣٧٩ .
- الحلواني (الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي) ٢١٦ .
- الحلّي (عبد الحسين) ٢٠ - ٤٤ - ١٥٧ - ٢١٧ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٤٠ - ٢٤٥ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥١ - ٢٥٤ .
- حمدان ٦٩ .
- الحمداني (سيف الدولة) ٢٠٠ - ٢٠١ .
- الحمداني (أبو فراس) ٦٣ - ١٨٩ .
- حمزة بن ابراهيم المنجّم ١٣١ - ١٣٢ - ٣٩٥ .

حرف الخاء

- الخبري (أبو حكيم) ٢٤ - ٢٤١ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٨ - ٣٧٩ .
- الخطيب البغدادي ٢٠ - ٢٥ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٧ - ٣٩ - ٤٥ - ٥٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٣٦ .
- الخطيب (محبّ الدين) ٢٨٤ .
- الخوارزمي (أبو بكر محمد بن موسى) ١٩٢ - ٢٠٨ - ٢١٤ - ٢٤٤ - ٣٤٥ .
- خفاجة ١٠٩ - ١٤٥ .
- الخوانساري ٣٩ - ٤٠ - ٨٧ - ٩٨ - ١٠٠ - ٢١٧ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٩ .

حرف الدّال

- داود ٣٦٢ - ٤١٠ .
- دفترخوان الطّوسي العادلي ٢٥٢ .
- الدّوريستي (الشيخ جعفر بن محمد) ٢١٦ .
- الديباجي (سهل بن أحمد) ٢٠٢ .

حرف الذّال

- الذهبي ٢٨٣ .

حرف الرّاء

- ربيعة ٥٠٠ - ٥٠٧ .
- الرّاوندي (أبو الحسين) ٢٧ - ٢١٦ - ٢١٧ .
- الرّبعي (علي بن عيسى) ١١ - ٢١٢ - ٢١٤ - ٣٥٥ .
- الرّضا ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٤٢٧ .
- ركن الدولة ١٢٢ - ١٢٨ - ١٨٧ .
- الرّمّاني (علي بن عيسى) ٢١٣ .

حرف الزّاي

- الزّبير ٢٧٧ .
- الزّجّاج (أبو إسحاق) ٢١٣ - ٣٥٦ .
- زفر ٣٥٨ .
- الزهراء (فاطمة) ٩٤ - ١٥٤ - ٤٢٤ .
- زهير بن أبي سلمى ٤٧٩ - ٤٨٠ .
- زياد بن أبيه ٢٧٩ - ٤٢٥ .
- زياد بن النّضر ٢٧٨ .
- زياد بن وهب الجهني ٢٨٠ .
- زيدان (جرجي) ٤٥ - ٢٨٤ .
- زينب بنت علي بن أبي طالب ١٠٢ .
- الزّينبي (الشريف أبو القاسم) ١٦٨ - ١٧٧ - ٤١٨ - ٤٣١ .
- زين العابدين (علي بن الحسين) ٦٦ - ٤٢٧ .

حرف السين

- السّابسي (أبو الحسن محمد التّقي) ٩٥ .
- سابور بن أردشير ٩٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٨٨ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٧٢ - ٢٨٠ - ٣٩٤ .
- سبكتكين ١٤٨ .
- سركيس (يوسف) ٢٨٤ .
- سعيد بن جبير ٣٥٨ .
- سفيان الثوري ١٥٨ .
- السّكّاكي ٣١٣ .
- السّلامي ١٨٧ - ١٨٩ .
- سلطان الدولة ٩٨ - ١٢٢ - ٣٩٤ .
- سُلَيْم ١٠٩ - ١١٠ - ١٤٥ - ١٥١ .
- سليمان (الشيخ إبراهيم) ١٥ .
- سليمان ٣٦٢ .
- سليمان بن فهد ١٠٥ .
- سليمان (كامل) ٣٧٩ .
- السّماهيجي (الشيخ عبدالله) ٢١٦ - ٢١٧ .
- السّموأل ٥٧٦ .
- سنان (أبو سعيد) ٢٦٦ .

- سهيل بن جنيف ٢٧٨ .
- سيبويه ٢٠٠ .
- السيرافي (أبو سعيد) ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٤ - ٢٢٩ .
- السيرافي (يوسف) ٤١٨ .
- السّيوطي (جلال الدين) ٢١٢ .

حرف الشين

- الشافعي ٢٠٩ - ٣٤٥ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٨ .
- شرف الدولة ٧٥ - ٧٦ - ٩٣ - ١٠٢ - ١٠٨ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٦ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٦ - ١٨١ - ١٨٨ - ٢١٨ - ٣٨٢ - ٣٩٤ - ٤١١ - ٤١٧ - ٤٣٤ - ٤٤١ .
- شريح بن الحارث ٢٧٨ .
- شريح بن هاني ٢٧٨ .
- الشعبي ٣٥٨ .
- الشكعة (مصطفى) ١٢ - ٥٨ .
- الشيرازي (أبو الفضل)
- الشيرازي (أبو منصور) ١٦٧ - ١٧٧ - ٤١٨ - ٤٣٠ - ٤٤٢ .
- الشّيزري ٢٤٤ - ٢٦٤ .

حرف الصّاد

- الصّابي (أبواسحاق) ٢٥ - ٩٥ - ١١٧ - ١٣٥ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٨٠ - ١٨٧ - ١٩٢ - ٢٣٤ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٦ - ٢٤٨ - ٢٦٤ - ٢٦٦ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٤ - ٣٧٦ - ٤١٦ - ٤١٨ - ٤٢٠ - ٤٣٠ - ٤٣٦ - ٤٤٢ - ٤٤٩ - ٥٨٢ .
- الصادق (جعفر) ٦٦ - ٤٢٧ - ٤٤٠ .
- صدر الدين (حسن) ٢٤٩ .
- الصّدوق بن بابَوَيه القمّي ٢٩٠ .
- الصّفدي ١٣٥ - ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٤٣ - ٢٤٥ - ٢٥١ .
- صمصام الدولة ٦٩ - ٧٥ - ١١٣ - ١٢٢ - ٣٨٩ .
- الصَيْدلاوي ١٥٠ .
- الصّيرفي (حسن كامل) ٢٥٣ .

حرف الطّاء

- الطائع لله ٦٨ - ٧٠ - ١٠٨ - ١١٢ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١٣٢ - ١٤١ - ١٤٨ - ١٧٨ - ١٧٩ - ٢٢٦ - ٢٦٩ - ٣٧٧ - ٣٨٤ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٩ - ٤٠٤ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٦ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٣٢ - ٤٣٨ - ٤٤٥ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٥٣ - ٥٤٣ - ٥٤٩ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٧٧ .

- الطبري (أبو اسحاق) ٣٥ - ١٦٤ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠٧ - ٢١٤ .
- الطبري (ابن جرير) ٢٧ - ٢٠٣ .
- الطحاوي (أبو جعفر) ٢٠٨ .
- طرفة بن العبد ٣٢٧ .
- طاوس ٣٥٨ .
- طلحة ٢٧٧ .
- الطوسي (أبو جعفر) ٥٨ - ١٥٨ - ١٩٦ - ٢١٥ .
- الطّوسي (نصير الدين) ٨٧ .

حرف العين

- عائشة (أم المؤمنين) ٢٩٦ .
- عبّاس (إحسان) ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ١٩٨ - ٢٠٥ - ٢١٣ - ٢٤٦ - ٢٤٧ .
- عبد الجبّار المعتزلي ١٩٦ - ٢١٠ - ٢١١ - ٣٤٦ - ٣٤٨ - ٣٥٠ .
- عبد الحميد الكاتب ٣٠٢ -
- عبد الله بن عبّاس ٣٥٨ .
- عبد الله بن علي بن كياكبي (أبو زيد) ٢١٦ .
- عبد الله بن عمر ٣٥٨ .
- عبد الله بن معروف ٤١٨ .
- عبده (محمد) ٢٥١ - ٢٩٢ - ٣٠١ .
- عبد الحميد (محمد محيي الدين) ٢١ - ٢٢ - ٢٩٢ - ٣٧٩ .
- عثمان بن عفّان ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٩٦ - ٣٠٤ .
- عثمان بن مظعون .
- عدنان ٤٦٨ - ٤٨٤ .
- الشريف عدنان بن الرضي ٩٦ - ٩٧ - ٣٧١ - ٣٧٢ .
- عزيز ١٥١ .
- عز الدولة ١٨٧ .
- العزيز بالله ١٠٩ - ١١٠ .
- عضد الدولة ٦٩ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٩٣ - ١٠٢ - ١٠٨ - ١١٠ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١٢٢ - ١٢٦ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٦٨ - ١٨٧ - ٢٠١ - ٣٨٢ - ٣٨٨ - ٥٥٧ .
- عطاء ٣٥٨ .
- العكبري (محمد بن عبد العزيز أبو منصور) ٢١٦ .
- العلقمي (محمد بن أحمد) ٣٤ .
- علي بن بندار الهاشمي (القاضي أبو الحسن) ٢١٦ .
- علي بن أبي طالب ٢٦ - ٢٧ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٨ - ٤٩ - ٥١ - ٦٥ - ٦٦ - ١٠٢ - ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٤ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٥٠ - ٢٥٥ - ٢٦٢ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٧ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٤ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٣٠٤ - ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٣٩ - ٣٦٤ - ٤٢٦ -

٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٤٠ - ٤٥٦ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٥٥٧ - ٥٧٤ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨٣
- عمر بن اسحاق المقتدر ٤١٧ - ٤٣٤ - ٤٤٧ - ٥٦١ .
- عمر بن الخطّاب ٢٨١ - ٢٩٦ - ٢٩٨ .
- عمر بن أبي ربيعة ٥٦ - ٣٢٨ - ٤٨٩ - ٤٩١ - ٥١٠ .
- عمر بن عبد العزيز ١٦٢ - ٤١٧ - ٤٣٩ - ٤٤٩ .
- عمرو بن العاص ٢٧٩ .
- عنترة ٥٢ - ٣٢٧ - ٤٨٥ .
- عيسى بن ماسرجس ١٢٨ .
- عيلان ٥٠٠ - ٥٠٧ .

حرف الغين

- بنو غويث ٤٠١ .

حرف الفاء

- فاطمة بنت الناصر ٣٥ - ٦٦ - ٨٠ - ٩١ - ٩١٨ - ٤٣١ .
- فخر الدولة ١٣٢ - ١٨٧ - ٣٨٢ .
- فخر الملك ٣٥ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٣ - ٣٩٢ - ٤٠٢ - ٤٠٤ .
- الفرزدق ٣٢٨ - ٤٨٠ .

حرف القاف

- القادر بالله ١٠٨ - ١١١ - ١١٥ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٥٥ - ١٥٩ - ١٦٣ - ١٧٢ - ١٧٨ - ٣٧٨ - ٣٩٥ - ٤٠٠ - ٤٠٥ - ٤٤٥ - ٤٨٧ - ٤٩٦ - ٥٧٨ - ٥٨٤ .
- القالي (أبو علي) ١٩٢ .
- قتادة ٣٢٠ .
- قحطان ٤٦٠ - ٤٦٨ - ٤٨٤ .
- قدامة بن جعفر ١٩٣ .
- قريش ٤٦٠ - ٤٦٨ .
- قيس ٤٩٧ - ٥٠٦ .
- قيس بن أبي حازم ٣٣٣ .
- قيصر ٤٢٨ .

حرف الكاف

الكاظم (موسى) ٦٦ - ٧٨ - ٩٤ - ١٠٠ - ١٠١ - ٤٢٧ .
- كرنكو ٩٨ .
- كسرى ٤٦٨ .
- كعب بن عامر ٥٠٧ .
- الكناني (أبو حفص عمر) ٢٠٣ .
- الكوكبي (أبو الحسن الكافي النّصيح) ١٢٧ - ١٣٢ .

حرف اللاّم

- لؤي بن غالب ٥٢٦ .
- اللبابيدي (محمد سليم) ٣٧٨ .
- لبيد بن ربيعة ٣٥٠ .

حرف الميم

- مالك بن الأشتر ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٩٢ - ٢٩٥ .
- مالك ٢١٤ - ٣٥٨ .
- مؤيد الدولة ١٢٨ - ١٣٢ - ١٨٧ - ٣٨٢ .
- مبارك (زكي) ٥١ - ١٥٨ - ١٦٥ - ١٧٤ - ٢٧٣ - ٢٩٤ - ٥٧٠ .
- المبرّد ٢٧ - ٣٤٨ - ٣٥٦ .
- متز (آدم) ٥٩ - ٥٨٦ .
- المتنبي ٢١ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٢ - ٥٥ - ٦٣ - ١٨٧ - ١٨٩ - ١٩٢ - ١٩٣ - ٢٠٠ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٤٥٦ - ٤٧٢ - ٤٧٨ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٩٩ - ٥٦٦ - ٥٦٩ .
- المتوكّل ٤٠٥ .
- المجلسي الأول ٢١٦ - ٢٣٩ .
- المجلسي الثاني ٢١٦ .
- محفوظ (عبد المسيح) ٥١ - ٥٢ - ٥٣ .
- محمد بن الحسن ٣٥٨ .
- محمد المشكاة ٣١٦ .
- محيي الدين (عبد الرزّاق) ٥٨ .
- المدائني (أبو الحسن علي بن محمد) ٢٨٢ .
- الشريف المرتضى ٣٠ - ٣١ - ٣٣ - ٣٥ - ٣٨ - ٤٦ - ٤٧ - ٥٠ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦ - ٧١ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١١١ - ١٤١ - ١٥٧ - ١٦٣ - ١٦٥ - ١٩٠ - ١٩٥ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١٣ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢٤١ - ٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٧٣ - ٢٨٠ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٧ - ٣٤١ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٧٠ - ٣٨٥ - ٣٩٦ - ٤٢٠ - ٥٤٣ - ٥٥١ - ٥٧٨ - ٥٨٦ .
- المرزباني (أبو عبدالله) ٣٠ - ١٩٣ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٣٥٠ .
- المستكفي ١١٢ - ١٥٥ .
- المسعودي ٢٨١ .
- مسلم بن الوليد ٤٨٠ .
- مضر ٤٦٧ - ٤٨٤ .
- المطهُر بن عبد الله ٧٤ - ٧٦ - ١٢٦ - ٣٨٨ - ٥٥٧ - ٥٥٨ .
- المطيع لله ٧٠ - ١١٢ - ١١٥ - ١١٦ .
- المظفّر (عبيد الله بن محمد) ١٦٨ - ١٧٧ - ٤١٨ .

- معاوية ١٥٣ - ١٥٤ - ٢٧٧ - ٢٧٩ .
- معزّ الدولة ١١١ - ١١٢ - ١١٦ - ١٢٢ - ١٥٤ - ١٥٥ .
- المغربي (الوزير أبو القاسم) ١٠٥ - .
- الشيخ المفيد (محمد بن النعمان) ٨٢ - ٨٦ - ١٥٥ - ١٩٥ - ٢٠٩ - ٢١٩ - ٢٩٠ - ٣٥٠ .
- المفيد النيسابوري ٢١٦ .
- المقتدر ١١١ .
- المقدسي (أنيس) ١٢ - ٥٨ .
- المقلّد بن المسيّب ١٦٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٣٧ - ٤٤٥ .
- المهلبي (أبو الحسن بن الفضل) ١٦٨ - ١٧٨ - ٤١٩ - .
- المهدي ٦٦ .
- المهدي المنتظر (محمد بن الحسن) ١٥٦ - ٤٢٣ - ٤٢٧ .
- مهيار الدّيلمي ٧٩ - ١٠٤ - ١٨٩ - ٢١٥ .
- موسى الأبرش ٦٥ - ٦٦ .
- الموسوي (أبو أحمد الحسين) ٣٥ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٢ - ٧٧ - ٧٨ - ٨٣ - ٨٥ - ٩٢ - ٩٥ - ١٠٢ - ١١٠ - ١١٦ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٧٧ - ٢٨٥ - ٣٢٠ - ٣٨٢ - ٣٨٦ - ٣٨٨ - ٣٩٥ - ٤٠١ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤١٩ - ٤٣٩ - ٤٤٦ .
- الموسوي (أبو عبد الله) ٦٦ - ٧١ - ٧٢ - ٩٢ - ٩٣ - ٤١٧ - ٤٣٥ - ٤٤١ - ٤٤٨ .
- الموفّق (أبو علي الحسن) ٩٦ - ١٢٨ - ١٢٩ - ٣٨٦ - ٤١٨ - ٥٤٩ .

حرف النون

- النابغة الذبياني ٣٢٧ .
- الناصر الكبير (الحسن الأطروش) ٦٦ - ٨٠ - ٨١ - ٩٤ - ١٥٧ .
- الناصر الصغير (أبو محمد الحسين) ٦٥ - ٦٦ - ٨٠ - ٩١ - ٣٨٣ - ٤٠٢ - ٤٠٦ .
- النّامي (أبو العبّاس) ١٨٩ .
- النّجار (عبد الحليم) ٥٨ .
- النجاشي ٣٢ - ٣٩ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٤٠ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥١ .
- نجم (محمد يوسف) ٢٥٥ .
- نزار ٤٦٠ - ٤٦٨ - ٤٨٤ .
- النّهرواني (أبو الفرج المعافى) ٢٠٣ .
- نور الدين ٥٤ .
- النوري (حسين) ٢٠٢ .

حرف الهاء

- هارون الرشيد ٤٠٥ .
- هاشم : ٤٦٨ .
- هبة الدين الشهرستاني ٢٩١ .
- الهادي ٤٢٧ .
- هرقل ٤٢٨ .

حرف الواو

- الواسطي (مصدّق بن شبيب) ٢٨٤ .
- الواقدي ٢٧ .

حرف الياء

- اليافعي ٣٧ - ٣٨ - ٥٦ - ٢٨٣ .
- ياقوت الحموي ٢٠٥ .
- يزيد بن معاوية ٢٠٢ - ٤٢٣ - ٤٢٥ - ٤٢٨ .
- اليعقوبي ٢٨١ .
- يونس (عبد الحميد) ٥٦ - ٥٩ .

٧٨٢

٧٢ ...

...

...

٥٠٧ ...

...

٨٢٤ ...

٥٣

٢٠٤ ...

٢٥ - ٢٥ ...

...

٨٢٤ ...

٨٢٤ ...

٨٢٤ ...

٧٢٤ ...

٨٢٤ ...

...

...

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٩
المقدّمة	١١ ـ ١٦
دراسة المصادر والمراجع	١٧ ـ ٥٩
الباب الأول : الشريف الرضي في عصره	٦٣
الفصل الأول: الشريف الرضي وأسرته	٦٥ ـ ١٠٥
أ ـ اسمه ونسبه :	٦٥
ب ـ أسرته :	٦٧
أولاً: والده	٦٧
ثانياً: والدته	٨٠
ثالثاً: اخوته	٨٣
رابعاً : أقارب الرضي	٩١
ج ـ أثر النسب والأسرة في تكوين شخصيّته	٩٣
د ـ زواجه وعقبه	٩٤
هـ ـ وفاته ومدفنه ومراثي الشعراء له	٩٧
الفصل الثاني: الشريف الرضي وسياسة عصره	١٠٧ ـ ١٤٥

الموضوع	الصفحة

أ ـ الأوضاع السياسيّة في عصر الرضي ١٠٨
ب ـ علاقة الرضي بسياسيّ عصره ١١٤
١ ـ صلة الرضي بخلفاء بني العبّاس ١١٥
٢ ـ علاقة الرضي بالبويهيّين ورجالهم ١٢٢
٣ ـ مسألة طموحه الى الخلافة ١٣٤
ج ـ ألقاب الرضي ومناصبه ١٤٠
أولاً : نقابة الطّالبيّين ١٤٢
ثانياً : ديوان المظالم ١٤٣
ثالثاً : امارة الحجّ ١٤٤
الفصل الثالث : الشريف الرضي ومجتمع عصره .. ١٤٧ ـ ١٨٤
أ ـ الاضطراب الاجتماعي والمذهبي في عصر الرضي ... ١٤٨
١ ـ بين الأتراك والدّيلم ١٤٨
٢ ـ الغلاء والمجاعة والأوبئة ١٤٩
٣ ـ اللصوصية وقطع الطرق ونهب الحجاج والتجسس ... ١٥٠
٤ ـ الصراع السني الشيعي ١٥٣
ب ـ عقيدته وتسامحه الديني ١٥٦
ج ـ الصداقة والصديق في حياته ١٦٦
د ـ وفاء الشريف الرضي ١٧٨
هـ ـ العداوة والأعداء في حياة الشريف الرضي ١٨١
الفصل الرابع : الشريف الرضي وثقافة عصره .. ١٨٥ ـ ٢٢٨
أ ـ دور البويهيّين في الحياة الفكرية ١٨٧
ب ـ مرافق الفكر في القرن الرابع الهجري ١٨٨
١ ـ الشعر والشعراء ١٨٨

الموضوع	الصفحة
٢ ـ النثر	١٩٢
٣ ـ النقد	١٩٣
٤ ـ اللغة	١٩٤
٥ ـ الكلام	١٩٥
ج ـ شيوخ الرضي	١٩٧
د ـ تلامذته والرّواة عنه	٢١٥
هـ ـ دار العلم و « مجمع » الرضي	٢١٧
خلاصة : في أخلاق الرضي ومقوّمات شخصيته	٢٢١
الفصل الخامس : مؤلفات الشريف الرضي	٢٢٩ ـ ٢٦٠
١ ـ أخبار قضاة بغداد	٢٣١
٢ ـ تعليق خلاف الفقهاء	٢٣٢
٣ ـ تعليقة على « ايضاح » أبي علي الفارسي	٢٣٢
٤ ـ تلخيص البيان عن مجازات القرآن	٢٣٢
٥ ـ الجيّد من شعر أبي تمّام	٢٣٣
٦ ـ الحسن من شعر الحسين	٢٣٤
٧ ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل	٢٣٥
٨ ـ خصائص الأئمة	٢٣٧
٩ ـ ديوان شعره	٢٤٠
١٠ ـ رسائله	٢٤٣
١١ ـ الزيادات في شعر أبي تمام	٢٤٤
١٢ ـ الزيادات في شعر ابن حجاج	٢٤٥
١٣ ـ سيرة والده الطاهر	٢٤٥
١٤ ـ فضائل أمير المؤمنين	٢٤٦

الموضوع	الصفحة
١٥ ـ مختصر أمثال الرضي	٢٤٦
١٦ ـ ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من الرسائل شعرا	٢٤٧
١٧ ـ مجازات الآثار النبوية	٢٤٨
١٨ ـ مختار شعر أبي اسحاق الصابي	٢٤٩
١٩ ـ معاني القرآن	٢٤٩
٢٠ ـ نهج البلاغة	٢٥٠
٢١ ـ تاريخ مؤلّفات الرضي	٢٥٣
٢٢ ـ تصنيفها حسب الموضوعات	٢٥٥

* * *

الباب الثاني : الشريف الرضي ناثرا	٢٥٩
تمهيد : : الرضي المترسل	٢٦٣
أ ـ موضوعات رسائل الرضي	٢٦٤
ب ـ خصائص الترسل عند الرضي	٢٧٠
الفصل الأول : نهج البلاغة ودور الرضي في جمعه	٢٧٥ ـ ٣٠٦
أ ـ أصل نهج البلاغة وتنوع موضوعاته	٢٧٥
ب ـ الاهتمام بخطب علي وأقواله قبل عصر الرضي	٢٨٠
ج ـ مسألة جامع نهج البلاغة	٢٨٣
د ـ منهج الرضي في جمع نهج البلاغة	٢٨٧
هـ ـ مسألة الشك في نسبة مضمونه الى علي بن أبي طالب	٢٨٩
و ـ قيمة نهج البلاغة	٢٩٩
الفصل الثاني : بلاغة الرضي وبيانه من خلال « تلخيص البيان » و « المجازات النبوية »	٣٠٧ ـ ٣٤٠
المبحث الأول : الرضي و« تلخيص البيان »	٣٠٩

الموضوع	الصفحة
أ ـ قضية المجازات في القرآن قبل الرضي	٣٠٩
ب ـ الشريف الرضي ومجازات القرآن	٣١٦
١ ـ كتاب « تلخيص البيان » وصحة نسبته للرضي	٣١٦
٢ ـ مقارنة بمن سبقه في التأليف بمجازات القرآن	٣١٧
ج ـ قيمة الكتاب	٣٢٦
المبحث الثاني : الشريف الرضي والمجازات النبوية	٣٣١
أ ـ كتاب « مجازات الآثار النبوية »	٣٣١
ب ـ منهج الرضي في كتابه	٣٣٣
ج ـ قيمة الكتاب	٣٣٦
الفصل الثالث : الرضي وتفسير القرآن	٣٤١ ـ ٣٦٥
أ ـ كتاب « حقائق التأويل في متشابه التنزيل »	٣٤١
ب ـ منهج الرضي في كتابه	٣٤٤
ج ـ مقارنة « بأمالي » المرتضى	٣٤٩
د ـ قيمة الكتاب	٣٥١
خلاصة : خصائص الشريف الرضي الناثر	٣٦٤

* * *

الباب الثالث : الشريف الرضي شاعراً (أغراضه الشعرية)	٣٦٧
تمهيد : ديوان الرضي	٣٧٠
الفصل الأول : المدح والتهنئة	٣٨١ ـ ٤١٣
أ ـ ممدوحو الشريف الرضي	٣٨٢
ب ـ تركيب قصيدة المدح عند الرضي	٣٩٦
ج ـ المعاني المدحيّة عند الرضي	٤٠١
د ـ طبيعة مدحه وأبعاده	٤١٠

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني : الرثاء والتعزية ..... ٤١٥ ـ ٤٥٣
أ ـ بيان بالذين رثاهم الرضي ٤١٧
ب ـ عاشوراء في مراثي الرضي ٤٢١
ج ـ تركب مرثية الرضي ٤٣٠
د ـ معاني الرضي الرثائية ٤٣٣
خلاصة : خصائص الرثاء عند الرضي ٤٥١
الفصل الثالث : الفخر والحماسة في شعر الرضي ٤٥٥ ـ ٤٨٧
أ ـ تركب قصيدة الفخر عند الرضي ٤٥٦
ب ـ موضوعات فخره ٤٦٠
١ ـ الفخر بالحسب والعصبية ٤٦١
٢ ـ الفخر بأعماله وأخلاقه ٤٦٩
٣ ـ الفخر بشعره ٤٧٨
ج ـ طبيعة فخره وأبعاده ٤٨٣
خلاصة : مقارنة بين فخر الرضي وفخر المتنبي ٤٨٦
الفصل الرابع : النّسيب والحجازيات ..... ٤٨٩ ـ ٥١٥
أ ـ الغزليات : ٤٩٣
١ ـ تركيب قصائد الغزل عند الرضي ٤٩٣
٢ ـ طبيعة غزله ٤٩٧
٣ ـ موضوعات غزله ٥٠٠
ب ـ الحجازيات ٥٠٣
١ ـ تركيب قصائد الحجازيات ٥٠٣
٢ ـ الأماكن الحجازية وما اليها في شعر الرضي ٥٠٦
٣ ـ موضوعات حجازياته ٥٠٩

الموضوع	الصفحة

خلاصة : مكانة الحجازيات وأثرها ٥١٣

الفصل الخامس : سائر أغراض الرضي الشعرية ٥١٧ ـ ٥٧٥

أ ـ الوصف :

١ ـ الطبيعة الصامتة ٥٢٠

٢ ـ الطبيعة الصائتة ٥٢٦

٣ ـ الأشخاص وما اليهم ٥٣٢

٤ ـ الآلات ٥٣٥

ب ـ بكاء الشباب وذم المشيب ٥٣٧

أ ـ بكاء الشباب ٥٣٨

ب ـ ذم المشيب ٥٣٩

ج ـ العتاب والشكوى وذم الزمان ٥٤٢

١ ـ تركب قصائد العتاب والشكوى ٥٤٣

٢ ـ موضوعات عتابه وشكواه ٥٤٦

٣ ـ طبيعة شكواه وأبعاد عتابه ٥٥٠

د ـ الهجاء ٥٥٢

١ ـ تركب قصائد الهجاء ٥٥٣

٢ ـ موضوعات هجائه ٥٥٥

٣ ـ طبيعة هجائه ٥٥٩

هـ ـ الحكمة والمثل ٥٦١

١ ـ المعاني الحكمية ٥٦٢

٢ ـ أمثال الرضي ٥٦٨

٣ ـ طبيعة حكمه ٥٩٦

و ـ الزهد ٥٧٠

الموضوع	الصفحة

١ ـ تركب قصائد الزهد ٥٧٠
٢ ـ المعاني الزهدية ٥٧٢
٣ ـ طبيعة زهده ٥٧٤
الخاتمة ..... ٥٧٧ ـ ٥٨٦
الفهارس ٥٨٧
المصادر والمراجع ..... ٥٨٩ ـ ٥٩٦
فهرس الاعلام ..... ٥٩٥ ـ ٦٠٧
فهرس الموضوعات ..... ٦٠٩ ـ ٦١٦

* * *